

INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY
ISLAMABAD - PAKISTAN
Faculty of Islamic Studies (Usuluddin)
Department of Tafseer & Quranic Sciences



الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الاتجاه الفقهي في تفاسير أهل السنة باللغة الفارسية في
القرنين الخامس والسادس الهجريين - دراسة وصفية
تحليلية

البحث المكمل لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب: فضل الله محمد عمر

رقم التسجيل: 334-FU/PHDTQS/S18

إشراف: فضيلة الأستاذ الدكتور شاه جنيد أحمد الهاشمي حفظه الله

تعالى-

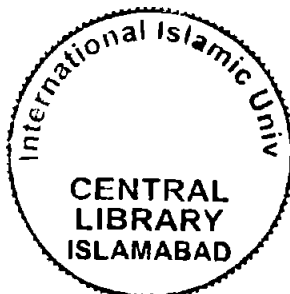
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن

العام الجامعي: 2018 م - 2022 م

الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

6383

10/5/22



۱۵۹۹۷۷

Accession No. PH 25623

PH D

۲۹۷۷ - ۱۲۲۰۷

ف ض ۱

- قرآن کریم - بحوث
- قرآن کریم - تفاسیر
- قرآن کریم - اتجاه فقہی
- قرآن کریم - اهل السنہ
- قرآن کریم - لغت فارسیہ
- قرآن کریم - قرنہ ۴، ۵
- قرآن کریم - وصفیہ

بسم الله الرحمن الرحيم

International University of Islamabad

Islamabad Pakistan

Faculty of Islamic Studies (Usuluddin)

Department of Tafseer & Quranic Science



الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد - باكستان

كلية أصول الدين

قسم التفسير وعلوم القرآن

أجريت مناقشة الرسالة التي قدمها الطالب :

فضل الله محمد عمر.

رقم التسجيل: 334-FU/PHDTQS/S18

بعنوان :

الاتجاه الفقهي في تفاسير أهل السنة باللغة الفارسية في القرنين الخامس

والسادس الهجريين - دراسة وصفية تحليلية

البحث المكمل لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

بتاريخ :

٢٦ رجب ١٤٤٣ هـ ق

الموافق: ٢٠٢٢ / ٢ / ٢٨ م

ومنح صاحبه درجة الدكتوراه بتقدير : ممتاز

أعضاء لجنة المناقشة وتوقيعاتهم

رقم	الأعضاء	الاسم	التوقيع
١	المشرف الرسالة	أ.د شاه جنيد أحمد هاشمي رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد	
٢	المناقش الخارجي	أ.د عبدالحميد عباسي رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة العلامة اقبال المفتوحة	
٣	المناقش الخارجي	أ.د نور حیات خان رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة النمل	
٤	المناقش الداخلي	أ.د تاج أفسر عميد كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد	

كلمة الشكر والتقدير

فإني أحمد الله تعالى وأشكره على فضله حيث وفقني لإنجاز هذا البحث ويسره لي فله الحمد أولا وآخرا، وأصلي وأسلم على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيهم.

وعملا بالحديث النبوي الشريف: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله" (1)، أشكر أساتذتي الأجلاء الذين أفنوا أعمارهم في خدمة كتاب الله تعالى نشرًا وتعليمًا وتفسيرًا وفي مقدمتهم أستاذي المشرف على رسالتي فضيلة الأستاذ الدكتور شاه جنيد الهاشمي - حفظه الله تعالى - رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن، وقد أعطى من أوقاته الغالية الكثير في تصحيح رسالتي وإرشادي ونصحي، وأسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء.

كما أشكر المشايخ القائمين على كلية أصول الدين وأخص بالذكر فضيلة الشيخ المقرئ الدكتور تاج أفسر - حفظه الله - عميد كلية أصول الدين، وفضيلة الأستاذ الدكتور هارون الرشيد العميد السابق سلمه الله، والأساتذة الكرام الدكتور محمد عبد الوهاب الراسخ، والدكتور الضيف النتور ومنسوبي كليتنا الموقرة وقسم القرآن وعلومه، كما أشكر أخي الشقيق فضيلة الدكتور فضل ربي ممتاز الأستاذ بكلية الشريعة على تشجيعه باختيار هذا الموضوع.

وأيضاً أشكر أصحاب الفضيلة أساتذة جامعة السلام بكابل كل من الدكتور فضل الهادي وزين الذي نصحني باختيار هذا العنوان والدكتور مصباح الله عبد الباقي رئيس جامعة السلام الذي ساعدني في ضبط العنوان، والشيخ الدكتور فصيح الله عبد الباقي الذي تفضل مشكوراً بمراجعة خطة الرسالة، ولا أنسى أن أشكر أخي الشقيق الأستاذ فضل من الله ممتاز الذي شجعني كثيراً على مواصلة دراسة مرحلة الدكتوراه. كما أهدي هذا العمل لوالدي الكريمين اللذين ساهما في تربيتي وتعليمي.

¹ روى الترمذي (1954) وأبو داود (4811)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (4811).

وأسال الله أن يجزي أعضاء أسرتي خير الجزاء لوقوفهم معي طوال هذه السنوات
الدراسية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه محمد، وعلى آله وصحابه ومن تبعهم ومن دعا بدعوتهم.

لقد قال الله تعالى: "قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"¹.

ولا شك أن كتاب الله الكريم يضم هدى الله وشرعه وحكمه، قد جاء مبيناً معجزاً وموجزاً يعرض لنا المبادئ الكلية والقواعد العامة والأصول الشاملة، وكلف الله نبيه عليه الصلاة والسلام بأن يبين للناس ما وراء هذه المبادئ والقواعد والأصول من تفاصيل، كما أمر الله عز وجل عباده بأن يتعظوا بهذا القرآن ويعتبروا بآياته، بعد أن يتدبروها ويتفكروا فيها.

ولا شك أيضاً أن مفتاح الفهم الصحيح لمبادئنا وأحكام ديننا الحنيف إنما يكون عن طريق التفسير السليم القويم لهذا الكتاب الإلهي المجيد واستنباط الأحكام الشرعية من آياته.

وترتبط مكانة التفسير الفقهي بمكانة موضوعه، وموضوعه هو أشرف الموضوعات؛ لأنه كتاب الله عز وجل، وأشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير كتاب الله عز وجل وتأويله، بناءً على هذا كان المفسرون من السلف يحرصون على معرفة كتاب الله تعالى و من ثم استنباط الأحكام الشرعية منه.

ونظراً لعالمية القرآن الكريم وعالمية الرسالة المحمدية، ودخول الملايين من الناطقين بغير العربية في دين الله أفواجاً، اشتدت الحاجة إلى ترجمة معاني القرآن

¹ المائدة: 15-16.

العظيم إلى اللغات الأخرى، ومنها: اللغة الفارسية التي دخل أهلها في الإسلام في وقت مبكر، وبجانب الترجمة قام العلماء بتدوين التفاسير الفقهية لكتاب الله عز وجل عبر العصور المختلفة وفسروا آيات الأحكام واستنبطوا منها مسائل شرعية، وقد قطع التأليف والتدوين للتفاسير ذات الطابع الفقهي شوطاً كبيراً حتى بلغ مرحلة الازدهار في القرنين الخامس والسادس الهجريين (كما سنعرف أسباب هذا الازدهار الفقهي في التفاسير الفارسية في مبحث نشأة التفسير الفقهي باللغة الفارسية وتطوره في الباب الأول من هذا البحث بإذن الله تعالى)، والتفاسير الفقهية الفارسية تحتل المرتبة الثانية في المكتبة القرآنية بعد تفاسير آيات الأحكام بالعربية، التي لا تستغني عنها المكتبة القرآنية بأي حال من الأحوال.

ومن واجبنا كطلاب تخصص التفسير وعلوم القرآن والباحثين فيه القيام بخدمة هذا التراث ليأخذ قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد على عاتقه وظيفة الرعاية والإشراف على هذه الدراسات لتؤتي ثمارها بإذن الله تعالى.

ومن الطبيعي جداً أن تكون الدراسات القرآنية مثل التفسير باكورة العمل في ميادين التأليف في اللغة الفارسية، وما ذلك إلا لأهمية كتاب الله عز وجل ومكانته في قلوب الناس، إذ هو دستور حياتهم، وبه توحدت كلمتهم، وانتظمت شؤون معاشهم بالإضافة إلى كونه أساس علومهم ومفتاح دراساتهم، فعكفوا على خدمته تعليمياً وتفسيرياً وتأليفاً.

وهذه الدراسات في مجال علوم القرآن الكريم والتفسير الشريف لم تكن منحصرة في تأليف كتب تفسيرية مختصرة بالاستفادة من المصادر العربية، أو كتابة الحواشي التفسيرية وترجمة معاني الآيات، وإنما تعد تفاسير هؤلاء بمثابة كنوز ثمينة تحتوي على مادة علمية تبرز أهمية هذا العلم الشريف، وتدل على عمق تفكير أصحابها وقوة

استنباطهم، وتعتبر خندقاً من خنادق الدفاع عن الإسلام في مواجهة التيارات العقيدية والفكرية المنحرفة عن خط الإسلام.

وقد كان لهذه التفاسير وعلى وجه الخصوص التفاسير الفقهية أثر واضحاً في الوقوف أمام المذاهب والفرق المنحرفة، وانحسار مدها في بلاد خراسان، حيث ساهمت تلك التفاسير في إنقاذ الشعوب الإسلامية في البلدان المذكورة من الوقوع في براثن العقائد المنحرفة، والمذاهب الهدامة، ومخلفات المجوسية، والزرادشتية، والبوذية بجانب الهندوسية.

ويعتبر عصر الكتابة في التفاسير الفقهية باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين أهم مرحلة في تاريخ تفاسير آيات الأحكام باللغة الفارسية، فقد شهد التفسير الفقهي بالفارسية ازدهاراً في هذه الفترة، ودخل طور التوسع والعمق والشمولية في التأليف، والتفاسير التي قد قمت بدراستها ما هي إلا من نتاج هذه الفترة الزمنية.

التعريف بالموضوع:

رغم الأهمية الكبيرة التي يتمتع بها التفسير الفقهي باللغة الفارسية وعصر تدوينه وازدهاره في القرنين الخامس والسادس الهجريين إلا أنه لم تكتب فيه دراسة علمية مستقلة، حيث لا تعرف الأوساط العلمية في الجامعات والدوائر البحثية والأكاديمية المتخصصة المهمة بالدراسات القرآنية شيئاً كثيراً وكافياً عن نشأة التفسير الفقهي باللغة الفارسية ومراحل تطوره وتنوع مذاهب مؤلفيه، ورغم بحثي في المصادر والمراجع المتوفرة بين يدي لكي أعثر على دراسة عن التفسير الفقهي باللغة الفارسية إلا أنني لم أتمكن من ذلك ولم أجد حتى بحثاً مصغراً مستقلاً، وأرى من واجبي أن أسجل ذلك كحقيقة علمية، وانطلاقاً من هذه الحقيقة العلمية قد بذلت جهدي في إعداد دراسة علمية عن التفسير الفقهي باللغة الفارسية وما يتميز به مع بيان فوائده وآثاره في مجتمع الناطقين باللغة الفارسية.

فالمفسرون الناطقون باللغة الفارسية كغيرهم من مفسري الأمة بحثوا عن أحوال الآيات المتعلقة بالأحكام الفرعية العملية لأفعال المكلفين من حيث دلالتها على مراد الله تعالى ورءوا أن هذا النوع من التفسير لون من ألوان الاجتهاد في الشريعة الإسلامية بهدف بيان معاني الآيات القرآنية واستنباط الأحكام وفق الأصول والقواعد التي تجب مراعاتها في تفسير كلام الله عز وجل.

واهتمت دراستي بتفسير آيات الأحكام في التفسير المشتهرة عند أهل السنة باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وغاية هذه الدراسة هي البحث عن أثر الاجتهاد الفقهي في التفسير الفارسية، سواء ما يتعلق بالتفسير المجردة للأحكام التي يصطلح عليها بكتب "التفسير الفقهي"، أو ما يتعلق بالتفسير التي تتبع القرآن آية آية من أوله إلى منتهاه، وعرضت لمختلف المسائل المستنبطة من آيات الأحكام.

أما أهمية هذه الدراسة فتتجلى في كونها تقوم بإبراز نطاق الاجتهاد الفقهي في إسهامات المفسرين، مع التنبيه إلى تنوع التفسيرات الفقهية وتعدد مناهجهم التفسيرية في استنباط الأحكام الفرعية، هذا وقد اخترت من التفسير ذات الطابع الفقهي باللغة الفارسية لأهل السنة في القرنين الخامس والسادس الهجريين الجديرة بالدراسة التفسيرات الآتية:

- تفسير تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم للأسفراييني.
- كشف الأسرار وعدة الأبرار للمبيدي.
- تفسير النسفي لنجم الدين أبي حفص عمر بن أحمد النسفي.
- تفسير البصائر أو " البصائر اليمينية" لأبي جعفر محمد بن محمود النيسابوري الغزنوي.

أهمية الموضوع:

وتتلخص أهمية الموضوع فيما يلي:

لا شك أن هذه الدراسة تقدم تعريفاً للمكتبة التفسيرية الفقهية لأهل السنة والجماعة باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وتكون مرجعاً مهماً للباحثين والدارسين، وتكون في متناول الناطقين باللغة العربية إن شاء الله تعالى.

التفسير ذات الطابع الفقهي باللغة الفارسية اشتملت على تفسير آيات الأحكام وفق ترتيب المصحف الشريف من فاتحة الكتاب إلى سورة الناس وكان علينا الكشف عن هذه التفسير والتعريف بها وبيان أهميتها.

من أهمية الموضوع أن تفسير القرن الخامس والسادس الهجريين باللغة الفارسية اشتهرت بالتوسع في تناولها للأحكام الفقهية حيث لم تكتف مفسروها بذكر رأي مذهبه الفقهي بل ناقشوا المسائل والأحكام من جميع جوانبها.

التفسير الفارسية لأهل السنة وعلى وجه الخصوص ذات طابع فقهي منها في القرنين الخامس والسادس الهجريين تتميز بالاجتهادات الفقهية استجابة لمقتضى الواقع الزمني وحاجة الناس لتفسير آيات الأحكام من أجل فهم دينهم.

و تبرز أهمية بيان الاتجاه الفقهي لهذه التفسير في ربط جانب كبير من التراث التفسيري للأمة الإسلامية المتمثلة في التفسير ذات الطابع الفقهي باللغة الفارسية بالمكتبة التفسيرية العربية من أجل الاطلاع عليها.

أسباب اختيار الموضوع:

انطلاقاً مما تم ذكره في أهمية الموضوع أضيف هذه التساؤلات في أسباب اختياره لماذا اخترت هذه التفسير بالفارسية؟ ولماذا في هذه الفترة الزمنية القرنين الخامس والسادس الهجريين؟ ولماذا اخترت التطرق للاتجاه الفقهي في هذه التفسير؟

لأن الفترة هذه هي فترة ازدهار العلوم والتفسير وتطوره، والفترة التي كانت تقتضي من العلماء الإجابة عن تساؤلات الناس، وكيف قدموا الحلول في الساحة العلمية وقاموا بربط حياة الناس بالقرآن الكريم وعلومه؟ وبما أن الباحث ينتمي إلى البيئة

الناطق بالغة الفارسية حاول أن يساهم في إبراز الجهود المباركة للمفسرين الناطقين بالغة الفارسية ويقدم وحدة بحثية للقراء العرب لكي يطلعوا على المساهمات التفسيرية لمفكري أهل السنة بالغة الفارسية وعلى وجه الخصوص الاتجاه الفقهي وما يتعلق بتفسير آيات الأحكام.

هذا وهناك أسباب أخرى جعلتني أختار هذه التفسير للدراسة ومنها:

1- الوقوف على دقائق تفاسير آيات الأحكام بالغة الفارسية من خلال التعريف بعصر ازدهار التفسير الفقهي بالفارسية.

2- إبراز الجهود الكبيرة التي بذلها المفسرون الناطقون بالفارسية من علماء هذه الأمة في خدمة كتاب الله عز وجل واستنباط الأحكام الفقهية منه.

3- الإسهام في خدمة كتاب الله تعالى والتعريف بتفسيره من خلال الدراسة العلمية والتقييم الموضوعي للتفسير الفقهي بالغة الفارسية، وإبراز الجوانب الإيجابية فيه.

4- من أسباب اختياري لهذا العنوان ندرة البحوث والدراسات باللغة العربية، وحتى الفارسية نفسها، ودراستي هذه تسد هذه الثغرة إن شاء الله وتكون كاشفة عن الاتجاهات الفقهية في أهم تفاسير أهل السنة والجماعة التي لها مكانة بارزة بين تفاسير أهل السنة والجماعة بعد التفاسير العربية حسب علمي.

5- إدراك أهمية الموضوع من قبل الباحث والفائدة العلمية التي تعود عليه أثناء دراسته وبحثه في المكتبة التفسيرية الفقهية بالغة الفارسية التي ألفت في فترة النهضة العلمية وازدهارها وتطورها، على سبيل المثال لو جمع ما يتعلق بتفسير آيات الأحكام من تفسير "تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم" للأسفراييني وحده يكون هذا تفسيراً لأحكام القرآن في عدة مجلدات، وهكذا تفسير آيات الأحكام في كشف الأسرار وعدة الأبرار للمبيدي يكون تفسيراً لآيات الأحكام في مجلدات ضخام.

مشكلة البحث:

- 1- ما منهجية مفسري تفاسير أهل السنة باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين وما القيمة العلمية لتلك التفاسير في أوساط الناطقين بالفارسية؟
- 2- ما أثر الإجتهد الفقهي في تفاسير أهل السنة باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين؟
- 3- هل هذه التفاسير قامت بربط حياة الناس بالقرآن الكريم وعلومه؟
- 4- هل كانت هناك حاجة لتأليف التفاسير الفقهية باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين؟

الدراسات السابقة:

على الرغم من الأهمية الكبيرة للمكتبة التفسيرية باللغة الفارسية وعلى وجه الخصوص في القرنين الخامس والسادس الهجريين في فترة ازدهار التفسير الفقهي باللغة الفارسية لا توجد دراسة متخصصة مستقلة تتناول الموضوع باستثناء دراستين وهما:

التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها:

وهي عبارة عن رسالة مقدمة إلى قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام بالرياض من الباحث الدكتور فضل الهادي وزين عام 1420 هـ حيث تناول الجانب الفقهي للتفاسير باختصار واكتفي بذكر المذهب الفقهي للمفسر وضرب مثالا واحدا أو مثالين أحيانا من كل تفسير لكون دراسته عامة، ولكنه طالب في مقدمة رسالته من بعده من الباحثين بتقديم دراسة مستقلة عن الاتجاه الفقهي باللغة الفارسية في مختلف عصورها وأن المكتبة القرآنية العربية بحاجة ملحة إلى مثل هذه الدراسة تلقي

الأضواء الكاشفة على أثر المناهج التفسيرية الفقهية لتمكين أبناء الأمة من الاستفادة منها.

كما تحدثت هذه الدراسة عن الاتجاه السني، والاتجاه الشيعي، والاتجاه الصوفي، والاتجاه العقدي واللغوي، وعن مباحث علوم القرآن في التفسير باللغة الفارسية. فتلك الرسالة عامة ودراستي خاصة تناولت التفسير الفقهي بعمق وشمولية لله الحمد والمنة.

فهي لا تشارك رسالتي في المباحث الفقهية فهي دراسة وصفية عامة .

الاتجاهات الحديثة في التفسير باللغة الفارسية في أفغانستان في القرن الرابع عشر الهجري وما بعده:

خطة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير بجامعة المباركة من قبل الأخ الزميل الفاضل الباحث محمد طاهر محمد قاسم الأفغاني، كما هو واضح من عنوان هذه الخطة أنها سوف تتحدث عن الاتجاهات الحديثة في التفسير الفارسية بأفغانستان فقط في القرن الرابع عشر الهجري وما بعده، وأغلب التفسير التي تتناولها بالدراسة هي ترجمات معاني القرآن الكريم التي ترجمت من العربية إلى الفارسية، فهي لا تبحث في التفسير التي تدرج تحت دراستي وهي عبارة عن دراسة نقدية وصفية إلا أنها تتحدث عن الاتجاه الفقهي المعاصر في تلك التفسير والترجمات في القرن الرابع عشر وما بعده، بينما دراستي تحدثت عن الاتجاه الفقهي فقط في القرنين الخامس والسادس الهجريين أي عصر الازدهار والتطور للتفسير الفارسية عموماً والتفسير ذات الطابع الفقهي لأهل السنة والجماعة على وجه الخصوص.

فكما عرفنا من عنوان هذه الخطة فهي عبارة عن دراسة نقدية في الإتجاهات الحديثة وليست دراسة خاصة في التفسير الفقهي.

أهداف البحث:

تتلخص أهداف هذه الدراسة فيما يلي:

التعريف بالاتجاه الفقهي لتفاسير أهل السنة باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

تقديم دراسة علمية مستقلة تشتمل على إبراز جهود مفسري آيات الأحكام باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

المساهمة في خدمة التراث التفسيري لمفسري أهل السنة باللغة الفارسية وعلى وجه الخصوص تناول الاتجاه الفقهي لتفاسير أهل السنة والجماعة في القرنين الخامس والسادس الهجريين وبيان ما تتميز بها تلك التفاسير.

منهج البحث وخطواته:

1- مدار هذه الدراسة على بيان وتحرير الاتجاه الفقهي في التفاسير باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين، واستعان الباحث لتحقيق الأهداف المرجوة من بحثه بالقراءة المتأنية لهذه التفاسير والتأمل في مسالكها الفقهية الاجتهادية والتأكد من مدى التزام مؤلفي تلك التفاسير بالأصول والقواعد التفسيرية ، كما استعان بعدد كبير من المصادر والمراجع التفسيرية وعلوم القرآن الكريم والعلوم المساندة لهما من الحديث والفقه وأصوله والتراجم واللغة وهكذا استخدم وسائل وأدوات البحث المعروفة في إنجاز هذه الدراسة مع السير في المنهج التحليلي الذي ينبغي أن نسلكه في مثل هذه الدراسة.

2 - قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها مشيراً إلى اسم السورة ورقم الآية.

3 - قمت بتخريج الأحاديث النبوية والآثار من مصادرنا الأصلية.

4 - قمت بعزو النقول العلمية أو المراد ترجمتها من الفارسية إلى العربية إلى قائلها.

5 - قمت بترجمة الأعلام الذين ورد ذكرهم في ثنايا البحث.

6 - قمت بتعريف المصطلحات التفسيرية غير المعروفة عند أهل كل فن.

7 - رجعت في دراستي إلى المصادر والمراجع العلمية الأصلية.

8- قمت بوضع الفهارس المتعارف عليها في الرسائل العلمية.

خطة البحث:

بعد دراسة الموضوع، والنظرة الدقيقة في جوانبه وطبيعته والمسائل الرئيسة فيه، وبعد الاستعانة بالله تعالى واستشارة أهل العلم والذكر قسمت بحثي هذا إلى المقدمة والتمهيد الأبواب الثلاثة والخاتمة على النحو الآتي:

أما مقدمته فاشتملت على التعريف بالموضوع، وأهميته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة فيه، ومشكلة البحث، ومنهج الباحث في البحث، وخطوات البحث، وخطة البحث.

تمهيد:

التعريف بعنوان البحث ومصطلحاته

ويحتوي على المطلبين:

المطلب الأول: تعريف الاتجاه الفقهي

المطلب الثاني: التعريف بمصطلحات البحث مثل:

تفاسير آيات الأحكام، التفسير الفقهي.

الباب الأول:

تاريخ الترجمة الفارسية لمعاني القرآن الكريم ونشأة التفسير الفقهي باللغة الفارسية وأثرهما في الإسهام في النهضة العلمية.

ويشتمل الباب الأول على ثلاثة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية

ويحتوي على ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية.

المبحث الثاني: حكم ترجمة معاني القرآن الكريم إلى غير العربية.

المبحث الثالث: ضرورة ترجمة معاني القرآن الكريم بغير العربية.

الفصل الثاني: نشأة التفسير الفقهي باللغة الفارسية وتطوره

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: نشأة التفسير الفقهي باللغة الفارسية وتطوره.

المبحث الثاني: أهم المدارس التفسيرية الفقهية باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

الفصل الثالث: إسهام التفسير الفقهي في النهضة التفسيرية في بيئة الناطقين بالفارسية ومميزاته

ويشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: دور التفسير الفقهي في توجيه المفسر نحو التأليف المبسوط في اللغة الفارسية.

المبحث الثاني: أثر التفاسير الفقهية الفارسية في المجتمعات الإسلامية الناطقة باللغة الفارسية وأهميتها في الأوساط العلمية.

المبحث الثالث: إسهام التفسير الفقهي باللغة الفارسية في النهضة العلمية لتفاسير آيات الأحكام.

المبحث الرابع: مميزات التفسير الفقهي باللغة الفارسية وقيّمته العلمية .

المبحث الخامس: أبرز المآخذ على التفسير الفقهي باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

الباب الثاني:

الاتجاه الفقهي في التفاسير باللغة الفارسية في القرن الخامس الهجري، تفسير تاج التراجم للأسفراييني نموذجاً.

ويشتمل الباب الثاني على تمهيد وفصلين على النحو الآتي:

تمهيد: نبذة عن القرنين الخامس والسادس الهجريين والوضع السياسي والعلمي والثقافي والتفسيري فيهما.

الفصل الأول: التعريف بتفسير تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم واهتمامه بتفسير آيات الأحكام.

ويشتمل الفصل الأول على ستة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: الوصف الإجمالي لتفسير تاج التراجم وأهميته.

المبحث الثاني: التعريف بمؤلف تاج التراجم.

المبحث الثالث: اهتمام الأسفراييني بتفسير آيات الأحكام.

المبحث الرابع: قوة استنباط الأسفراييني من آيات الأحكام.

المبحث الخامس: أسباب عدم خوضه بتفاصيل المسألة واكتفائه بمذهب الإمام الشافعي.

المبحث السادس: أسباب عدم التزامه بذكر النصوص وأقوال الصحابة والتابعين باللغة العربية بل يكتفي بإيراد ترجمتها الفارسية.

الفصل الثاني: الاتجاه الفقهي في تفسير تاج التراجم للأسفراييني.

ويشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: طريقته في الترجيح عند اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام.

المبحث الثاني: عنايته بفقہ النوازل من خلال تفسيره لآيات الأحكام.

المبحث الثالث: خصائص ومميزات تفسير الأسفراييني.

المبحث الرابع: عدم تحويله تفسيره إلى كتاب خلافت فقہية واحتفاظ بخصائصه التفسيرية.

المبحث الخامس: فوائد ترجمة آيات الأحكام إلى الفارسية من منظور الأسفراييني وأنها من مستلزمات الرسالة النبوية وعالميتها.

الباب الثالث:

الاتجاه الفقهي في التفاسير باللغة الفارسية في القرن السادس الهجري

ويحتوي هذا الباب على ثلاثة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: الاتجاه الفقهي في تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار للمبيدي (سنة 520هـ)

ويحتوي على سبعة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وبالكتاب، ويحتوي على المطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف.

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب.

المبحث الثاني: اهتمام وعناية المبيدي بالمباحث الفقهية وتخصيصه فصولاً خاصة لبيان الأحكام المستنبطة.

المبحث الثالث: طريقة المبيدي في تفسير آيات الأحكام.

المبحث الرابع: اهتمام المبيدي بالأدلة وربطه التفسير الفقهي بالدليل.

المبحث الخامس: ترجيحات المبيدي في تفسيره لآيات الأحكام.

المبحث السادس: جوانب التجديد في التفسير الفقهي عند كشف الأسرار.

المبحث السابع: القيمة العلمية لتفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار.

الفصل الثاني: تفسير النسفي لنجم الدين أبي حفص عمر بن أحمد النسفي (ت

537هـ)

ويحتوي هذا الفصل على خمسة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وبتفسيره على النحو الآتي:

المطلب الأول: ترجمة النسفي.

المطلب الثاني: الوصف الإجمالي لتفسير النسفي.

المبحث الثاني: طريقة النسفي في تفسير آيات الأحكام.

المبحث الثالث: منهجه في شرح المفردات المتعلقة بآيات الأحكام.

المبحث الرابع: جودة ترتيبه وتبويبه.

المبحث الخامس: مميزات تفسير النسفي وما يؤخذ عليه، ويحتوي هذا البحث على

مطلبين:

المطلب الأول: مميزات تفسير النسفي وقيمه العلمية وأنه يشبه تفسير الجلالين.

المطلب الثاني: من أبرز المآخذ عليه أنه تفسير كامل للقرآن الكريم ولكنه مختصر.

الفصل الثالث: الاتجاه الفقهي في تفسير البصائر أو "البصائر اليمينية" لأبي جعفر محمد بن محمود النيسابوري الغزنوي (ت 599هـ).

ويحتوي هذا الفصل على ستة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وبالكتاب، ويحتوي على المطلبين على النحو الآتي:

المطلب الأول: التعريف بمؤلف تفسير البصائر.

المطلب الثاني: الوصف الإجمالي لتفسير البصائر.

المبحث الثاني: عنايته بتفسير آيات الأحكام.

المبحث الثالث: طريقة الغزنوي في تفسير آيات الأحكام.

المبحث الرابع: مسلكه في ترجيح الأقوال التفسيرية عند اختلاف المفسرين.

المبحث الخامس: اهتمامه بنوازل عصره من خلال تفسيره لآيات الأحكام.

المبحث السادس: ما تميز به تفسير البصائر وإبراز قيمته العلمية.

وأما الخاتمة فتشتمل على أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث مع تقديم مقترحات والتوصيات.

كما أن البحث يشتمل على الفهارس التالية:

1 - فهرس الآيات القرآنية.

2 - فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

3 - فهرس الأعلام المترجم لهم في البحث.

4- فهرس المصادر والمراجع.

6 فهرس الموضوعات.

هذا وأسأل الله سبحانه أن يفقهنا في الدين وأن يعملنا التأويل.

وكتبه الباحث فضل الله محمد عمر في مدينة الرياض بتاريخ 2020/10/15م.

التمهيد:

ويحتوي على:

التعريف بعنوان البحث ومصطلحاته.

المطلب الأول: تعريف الاتجاه الفقهي في التفسير:

الاتجاه لغة مصدر فعل اَتَجَّهَ، يَتَّجِهْ، فهو متَّجِهٌ، والمفعول مُتَّجَهٌ، اتجه إلى الحدود أو نحوها أقبل عليها وقصدها، والجمع الاتجاهات أي الطرق¹.

ويعرف الاتجاه بأنه مجموعة المبادئ تهدف إلى مقاصد معينة².

والاتجاه الفقهي في التفسير اصطلاحاً:

هو التفسير الفقهي أو تفسير آيات الأحكام والاتجاه الذي يهتم بتتبع آيات الأحكام في القرآن، فيستنبط مختلف مسائلها ويبين معانيها³.

والاتجاهات الفقهية: هي الطرق الخاصة للمفسرين في تفسير آيات الأحكام وأساليب ومناهج المفسرين التي سلكوها⁴.

والاتجاه الفقهي هو التوجه نحو تفسير مسائل الفقه وتقريرها وبسط معالمها ويسلك كل مفسر سبيلاً خاصاً لتناول تفسير آيات الأحكام "وقد تختلف طرق المفسرين بل قد تختلف طرق أصحاب المنهج الواحد. فيبدأ أحدهم بالنص أولاً ثم ببيان المفردات ثم المعنى الإجمالي للآيات ثم يستخرج أحكامها ويختلف مفسر آخر فيذكر النص أولاً

¹ ينظر المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية 26/1، طبع مكتبة الشروق الدولية، 2005م، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي 18/1، المكتبة العلمية بيروت، 2010م.

² اتجاهات التجديد في التفسير في مصر، في القرن العشرين، لمحمد شريف ص: 68، القاهرة: دار التراث 1982-68.

³ الاتجاه الفقهي في التفسير ونشأته وتطوره، للدكتور عبد الرزاق هرماس ص: 8. الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب 1418هـ.

⁴ الاتجاهات في التفسير في القرن الرابع عشر الهجري 23/1.

ويمزج بين المفردات والمعنى الإجمالي ويتوسع في هذا المقام فيبسط الحديث عند كل قضية¹.

المطلب الثاني: التعريف بمصطلحات البحث مثل: تفسير آيات الأحكام، والتفسير الفقهي:

آيات الأحكام: "هي كل آية يستفاد منها حكم فقهي وتدل عليه نصاً أو استنباطاً، سواء سيقّت لبيان الأحكام الفقهية، أو غير ذلك"².

وقيل: "هي الآيات التي تبين الأحكام الفقهية على وجه التصريح، دون ما يؤخذ منه الحكم الفقهي بطريق الاستنباط والتأملات"³.

وتفسير آيات الأحكام هي: "التفسير التي تجمع آيات الأحكام الشرعية من القرآن الكريم وتفسرها في كتب مستقلة، بمعنى أنها التفسير التي تقوم على استنباط الأحكام من القرآن الكريم ، واستخراج القواعد والأصول منه ، وإبرازها في كتاب مستقل ، في محاولة لاستكشاف الثروة الفقهية والتشريعية في الكتاب الكريم ومدى حاجة العصور إلى هذه الثروة"⁴.

تعريف التفسير الفقهي:

التفسير الفقهي مركب من التفسير والفقہ.

¹ ينظر: الاتجاهات في التفسير في القرن الرابع عشر الهجري 1/ 26 - 27.

² ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي 199/6، دار الكتبي الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م ، والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي 4 / 35، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف سنة النشر: 1426 هـ.

³ البرهان في علوم القرآن الكريم لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي 5/2، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، 2010م.

⁴ تفسير آيات الأحكام ومناهجها للدكتور علي العبيد ص 39 ، دار التدمرية الرياض 2010 م .

والتفسير : "هو علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه"¹.

والفقه هو : "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية"².

والتفسير الفقهي هو تفسير له صلة بالأحكام الشرعية العملية في القرآن الكريم، وهو تارة يسمى آيات الأحكام ، وتارة فقه الكتاب³ .

ومن أبرز المؤلفات في أحكام القرآن ما يلي:

- تفسير أبي نصر محمد بن السائد الكلبي (ت : 146 هـ) .
- الأحكام لبدر بن العلاء القشيري المالكي (ت : 182 هـ) .
- أحكام القرآن للإمام محمد بن إدريس الشافعي جمعه الإمام البيهقي في مجلد واحد (ت : 204 هـ) .
- أحكام القرآن ليحيى بن بكير (ت : 231 هـ) .
- أحكام القرآن لأبي الحسن بن حجر السعدي (ت : 242 هـ) .
- أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص (ت : 370 هـ) .
- أحكام القرآن للكنيا الهراسي (ت : 504 هـ) .
- أحكام القرآن لأبي بكر العربي (ت : 543 هـ) .
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي (ت : 672 هـ) .

¹التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي 1 / 13 . طبعة دار الحديث المصرية.
² الموسوعة الفقهية الكويتية لمجموعة من المؤلفين 1 / 13 ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت، 1427-
³التفسير الفقهي والنشأة للدكتور مولاي عمر بن حمزة ص 8 ، مركز التفسير للدراسات القرآنية الرياض المملكة العربية السعودية .

- القول الوجيز في أحكام القرآن العزيز ، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين (ت : 756 هـ).

- الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي (ت : 911 هـ) .

علاقة الفقه بتفسير القرآن الكريم:

من المعروف أن تفسير القرآن الكريم ارتبط بتطور الفقه ارتباطاً كاملاً : "فهو المصدر الأول للأحكام ، والسنة شارحة له ومبينة ، وقد كان تفسير الصدر الأول من الأئمة منصباً على ما تعلق به العمل : أي آيات الأحكام بالدرجة الأولى ، فلما جاء عصر أئمة الاجتهاد ساروا على نهج سلفهم ، وفسروا آيات الأحكام ، وضمنوا تفاسيرهم واجتهاداتهم وآراءهم في الفروع .

وبعد عصر الأئمة بدأت البوادر الأولى للالتزام بفقه المذاهب تبرز، ثم ما لبثت الظاهرة العلمية أن انتقلت إلى كتب التفسير ، تستوي في ذلك كتب التفسير الفقهي التي اهتمت بآيات الأحكام فحسب ، وكتب التفسير التي تتبعت آيات القرآن عامة حسبما يقتضيه الأسلوب التحليلي .

فمن المصنفين في التفسير عامة الذين اشتهر عنهم الالتزام بمذهب فقهي معين :

القاضي أبو محمد عبد الحق عطيه ت 546 هـ — مصنف "المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز" وكان مالكيًا .

ومحمد فخر الدين الرازي ت 606 هـ — مصنف "مفاتيح الغيب" وكان شافعيًا.

وأبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي ت 701 هـ — مؤلف "مدراك التنزيل" ، وكان حنفي المذهب .

وأبو عبد الله محمد بن يوسف أبو حيان ت 745 هـ — مصنف "البحر المحيط" وكان شافعيًا كما ذكر في كتب التراجم.

وناصر الدين أبو سعيد عبدالله البيضاوي ت 691 هـ — مؤلف "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" وكان شافعيًا، وغيرهم.

وقد تضمنت تفاسير هؤلاء الأئمة آراء أئمة مذاهبهم واجتهاداتهم في الفقه ، وبرزت تلك الجهود بشكل جلي في كتب "أحكام القرآن" حيث أصبحت الآيات تفسر على قواعد المذهب في استنباط الأحكام ، وظهرت تفاسير لا نكاد نجد بينها وبين أمهات كتب الفقه فرقا كبيرا، وكانت هذه الظاهرة العلمية من محاسن التفسير والتأليف¹ و كان التزام مفسر القرآن بمذهب معين حافزا للاستدلال على آراء إمام ذلك المذهب ومجتهديه، وأيضاً مناسبة للنقاش على استنباطات غيره من المجتهدين في الفروع ذاتها وهكذا استمر الأمر إلى يومنا هذا.

وباللغة الفارسية آخر تفسير فقهي رأى النور ألا وهو ((نور فروزان)) للدكتور عبد الرحيم فيروز هروي طبع في ولاية هراة الأفغانية ويقع في عشرين مجلداً.

¹ ينظر : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي ج2 ص 417 ، طبع بإشراف إدارة البحوث العلمية ، الرياض ، الطبعة الأولى 1407 .

الباب الأول

تاريخ الترجمة الفارسية لمعاني القرآن الكريم ونشأة التفسير الفقهي باللغة الفارسية وأثرهما في الإسهام في النهضة العلمية.

الفصل الأول: تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية

المبحث الأول: تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية:

لا شك أن اللغة الفارسية كانت محل اهتمام المفسرين من المسلمين منذ وقت مبكر في التاريخ الإسلامي وهناك احتمال بأن يكون قد ترجم شيء من القرآن الكريم إلى الفارسية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم. فقد ذكر في كتب التاريخ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث في السنة السادسة رسائل إلى الملوك والأمراء وكان كسرى ملك الفرس ضمن هؤلاء الملوك حيث وجه الرسول صلى الله عليه وسلم إليه كتاباً مع عبد الله بن حذافة السهمي¹:

"من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وأدعوك بدعاية الله عز وجل، فإني رسول الله إلى الناس كافة ولأنذر"" من كان حياً ويحق القول على الكافرين"² أسلم تسلم، فإن توليت فإن إثم المجوس عليك"³. وهذه الرسالة النبوية قد احتوت جزءاً من آية قرآنية وهو: "لَيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ"⁴ علماً بأنه عليه الصلاة والسلام كان يهدف إلى إبلاغ الدعوة

¹ هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي أبو حذافة، أو أبو حذيفة، يقال: شهد بذراً، توفي رضي الله عنه في مصر، أيام خلافة عثمان رضي الله عنه، ودفن فيها، ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، 115/3، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1415هـ-1994م.

² سورة يس: 70.

³ تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري 655/2، طبع دار سويدان بيروت، بدون تاريخ.

⁴ يس: 70.

الإسلامية إلى كسرى الفارسي ، ومن معه من قومه ، وقد جاء فيها شيء من القرآن الكريم ولا شك أن البلاغ لا يتحقق لمن لا يعرف العربية إلا ببيان معنى الرسالة ومحتواها بلغته أو لغة أخرى يعلمها ، ومن هنا نستنبط أن تكون الرسالة النبوية المباركة إلى كسرى بما فيها الآية القرآنية قد ترجمت إلى اللغة الفارسية لتحقيق الغرض من إرسالها ، ومن هنا نعرف ضرورة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى سائر اللغات ومنها الفارسية ، كما يستنبط منها حصول ترجمة شيء من القرآن الكريم إلى الفارسية في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وبتقرير منه¹.

وهناك قول مشهور بأن سلمان الفارسي رضي الله عنه ترجم سورة الفاتحة إلى الفارسية بعدما طَلَبَ منه بعض المسلمين الناطقين بالفارسية وكان ذلك بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقة².

يقول الإسفراييني: "استأذن سلمان الفارسي رضي الله عنه الرسول صلى الله عليه وسلم لكاتبة القرآن لقومه بالفارسية، فأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم. قالوا إنه كتب القرآن وترجمته الفارسية تحته، قالوا : إنه كتب في النهاية هذا هو القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم"³.

والعديد من العلماء كانوا يرون أن الصحابة رضي الله عنهم ومعلمي الأمة لما كانوا يمشون في مشارق الأرض ومغاربها كانوا مطالبين بترجمة سورة الفاتحة والآيات القرآنية والأحكام المتعلقة بالعبادات وعقيدة التوحيد.

ويؤكد هذا المطلب شمس الأئمة السرخسي⁴ قائلا:

¹ ينظر: التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 47/1، للدكتور فضل الهادي وزين، نال بها درجة الدكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام 1429هـ.

² ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم الإسفراييني 22/1، تحقيق علي أكبر الخراساني ونجيب مائل هروي، الطبعة الأولى 1995م ، هيئة الثقافة الإيرانية.

³ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1 / 30.

⁴ محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي. فقيه أصولي حنفي. ينسب إلى سرخس - بلدة قديمة من بلاد خراسان، عده ابن كمال باشا من المجتهدين في المسائل. كان عالمًا عاملاً

"إن الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكانوا يقرءون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم"¹.

والإمام النووي² أيضاً ذكر في كتابه المجموع ما يلي:

"وأما ما رواه الحنفية من فعل سلمان أنه كتب للفرس فاتحة الكتاب بالفارسية فإنه كتب لهم تفسيرها لا حقيقة الفاتحة"³.

ويقول الدكتور فضل الهادي وزين : "وأما ترجمة سورة الفاتحة من قبل سلمان الفارسي ، بعد وفاة نبي الإسلام فليس بأمر مستبعد في ضوء القرائن والمعطيات التاريخية ، بل يمكن القول بأن يكون سلمان الفارسي رضي الله عنه قد بادر إلى ترجمة معاني سورة الفاتحة إلى لغته الأم وهي الفارسية اجتهداً منه بعد وفاة نبينا نظراً لما تقتضيه مصلحة الإسلام والمسلمين ، فقد دخل الإسلام خلال سنوات معدودة بلاد فارس ، وخراسان ، وما وراء النهر ، ودخل هذه البلاد طغتهم الفارسية- في دين الله أفواجاً دون سابق معرفة وعلم باللغة العربية والقرآن"⁴، ولا شك أن هذا العدد الكبير من المسلمين غير الناطقين بالعربية كانوا بحاجة إلى سورة

ناصخاً للحكام؛ فقد أملى كتاب المبسوط، كما أملى شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن، وله شرح مختصر الطحاوي، وله في أصول الفقه كتاب، توفي سنة 490هـ، كم وقيل سنة 483هـ، ينظر: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية لأبي محمد عبد القادر القرشي ، 28 / 2، دار مير محمد كتب =خانه كراتشي ، وتاج التراجم لابن قطلوبغا السودوني 1 / 18، دار القلم - دمشق الطبعة: الأولى، 1413 هـ -1992م ،ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كخالة ، 239 / 8، دار الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1993م.

¹ المبسوط لشمس الدين محمد السرخسي (ت334هـ) 37 / 1 طبعة دار الدعوة اسطنبول تركيا 1403هـ/1982م .

² هو الإمام يحيى بن شرف بن مُرَيِّ بن حسن بن حسين بن محمد جمعة بن جزام. ميلاده كان سنة (631 هـ)، ووفاته كانت سنة (676 هـ)، من أبرز مؤلفاته: "شرح صحيح الإمام مسلم"، وهو المعروف بـ"المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج". و"رياض الصالحين" و"المجموع شرح المذهب" و"روضة الطالبين" و"التبيان في آداب حملة القرآن"، ينظر : تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي للشيخ علاء الدين أبي الحسن علي بن إبراهيم بن داود، المعروف بابن العطار ص5 وما بعدها، الدار الأثرية، عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007م.

³ المجموع شرح المذهب للنوي 380/3 ، طبع دار الفكر بيروت لبنان بدون تاريخ .

⁴ التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 49 / 1.

الفاتحة في صلاتهم وذلك لأن الصلاة لا تصح إلا بقراءة الفاتحة بإجماع العلماء ، فلا يستبعد أن يكون قد طلب أهل بلاد الفرس من الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه ليترجم لهم معاني سورة الفاتحة وأن يكون سلمان الفارسي رضي الله عنه قد لبى هذا الطلب لما رآه من مصلحة للمسلمين الناطقين بالفارسية وقد ظل على تواصل مستمر مع أهل الفرس لنشر الدين الإسلامي في أوساطهم إلى أن توفي سنة (35) أو (36) من الهجرة¹ ومن هنا نعرف أن تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم ونشأة تفسير القرآن الكريم باللغة الفارسية يعودان إلى زمن وصول القرآن الكريم إلى مناطق فارس وخراسان حيث أن أهل فارس وخراسان من الناطقين بالفارسية علماً بأن القرآن الكريم وصل إلى تلك المناطق مع الفتوحات الإسلامية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام 15 هـ².

ولا يتصور نشر الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة في البلدان الناطقة بالفارسية بمنأى عن القرآن الكريم الذي هو المصدر الأول في كافة الأحكام الشرعية ، فقد كان القرآن الكريم أول كتاب حملته المسلمون الفاتحون إلى بلاد فارس وخراسان فدخل كتاب رب العالمين إلى المناطق المفتوحة مع الفاتحين محفوظاً في الصدور مدوناً في المصاحف ، وكانت الشعوب الناطقة بالفارسية من أحرص الناس على معرفة معاني آيات القرآن الكريم وتفسيرها لأن معرفة أحكام دينهم وعباداتهم تتوقف على فهم معاني الآيات القرآنية وكانت الحاجة قائمة إلى تفسير القرآن الكريم باللغة الفارسية³.

وهناك آثار تؤكد تفسير بعض الكلمات والجمل القرآنية باللغة الفارسية من قبل حبر الأمة ومن ذلك ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف تحت عنوان ((ما فُسِّرَ بالفارسية)) وما أخرجه الإمام الطبري في ثنايا تفسيره :

¹ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير 421/2، طبعة مطبوعات الشعب بمصر 1971م.

² ينظر: البداية والنهاية لأبي الفداء بن كثير 126/7-129، دار أبي حيان القاهرة 1996م.

³ ينظر: التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 1/ 52-53.

قال ابن أبي شيبة: "حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السدي عن عكرمة ، عن ابن عباس: (يَجَارَةُ مِّن سَجِيلٍ)¹ قال : هي بالفارسية (سَنَك و كل، حجر وطنين"².

وأخرج ابن أبي شيبة : عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : "أَيَوْدُ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ"³ قال : هو كقول الأعاجم (هزار سال) أي عش ألف سنة"⁴.

وأخرج الطبري بسنده في معرض عن قوله : "فَرَّتْ مِّن قَسْوَرَةٍ"⁵ عن ابن عباس ؛ أنه سئل عن قوله ((فَرَّتْ مِّن قَسْوَرَةٍ))⁶ قال هو بالعربية : الأسد ، وبالفارسية : (شِير) ((...)).⁷

وفي أثناء تفسيره لقوله تعالى: "وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا" يَوْدُ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْزَخٍ حِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ"⁸ أخرج الطبري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : "يَوْدُ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ" قال : هو قول الأعاجم : "سال زه نوروز مهرجان حر"⁹.

¹ سورة الفيل : 4 .

² المصنف في الأحاديث والآثار للإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة المتوفى سنة 235هـ / 473/10 ط ادار السلفية جومباي- الهند 1981م .

³ سورة البقرة : 96 .

⁴ المصنف لابن أبي شيبة 473/10 .

⁵ سورة المدثر : 51 .

⁶ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري 170/29 ط شركة مصطفى البابي الحلبي - مصر 1388 - 1968م .

⁷ جامع البيان عن تأويل آي القرآن 170/29 . ويطلق على الأسد بالفارسية المعاصرة ((شِير)) بالياء .

⁸ سورة البقرة : 96 .

⁹ جامع البيان عن تأويل آي القرآن 429/1 . الملة غَيْرُ صحيحة ويبدو أنها تعرضت للتصحيف وقد يكون الصواب : ((هزار سال زه ، هر نوروز مهرجان)) أي : عش ألف سنة ، كل ((نوروز مهرجان)) وهو بداية كل عام شمسي كان يحتفل بها الفرس قديماً وفي بعض المناطق مثل إيران وأفغانستان وطاجكستان يحتفلون بهذا اليوم .

وأخرج أيضاً "عن ابن عباس في قوله (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ" قال : هو قول أحدهم إذا عطس (زه هزار سال) يقول "عشرة آلاف سنة"¹.

وأخرج أيضاً : "عن عكرمة عن ابن عباس : سَجِّلْ بِالْفَارْسِيَةِ "سَنَكَ وَ كَل ، حَجَر وَطِين"².

ومما يدل على وجود تفسير القرآن الكريم وبيان معانيه باللغة الفارسية في عصر الصحابة والتابعين ، أن خلال المعارك والفتوحات الإسلامية في مناطق فارس ، وخراسان ، وما وراء النهر كانت الدعوة إلى الإسلام تسبق دائماً الحروب والمعارك وذلك بناء على سنة الإسلام وشريعته الغراء والتي تجعل هدف الجهاد إزالة العوائق بين الإسلام والشعوب ومن ثم دخول من يريد في دين الله وليس نزعة التسلط والسيطرة على الشعوب ، والبلدان ، ومن هذا المنطلق فقد كان المسلمون في جميع المعارك التي خاضوها ضد الفرس وغيرهم بدأوا بالدعوة إلى الإسلام قبل خوض الحرب والمعركة فقد كانت رسائلهم المكتوبة والشفهية تتضمن بيان أسس الإسلام وعقيدته متضمنة آيات من القرآن وأحاديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما ذكره البلاذري : "أن رستم سأل سعد بن أبي وقاص أنه يوجه إليه بعض أصحابه ، فأرسل إليه المغيرة بن شعبة ، فقصد سريره ليجلس معه عليه ، فمنعه الأساورة من ذلك فقال له رستم : لقد علمت أنه لم يحملكم على ما أنتم فيه إلا ضيق المعاش وشدة الجهد ، ونحن نعطيكم ما تشبعون به ونصرفكم ببعض ما تحبون . فقال مغيرة: (إن الله بعث إلينا نبيه صلى الله عليه وسلم ، فسعدنا بإجابته واتباعه وأمرنا بجهاد من يخالف ديننا (حَتَّى يُغَطُّوا الْجَزِيَّةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)³ ونحن

¹ جامع البيان عن تأويل أي القرآن 430/1 . هناك خطأ في الترجمة ((زَه هزار سال)) تعني : عش ألف سنة ، وليس عشرة آلاف سنة .

² جامع البيان عن تأويل أي القرآن 298/30 .

³ سورة التوبة : 29 .

ندعوك إلى عبادة الله وحده ، والإيمان بنبيه صلى الله عليه وسلم ، فأنت إن فعلت وإلا فالسيف بيننا وبينكم"¹.

ولا شك أن رستم وأمثاله² من الفرس لعدم معرفتهم بالعربية كانوا بحاجة إلى من يترجم لهم ما يشتمل عليه الحوار والرسالة بما فيها الآيات القرآنية، كما في خطاب المغيرة لرستم حيث تضمن جزءاً من آية وهو قوله تعالى : "حَتَّى يُغْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"³ ، فقد روى الطبري في تاريخه أنه "دعا رستم بالمغيرة ، فجاء حتى جلس على سريره ودعا رستم ترجمانه وكان عربياً من أهل الحيرة يدعى عبود- فقال له المغيرة : ويحك يا عبود ! أنت رجل عربي ، فأبلغه عني إذا تكلمت كما تبغني عنه . فقال له رستم مثال مقالته، وقال له المغيرة مثل مقالته"⁴.

ومما لا شك فيه أن بيان معاني الآية التي وردت في خطاب المغيرة وأمثالها بالفارسية هو عبارة عن تفسير شيء من القرآن باللغة الفارسية.

وما ذكر هنا هو مثال واحد من الحالات التي سجلتها كتب التاريخ، بما أن التاريخ لا يسجل قطعاً كل الحالات، فمن المؤكد بناء على قرائن وشواهد مختلفة أن هناك أمثلة كثيرة أخرى مشابهة لما ذكرنا لم ترد في صفحات الكتب، فقد كانت الدعوة والوعظ والحوار كلها تتضمن الآيات والسور القرآنية ، حالة سائدة وعرفاً مألوفاً في أوساط المسلمين الجدد من أبناء اللغة الفارسية ، وبسبب عدم معرفة هؤلاء بالعربية كان من البدهي جداً أن تتم عملية التفسير والبيان والشرح بلغة المخاطبين وهي الفارسية⁵.

¹ فتوح البلدان لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري ص 265، دار ومكتبة الهلال- بيروت عام النشر: 1988م.

² راجع على سبيل المثال حوار النعمان رئيس وفد المسلمين مع يزجرد من خلال الترجمان في تاريخ الأمم والملوك للطبري 524/3 - 525 ط دار سويدان بيروت بدون تاريخ .

³ سورة التوبة : 29 .

⁴ تاريخ الأمم والملوك 524/3.

⁵ التفسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 55/1

ومن الملفت للنظر أن هذا التطلع لم ينحصر في مجرد الرغبة بمعرفة الأحكام، وإنما دفعت الحاجة الملحة في مجال العبادات ومنها الصلاة، العلماء في وقت مبكر إلى البحث في مسألة القراءة في الصلاة بالفارسية لمن يعجز عن أدائها بالعربية فأصبحت المسألة مثار بحث وأخذ ورد بين فقهاء الأمة، إذا كانت من جانب تتعلق بحكم فقهي، يدل من جانب آخر على قضية تفسير كتاب الله بالفارسية وكانت مطروحة على بساط البحث والنقاش في وقت مبكر في عصر التابعين مما تعطي دلالة واضحة على أن ترجمة معاني القرآن وتفسيره بالفارسية كان موجوداً في هذا العصر، ليس فقط للدوافع المعرفية فحسب إنما للدوافع والأغراض العبادية مثل الصلاة، مما أدى بفقهاء الأمة إلى بحث حكم القراءة في الصلاة بمعاني القرآن الكريم بالفارسية¹.

ولم يكن إثارة هذه المسألة الفقهية إثارة نظرية من قبيل الترف الفكري من تصور مسألة في الذهن ومن ثم البحث لها عن حكم وحل، وإنما كانت المسألة مطروحة في الواقع المعاش في جزء من المجتمع الإسلامي وتبحث عن الحسم والتأصيل الشرعي. ذكر محمد بن جعفر النرخشي في كتابه تاريخ بخارى أنه ((بنى قتيبة (2)) المسجد الجامع داخل حصار (حصن) بخارى سنة أربع وتسعين . . وكان ذلك الموضع بيت أصنام، فأمر أهل بخارى أن يجتمعوا هنالك كل يوم جمعة، فكان يأمر بمناد كل يوم جمعة يقول: بأن كل من يأتي لصلاة الجمعة أعطيه درهمين . وكان

((1)) التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 55/1 .

((2)) هو قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهي (49 - 96هـ) والي الري وخراسان في أيام الملك عبدالملك بن مروان وفي أيام ابنه الوليد ووثب لغزو ما وراء النهر فتوغل فيها وافتتح كثيراً من المدن كخوارزم وسجستان وسمرقند أذعن له بلاد ما وراء النهر كلها واستمرت ولايته ثلاث عشرة سنة . انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي 410/4 - 411 ، ط مؤسسة الرسالة بيروت 1402هـ/1982م ، والأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي 28/6، دار العلم للملايين، 2002م.

أهل بخارى في أول الإسلام يقرءون القرآن في الصلاة بالفارسية ، ولم يكونوا يستطيعون تعلم العربية . . .))¹.

ورواية النرشخي إذا كانت تدل في ترغيب المسلمين الجدد على الصلاة والحضور إلى الجماعة في المسجد ، تبين في الوقت نفسه واقع الحال من القراءة في الصلاة بالفارسية لعجز المسلمين الجدد عن القراءة بالعربية ، كما تدل على أدانهم لأنكار السجود والركوع بالفارسية .

ومن هنا أجاز الإمام أبو حنيفة (80 - 150 هـ) وصاحبه أبو يوسف القاضي يعقوب ابن إبراهيم (ت 182 هـ) ومحمد بن الحسن الشيباني (ت 189 هـ) - رحمهم الله- قراءة القرآن في الصلاة بالفارسية لمن يعجز عن النطق بالعربية².

ولعل ((الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه- وأصله فارسي- كان أكثر الأئمة لمساً (لضرورة ترجمة معاني القرآن وتفسيره باللغة الفارسية) أو قرباً منها ، ولذلك وجدناه يلبي هذه الحاجة ، حينما رأى أن للمصلي أن يقرأ معنى الفاتحة باللغة الفارسية حين يعجز عن قراءتها بالعربية ، بينما الأئمة الآخرون لم يلمسوا مثل هذه الحالة فمنعوا أن يصلي بغير العربية مهما يكن الأمر))³.

وقد قال القاضي عبد الجبار الهمذاني المعتزلي (ت 415 هـ) عن موسى الأسواري وتفسيره : ((فسر القرآن ثلاثين سنة ولم يتم تفسيره. ويقال : كان في مجلسه العرب

(1) تاريخ بخارى لأبي بكر محمد بن جعفر النرشخي المتوفى سنة 348 هـ، ترجمة أمين عبدالمجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي ط 74 ط دار المعارف مصر 1968 م .

² المبسوط للسرخسي 37/1 .

³ علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر للدكتور عبد المنعم النمر ص 161 ط دار الكتب الإسلامية بيروت، 1405 هـ - 1985 م.

والموالي ، فيجعل العرب في ناحية والموالي في ناحية ويفسر كل بلغته ، فما يُدرى
بأي لسان كان أفصح))¹.

وما ذكره الجاحظ في النصف الأول من القرن الثالث، ومن بعده القاضي عبد الجبار
عن تفسير موسى الأسواري للقرآن الكريم باللغة الفارسية في حلقات الدرس
ومجالس الوعظ ، فإنه يدل من جهة أخرى على أن رواج هذا النمط من التفسير كان
قد سبق مرحلة تدوين التفسير بالفارسية².

وقد استمر تفسير القرآن الكريم بالفارسية عبر حلقات الدرس ومجالس الوعظ
والتذكير ولم ينقطع الاعتماد في بيان معاني الآيات القرآنية، وتفهمها لمن لا يعرفون
العربية حتى بعد تدوين التفسير بالفارسية وهناك أمثلة تؤكد شيوع هذه الطريقة في
التفسير بالفارسية، ومن ذلك ما ذكره الإمام ابن رجب الحنبلي في ترجمة شيخ
الإسلام عبدالله الأنصاري الهروي المتوفى سنة 481 هـ قال ((وله كتاب في تفسير
القرآن بالفارسية، وغير ذلك . . . وكان الشيخ -رحمه الله- آية في التفسير وحفظ
الحديث ، ومعرفته ، ومعرفة اللغة والأدب وكان يفسر القرآن في مجلس التذكير .
فذكر الكتبي في تاريخه: أن الشيخ لما رجع من محنته الأولى ابتداء في تفسير القرآن،
ففسّره في مجالس التذكير ، سنة ست وثلاثين وفي سنة سبع وثلاثين..))³.

ومما ينبغي التنويه عليه أن للتفسير بالفارسية طريقة أخرى وهي بيان معاني الآيات
القرآنية وتفسيرها ضمن تدريس علوم شرعية أخرى مثل العقيدة والفقه وأصول الفقه
وغيرها باللغة الفارسية، حيث لا يتصور تدريس أي علم من هذه العلوم بالفارسية إلا
أن يشرح ويفسر الأستاذ لتلاميذه الآيات القرآنية التي يتضمنها موضوع الدرس

¹ الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير للدكتور عدنان زررور ص132، ط مؤسسة الرسالة -
بيروت بدون تاريخ- نقلاً عن كتاب شرح عيون المسائل للحاكم الجشمي صورة مخطوطة برقم
306/169 بدار الكتب المصرية .

² التفاسير بالفارسية واتجاهاتها 60/1 .

³ الذيل على طبقات الحنابلة للإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن
رجب الحنبلي 66/1-73 ط دمشق 1370-1951م .

باللغة الفارسية. إن هذا النمط وإن كان لا يعتبر تفسيراً شاملاً ومتسلسلاً للآيات إلا أنه بلا شك تفسير للآيات القرآنية. وبما أن تدريس العلوم الشرعية والمعارف الدينية بالفارسية كان من عادة العلماء في بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر عبر حلقات العلم في المساجد وكان أغلب روادها من عامة الناس ممن لا يعرفون اللغة العربية وكان التفسير ضمن المواد الدراسية باللغة الفارسية قبل مرحلة التدوين واستمر بعدها إلى يومنا هذا، وهذا يدل بكل وضوح أن التفسير باللغة الفارسية كان يشكل عنصراً هاماً في بنية النظام التعليمي السائد في البلدان الناطقة بالفارسية¹.

وهكذا في واقعنا نلاحظ أن الجامعات والمدارس الدينية، والمعاهد في البلدان الناطقة بالفارسية وضعت مادة التفسير ضمن المنهج الدراسي على نمط القديم حيث لكل مرحلة يختار القارئون على تلك المؤسسات التعليمية تفسيراً باللغة الفارسية يناسب مستوى الطلاب، كما أن مدن أفغانستان وقراها تعج بدروس التفسير باللغة الفارسية والبشتو كما يسمونه فهم القرآن.

وبالرغم من نشأة التفسير المبكرة بقي غير مدون حتى نهاية القرن الثالث الهجري باستثناء ما قيل عن ترجمة الصحابي سلمان من فارس لمعاني أم الكتاب وكتابتها في القرن الأول الهجري².

المبحث الثاني: حكم ترجمة معاني القرآن الكريم إلى غير العربية:

الترجمة لغة:

مصدر ترجم، يقال ترجم كلامه: "إذا بينه"، ويقال: ترجم كلام غيره إذا عبر عنه بلسان آخر، وهو نقل الكلام من لغة إلى أخرى، والترجمان بالضم والفتح هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى، والجمه تراجم¹.

¹ ينظر: التفاسير باللغة الفارسية 62/1.

² التفاسير باللغة الفارسية 62/1.

الترجمة اصطلاحاً:

هي "التعبير من معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده"².

والترجمة التفسيرية: "هي التي لا تراعي فيها تلك المحاكاة أي محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه، بل المهم فيها حسن تصوير المعاني والأغراض كاملة، وسميت تفسيرية لأن حسن تصوير المعاني والأغراض فيها جعلها تشبه التفسير"³.

وما الجهود الجبارة التي بذلها المسلمون في ترجمة معاني القرآن الكريم خدمة لكتاب الله عز وجل ترجمة وتفسيراً ونشراً وما هذه التفاسير الكبيرة بالفارسية بشكل عام والتفسير الفقهي بشكل خاص إلا خير شاهد على أهمية الترجمة لدى المسلمين خاصة من يتصفح المكتبة التفسيرية الفارسية يجد تلك الجهود الجبارة.

وقد أكد متخصصو علوم القرآن أنه: "لا ريب عند أهل التفسير أن تفسير القرآن بغير العربية لمن لا يحسن العربية يجري في حكمه مجرى تفسيره بلسان عربي لمن يحسن العربية، فكلاهما عرض لما يفهمه المفسر من كتاب الله بلغة يفهمها مخاطبه، وكلاهما حكاية لما يستطيع من المعاني والمقاصد وتفسير القرآن الكريم يكفي في تحقيقه أي يكون بياناً لمراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، لأن التفسير في اللغة هو الإيضاح والبيان، وهما يتحققان ببيان المعنى، لأن التفسير في الاصطلاح علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية، وهذا يتحقق أيضاً بعرض معنى واحد من جملة معان يحتملها التنزيل؛ وإذا كان تفسير القرآن الكريم بياناً لمراد الله بقدر الطاقة البشرية، فهذا البيان يستوي فيه ما

¹ ينظر: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور 6/23، دار صادر - بيروت، 1414 هـ، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير ل أحمد بن محمد بن علي الفيومي 72/1، المكتبة العلمية بيروت، 2010م.

² مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني 103/2، طبع المكتبة العصرية بيروت.

³ مناهل العرفان 103/2.

كان بلغة العرب وما ليس بلغة العرب، لأن كلاً منهما مقدور للبشر، وكلاً منهما يحتاجه الناس"¹. مع وجوب مراعاة أمرين: "أن يستوفي هذا النوع شروط التفسير باعتبار أنه تفسير، وأن يستوفي شروط الترجمة باعتبار أنه نقل لما يمكن من معاني اللفظ العربي بلغة غير العربية"².

شروط الترجمة:

وقد ذكر الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني شروطاً لابد من تحققها سواء كانت الترجمة حرفية أو تفسيرية على النحو الآتي:

"معرفة المترجم لأوضاع اللغتين لغة الأصل ولغة الترجمة".

"ومعرفته لأساليبها وخصائصها".

"وفاء الترجمة بجميع معاني الأصل ومقاصده على وجه مطمئن".

"وأن تكون صيغة الترجمة مستقلة عن الأصل، بحيث يمكن أن يستغنى بها عنه، وأن تحل محله، كأنه لا أصل هناك ولا فرع"³.

أنواع الترجمة:

الترجمة الحرفية: "وهي النقل من لغة إلى أخرى، مع التزام الصورة اللفظية للكلمة، أو ترتيب العبارة".

"والترجمة لمعاني الكلام: وهي تعبير بالفاظ تبين معاني الكلام: وهي تعبير بالفاظ تبين معاني الكلام وأغراضه، وتكون بمنزلة التفسير"⁴.

¹ مناهل العرفان 123/2.

² مناهل العرفان 123/2 - 124.

³ مناهل العرفان 105/2.

⁴ مناهل العرفان 112/2 - 114.

فعرفنا مما سبق أن الترجمة التفسيرية لمعاني القرآن الكريم تفسير وبيان موجز بلغة غير العربية وتأخذ هذه الترجمة حكم التفسير وهو الجواز بدليل قول الله تعالى : "بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ" وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"¹. وحديث : ((بلغوا عني ولو آية))².

وكان نبينا عليه الصلاة والصلاة وصحابته يفسرون كتاب الله ويبينون أحكامه للناس

وفي إباحة ترجمة معاني القرآن الكريم على الوجه الذي ذكر لا يختلف عليه علماء علوم القرآن الكريم وأهل التفسير، فإيصال المعنى بطريق الترجمة مقطوع بجوازه كما قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ"³. فلا مانع من ترجمة معاني القرآن الكريم إذا قام به علماء مؤهلون، متضلعون من العربية ومن فهم الشريعة ومن اللغة التي تنتقل إليها معاني القرآن الكريم⁴.

والقائلون بمنع ترجمة معاني القرآن قصدوا منع ما يترجما حرفيا وما لا يلتزم المترجم بمعايير وشروط الترجمة ويرتكب أخطاء ومحظورات ويؤكد هذا الأمر علماء علوم القرآن الكريم في مؤلفاتهم جاء في البرهان : "ورأيت في بعض كلام الأئمة المتأخرين أن المنع من الترجمة مخصوص بالتلاوة ، فأما الترجمة للعمل به فإن ذلك جائز للضرورة"⁵.

¹ النمل: 44.

² أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل 45/4، طبع المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، إسطنبول ، تركيا .

³ إبراهيم : 4 .

⁴ ينظر : مسألة ترجمة القرآن ضرورة للدعوة والتبليغ للشيخ مصطفى صبري ص: 81 ، المطبعة السلفية القاهرة ، والهيئة العالمية للقرآن للدكتور يوسف القرضاوي ص: 9، الدوحة 1999م بدون تاريخ.

⁵ البرهان ي علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين الزركشي 466/1، المكتبة العصرية ،بيروت بدون تاريخ .

القائلون بجواز ترجمة معاني القرآن الكريم لا يرون أن هذه الترجمة قرآن ولا يقصدون الترجمة الحرفية ، يقول المفسر شاهفور الإسفراييني : "فألفاظ القرآن الكريم أشرف وأجمع من أن تتيسر ترجمة كل لفظ منها إلى لفظ آخر بالفارسية"¹.

ونستنتج مما سبق أن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى غير العربية جائزة وذلك لتبليغ ما في القرآن الكريم من الأحكام إلى الناس، وهذه الترجمة ليست قرآناً وإنما هي تفسير موجز للقرآن الكريم لأنه كتاب نور وهداية.

المبحث الثالث: ضرورة ترجمة معاني القرآن بغير العربية:

من الطبيعي أن يهتم المسلمون بترجمة معاني القرآن الكريم اهتماماً خاصاً انطلاقاً من اهتمامهم ورعايتهم للأصل وهو القرآن الكريم نفسه، وانسجاماً مع قيامهم بالدعوة إلى الإسلام في أرجاء المعمورة بين غير الناطقين بالعربية لأن كلام الله عز وجل خير وسيلة لنشر أحكام الدين الإسلامي وشريعة الله الخالدة.

والغاية من : "ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى غير العربية تفهيم المعنى وتعليم المعنى حتى يتعلم أصحاب اللغات الأخرى معاني كلام الله عز وجل ويستفيدوا من أحكامه ودروسه وغيرها من المسائل التي تتعلق بأمور دينهم ودنياهم، وعلى العلماء العارفين باللغات الأخرى أن يترجموا معاني القرآن الكريم وينقلوه إلى إخوانهم وقومهم وهكذا لغير المسلمين لتبليغ الدعوة إلى الله وبيان أحكام كتابه حتى يعرف غير المسلم أيضاً حقيقة القرآن الكريم وما فيه من علم وهدايات ربانية، فيكون ذلك سبباً لدخوله في الإسلام، وما أحوج الشعوب المسلمة إلى معرفة أحكام دينهم من مصدرها الأول ألا وهو القرآن الكريم، وما أحوج البشرية إلى الإقبال على كتاب الله تعالى تلاوة وتدبراً، تعلماً وتعليماً، وفهماً للمعاني والتفسير ويستوي في ذلك

¹ اتاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1 / 22.

المسلمون وغيرهم فهو يهدي المؤمنين وغير المؤمنين ولن يستقيم للناس أمر ولن تقوم لهم حياة كريمة إلا بالقرآن الكريم"¹.

كما أن غير المسلمين اليوم على مختلف دياناتهم الباطلة بحاجة إلى أن يسمعون كتاب الله تعالى ، ويفقهوا معاني آياته وأحكامه وتشريعاته قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله² عند تفسيره قوله تعالى : "وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ"³ "قد علم أن المراد أن يسمعه سمعاً يتمكن منه من فهم معناه ، إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظ لا يتمكن معه من فهم المعنى ، فلو كان غير عربي لوجب أن يترجم له ما تقوم به عليه الحجة ، لو كان عربياً -وفي القرآن ألفاظ غريبة ليست من لغته- وجب أن يبين له معناها ، ولو سمع اللفظ كما يسمعه كثير من الناس ولم يفقه المعنى وطلب منا أن نفسره ونبين معناه فعلينا ذلك ، وإن سألنا عن سؤال يقدر في القرآن أجبناه"⁴.

¹ ينظر : دور ترجمة معاني القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين للدكتور عبد الله اللحيدان ص: 1-3، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .

² هو أحمد تقي الدين أبو العباس بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ولد سنة 661هـ وتوفي سنة 728هـ وكان رحمه الله حسن الاستنباط، قوي الحجة، سريع البديهة، من أبرز مؤلفاته: الاستقامة: تحقيق د. محمد رشاد سالم. طبع في جزئين، واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: تحقيق د. ناصر العقل طبع في جزئين، وبيان تلبيس الجهمية: حقق في ثمان رسائل دكتوراه، بإشراف شيخنا فضيلة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: طبع بتحقيق د. علي بن حسن بن ناصر، ود. عبد العزيز العسكر، ود. حمدان الحمدان، ودرء تعارض العقل والنقل للفهارس والصفدية: تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبع في جزئين. ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ومجموع فتاوى، ومقدمة في أصول التفسير: ينظر: البداية والنهاية لابن كثير 241/13، وتذكرة الحفاظ للذهبي 1493/4، دائرة المعارف العثمانية بدون تاريخ.

³ التوبة : 6 .

⁴ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح 68/1 ، دار العاصمة ، الطبعة الثانية 1999م .

ولا شك بأن الشعوب المسلمة الناطقة بغير العربية الذين لا يتكلمون بالعربية فإن
الضرورة ملحة لتبليغهم معاني القرآن الكريم بلغتهم¹.

وترجمة معاني الآيات من أعظم الأسباب التي تدعو الناس إلى الدخول في الإسلام،
فنقل علوم ومعارف القرآن الكريم وهداياته إلى غير الناطقين بالعربية من أهم
المهمات وأوجب الواجبات، ولن يستقيم أمرهم ولا ينعمون في هذه الدنيا والآخرة إلا
بالقرآن الكريم².

كما تأتي أهمية ترجمة معاني آيات كتاب الله أنها طريق إلى التعرف بالإسلام في
مواجهة أعداء الإسلام الذين يسعون إلى ترجمة كتب دياناتهم وينشرون دعواتهم
المحرقة في أنحاء العالم ، وهذا يؤكد ضرورة ترجمة معاني القرآن الكريم ونشرها
لأنه الحق الذي لا ريب فيه تنزيل من حكيم حميد.

كما أن ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل مفسري الأمة سبيل من سبل التصدي
لأعداء القرآن الكريم الذين سعوا عبر التاريخ إلى نشر ترجمات لمعاني القرآن
الكريم وكان هدفهم منها صرف الناس عن القرآن الكريم وهدايته، وتوجد مئات
الترجمات القرآنية في عشرات اللغات كتبها المستشرقون لتحقيق مأربهم الدينية³.
فترجمة معاني القرآن الكريم وسيلة مهمة من وسائل الدعوة الإسلامية وهناك نماذج
ممن تأثروا بالقرآن الكريم من غير المسلمين قبل إسلامهم : يقول علي سلمان
(فرنسا) العامل الرئيس في اعتناقي للإسلام القرآن الكريم ، وإني مدين للكتاب الذي
ألفه مالك بن نبي ورسمه : الظاهرة القرآنية ، ومثله د. هان ماركوس (ألمانيا) ووليم

¹ ينظر : دور ترجمة معاني القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين ص: 13 .

² مناهل العرفان 136/2 .

³ دور ترجمة معاني القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين ص: 16 .

بيكارد (بريطانيا) ، وينكر محمد شريف (سريلانكا) -وكان قسيساً- أن قراءة سورة الفاتحة والبقرة كانت سبباً رئيساً في إسلامه¹.

وإذا كان القرآن الكريم عالمي الدعوة والخطاب والرسول صلى الله عليه وسلم - ومعه أمته- مكلف بالبيان والتبليغ والإنذار لجميع البشر في كل زمان ومكان، ومن وسائل ذلك أن تترجم معاني القرآن الكريم وتفسيره بلغاتهم وبهذا تتحقق عالمية رسالة الإسلام ودعوته .

جاء في الكشف : "إما أن ينزل القرآن بجميع الألسنة أو بواحد منها ولا حاجة لنزوله بجميع الألسنة ، لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتغني عن التكرار"².

كما نحن نعرف أن الله سبحانه قد حذر من كتمان الحق وعدم بيانه للناس بقوله تعالى : "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ" أولئك يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ"³ وشعوراً بالمسئولية قد اتخذ المسلمون كافة الوسائل الدعوية ، لنشر الإسلام إلى الشعوب والأمم غير الناطقة بالعربية وقد كانت ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره بلغات أخرى من أفضل وأقوى الوسائل في هذا السياق تأكيداً على عالمية الدين الإسلامي والرسالة المحمدية وشمولية هدايات القرآن الكريم وتلبية لرغبات الشعوب غير الناطقة بغير العربية الذين دخلوا في دين الله أفواجا⁴.

¹ لا إكراه في الدين لمحمد الطويل ص 49 دار طويق ، الرياض 414هـ ، ولماذا أسلمنا لحازم عوض ص 81 وما بعدها وكالة الصحافة العربية 2017م .

² الكشف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري 12/3 - دار المصنف - القاهرة 1977م .

³ سورة البقرة : 151 .

⁴ ينظر : مناهل العرفان 99/2 - 103 .

الفصل الثاني

نشأة التفسير الفقهي باللغة الفارسية ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: نشأة التفسير الفقهي باللغة الفارسية وتطوره:

وقد: "ارتبط تفسير القرآن الكريم باللغة الفارسية بتطور الفقه ارتباطاً كاملاً ، فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للأحكام ، والسنة شارحة له ومبينة ، وقد كان تفسير الصدر الأول من الأئمة منصّباً على ما تعلق به عمل: أي آيات الأحكام بالدرجة الأولى ، فلما جاء عصر أئمة الاجتهاد ساروا على نهج سلفهم ، وفسروا آيات الأحكام ، وضمنوا تفاسيرهم اجتهاداتهم وآراءهم في الفروع ، وبعد عصر الأئمة بدأت البوادر الأولى للالتزام الفقهي تبرز ، ثم ما لبث التطور الفقهي في مجال التفسير أن انتقل إلى كتب ومؤلفات التفسير ، تستوي في ذلك كتب التفسير الفقهي التي اهتمت بآيات الأحكام فحسب ، وكتب التفسير التي تتبعت آيات القرآن عامة حسبما يقتضيه الأسلوب التحليلي"¹ .

وإذا كان التفسير الفقهي: "مواكبا لنشأة الفقه الإسلامي منذ زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام، كان للتفسير الفقهي باللغة الفارسية نصيباً من ذلك ويشهد لما نقول ترجمة سورة الفاتحة من قبل الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه وبيان معانيها وأحكامها للمسلمين الناطقين باللغة الفارسية ، فشرح الأحكام الفقهية لسورة الفاتحة بالفارسية ما هو إلا تفسير فقهي و بوادر نشأته، يقول مؤلف تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم : ((استأذن سلمان الفارسي نبي الله عليه الصلاة والسلام في كتابة القرآن لقومه بالفارسية، فأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم"² .

¹ المذهبية الفقهية وأثرها في تفسير آيات الأحكام قديماً وحديثاً، بحث مقدم منشور في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة للدكتور عبد الرزاق هرماس، العدد 46، سنة 1321 هـ ص 58 - 59.

² تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 31/1.

وجاء في كتاب "النهاية على الهداية" لتاج الشريعة عمر بن عبيد الله الحنفي ت 672هـ ، و "النفحة القدسية في أحكام قراءة القرآن وكتابته بالفارسية" لحسن الشرنبلاني الحنفي المتوفي سنة 1096هـ بزيادة نصها : "فكتب بسم الله الرحمن الرحيم : بنام يزدان بخشاينده . . وبعد ما كتب عرضه على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم بعثه إليهم ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم" ¹ .

وذكر الإمام النووي في المجموع: "وأما ، ما رواه الحنفية من فعل سلمان أنه كتب للفرس فاتحة الكتاب بالفارسية فإنه كتب لهم تفسيرها لا حقيقة الفاتحة" ² .

ولا شك أن تأكيد الإمام النووي لحصول التفسير باللغة الفارسية له دلالة واضحة أن بدايات انطلاقة التفسير الفقهي ونشأته كان منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم.

وهناك نقول علمية تفيد بوجود حلقات تفسيرية باللغة الفارسية في القرن الثاني الهجري وكانت تعقد بصورة منظمة كما يؤكد لنا شاهفور الإسفراييني: "ومن أجل ذلك أشفق الأئمة والعلماء على هؤلاء يقصد غير الناطقين بالعربية- في كل عصر فترجموا العقائد وأحكام العبادات إلى الفارسية ومن أجل ذلك أول هذه الأمة وآخرها يفسرون القرآن جميعاً باللغة الفارسية في مجالس العلم ومن على المنابر في مجالس العوام والخواص أهل الدين والدنيا" ³، فقد كانت الدعوة والوعظ والإرشاد تتضمن الآيات والصور القرآنية وكانت هذه الظاهرة حالة سائدة وعرفاً مألوفاً في أوساط المسلمين الجدد من أبناء اللغة الفارسية وبسبب عدم معرفة هؤلاء بالعربية كان من

¹ النهاية على حاشية الهداية لعمر بن أحمد عبيد الله تاج الشريعة 86 / 1 ، حاشية الرقم (1) طبع دلهي 1915م ، والنفحة القدسية في أحكام قراءة القرآن وكتابته بالفارسية من المخطوطة الرقم 12 / 3232 ، مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة .

² المجموع شرع المذهب 3 / 380 ، دار الفكر بيروت .

³ تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم 8 / 1 - 9 .

البدهي أن يتم شرح النصوص القرآنية وبيان أحكامها ومسائلها بلغة المخاطبين وهي الفارسية وهذا النوع من التفسير يسمى التفسير الفقهي¹.

وهكذا نشأ التفسير الفقهي باللغة الفارسية وبدأ ينمو ويتسع مع مرور الزمن حيث لم تنعدم الحاجة إليه في يوم من الأيام منذ صدر الإسلام إلى الآن حيث أن المسلمين الناطقين بالفارسية يتطلعون إلى معرفة أحكام دينهم في ضوء المعارف القرآنية بلغتهم الفارسية، ومن الملفت للنظر أن هذا التطلع لم يقتصر في مجرد الرغبة بمعرفة الأحكام وإنما دفعت الحاجة الملحة في مجال العبادات ومنها على سبيل المثال الصلاة ، وهذه الحاجة دفعت العلماء في وقت مبكر إلى البحث في مسألة القراءة في الصلاة بالفارسية لمن يعجز عن أدائها بالعربية فأصبحت المسألة مثار بحث وأخذ ورد بين فقهاء الأمة ، وهذه المسألة إذا كانت من جانب تتعلق بحكم فقهي ، تدل من جانب آخر على قضية نشأة التفسير الفقهي باللغة الفارسية ، وتعطي دلالة واضحة على أن التفسير الفقهي باللغة الفارسية كان له وجود في عصر التابعين للدوافع والأغراض العبادية مثل الصلاة².

ولكن بالرغم من نشأة التفسير الفقهي باللغة الفارسية في القرنين الأول والثاني إلا أنه بقي غير مدون حتى نهاية القرن الثالث الهجري حيث لا تشير المصادر الموجودة بين أيدينا إلى بواكر لتدوين التفسير باللغة الفارسية عموماً والتفسير الفقهي بالفارسية على وجه الخصوص قبل هذا التاريخ باستثناء ما قيل عن ترجمة سلمان الفارسي رضي الله عنه لمعاني سورة الفاتحة وأحكامها وكتابتها في القرن الأول³.

ولكن التفسير الفقهي باللغة الفارسية شهد تطوراً ملحوظاً في القرن الخامس الهجري وذلك بظهور تفاسير كاملة ذات الطابع الفقهي مثل تاج التراجم في تفسير القرآن

¹ التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 53/1.

² التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 55/1.

³ التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 62/1.

للأعاجم تأليف أبي المظفر شاهفور الإسفراييني المتوفى سنة (547هـ) وتفسير أبي بكر عتيق السور آبادي المتوفى سنة 494 هـ¹.

وأما القرن السادس الهجري فحافل بوجود تفاسير فارسية مهمة وكبيرة من أمثال لطائف التفسير للزاهد الدرواجكي المتوفى سنة 549هـ، و"تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار لأبي الفضل رشيد الدين المييدي"، والبصائر في التفسير لأبي جعفر ظهير الدين محمد النيسابوري وتفسير النسفي لأبي حفص عمر النسفي. هذا ويتميز التأليف في التفاسير الفارسية المهمة ببيان الأحكام الفقهية في القرنين الخامس والسادس الهجريين بكثرة التأليف وشمول المادة وحسن الأسلوب ودقة التعبير، وهكذا نشأ التفسير الفقهي ودخل مرحلة التدوين والتأليف. ومنذ ذلك العصر وحتى يومنا هذا لم تتوقف حركة التأليف في مجال التفسير وعلوم القرآن الكريم باللغة الفارسية، وقد كان حصيلة هذا النشاط العلمي كما كبيرا من كتب التفسير على تنوع مناهجها واتجاهاتها².

ولا يزال التأليف في التفاسير الفارسية يستمر وآخر تفسير فقهي طبع هو ((تفسير نور فروزان، في عشرين مجلداً تأليف الدكتور عبد الرحيم فيروز هروي طبع في سنة 2017م، وهو تفسير فقهي يشبه الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.

المبحث الثاني: أهم المدارس التفسيرية الفقهية باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين:

الغاية من التفسير الفقهي بوصفه علما من العلوم الشرعية هي فهم الأحكام التكليفية وإدراكها، وبيان مراد الله تعالى في خطابه للمكلفين، وتعد التفاسير ذات الطابع الفقهي باللغة الفارسية المجال الذي برز فيه أثر التأثير بالمذاهب الفقهية، فبحكم تنوع اتجاهات التفسير الفقهي وتعددتها تبعاً لاختلاف المفسرين ظهر بعض التفاسير أكثر

¹ التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 68/1.

² التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 68/1.

اهتماماً بالمسائل الفقهية ونوازل عصر مؤلفيه ، وكان من منهجهم في تفسير القرآن الكريم الرجوع إلى المنقول عن النبي عليه الصلاة والسلام أو عن الصحابة رضي الله عنهم، وتفسير السلف الصالح ، وإن لم يجدوا بغيتهم في المنقول رجعوا إلى الاجتهاد¹، وبلا شك علم الفقه واستنباط الأحكام المتعلقة بعبادات الناس يحتاج إليه المفسر للتوسع². وقد درج مفسر التفسير الفقهي باللغة الفارسية كعامة مفسري الأمة في أثناء تفسيره لآيات الأحكام على الرجوع إلى المصادر التالية :

- فقه السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم وإلى آرائهم هؤلاء.

- استنباط مختلف أئمة الاجتهاد.

- هذا فضلاً عن فتاوى مجتهدي كل مذهب وعلمائه في مختلف النوازل حيث تركوا لنا ثروة تشريعية مهمة ودرراً تشهد على عمق استنباطهم، وبحكم اختلاف طرق الاستنباط التفسيرية

وجد خلاف بين هؤلاء المفسرين في الفروع وهنا تنوعت المدارس التفسيرية الفقهية باللغة الفارسية خاصة في عصر ازدهار التفسير الفقهي في القرنين الخامس والسادس الهجريين:

ويعتبر القرنان الخامس والسادس الهجريان أهم مرحلة في تاريخ تفسير القرآن الكريم باللغة الفارسية عموماً، والتفسير الفقهي بشكل خاص، فقد شهدت هذه التفاسير ازدهاراً في هذين القرنين ودخلت طور التوسع والعمق والشمولية في التأليف ، وتنقسم المدارس التفسيرية الفقهية باللغة الفارسية في هذين القرنين إلى مدرستين وهما :

¹ ينظر: التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 1/ 70 - 75.

² الإتيان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي 181/2، طبع مؤسسة الرسالة بيروت 2009م، والتحرير والتنوير لابن عاشور 26/1، الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: 1984.

المدرسة التفسيرية الفقهية لأهل السنة والجماعة كما نسميه الاتجاه السني للتفسير الفقهي ، وقد ظهر في هذه الفترة عدد لا بأس به من التفاسير ذات الطابع الفقهي باللغة الفارسية وقد اشتمل بعضها على عدة مجلدات وتجاوز عدد منها العشر ، وهذا يدل على قوة نشاط التأليف لدى مفسري هذه المرحلة وتميز هذه التفاسير بالموسوعية والتنوع في الموضوعات ، حيث لم يكتف أصحابها بالترجمة التفسيرية للآيات أو تفسير موجز لها ، بل بينوا العناصر والموضوعات والمعاني التي تساعد على فهم الآيات القرآنية وتوضيحها بالأمثلة مع الاستعانة بالأحاديث والآثار، والقراءات واللغة من أجل بيان الأحكام الفقهية والمسائل التي تدور حولها تلك الآيات¹.

وفيما يلي نذكر إجمالاً التفاسير السنية ذات الطابع الفقهي لهذه المرحلة:

تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم :

هذا التفسير من التفاسير الفقهية يقع في خمس مجلدات، مؤلفه هو أبو المظفر شاهفور الإسفراييني المتوفى سنة 471 هـ، طبع الكتاب في إيران بتحقيق على أكبر ونجيب مانل الهروي سنة 1995م ، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم².

وقد ذكر المؤلف رحمه الله أن من أسباب تأليفه لهذا التفسير أن الحاجة كانت ماسة لتأليف تفسير باللغة الفارسية ، لأن عدد غير الناطقين بالعربية أكثر من العرب فيجب تبليغ أحكام الله إلى هؤلاء حيث لا يعرفون العربية ، فلا يمكن إبلاغ الدين الإسلامي إليهم إلا من خلال ترجمة معاني القرآن الكريم وبيان أحكام ومسائلها³.

تفسير شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي :

¹ ينظر : التفاسير-باللغة الفارسية واتجاهاتها 1/ 86 - 87 .

² ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة 1/268، دار إحياء التراث العربي بيروت، 2006.

³ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1/ 3- 4.

لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي المتوفى سنة 481 هـ — كتاب في التفسير باللغة الفارسية، قال عنه ابن رجب الحنبلي : ((وله كتاب في التفسير بالفارسية جامع))¹. وهو أساس لتفسير ((كشف الأسرار وعدة الأبرار)) باللغة الفارسية لرشيد الدين المييدي الذي يعد من التفاسير الفقهية بالفارسية².

تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار :

هذا التفسير من تأليف رشيد الدين أبي الفضل المييدي وقد ابتدأ في تأليفه سنة 520 هـ³. وطبع تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار في عشر مجلدات كبيرة. باهتمام الأستاذ علي أصغر حكمت في طهران. كما وضع الدكتور محمد جواد شريعت فهارس متكاملة لهذا التفسير، وهو من التفاسير الموسوعية التي اهتمت بالفقه اهتماماً بالغاً، بل يعد تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار مصدراً من المصادر المهمة للتفسير الفقهي لعدد كبير من المفسرين باللغة الفارسية من أمثال : الواعظ الكاشفي الهروي في تفسيريه ((جواهر التفسير)) و ((المواهب العلية)) ومعين الدين الفراهي في تفسيريه ((حدائق الحقائق)) و ((أسرار الفاتحة))⁴.

وقد توسع المييدي رحمه الله في تفسير آيات الأحكام واستنباط الأحكام والفوائد الفقهية منها حتى أنه عقد فصلاً خاصة في بيان أحكام الصلاة، والصيام والزكاة، والحج، والبيوع، والربا، والأذان وغيرها⁵.

تفسير النسفي:

¹ الذيل على طبقات الحنابلة لزين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي 21/1 ، طبع دمشق 1951 م .

² كشف الأسرار وعدة الأبرار 10/1 .

³ ينظر : مقدمة كشف الأسرار وعدة الأبرار 1/1 ، وكشف الظنون 1487/2 .

⁴ ينظر : التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 507/1 .

⁵ يراجع فهارس كشف الأسرار وعدة الأبرار 611 - 612 .

ألفه العلامة المفسر نجم الدين أبو حفص عمر بن أحمد النسفي المتوفى سنة 537هـ¹ والكتاب عبارة عن تفسير كامل للقرآن الكريم ، وقد طبع في إيران بتصحيح الدكتور عزيز الله جويني² .

يعد تفسير النسفي من التفاسير الفقهية المهمة باللغة الفارسية ويترجم المؤلف معاني كلمات القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية ثم يذكر الأحكام الفقهية التي تتعلق بهذه الآيات ويستنبط منها الفوائد والمسائل³.

لطائف التفسير :

ألفه سيف الدين فخر الإسلام أبو نصر أحمد بن سليمان البحاري الداراني المتوفى سنة 549هـ ويعرف هذا التفسير بأسماء أخرى مثل تفسير زاهدي وتفسير لزاهد درواجكي ، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم باللغة الفارسية تتوفر نسخ مخطوطة منه في عدد من المكتبات⁴. وقد اهتم اهتماما بالغاً بتفسير آيات الأحكام ولكنه لم يطبع إلى الآن ومازال مخطوطاً.

البصائر في التفسير :

ويسمى أيضاً تفسير بصائر يميني تأليف أبي جعفر محمد أبي الحسن النيسابوري الغزنوي المتوفى سنة 599هـ⁵ وقد فرغ من تأليفه سنة 577هـ وهو تفسير نو طابع فقهي ومهتم بتفسير آيات الأحكام باللغة الفارسية ، وطبع هذا التفسير في إيران بتحقيق الدكتور علي رواقي⁶ . ويحتل مكانة مهمة ليست بين التفاسير الفارسية فحسب وإنما في وسط التفاسير المهمة بآيات الأحكام عموماً. ولا يكاد يمر أبو جعفر

¹ طبقات المفسرين للداودي 5/2 ، وكشف الظنون 519/1 .

² طبع تفسير النسفي في مجلدين من قبل ((انتشارات فرهنگ)) في عام 1353 هـ ش .

³ قد خصصت بفضل الله تعالى الفصل الثالث من الباب الثالث لهذه الرسالة لدراسة تفسير النسفي.

⁴ كشف الظنون 448/1 ، والتفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 83/1 .

⁵ كشف الظنون 246/1 و 435 .

⁶ إصدار رقم (203) لبنیاد و فرهنگ ایران ، هیئة الثقافة الإيرانية .

النيسابوري بآية من آيات الأحكام إلا ويتعرض لما تشتمل عليه الآية من حكم أو أحكام فقهية ، مع اقتصاره بذكر المذهبين الحنفي والشافعي في الفروع الفقهية مراعيًا التوازن الدقيق في عرض كل مذهب من المذهبين ، وقد ذكر رحمه الله ؛ ((أن المقصود من تأليف الكتاب هو اتباع الحق ونصرة الدين وتأييد السنة وموافقة الجماعة))¹ ، هذه كانت نماذج لأبرز التفاسير المهمة بآيات الأحكام للمدرسة التفسيرية السنية بالفارسية ونحن نرى لله الحمد والمنة الأثر الإيجابي للتفسير الفقهية أو التفاسير المهمة بآيات الأحكام حيث نجد هؤلاء المفسرين يستثمرون اختلاف الفقهاء وآراء الأئمة ومذاهب مجتهدي الأمة ولا يتوقفون عند معطيات الفقه المقارن ، بل يتوسعون أيضاً في عرض الآراء المختلفة داخل المذهب الفقهي الواحد ، ومصادر تفسيرهم لآيات الأحكام هي : القرآن، والسنة وفقه الأصحاب وتابعيهم ، واستنباطات أئمة الاجتهاد ، وفتاوى مجتهدي كل مذهب .

ولا شك أن التفسير الفقهي للمدرسة السنية قد دافع عن مبادئ أهل السنة والجماعة في مواجهة الفرق المخالفة الذين فسروا القرآن الكريم واستنبطوا الأحكام الفقهية حسب أهوائهم وعقائدهم الباطلة².

كما أن مؤلفي التفاسير الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين يتبعون المذاهب الفقهية الثلاثة فعلى سبيل المثال نجد شاهفور الإسفراييني مؤلف تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم ورشيد الدين المييدي مؤلف كشف الأسرار وعدة الأبرار يتبعان المذهب الشافعي، وعبد الله الأنصاري الهروي يميل إلى المذهب الحنبلي وأبو حفص النسفي حنفي المذهب³.

مع انتمائهم إلى المذاهب الفقهية إلا أنهم لم يتعصبوا للمذاهب الفقهية ولم يحاولوا إخضاع آيات الأحكام لرأي المذهب الذي ينتمون إليه. فنرى الإمام شاهفور

¹ تفسير البصائر ((تفسير بصائر يميني)) 8/1 .

² ينظر : التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 88/1 .

³ ينظر : التفاسير باللغة الفارسية 710 /2 .

الإسفراييني مع أنه ينتمي إلى المذهب الشافعي ولكنه أفتى بجواز قراءة القرآن في الصلاة لمن يعجز عن القراءة بالعربية موافقاً للقول الذي يراه أئمة المذهب الحنفي¹.

ومن أمثلة عدم التعصب المذهبي في التفسير الفقهي بالفارسية موقف المييدي مؤلف كشف الأسرار وعدة الأبرار من مسألة جواز اللعب بالشطرنج عند تفسيره لقوله تعالى : (وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ)² فقد خالف المييدي فقهاء المذهب الشافعي والذي ينتمي إليه وقال بعدم جواز اللعب بالشطرنج ورأى أنه من أعمال الفسوق والعصيان ، في حين أنه صرح بأن بعض المتأخرين من فقهاء المذهب الشافعي قد رخصوا في اللعب بالشطرنج بشروط محددة³.

ويشهد الباحثون في الدراسات القرآنية بالأدب الجم الذي تميزت به التفاسير الفارسية ذات طابع فقهي غير الشيعية في التعامل مع المخالفين في الرأي في المسائل الفقهية فقد تجنب مؤلفو هذه التفاسير استخدام الألفاظ والعبارات الجارحة في حق مخالفينهم من أتباع المذاهب الأخرى ودأبوا على ذكر أئمة المذاهب وعلمائها بالخير والترحم عليه مع الإشارة إلى محاسنهم⁴.

المدرسة التفسيرية الفقهية المنتمية للمذهب الشيعي:

كما هو شأن التفسير والمفسرين في أغلب العصور فإن القرنين الخامس والسادس الهجريين وما كان فيهما من صراع بين الفرق والمذاهب والطوائف الفكرية قد ترك آثاره في التفسير الفقهي الفارسي في هذه الفترة الزمنية ، حيث أن كل فرقة كانت تنظر إلى تفسير القرآن الكريم من خلال عقيدته ، وكان أهل البدع والأهواء يفسر القرآن الكريم وفق ميولهم وفي ضوء مذاهبهم الفكرية الهدامة والباطلة ، وانطلاقاً من هذا الواقع المشار إليه فقد ظهر أول تفسير للشيعنة باللغة الفارسية في النصف

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 30/1.

² المائدة : 3 .

³ ينظر : كشف الأسرار وعدة الأبرار 16/3 .

⁴ التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 743/2.

الثاني من القرن السادس الهجري وهو تفسير "روض الجنان وروح الجنان" لأبي الفتوح الرازي الشيعي المتوفي سنة 584هـ ، وهو تفسير لكامل القرآن الكريم باللغة الفارسية على المنهج الشيعي وهو مطبوع في إيران ويقع في عشرين مجلداً¹، وكان هذا التفسير موضع عناية كبيرة وجعلوه أساساً لتفاسيرهم في المذهب الشيعي². وقد توسع أبو الفتوح في اهتمامه بالمسائل الفقهية أثناء تفسيره لآيات الأحكام وفق المذهب الشيعي الإمامي الإثنى عشري مع إيراد أدلة واهية وأوهام وأباطيل وإسرائيليات³.

فهو تفسير بالرأي المذموم لكونه مبنياً على العقائد التي كان يعتنقها مؤلفه ، حيث بحث في الآيات لدعم عقيدته وحاول إخضاع النصوص القرآنية إلى هوى النفس عياداً بالله ، فعلى سبيل المثال لا الحصر اعتبر أبو الفتوح الرازي نكاح المتعة من معالم مذهب الشيعة الإمامية مستنداً على جوازه بقوله تعالى: "فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً⁴ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ⁵ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً"⁴ وأثناء تفسيره للآية بين جواز نكاح المتعة وقام بحشد عدد من الآثار والروايات المنسوبة إلى أنتمهم وحث أتباع المذهب الشيعي على نكاح المتعة ورغبهم فيه⁵.

وحمل اللفظين على العرف، لأن ذلك يفتح الباب أمام جواز السفاح ، ولا يبقى أمامنا إلا أن نحمل اللفظين المذكورين على الشرع ، وفي هذه الحالة تكون الآية صريحة -

¹ ينظر : معجم مؤلفي الشيعة لعلي الفاضلي النجفي ص 185 طبع وزارة الإرشاد في إيران 1405هـ .

² التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 2 / 588 - 600 .

³ ينظر : روض الجنان 1 / 405 - 417 .

⁴ النساء : 24 .

⁵ روض الجنان 6 / 151 - 152 .

على حد زعم أبي الفتوح- بجواز نكاح المتعة لقريظة ورود لفظ الأجور وكونه قريناً بالاستمتاع¹.

ولا شك أن ما ذهب إليه أبو الفتوح الرازي من القول بإباحة نكاح المتعة ، والاستدلال على ذلك بالآية الكريمة ، مذهب باطل مبني على شذوذ الشيعة ، ولا يستند إلى دليل صحيح من الكتاب ، ويخالف صحيح السنة القائل بتحريم المتعة ، كما يصطدم مع إجماع الأمة ، فقد كان "نكاح المرأة إلى أجل مباحاً ، ثم نسخ في أيام الفتح ، واستمر تحريمه إلى الآن ، وإلى يوم القيامة ، وقد كان فيه خلاف في العصر الأول ثم ارتفع وأجمعوا على تحريمه"².

ولعل السر في تركيز الشيعة الإمامية الإثنى عشرية على نكاح المتعة، واعتباره من معالم المذهب ، ووضع روايات كثيرة تبالغ في ثواب هذا النكاح مثل : "ليس منا من لم يؤمن بكرتنا ويستحل متعتنا"³. لعل السر في هذا التركيز وهذا الاهتمام والغلو هو الحرص على عصيان عمر بن خطاب وحقد الشيعة الأسود عليه لأنهم يزعمون "أن الله يمنح ثوابه لمن يمارس زواج المتعة ، لأن في ذلك تحدياً مباشراً لتحريمه من قبل الخليفة الثاني عمر بن خطاب"⁴.

ويظهر البعد المذهبي المبني على نكاح المتعة ، والإمعان في مخالفة الصحابة ، وأهل السنة والجماعة أكثر فأكثر عندما تؤكد بعض البحوث والدراسات الميدانية المتخصصة عن نكاح المتعة في بعض البلدان ذات الأغلبية الشيعية أن رجال الدين هم أكثر الناس مواظبة على عقد زواج المتعة وذلك لكونهم ((أكثر تديناً واطلاعاً

¹ ينظر روض الجنان 152/3 .

² صحيح مسلم بشرح النووي 429/4 ط دار أبي حيان 1415هـ/1995م .

³ التفسير الصافي لملا فتح الله الكاشاني ص 347/1 . مكتبة الصدر - طهران 1416هـ .

⁴ المتعة : الزواج المؤقت عند الشيعة - حالة إيران 1978 - 1982م ، تأليف الدكتورة شهلا حائري (وهي حفيدة حائري أحد آيات الكبار للشيعة ومرجع معروف من مراجعهم) ص: 25 ط شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت 1996م .

على الشريعة)) بزعمهم¹ ، كما يتم أغلب عقود زواج المتعة داخل المزارات المقدسة عند الشيعة مثل مدينتي قم، ومشهد في إيران²، ومدينة النجف في العراق لأن ((في هذه المزارات تتجمع على الدوام أعداد كبيرة من المؤمنين . . . والميزة الرئيسية لهذه العتبات المقدسة، هي إمكانية تواجد الرجال إلى جانب النساء داخل حرم العتبات³. . . وفي أثناء تحركهم ، أو عند اقترابهم من الأضرحة المزينة بالفولاذ والفضة ، يصبح الرجال على مقربة من النساء ، ويسهل ترتيبات عقد الزواج المؤقت بين الحجاج⁴ الراغبين في ذلك . ومن عاش لفترة في مدينتي قم ومشهد أدرك أن أهم خاصيتين لهذه المزارات هما جدة المكان ، والتجربة ، والأشخاص .. وتعتبر قم أحد أهم مركزين للتدريب والتعليم الديني في إيران وعلى الرغم من استياء المؤسسة الدينية فإن قم معروفة كمدينة لممارسة زواج المتعة .

في المقابل فإن مدينة مشهد أقل تجانساً وأكثر تنوعاً على الأصعدة السياسية ، والدينية والثقافية وتعتبر هذه المدينة أحد أهم مراكز الحج لدى الشيعة . . . ويعتبر ضريح الإمام رضا ، الإمام الثامن ، محور النشاط فيها ، وفي داخل الأضرحة ذات البناء المتشابه والمزدان بالأروقة ، توجد أماكن تتميز بأنشطة ذات علاقات بالزواج المؤقت . ويتجمع في هذه الأماكن المعروفة على نطاق واسع ، الرجال والنساء الراغبون في عقد زواج المتعة ، هذه الأماكن قد تكون في زاوية معينة في الجامع أو عمود إنارة ، أو بوابة محددة ، أو نافذة معينة و ما شابه ذلك. أحد هذه الأماكن الاستراتيجية وأكثرها إثارة للجدل ، يعرف باسم (النافذة الفولانية) وهي عبارة عن نافذة ضخمة من الفولاذ المشبك تشرف على ضريح الإمام رضا من حديقة المزار ، ويقال أن النساء اللاتي يكثرن من زواج المتعة . . . يجتمعن في هذا المكان ، ويبلغن

¹ المتعة: الزواج المؤقت عند الشيعة حالة إيران 1978 - 1982م ص 237 .

² المتعة : الزواج المؤقت عند الشيعة حالة إيران 1978 - 1982م. ص 238.

³ لا يجوز إطلاق أوصاف مثل الحرم على هذه الأماكن وهو من بدع الشيعة ومبالغتهم.

⁴ لا يجوز إطلاق كلمة حجاج على زوار هذه الأضرحة والقبور ، فالحج الذي يعرفه المسلمون هو ركن من أركان الإسلام ولا يكون إلا إلى الكعبة المشرفة في مكة المكرمة.

رغباتهن إلى الزائرين المهتمين بواسطة إشارات متفق عليها ، ويتلقين إشارات مماثلة من الرجال و بنتيجة ذلك أصبحت عبارة (تحت النافذة الفولانية) في الفارسية العامة تلميحاً إلى وجود نشاط جنسي¹.

فهناك العلاقة القوية بين المذهبية الشيعية ومخالفتهم لإجماع الأمة وبين التركيز على نكاح المتعة، والشريعة حرمت نكاح المتعة وأكدت على تحريمه بقوله تعالى: "وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْزُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ"² وقوله سبحانه: "وَلَيْسَتَغْفِبِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ" ³ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُواهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ⁴ وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتَنِّعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ"³.

هاتان الآيتان تنطقان بعدم جواز نكاح المتعة ولا تبقيان مجالاً للشك بأن الإطار الشرعي الوحيد للعلاقة الجنسية هو النكاح الدائم وملك اليمين ولا ثالث لهما ، ومن يدعي غير ذلك يفرغ الآيتين من معناهما .

منع غسل الرجلين في الوضوء :

يقول أبو الفتوح كسانر الشيعة الإمامية الاثنى عشرية بوجوب مسح الرجلين في الوضوء بدون غسلهما وذلك في تفسيره لقوله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ"⁴ فقد فسر أبو الفتوح الآية بما يتلائم مع رأي الإمامية الاثنى عشرية في المسألة .

¹ المتعة : الزواج المؤقت عند الشيعة ص 27 - 30 .

² المؤمنون : 5-6 .

³ النور : 33 .

⁴ المائدة : 6 .

واعتمد أبو الفتوح قوله بمسح الرجلين على قراءة الجر في اللام في (أرجلكم) ونكر أن أرجلكم عطف على (رؤوسكم) مما يفيد المسح في الإثنين ، وناقش بالتفصيل أدلة الجمهور في وجوب غسل الرجلين واستعان في ذلك ببعض الآثار وشواهد اللغة كالشعر وغيره .

فالخلاف في ذلك واضح ومشهور ، ومن يريد التوسع في المسألة يجد بغيته في كتب التفسير ، والحديث ، والفقه ، ولكن ذلك لا يمنع من الإشارة إلى أن مذهب الجمهور وكافة العلماء هو القول بفرضية الغسل في الرجلين دون المسح وهذا ثابت من قراءة النصب في أرجلكم ، كما تؤيده قراءة الخفض على أساس كون أرجلكم عطفاً على اللفظ دون المعنى بناء على الجوار ، مثلما هو معروف في اللغة العربية وله شواهد في القرآن الكريم¹. وأضف إلى ذلك أن الغسل ثابت من فعل النبي الصلاة والسلام وقوله في أكثر من حديث من ذلك قوله: "ويل للأعقاب من النار"² وقد ذهب بعض أهل العلم بالقول أن مجموع ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في غسل الرجلين فعلاً وقولاً يفيد "العلم الضروري اليقيني ، ومن أنكر ذلك فقد أنكر المتواتر"³.

إنكاره لحق العصبية في الميراث :

أنكر أبو الفتوح الرازي حق العصبية في الميراث وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى : "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ خِطِّ الْأُنثَيَيْنِ"⁴.

¹ ينظر : الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي 61/3- 64 ، مؤسسة الرسالة، بيروت 2006م.

² متفق عليه : أخرجه مسلم في كتاب الطهارة باب وجود غسل الرجلين بكمالهما 213/1 والبخاري كتاب الطهارة باب غسل الأعقاب 49/1 .

³ رسالة الرد على الرافضة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ص 52 ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1413 هـ / 1992 م .

⁴ النساء : 11 .

يقول أبو الفتوح : "سبب استحقاق الميراث عندنا شينان : النسب ، والسبب وذهب الفقهاء يقصد الجمهور - أن أسباب الميراث ثلاثة : السبب، والنسب ، والتعصيب ، وعند أهل البيت لا ميراث بسبب التعصيب"¹.

ومن أدلة مفسري الشيعة في منع العصبية من الميراث ما نقلوه عن جعفر الصادق أنه سئل : "هل المال لمن؟ للأقرب أو للعصبية؟ فقال: المال للأقرب ، والعصبية في فيه التراب ، وتوريث الرجال دون النساء قضية جاهلية"².

ورأي جمهور الأمة أن أهل الفروض إذا استوفوا سهامهم ، وبقي شيء من مال الميراث فهو للعصبية ، يقدم أولى عصبية الذكر ولا حق في الباقي للإناث ، ومن الأدلة على ذلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم في بيان آيات الكتاب ، وحكمه في قضايا الميراث ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : "أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوَّلَى رَجُلٍ ذَكَرَ"³.

كما أن من أبرز سمات التفسير بالرأي المذموم ، كون المفسر يفسر القرآن الكريم وفق عقيدته الباطلة وهو ما لاحظناه في تفسير أبي الفتوح الرازي حيث قام بإخضاع الآيات القرآنية لأهواء مذهبه في مسائل الإمامة⁴، والمهدية⁵، والتقية⁶، والرجعة

أروض الجنان 121/3 .

² الشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى الجار الله ص: 216، طبع سهيل أكيمي لاهور باكستان 1369هـ.

³ متفق عليه، أخرجه البخاري كتاب الفرائض ، باب ميراث ابن الابن 6/8 رقمه (6732).

⁴ "نعتمد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنسب" عقائد الإمامية، لمحمد رضا المظفر، ص73، تاريخ الطبعة: 1422هـ بدون رقم، مركز الأبحاث العقائدية بایران.

⁵ عقيدة المهدية عند الشيعة، وهي : أن المهدي المنتظر الذي اختفى في سرداب سامراء سنة (255)هـ (مع أن الإمام الحادي عشر الحسن العسكري كان عقيماً، ولم يكن له من أبناء. ينظر عقيدة المهدية للشيخ إبراهيم الفارس ص: 4

⁶ "التقية : وهم - يعني الشيعة الإمامية - يعدونها أصلاً من أصول الدين، ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة ، وهي واجبة لا يجوز رفعها حتى يخرج القائم ، فمن تركها قبل خروجه

1، وإنكار رؤية الله عز وجل في الآخرة²، وتأويل الصفات، والحد والكراهية لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيه الاتهام إليهم بالخيانة وبيع الدين بحطام من الدنيا مستنداً بروايات موضوعة وأساطير واهية باطلة³. هذا ولا تخرج مواقف التفاسير الشيعية الأخرى باللغة الفارسية عن تلك المبادئ التي سلكها أبو الفتوح الرازي في تفسيره روض الجنان ولهذا أخذناه كنموذج علماً بأن في القرنين الخامس والسادس الهجريين لم تكن فترة ازدهار التفاسير الشيعية وإنما ازدهر التأليف الشيعي في التفاسير الفارسية مع ظهور الدولة الصفوية في إيران سنة 907هـ وهي مرحلة كثرة التأليف في التفاسير الشيعية باللغة الفارسية⁴

فقد خرج عن دين الله تعالى وعن دين الإمامية " الموسوعة الميسرة " في بيان أصول الشيعة (1/ 54)

1 قولهم برجة بعض الأموات من أنتمهم إلى الدنيا بعد فراقهم منها. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ص 18.

2 عقيدة الشيعة الإمامية في الله تعالى أنه لا يرى، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يحل في مكان ولا في جهة، ولا يخضع للزمان، ولا يشار إليه، ولا ينزل إلى السماء الدنيا، ومن قال بذلك فقد وصفه بأوصاف المخلوقين، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فتح الباري 23/3

³ ينظر : روض الجنان 1/351 ، 8/192 ، 1/136 ، 1/294 ، 295 .

⁴ ينظر : التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 585/2 وما بعدها .

الفصل الثالث

إسهام التفسير الفقهي في النهضة التفسيرية في بيئة الناطقين بالفارسية ومميزاته

المبحث الأول: دور التفسير الفقهي في توجيه المفسر نحو التأليف المبسوط في اللغة الفارسية:

وهذا التأليف من خلال المسائل الفقهية التي بحثها التفسير الفقهي باللغة الفارسية، حيث استثمر مؤلفو هذه التفاسير اختلاف الفقهاء ومذاهب مجتهدي الأمة ، ولا يتوقف جهدهم عند معطيات الفقه المقارن فحسب ، بل يتوسعون في عرض الاجتهادات الفقهية داخل المذهب الفقهي الواحد، مع الأخذ في الحسبان أنهم كانوا يرجعون إلى فقه السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم وينظرون إلى آراء مختلف أئمة الاجتهاد ، ويختلف كل مؤلف عن غيره في التفصيل والإيجاز عند شرح المسائل في تفسير الآية فعلى سبيل المثال بعضهم يكتفون بذكر الحكم المستنبط وفق المذهب الفقهي الذي ينتمي إليه دون الدخول إلى المذاهب الأخرى ومن هؤلاء المفسر شاهفور الإسفراييني في تفسيره تاج التراجم يذكر الحكم المستنبط من الآية بما يتفق مع مذهب الإمام الشافعي ، قال رحمه الله في تفسير البسملة : "واعلم أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من أول كل سورة كتبت في بدايتها كما أنها آية من فاتحة الكتاب ويجب قراءتها مع بقية آيات الفاتحة في كل ركعة من الصلاة ، وهذا هو المذهب الشافعي ويجب قراءتها جهراً كما تقرأ الفاتحة"¹.

وعلى خلاف صاحب تفسير تاج التراجم نجد مفسراً آخر وهو أبو جعفر النيسابوري الغزنوي يذكر آراء المذهبين الشافعي والحنفي أثناء بيانه للأحكام الفقهية المستنبطة من الآيات وذلك في كثير من المواضع من كتابه ((البصائر في التفسير)) كما في تفسير قوله تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ² قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزَلُوا النَّسَاءَ فِي

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 18/1 .

المَحِيض¹ قال أبو جعفر : "والمحيض دم تراه البالغة لمدة يوم أو أكثر ، وأكثر مدته خمسة عشر يوماً على مذهب الشافعي.

وفي مذهب أبي حنيفة أقل مدتها ثلاثة أيام وأكثرها عشرة أيام"².

هذا وقد دأب النيسابوري على عدم ترجيح رأي على آخر في الأحكام الفقهية الأمر الذي جعل التعرف على مذهبه الفقهي صعباً.

وأما الحسين الواعظ الكاشفي³ فيذكر أقوال المذاهب الأربعة في الحكم المستتب من الآية في الغالب وذلك في تفسيره المواهب العلية قال الكاشفي في تفسير قوله تعالى : "أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ"⁴ و"يقول الإمام الشافعي رحمه الله- إذا حصل التلاصق بين جسم الرجل وامرأة من غير المحارم والأجنبية الصغيرة ينتقض وضوء اللامس والملموس . وذهب الإمام مالك وأحمد رحمهما الله- إلى القول بنقض الوضوء في حالة اللامس بالشهوة فقط دون اللامس بغير الشهوة . ويرى الإمام الأعظم رحمه الله- أن المباشرة الفاحشة وهي عبارة عن التماس بين الفرجين بدون حائل ، ونعوظ الذكر هو الناقض للوضوء"⁵.

وقد يكتفي الكاشفي بذكر المذاهب الثلاثة في المسألة ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسيره للآية : "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"⁶ قال الكاشفي : "الاستطاعة في قول الإمام الشافعي هي الزاد والراحلة ، وفي قول الإمام مالك صحة

¹ سورة البقرة : 222 .

² تفسير البصائر 267/1.

³ هو العلامة حسين بن علي البيهقي كمال الدين الكاشفي الهروي الشهير بالواعظ الحنفي المتوفى سنة 910هـ، من مؤلفاته: جواهر التفسير في تحفة الأمير بالفارسية، مختصر جواهر التفسير بالفارسية، تفسير المواهب العلية بالفارسية، جامع الستين في تفسير سورة يوسف باللغة العربية، الرسالة العلية في الأحاديث النبوية، أخلاق المحسنين بالفارسية، ينظر: : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي 316/1، مؤسسة التاريخ العربي، ومعجم المؤلفين 243/5، ومعجم المؤلفين 34/4.

⁴ النساء: 43.

⁵ المواهب العلية ص: 181.

⁶ آل عمران: 97.

البدن ، والقدرة على المشي واستطاعة الشخص الحصول على الزاد . وأما الإمام الأعظم فيقصد الإمام أبي حنيفة- فيقول: إن الاستطاعة هي مجموع الزاد والراحلة وصحة البدن"¹.

وفي بعض المواضع يكتفي الكاشفي ببيان رأي المذهب الحنفي في الحكم المستنبط من الآية مما يدل على اتباع هذا المفسر للمذهب الحنفي مثال ذلك تفسيره للآية: "وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ"² قال الكاشفي: "وقال الإمام الأعظم : حق الأقارب ، أي إذا كانوا فقراء ومحتاجين ينفق عليهم"³.

وأما العلامة عبد العزيز الدهلوي⁴ في تفسيره "فتح العزيز" فقد دأب على تناول الأحكام الفقهية بالبسط والتفصيل وفي هذا السياق قد يورد أقوال المذاهب الفقهية الثلاثة وهي المذهب الحنفي والشافعي والمالكي⁵ وفي بعض المواضع يكتفي بذكر المذهبين الشافعي والحنفي⁶. وما يخص الترجيح بين الأقوال ففي الغالب يقف الدهلوي مع المذهب الحنفي مرجحاً له كما فعل في حكم دخول الكافر المسجد في تفسير قوله سبحانه: "أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ"⁷ حيث ذكر وجهة نظر الحنفية بطريقة يفهم منها ترجيحها لها وهي تبيح دخول الكافر إلى المسجد⁸. ورجح الدهلوي رأي الحنفية في مسألة تأخير الصلاة عن أول وقتها وذلك أثناء

¹ المواهب العلية ص: 130.

² الإسراء : 26.

³ المواهب العلية ص 613.

⁴ هو العلامة عبد العزيز بن أحمد ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي المعروف بسراج الهند المولود سنة 1159 هـ والمتوفى سنة 1239 هـ له العديد من مؤلفات مثل تفسير فتح العزيز، ورسالة الأنساب، ميزان البلاغة، وميزان الكلام، ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي 585/1، ومعجم المؤلفين 243/5.

⁵ ينظر مثلاً: فتح العزيز أو التفسير العزيزي للعلامة عبد العزيز الدهلوي 523/1، مطبوع في مدينة لکنهو بالهند سنة 1268 هـ.

⁶ ينظر مثلاً: فتح العزيز 661/1 - 662 .

⁷ سورة البقرة : 114 .

⁸ فتح العزيز 523 /1 - 524.

تفسير الآية: "وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا" فَاسْتَبَقُوا الْخَيْرَاتِ"¹، فقد أورد الدهلوي رأي الشافعية القائل بأفضلية أداء الصلاة في أول وقتها ثم ذكر قول الحنفية بأفضلية تأخير الصلاة عن أول وقتها ورجحه قائلاً: "والظاهر أن مدلول فاستبقوا الخيرات هو أن المنتظر لصلاة الجماعة في حكم المصلي وهو مشغول بامتثال أمر فاستبقوا"²

عدم التعصب للمذاهب الفقهية:

وإذا كان التعصب لأقوال وآراء عالم أو مذهب فقهي بعينه ، من السلبيات الملفتة للنظر في بعض كتب التفسير الفقهي ، فإن من أبرز الجوانب الإيجابية في التفسير المؤلفة باللغة الفارسية لأهل السنة والجماعة أن أصحابها لم يتعصبوا للمذاهب الفقهية التي ينتمون إليها ولم يحاولوا إخضاع آيات الأحكام في القرآن الكريم إلى اجتهادات المذهب الذي يتبعونها.

ولعل الإمام أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي أكثر هؤلاء المفسرين انفتاحاً فيما يخص المذاهب الفقهية فقد جمع الرجل بين الحديث والفقه واختار طريقة الفقهاء المحدثين وصرح بنفسه عن ذلك قائلاً: "وبعد ما طالعت كتب المذاهب الأربعة وأصولها ونظرت في الأحاديث التي يتمسكون بها اعتزمت على السير في طريق الفقهاء المحدثين"³ ويؤكد الإمام الدهلوي على اتباع أولئك العلماء المحدثين الذين يجمعون بين الفقه والحديث ، ولا بد من عرض المسائل الفقهية على كتاب الله عز وجل وحديث رسوله عليه الصلاة والسلام"⁴.

ويتحدث الدهلوي عن فتنة التعصب المذهبي وآثاره المدمرة على الأمة فيقول: "وفتنة هذا، الجدل، الخلاف، والتعمق قريبة من الفتنة الأولى ، حين تشاجروا في الملك

اسورة البقرة : 148 .

² فتح العزيز 1/ 661 - 662 .

³ الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف ص 4 نقلاً عن كتاب الإمام الدهلوي لأبي الحسن الندوي ص 157، طبع دار القلم، الكويت 1405هـ، 1985م.

⁴ الإمام الدهلوي لأبي الحسن الندوي ص: 148-157.

وانتصر كل لصاحبه ، فكما أعقبت تلك ملكا عضوضا، ووقائع صماء عمياء ، فكذلك أعقبت هذه جهلا واختلاطاً وشكوكاً ووهما . . فنشأت بعدهم قرون على التقليد الصرف، لا يميزون الحق من الباطل ولا الجدل من الاستنباط، فالفقيه يومئذ هو الثرثار المتشدد الذي حفظ أقوال الفقهاء قويها وضعيفها من غير تمييز، وسردها بشقشقة شديقه¹.

وقد سار الإمام الدهلوي على هذا النهج المعتدل المنفتح في تفسيره فتح الرحمن فدار مع الدليل وفق ما أرشده اجتهاده، ولذلك نجده يختار مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله- في مسألة، ويرجح مذهب الإمام الشافعي - رحمه الله- في مسألة أخرى، ويأخذ بمذهب الحنفية في حكم آخر.

ويقول الإمام الدهلوي في تفسير قوله تعالى: "الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ"² "وقد علم من هذه الآية أنه لا يجوز نكاح الزانية المقررة بالزنا وهذا هو مذهب أحمد"³.

وفي تفسيره للآية: "وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ" فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ"⁴ اختار الدهلوي مذهب الشافعي - رحمه الله- في تحديد مقدار الفدية وقال: "الفدية عبارة عن طعام مسكين واحد، وهي مقدرة بمدّ وهذا الحكم منقول من قاسم، وسعيد بن جبير وهذا هو المذهب الشافعي"⁵.

¹ الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف للإمام الدهلوي ص 95-96، عبد الفتاح أبو غدة الناشر: دار النفائس - بيروت الطبعة: الثانية، 1404هـ.

²النور : 2.

³ فتح الرحمن في ترجمة القرآن (ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية) لشاه ولي الله الدهلوي ص:50، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

⁴ سور البقرة : 184.

⁵فتح الرحمن ص: 40.

ومن أمثلة اختيار الإمام الدهلوي لمذهب الإمام أبي حنيفة ترجمته لكلمة "لامستم" في قوله تعالى: "أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا"¹ بمعنى الجماع والتأكيد على ذلك بقوله: "يعني كنتم قد جامعتم. وعند الشافعي لمس النساء ناقض للوضوء"².

ويعد أبو جعفر النيسابوري الغزنوي مؤلف تفسير البصائر مثلاً آخر للانفتاح المذهبي وعدم التعصب، حيث يلتزم أثناء عرضه للأحكام الفقهية المستنبطة من الآيات الموضوعية، والعدل، والتوازن في ذكر المذهبين الشافعي والحنفي، ولا يتعصب لمذهب ضد الآخر. كما أنه لا يتقيد بتبني أقوال أحد المذهبين في المسائل وإنما ينتقل بينهما فتارة يأخذ برأي الشافعية وتارة أخرى يختار قول الحنفية.

ومن أمثلة أخذ أبي جعفر بمذهب الشافعية تفسيره لكلمة ((القرء)) بالطهر في الآية الكريمة: "وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ"³، 4، في حين وافق مذهب الإمام أبي حنيفة في تفسير "الإحصار" في قوله تعالى: "فَإِنْ أَخَصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ"⁵. وذهب إلى القول بأن المحصر من منع من دخول الحرم بعد ما كان محرماً بسبب مرض أو خوف أو نحوه، خلافاً لمذهب الشافعية الذين يحددون المراد بالإحصار في الآية الكريمة بمنع العدو فقط⁶.

¹ المائدة : 6 .

² فتح الرحمن ص: 156.

³ سورة البقرة : 228 .

⁴ تفسير البصائر 270/1 .

⁵ سورة البقرة : 196 .

⁶ ينظر: تفسير البصائر 1 / 245.

وجدير بالذكر أن انفتاح أبي جعفر النيسابوري في مسائل الفروع وعدم تقيده بمذهب فقهي واحد كان السبب في انتسابه إلى مذهبين الشافعي والحنفي في آن واحد فقد قال بعض من ترجم له أنه حنفي¹ بينما عدّه آخرون من الشافعية².

ومن أمثلة عدم التعصب المذهبي في كتب التفسير باللغة الفارسية ما سطره المييدي في تفسير قوله تعالى : ((وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ))³ فقد خالف المييدي -رحمه الله- بعض فقهاء المذهب الشافعي والذي ينتمي إليه وقال بعدم جواز اللعب بالشطرنج واعتبره من أعمال الفسق . هذا في حسن أن المييدي نفسه صرح بكون بعض المتأخرين من فقهاء المذهب الشافعي قد رخصوا اللعب بالشطرنج بشروط محددة⁴ .

وكذلك مما يدل على ترفع أغلب مؤلفي كتب التفسير باللغة الفارسية عن سفاسف العصبية والنظرة والمذهبية الضيقة، ما نقرأه في تفسير فتح العزيز للعلامة عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي، فهو رحمه الله رغم كونه حنفي المذهب لا يتعصب لأقوال الحنفية ، ولا يتردد في ترجيح رأي مذهب آخر إذا كان معه قوة الدليل والحجة ، ومن أمثلة ذلك وقوفه مع الشافعية في قولهم بعدم قتل المسلم الذي قتل كافراً ذمياً أو مصالحاً ، بخلاف الحنفية الذين يقولون بقصاص المسلم إذا قتل الكافر الذمي أو المصالح. ففي أثناء تفسير قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ"⁵. بعد ما بين رأي

¹ ينظر: طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي ص: 280، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م.

² ينظر: هدية العارفين 105/2، ومعجم المفسرين "من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر" لعادل نويهض 632/2، مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد. مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م.

³ المائدة: 3.

⁴ ينظر: كشف الأسرار وعدة الأبرار 16/3.

⁵ سورة البقرة: 178.

الشافعية والحنفية في الحكم رجع قول الشافعية قانلاً: إن الحديث الصحيح : "لا يقتل المسلم بكافر" ¹ "مؤيد لقول الشافعية" ².

ونرى من الواجب أن نشيد بالأدب الجم الذي تميزت بها عامة كتب التفسير غير الشيعية باللغة الفارسية في التعامل مع المخالفين في الرأي في المسائل الفقهية فقد تجنب مؤلفو هذه التفاسير استخدام الألفاظ والعبارات الجارحة في حق مخالفينهم من أتباع المذاهب الفقهية الأخرى، ودأبوا جزاهم الله خيراً- على ذكر أئمة المذاهب وعلمائها بالخير والترحم عليهم كما يقتضي ذلك أدب النقاش العلمي والتعامل مع العلماء ³.

وبخصوص هذا التأليف المبسوط في التفاسير الفارسية نرى أن الجانب الفقهي له دور في تكوين هذه الثروة التشريعية التي قدمته مادة علمية تفسيرية فقهية غزيرة أحياناً تغني عن مراجعة أمهات مصادر الفقه بحكم توسعهم في الاستنباط، حيث جمعت ثروة فقهية جعلت من هذه التفاسير ذات الطابع الفقهي تأليفات مبسطة في الفقه سواء في المذهب الفقهي الواحد أو في الفقه المقارن فلا غنى عنها لباحث في التفسير والدراسات القرآنية.

المبحث الثاني: أثر التفاسير الفقهية الفارسية في المجتمعات الإسلامية الناطقة باللغة الفارسية وأهميتها في الأوساط العلمية:

لا شك أن من الآثار الإيجابية للتفسير الفقهي باللغة الفارسية حرص المؤلفين على تدعيم الاجتهاد الفقهي عن طريق الاستدلال والاحتجاج للفروع بما يراه المفسر من براهين ، مع تحفيزه على تتبع جزئيات الأحكام ودقائق المسائل ، فكثيراً ما تكون الأحكام الجزئية خادمة للترجيح في تفسير الآية عند مجتهد المذهب الفقهي الذي

¹ أخرجه البخاري في كتاب الدماء، باب إيجاب القصاص بالقتل العمد وأن مستحقه بالخيار بينه وبين الدية، رقمه (6915).

² فتح العزيز 758/1.

³ ينظر : التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 2/ 742 - 743 .

يأخذ به المفسر ، ففي تفسير آية الحرابة : "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ"¹ ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية، والشافعية، والحنابلة أن ((أو)) في الآية للتويع ، أي أن العقوبة الزجرية تتفاوت ما بين الصلب والقتل والقطع والتغريب على حسب عقوبة المحارب². بينما ذهبت المالكية إلى أن ((أو)) للتخيير، أي أن الإمام حين يقضي مخير في المحاربين يجري عليهم هذه العقوبات حسب طغيانهم وسعيهم في الفساد وعلى حسب حال العصر، ونقل أبو بكر ابن العربي عن الإمام مالك رحمهما الله : "المحارب الذي يقطع السبيل وينفر الناس في كل مكان ، ويظهر الفساد في الأرض وإن لم يقتل أحداً إذا ظهر عليه يقتل ، وإن لم يقتل فلا إمام أن يرى فيه رأيته بالقتل أو الصلب أو القطع أو النفي"³.

هكذا نجد أن التفسير الفقهي مجالاً للنقاشات الفقهية ودقة الفهم يجمع في ثناياه درراً تشهد على اجتهاد مؤلفيه في مجال التفرع والاستنباط، ويمكننا أن نعرف أثر أي كتاب من مدى تقدير أهل تخصصه لهذا الكتاب ومؤلفه والثناء عليهما ومن مدى استفادة الناس من محتوى ذلك الكتاب، ومن الآثار الإيجابية لهذا المحتوى في حياة الناس، وكونه مصدراً من المصادر العلمية في أوساط الباحثين وطلبة العلم حيث تحدث

عدد لا بأس به من العلماء عن التفاسير الفارسية ذات الطابع الفقهي وبينوا أهميتها، فعلى سبيل المثال جاء في طبقات المفسرين: "شاهفور بن محمد الإسفراييني الإمام العالم الفاضل ، كان متوطناً في بلاد العجم . . صنف تفسير تاج التراجم في تفسير

¹ المائدة: 33 - 34.

² ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 86/2، أحكام القرآن للجصاص 54/4.

³ أحكام القرآن لابن العربي 597/2.

القرآن العظيم باللغة الفارسية¹ كما أثنى عليه الداودي قائلاً: "الإمام الكامل، الفقيه الأصولي المفسر، جامع بارع"².

وقال عن تفسير تاج التراجم مبيناً مكانته العلمية: "صنف التفسير الكبير المشهور، وصنف في الأصول، وسافر في طلب العلم، وحصل الكثير . . وأفاد الكثير واستفاد الناس منه"³.

وصنف تفسير البصائر ومؤلفه بأنه: "كان من فحول أئمة غزنين"⁴.

وقد "صنف البصائر في تفسير القرآن العظيم بالفارسية ذكر أنه تفسير جليل القدر، وجمع فيه لب كتب كثيرة في التفسير"⁵.

ويقول الدكتور فضل الهادي وزين: "التفاسير الفارسية بمثابة جسر موصل بين الشعوب المسلمة الناطقة بالفارسية وبين القرآن الكريم فمن خلال هذه التفاسير وعلى مدى القرون تمكن الناطقون باللغة الفارسية من الوصول إلى معاني القرآن الكريم، والارتواء من معين الوحي الصافي والتعرف على أحكام كتاب الله المجيد وحكمه فاستفادوا منها في دينهم ودنياهم وسيبقون ينهلون من هذا المنهل العذب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها"⁶.

وإذا كان تدريس تفسير القرآن الكريم باللغة الفارسية في المساجد وحلقات الدروس العلمية أمراً مألوفاً من بداية نشأة التفسير فإنّ مع دخول التفسير الفقهي إلى طور التدوين وظهور تفاسير مهتمة بآيات الأحكام باللغة الفارسية منذ القرن الرابع الهجري استجابة لحاجة الشعوب الناطقة بالفارسية ازدادت رغبة الناس في الاستفادة

¹ طبقات المفسرين للأدنة وي ص 419.

² طبقات المفسرين لشمس الدين الداودي 212/1، دار الكتب العلمية - بيروت، 2012م.

³ طبقات المفسرين للداودي 212/1 .

⁴ لب الألباب للعوفي (فارسي) 281/1 .

⁵ طبقات المفسرين للأدنة وي ص: 280 .

⁶ التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 786/2.

من التفسير الفقهي لمعرفة أحكام دينهم في رقعة جغرافية واسعة تشتمل اليوم على عدة دول مثل أفغانستان ، وطاجكستان ، وإيران وأجزاء من كل من أوزبكستان وأجزاء من باكستان ، وما من شك أن هذا الرواج والقبول والانتشار الكبير للتفسير الفقهي باللغة الفارسية يدل على تأثر الشعوب والأجيال المتعاقبة بهذا النوع من التفسير والذي أزال حاجز اللغة من أمام الناطقين بالفارسية ومكنتهم من الوقوف على الأحكام الفقهية التي جاء بها القرآن الكريم ، فساهم بذلك في الحفاظ على دين هذه الشعوب بالرغم من وجود تيار منحرف الذي يفسر القرآن وفق هواه ، ومع ذلك نقول أن إقبال المسلمين على التفسير الفقهي بالفارسية واستفادتهم منه ، وتأثرهم به دليل آخر على القيمة العلمية لهذا النوع من التفاسير.

كما أن العديد من التفاسير الفارسية ذات طابع فقهي يرجع إليها كمصادر في التفسير والمعارف القرآنية كما جاء في كتاب وجوه القرآن: "أردت أن أولف كتاباً كاملاً ومفيداً في وجوه القرآن، يتضمن ما في تفسير الثعلبي وتفسير السور أبيادي، وتفسير النقاش، وتفسير شهنور على وجه الاختصار"¹.

وكان تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار أيضاً من المصادر التفسيرية لعدد من التفاسير مثل: ((المواهب العلية))² و ((جواهر التفسير))³.

حتى في واقعنا المعاصر نجد المفسرين والباحثين في مجال الترجمات والدراسات القرآنية يرجعون إلى هذه التفاسير ومن ضمنها كشف الأسرار وعدة الأبرار للمبيدي

¹ وجوه القرآن لأبي عبد الرحمن النيسابوري ص 1 - 2، تحقيق فضل الرحمن عبد العليم الأفغاني، رسالة الماجستير بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1404هـ - 1984م.

² ينظر: تفسير المواهب العلية للكاشفي ص 45، 215، 240.

³ ينظر جواهر التفسير للكاشفي ورقة: 45، 51. المخطوطة المحفوظة برقم 69، 228، في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة.

كان مرجعاً للترجمات التفسيرية للباحث محمد صديق راشد سلجوقي الذي كان يتخذ من مدينة إسلام آباد مركزاً لترجماته باللغة الفارسية¹.

وجدير بالإشارة أيضاً أن تفسير ((البصائر)) للغزنوي كان وما زال مرجعاً لمن بعده من المهتمين بتفسير آيات الأحكام وجاء ذكره بكثرة في ((المواهب العلية))² و ((جواهر التفسير))³.

المبحث الثالث: إسهام التفسير الفقهي باللغة الفارسية في النهضة العلمية لتفسير آيات الأحكام:

لا شك أن التفاسير الفقهية باللغة الفارسية قد ساهمت في إثراء المكتبة التفسيرية بالفارسية وكانت من المصادر المهمة لطلبة العلم والباحثين والدارسين في مجال الدراسات القرآنية ، واستفادت منها الشعوب الناطقة باللغة الفارسية التي يصل عدد أفرادها إلى عشرات الملايين ، وهذه التفاسير تتميز بالشمول حيث اشتملت على تفسير آيات الأحكام بالتتابع وفق الترتيب من سورة أم الكتاب إلى آخر سورة وهي الناس وعلى وجه الخصوص التفاسير المؤلفة في القرنين الخامس والسادس الهجريين مثل : ((تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم)) و ((كشف الأسرار وعدة الأبرار)) و ((تفسير البصائر)) و ((تفسير النسفي)) كما اشتهرت تفاسير القرنين الخامس والسادس الهجريين باللغة الفارسية بالطابع الموسوعي والتنوع في تناولها للأحكام الفقهية حيث لم تكف مفسروها بذكر الترجمة المختصرة لمعاني الآيات بل

¹ ينظر : درسايه قرآن (فارسي) أي في ظلال القرآن محمد صديق راشد سلجوقي 372/1 ، 373، طبع شوراي ثقافتي جهاد أفغانستان (المجلس الثقافي لأرشيف الجهاد الأفغاني) في إسلام آباد. 1366 هـ ش.

² ينظر: المواهب العلية للكاشفي ص 619.

³ ينظر : جواهر التفسير للكاشفي ص: 84 ، 90 .

ناقشوا المسائل والأحكام من جميع جوانبها وتعرضوا للعناصر والموضوعات التي تساعد على فهم آيات الأحكام وتوضيح مرادها¹.

كما أن التفسير الفقهي باللغة الفارسية قد ساهم في إظهار عالمية القرآن الكريم وأنه دستور البشرية، وأن علماء الأمة قد بذلوا جهوداً كبيرة في شرح معاني القرآن الكريم وألفوا هذه التفاسير لينيروا الطريق لطلاب العلم والمعرفة ، فلا شك أن التفسير الفقهي باللغة الفارسية قد ساهم في النهضة العلمية لتفاسير آيات الأحكام لأن التفاسير ذات الطابع الفقهي بالفارسية لم تكن منحصرة في تأليف كتب تفسيرية مختصرة بالاستفادة من المصادر العربية ، أو كتابة الحواشي التفسيرية وترجمة معاني الآيات ، بل تعد تفاسير بمثابة كنوز ثمينة تحتوي على مادة علمية تفسيرية تبرز أهمية هذا العلم وتدل على عمق تفكير أصحابها وقوة استنباطهم ، وتعبّر خندقاً من خنادق الدفاع عن الإسلام في مواجهة التيارات العقيدية والمدارس الفكرية المنحرفة عن الصراط المستقيم².

وقد كان للمكتبة التفسيرية الفارسية على منهج أهل السنة والجماعة وعلى وجه الخصوص التفاسير الفقهية أثر واضح في الوقوف أمام المذاهب الباطلة سواء خارجة عن الإسلام أو عليه- وانحسار مدها في بلاد خراسان وفارس وما وراء النهر ، حيث ساهمت تلك التفاسير بشكل ملموس في إنقاذ الشعوب المسلمة في البلدان المذكورة من الوقوع في براثن العقائد المنحرفة ، والمذاهب الهدامة ، مخلفات المجوسية ، والزرادشتية ، واليونانية³. وهنا نأخذ كنموذج تحريف الشيعة الإمامية لآيات الأحكام في تفاسيرهم باللغة الفارسية وتقنيدها من قبل مفسري أهل السنة والجماعة .

¹ ينظر: الفصل الثاني من الباب الأول، والبابان الثاني والثالث من هذا البحث.

² ينظر: مقدمة الناشر لتفسير تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 7/1 - 11، والتفاسير باللغة الفارسية 23/1.

³ ينظر: مقدمة تفسير تاج التراجم 10/1 - 11.

التفسير الفقهي بالفارسية يرد على أباطيل الفرق المنحرفة:

شد الشيعة الإمامية الإثني عشرية في عدد من الأحكام الفقهية التي تعد من المبادئ الأساسية لمذهبهم حيث فسروا آيات الأحكام في ضوء عقيدتهم وأصولهم، ومن أبرز تلك الأحكام الفقهية:

جواز نكاح المتعة.

مسح الرجلين في الوضوء بدلاً من غسلهما.

حرمان العصابة من الميراث.

جواز جماع الزوجة في الدبر.

وقد تصدى لتحريفهم مؤلفو التفسير الفقهي باللغة الفارسية وفندوا تلك الآراء التفسيرية الباطلة، ومن هؤلاء على سبيل المثال رشيد الدين الميبيدي صاحب تفسير ((كشف الأسرار وعدة الأبرار)) الذي وجه انتقادات شديدة إلى تلك الفرقة التي تفسر القرآن حسب أهوائهم وأنكر عليهم غلوهم في الدين، مؤكداً أن مذهبهم أصل من أصول البدع المستحدثة في الإسلام¹. وإليك أبرز المسائل الفقهية التي خالفت تفاسير الشيعة الإمامية أهل السنة والجماعة :

نكاح المتعة:

كما قال أبو الفتوح الرازي مؤلف تفسير روض الجنان نكاح المتعة يعتبر من المعالم البارزة لمذهب الشيعة الإمامية²، فقد أجمع القوم على إباحة هذا النكاح ووضعوا في بيان فضائله والثواب المرتب عليه كمأ كبيراً من الأحاديث والأخبار ، كل ذلك إمعاناً في مخالفة جمهور الأمة الإسلامية ، وتأكيداً على بغض الصحابة الكرام ، في مقدمتهم الخليفة العادل الراشد عمر بن خطاب رضي الله تعالى عنه - الذي حسم

¹ ينظر: كشف الأسرار وعدة الأبرار 1/ 704، 2/ 362، 6/ 509، 31/ 232.

² ينظر: تفسير روض الجنان 3/ 151.

الخلاف الناتج عن عدم بلوغ نسخ نكاح المتعة إلى بعض الصحابة وقال قولته الشهيرة: "لن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل مسمى إلا رجمته بالحجارة"¹.

ويعتبر مفسرو الشيعة وفقهاهم قوله تعالى: "فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً"² المتمسك الأساس في القول بإباحة نكاح المتعة، فهذا أبو الفتوح الرازي قد تكلم بالإسهاب والتفصيل عن نكاح المتعة وأحكامها عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية في معرض تفسيره للآية ونقل عدداً من الأخبار والروايات المنسوبة إلى بعض الصحابة وأئمة الشيعة في دعم مذهبه³.

وقد ركز أبو الفتوح على لفظي ((الاستمتاع)) و ((الأجور)) في الآية لإثبات جواز نكاح المتعة، وخلص إلى القول بأن حمل اللفظين لا يمكن على العرف، لأنه يفتح باب السفاح ولا بد من حملهما على الشرع ، وحينئذ تكون الآية دليلاً على إباحة نكاح المتعة لأن الآية -على حد قوله- لا تنطبق على النكاح الدائم⁴.

وأما مؤلف ((تفسير جامع)) فقد أكثر من إيراد الأخبار والروايات في بيان فضل نكاح المتعة إلى درجة يخيّل للقارئ أن نكاح المتعة هو الأصل في الزواج، وأنه أفضل وأولى مقارنة بالنكاح الدائم⁵.

وأما مؤلف تفسير ((شاهي)) فقد جزم بكون الآية في نكاح المتعة ولم ينس كعادة الشيعة- أن يتهم القائلين بتحريم نكاح المتعة بالنفاق⁶.

¹ ارواه مسلم، في كتاب النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيض ثم نسخ، ثم أبيض ثم نسخ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة، صحيح مسلم بشرح النووي 4 / 427، رقم الحديث (1217).

² النساء: 24.

³ ينظر: روض الجنان 3 / 151 - 153.

⁴ ينظر: روض الجنان 152/3.

⁵ تفسير الجامع (تفسير جامع) فارسي لإبراهيم بروجردي 18/2. طبع طهران 1382 هـ، بدون اسم دار النشر.

⁶ ينظر: تفسير شاهي (فارسي) تأليف أبي الفتح الحسيني الجرجاني ت 1976 هـ 288 / -

300 ط انتشارات نوید، بطهران . د. ت.

ومن يتصفح ((تفسير نمونه)) يجد أن أصحابه قد تناولوا نكاح المتعة بإسهاب كبير، استغرق أكثر من عشر صفحات¹ وخلصوا إلى القول بأن النكاح المذكور من الضرورات الاجتماعية²، بل ذهبوا أبعد من هذا وقالوا: "إن الزواج الدائم لوحده لا في الماضي، ولا في الحاضر، استطاع أن يلبي الحاجات الجنسية لجميع فئات الناس"³ وبناء على ذلك وجد مؤلفو هذه التفسير أن نكاح المتعة خير وسيلة لإشباع الرغبات الجنسية لدى جميع الفئات من الناس ولا بد من تيسير سبله للمجتمع !!

وكان نكاح المتعة مباحاً في صدر الإسلام وقد حرّمه نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام في أيام الفتح واستمر هذا التحريم من ذاك العهد إلى يومنا هذا وقد أجمعت الأمة -عدا الشيعة- على تحريمه⁴.

ومن أدلة تحريم نكاح المتعة ما رواه سيرة الجهنّي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرّم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئاً"⁵.

وأما عن معنى الآية فقد اختلف المفسرون فيه، فقال الحسن ومجاهد وغيرهما: "المعنى فما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الشرعي" فأتوهن أجورهن "أي مهورهن.

وقال الجمهور: "إن المراد بهذه الآية نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام ثم نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير: نسختها آيات الميراث إذ المتعة

¹ ينظر: تفسير نمونه فارسي، تأليف لجنة أشرف عليها مكارم الشيرازي 3 / 335 - 346، دار الكتاب الإسلامية طهران، الطبعة الخامسة عشر 1376 هـ ش.

² ينظر: تفسير نمونه 342/3.

³ ينظر: تفسير نمونه 342/3.

⁴ ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 2/ 63، وتفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار 122/2 - 123.

⁵ أخرجه مسلم برقم (1406).

لا ميراث فيها". وقالت عائشة والقاسم بن محمد: تحريمها ونسخها في القرآن وذلك قوله تعالى: "وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ"¹ "وليسست المنكوحة بالمتعة من أزواجهم ولا ما ملكت أيمانهم ، فإن من شأن الزوجة أن ترث وتورث وليسست المستمتع بها كذلك"².

مسح الرجلين في الوضوء:

خلافاً لجمهور الأمة الإسلامية قال الشيعة الإمامية الإثنى عشرية بوجوب مسح الرجلين في الوضوء ومنع غسلهما، وقد استدلوا في ذلك بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ"³.

واعتمد الشيعة في قولهم بمسح الرجلين في الوضوء على قراءة الجر في اللام في كلمة ((أرجلكم)) وزعموا أن ((أرجلكم)) عطف على ((رؤوسكم)) واستنبطوا من ذلك أن حكم الرجلين المسح مثل الرأس وليس الغسل.

وقد دأب المفسرون من الشيعة في الاسترسال في الحديث عن وجوب مسح الرجلين في الوضوء أثناء تفسيرهم للآية الكريمة نظراً لأهمية الموضوع عندهم وهي نابعة عن كون ذلك مخالفة صريحة لجمهور الأمة وأهل السنة والجماعة بصورة أخص. ومن الذين تناولوا مسألة المسح في الوضوء أبو الفتوح الرازي وقد تكلم عنها بالتفصيل في تفسيره للآية وناقش أدلة الجمهور في وجوب الغسل وكان عماد قوله بمنع الغسل، ووجوب المسح قراءة الجر في الآية⁴.

¹المؤمنون: 5 - 6.

² فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني 671/1 - 672، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ. وينظر: الجامع لأحكام القرآن 85/3 - 86.

³لمائدة: 6.

⁴ينظر: روح الجنان 211/3-215.

وأما أبو الفتوح (الجرجاني) صاحب ((تفسير شاهي)) فقد تطرق أثناء تفسيره للآية الكريمة إلى الخلاف بين الجمهور والشيعة في مسألة غسل الرجلين في الوضوء ، ثم رجح رأي الشيعة مستنداً بقراءة الجر وبعض الروايات الشيعية المكذوبة ومنها الحديث الذي وضعوا لدعم مذهبهم على لسان رسولنا الكريم: "يأتي على الرجل الستون والسبعون ، ما قبل الله منه صلاة. قيل : وكيف ذلك ؟ قال لأنه يغسل ما أمر الله بمسحه"¹.

ولا شك أن ما ذهب إليه مفسرو الشيعة من القول بوجوب مسح الرجلين في الوضوء واضح الفساد لأن قراءة النص في ((أرجلكم)) متواترة وتدل على وجوب غسل الرجلين، كما أن قراءة الخفض تؤيد هذا الحكم لكون أرجلكم عطفاً على اللفظ دون المعنى بناء على الجوار، ناهيك عن تواتر الغسل الثابت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم².

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ويل للأعقاب من النار"³ مما يؤكد وجوب غسل الرجلين في الوضوء ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى القول بأن مجموع ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في غسل الرجلين فعلاً وقولاً يفيد "العلم الضروري اليقيني ، ومن أنكر ذلك فقد أنكر المتواتر"⁴، وقد رد المبيدي رحمه الله على الشيعة قائلًا : (بأي ششتن فرض است) أي غسل الرجلين من فرائض الوضوء⁵.

3-حرمان العصابة من الميراث:

¹ ينظر: تفسير شاهي (فارسي) لأبي الفتح الحسيني الجرجاني 25/1، انتشارات نويد، طهران.

² ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 108/2، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 31-31/3.

³ رواه البخاري في كتاب الطهارة ، باب غسل الأعقاب، فتح الباري 43/1 رقمه (60).

⁴ ينظر: كشف الأسرار وعدة الأبرار 48/3.

⁵ كشف الاسرار وعدة الأبرار 47/3 - 48.

ذهب جمهور الأمة أن أهل الفروض إذا استوفوا سهامهم وبقي شيء من مال الميراث فهو للعصبة، وخالف الشيعة الإمامية الإثنى عشرية قول الجمهور وقالوا بعدم الميراث بسبب التعصيب.

قال أبو الفتوح في معرض تفسير قوله تعالى: "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ"¹ "سبب استحقاق الميراث عندنا شيان: النسب والسبب، وذهب الفقهاء يعني الجمهور - أن أسباب الميراث ثلاثة: السبب، والنسب، والتعصيب، وعند أهل البيت لا ميراث بسبب التعصيب"².

وقد تطرق مؤلفو (تفسير نمونه) إلى مسألة في تفسيرهم للآية مؤكدين حرمان العصبة من الميراث وتوزيع ما تبقى من مال الميراث على ذوي الفروض مرة أخرى.

وقد علل المؤلفون رأيهم بأن وجود الطبقة الأولى وهي أهل الفروض لا يبيح مجالا لتوزيع الإرث على الطبقة الثانية أي العصبة، كما أن إعطاء السهام الإضافية من الميراث لرجال الطبقة الثانية وهم العصبة يشبه قوانين الجاهلية في حرمان النساء من الميراث³.

ولا شك أن ما ذهب إليه الشيعة في منع التوريث بالتعصيب مخالف للثابت من السنة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلاولى رجل ذكر"⁴.

4-جواز وطء المرأة في الدبر عندهم:

¹ النساء: 11.

² تفسير روض الجنان: 3 / 121.

³ ينظر: تفسير نمونه 305/3.

⁴ سبق تخريجه.

⁵ ينظر: كشف الأسرار وعدة الأبرار 356/3 - 357.

أباح بعض علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية وطء المرأة بالدبر خلافاً لجمهور الأمة القائلين بحرمة ذلك بنص الكتاب والسنة إضافة على كون هذا الفعل مخالفة واضحة للفطرة السليمة التي جبلت على النفور من القذارة والأنجاس .

نقل الشريف اللاهيجي في تفسير الآية: "نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ"¹ أقوال بعض مفسري الشيعة الإمامية الإثني عشرية بإباحة وطئ الزوجة في الدبر منها بعض الروايات المنسوبة إلى الأئمة والتي تبيح ذلك. كما أورد أقوالاً أخرى لمفسري شيعة آخرين تفيد عدم جواز وطئ الزوجة في الدبر، وخلص المؤلف إلى القول بجواز وطئ الزوجة في الدبر من الكراهية قائلاً: "وبسبب اختلاف الأحاديث ، اختلف أصحابنا في جواز وعدم جواز وطئ الزوجة في الدبر وذهب المحققون من الأصحاب إلى الحكم بالكراهية الشديدة جمعاً بين الأحاديث المختلفة"².

ولا يختلف موقف صاحب ((تفسير شاهي)) ، وكذلك موقف مؤلف تفسير جلاء الأذهان مما قاله اللاهيجي في المسألة ، إذ ذكر كل واحد من الإثنيتين - أعني مؤلفي تفسير شاهي وتفسير جلاء الأذهان - أدلة المجيزين ثم أيدا القول بالجواز مع الكراهة جمعاً للأقوال حسب زعمها³.

ولا شك أن القول بإباحة وطئ الزوجة في الدبر مطلقاً كما قال به بعض الشيعة ، أو القول بالإباحة مع الكراهية كما ذهب إليه طائفة أخرى من القوم، باطل ، ومخالف للكتاب والسنة والفطرة السليمة ، فالحرث كما قال عامة المفسرين لا يمكن أن يكون إلا الفرج ، ولم تقع الإباحة إلا "في الفرج الذي هو القبل خاصة، إذ هو مزرع الذرية ، كما أن الحرث كزروع النبات . فقد شبه ما يلقي في أرحامهن من النطف

¹ سورة البقرة : 223 .

² تفسير شريف اللاهيجي (فارسي) لبهاء الدين محمد بن شريف اللاهيجي 308/1 - 309 ، طبع طهران 1347 هـ بدون دار نشر.

³ ينظر : تفسير شاهي 375/2 - 376 وتفسير جلاء الأذهان المعروف بتفسير كارز (فارسي) تأليف أبي المحاسن الجرجاني الجزء الخامس / 200 - 201 ط إيران 1378 هـ ق 1337 هـ ش . بتصحيح وتعليق مبصر جلال الدين حسيني أرموي . بدون دار نشر .

التي يولد منها النسل بما يلقي في الأرض من البذور التي منها النبات بجامع أن كل واحد منهما مادة لما يحصل منه . . . وقوله (أنى شئتم) أي من أي جهة شئتم من خلف، وقدام ، وباركة ، مستلقية ، ومضطجعة إذا كان في موضع الحرث"¹.

وقال القرطبي رحمه الله : "أنى شئتم معناه عند الجمهور من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى : من أي جهة شئتم مقبلة أو مدبرة"².

هذا وهناك أحاديث تنص صراحة على تحريم إتيان دبر المرأة ومن ذلك ما رواه ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام قال: "لا ينظر الله إلى رجل أتى امرأة في الدبر"³، وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ملعون من أتى امرأة في الدبر"⁴.

هذا وقد تحدث المبيدي في كشف الأسرار وعدة الأبرار عن آداب جماع الزوجة وأكد على حرمة إتيان الزوجات في أدبارهن وقد ما ذهب إليه أئمة الشيعة الإمامية الإثني عشرية مختلفاً ببيانه بحديث: "ملعون من أتى امرأته في دبرها"⁵.

كل ما ذكرنا يعد إسهاماً واضحاً للتفسير الفقهي باللغة الفارسية في النهضة العلمية لتفسير آيات الأحكام، ونشر الإسلام من مصادرها الأصلية القرآن والسنة ، مع ازدياد رغبة الناطقين باللغة الفارسية في اقتناء هذه التفسير وتزيين مكتباتهم بها وإقبالهم على الاستفادة منها والرجوع إليها لمعرفة أحكام دينهم ، وذكر الباحث في الدراسات القرآنية الدكتور فضل الهادي وزين أن تفسير أهل السنة والجماعة

افتح القدير للشوكانى 335/1.

² الجامع الأحكام القرآن للقرطبي 62/2.

³ أخرجه الترمذي في كتاب الرضاع باب ما جاء في كراهية إتيان النساء في أدبارهن ص 282. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي 431/1.

⁴ رواه أحمد برقم 10185 ج 2 / 633 وأبو داود كتاب النكاح ، باب امع فى النكاح 249 / 2 وصححه الألباني في صحيح الجامع 5889.

⁵ ينظر: كشف الاسرار وعدة الأبرار ج 3 ص 599 - 602.

يتجاوز عددها المئات حيث بلغت هذه التفسيرات (142) تفسيراً مما يدل على قبول هذه التفسيرات بين الناس وتفاعلهم معها وحاجتهم الدائمة إليها إلى يومنا هذا¹.

كما أن تفسير أهل السنة باللغة الفارسية تشتمل على الاتجاه الفقهي كما ذكرنا والاتجاه العقدي التي تصدت للفرق والمذاهب المنحرفة، وتشتمل أيضاً على الاتجاه اللغوي والإشاري وغيرها من الاتجاهات التي تخرج عن نطاق دراستي.

¹ ينظر: التفسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 2/ 786 - 787.

المبحث الرابع: مميزات التفسير الفقهي باللغة الفارسية وقيمته العلمية:

من المعروف أن أغلب التفاسير ذات الطابع الفقهي باللغة الفارسية تتميز بالشمول حيث اشتملت على تفاسير آيات الأحكام من بداية القرآن الكريم إلى آخر آية منه، وسلكوا طريقة الفقهاء من حيث الاهتمام بآيات الأحكام والتوسع في استنباط المسائل والاعتماد في مصادره على تفسير الصحابة والتابعين وجمعوا بين التفسير المأثور وبين التفسير بالرأي المحمود مع عدم إهمال الاهتمام باللغة في معرض بيان معاني الآيات والأحكام كما لم يقتصروا على الاستنباط من آيات الأحكام فحسب بل حرصوا على استنباط الأحكام من آيات الخبر والقصص كما نلاحظ ذلك في ((تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم)) و ((كشف الأسرار وعدة الأبرار)) ولذلك نستطيع أن نقول أن هذه التفاسير تعد موسوعة تشريعية متكاملة باللغة الفارسية على منهج أهل السنة والجماعة.

كما أن الميزة الرئيسة للتفاسير ذات الطابع الفقهي باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين هي اهتمامها بالأدلة وربط التفسير الفقهي بالدليل، وجعل النصوص قرآنا وسنة مرآة تفاسيرهم، كما رفعت من القيمة العلمية لهذه التفاسير استفادة مؤلفيها من مناهج الفقهاء في التفريع، وهذا واضح في المسائل الفقهية التي استنبطوها، وعند ذكر وتحديد مذهب مخالفيهم كان ديدنهم التأدب مع أنمة الاجتهاد والدعاء لهم عقب ذكرهم، وعدم النيل منهم وعدم تجريحهم.

وكان غايتهم الأولى بيان مراد الله تعالى في خطابه للمكلفين. ولو قدر لنا أن نجتمع مباحث آيات الأحكام من تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم أو من كشف الأسرار وعدة الأبرار لظهر في المكتبة التفسيرية باللغة الفارسية مصنف كامل في التفسير الفقهي أو تفسير ((أحكام القرآن)) يضاهي أشهر ما ألف في هذا النوع من التفسير. وقد برزت القيمة العلمية للتفسير الفقهي باللغة الفارسية من خلال مظاهر ثلاثة:

أن التفسير الفقهي الفارسي أنتج أبحاثاً مبسوبة شبيهة بتفاسير أحكام القرآن.

أن المفسرين تعقبوا جزئيات الأحكام ودقائق المسائل الفقهية.

أن التفسير الفقهي الفارسي ساهم في شحذ فكر المفسرين وتدقيق نظرهم.

وقد شهد العديد من الباحثين المعاصرين أن التفسير الفقهي باللغة الفارسية كان فعلاً فاتحة خير عميم في نشر معاني القرآن الكريم ومفاهيمه ومعارفه بين الناطقين بالفارسية، فقد فتح التفسير الفارسي حصون الخرافات والأوهام وشيّد على أنقاضها قلاع العلم والنور تتحصّن بها الأجيال من آفات الجهل والظلام ، وقد عم بفضل التفسير الفقهي الفارسي تذوق فهم معاني القرآن الكريم في المنطقة الفارسية وجرت موجة قوية من إصلاح التدّين وبدأت سلسلة مباركة للترجمة التفسيرية ولم تنزل إلى يومنا هذا ، وقد صلحت بهذه التفاسير نفوس الملايين من الناس وحسنت أحوالهم ، وقد قال مؤلف تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم : "وقد جمعنا في كتابنا المعروف تاج التراجم ما هو المعتمد من أقوال المفسرين ابتعاداً عما أحدثه أهل الضلالة والزيغ من التأويلات على سبيل التحريف"¹.

وما يضيف إلى القيمة العلمية للتفسير الفقهي باللغة الفارسية أن لهذا النوع من التفسير دوراً رائداً في إيصال المفاهيم والتعاليم القرآنية والأحكام الشرعية إلى المسلمين الناطقين باللغة الفارسية وقد طبعت هذه التفاسير ووضعت في المكتبات وصارت وسيلة اتصال مباشر بين الجماهير المسلمة وبين القرآن الكريم وتعاليمه وأحكامه، وينهلون من منهلها العذب ويرتوون ولا يمنعهم من ذلك حاجز اللغة واختلاف اللسان².

التفسير الفقهي الفارسي وسيلة لتبليغ القرآن الكريم إلى غير الناطقين بالعربية:

¹ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة لشاهفور الإسفراييني ص 176، دار ابن حزم بدون تاريخ النشر.

² ينظر : التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 489/2.

يرى المفسر الإسفراييني وجوب إيصال الدين والشرعية ومعاني الوحي الإلهي إلى الذين لا يعرفون العربية ، ولن يتم ذلك إلا بترجمة أوامر الله سبحانه وتعالى إلى لغة هم يعرفونها . . ولذلك أشفق عليهم علماء الديانة و بادروا ببيان العقائد وإثبات أحكام العبادات بالفارسية، ليهتدوا إليها¹.

مؤكداً على القيمة العلمية لهذه التفسير بقوله: "لذلك أجمع أول هذه الأمة وآخرها على بيان تفسير القرآن بالفارسية في المجالس وعلى المنابر وفي مجالس العوام والخواص من أهل الدين ولم يبيحوا لأحد إنكار ذلك لأن الجميع يرونه من فروض الكفاية"².

ولقد برزت القيمة العلمية للتفسير الفقهي بالفارسية من خلال الغاية التي بينها المفسرون من تفسيرهم ألا وهي ظهور الدين واهتداء كل شخص إليه، هذا من جهة، ومن جانب آخر يمكن التعرف على القيمة العلمية للتفسير الفقهي بالفارسية من خلال المعايير التالية:

مدى تقدير أهل العلم للكتاب والمؤلف والثناء عليهما بالنظر إلى مكانة المؤلف في العلم وما يحتويه الكتاب من مادة علمية نافعة.

مدى تأثير الكتاب على المجتمع والأجيال القادمة خاصة العلماء وطلاب العلم والباحثين والدارسين والرجوع إليه كمصدر أو مرجع علمي يستفاد منه في التدريس والتأليف والوعظ والإرشاد وتوعية المجتمع وشرح شريعة الله الخالدة.

وجود معايير تطبيقية واضحة في الكتاب مما قرره أهل الفن فعلى سبيل المثال نأخذ تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار وكيف فسر آيات الأحكام:

ذكر أسباب النزول.

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 22/1.

² تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 23/1.

فسر الآيات بالمأثور.

فسر المفردات القرآنية لغوياً مع بيان خصائص التراكيب.

ذكر من قبله من المفسرين بالرأي والمأثور واختار ما رآه راجحاً مع بيان وجه الترجيح.

ذكر التفسير الإجمالي لآيات الأحكام وفق ما يقتضيه المقام.

بين أحكام ومسائل الآيات مقتدياً بمفسمي تفاسير آيات الأحكام حيث أن القارئ يمكنه الوصول بكل سهولة إلى الأحكام المستتبطة من تلك الآيات دون تعب ومشقة¹.

رد المذاهب الفقهية إلى أصلها، وهؤلاء المفسرون كان تصورهم الصحيح في تفسير آيات الأحكام فلم يقولوا قولاً برأيهم مع كتاب الله وسنة رسوله ولا مع ما أجمع عليه الصحابة.

تقريب الخلاف بين مختلف المذاهب وهذا ما يلمسه القارئ عند قراءة هذه التفاسير.

حفظ حرمة المذاهب الفقهية، حيث كانوا يعتقدون بأن مجتهد المذاهب مأجورون فلم يتعصبوا للمذاهب الفقهية التي ينتمون إليها².

بناء على المعايير المشار إليها فإن للتفسير الفقهي بالفارسية أهمية كبيرة في حياة المسلمين الناطقين بالفارسية وقد ترك أثراً واضحاً بشهادة الباحثين والدارسين.

المبحث الخامس: أبرز المآخذ على التفسير الفقهي باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين:

في المبحث الرابع من هذا الفصل تحدثنا عن مميزات التفسير الفقهي باللغة الفارسية وقيمتها العلمية وأنه يعد من المصادر التفسيرية المهمة إلا أن التفسير الفقهي في

¹ ينظر: كشف الأسرار وعدة الأبرار 501/3 - 509.

² التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 740/2 - 741.

القرنين الخامس والسادس الهجريين لا يخلو من بعض المآخذ والجوانب السلبية ، وفي هذا المبحث نقوم بتسليط الضوء على أهم المآخذ ليكون القارئ على بصيرة من أمره ، علماً بأن ذكر السلبيات القليلة لا تقلل من الأهمية العلمية للتفسير الفقهي باللغة الفارسية لأن الأعمال البشرية مهما تبلغ الرقي والازدهار إلا أنها عرضة للأخطاء، وفيما يلي أبرز الملاحظات على التفاسير ذات الطابع الفقهي في القرنين الخامس والسادس الهجريين :

وجود الإسرائيليات:

وجود الروايات والأخبار الإسرائيلية والقصص دون الرد عليها وبيان بطلانها ظاهرة سلبية في التفسير الفقهي باللغة الفارسية، فنرى أن هناك تساهلاً واضحاً في التفاسير المؤلفة بالفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين وبنسب مختلفة، فكان ينبغي بيان بطلان وضعف هذه الروايات والأقوال التفسيرية الدخيلة في التفسير، وهنا نذكر بعض الأمثلة من واقع هذه التفاسير على النحو الآتي :

المفسر شاهفور الإسفراييني رحمه الله- ينقل الإسرائيليات في تفسيره ((تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم)) ولا يبين بطلانها:

وأقصد الروايات المردودة التي تخالف شريعتنا، فيقول في معرض تفسير قوله تعالى : "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ"¹.

فأزلهما الشيطان عن الجنة وأخرجهما مما كانا فيه من النعم ، وقلنا لآدم وحواء وإبليس والحية : "اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌ ۖ ولکم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حین"². وأضاف قائلاً في تفسير قوله تعالى : "قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ

اسورة البقرة : 36 .

² تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 85/1 .

مَتَّى هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هَذَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ¹ فعين المخاطبين وعد فيهم إبليس والحية². وقد فند المفسرون هذه الرواية الإسرائيلية ومنهم الحافظ ابن كثير رحمه الله³ قائلاً: "قوله تعالى مخبراً عما أنذر به آدم وزوجته وإبليس حتى أهبطهم من الجنة"⁴ مضيفاً: "وقد ذكر المفسرون كالسدي بأسانيده ، وأبي العالية ، ووهب بن منبه وغيرهم ها هنا أخباراً إسرائيلية عن قصة الحية وإبليس ، وكيف جرى من دخول إبليس إلى الجنة و وسوسته"⁵، وذكر النسفي أن الخطاب لآدم وحواء وذريتهما⁶ وهذا ما رجحه الشوكاني ايضاً أن المراد آدم وحواء وذريتهما⁷.

وأيضاً قد فسر الحكمة في هذه الآية: بالنبوة والسلسلة، ونسب هذا التفسير وفقاً للرواية الإسرائيلية المردودة إلى ابن عباس رضي الله عنه قائلاً: "فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ"⁸ "يقول ترجمان القرآن: "الحكمة التي أعطاه الله تعالى لداود -عليه السلام- ، كانت صلبة كالحديد ، لونها لون النار ، حلقها مدورة، عليها لؤلؤ مبلل ، لم تقع في الفضاء حادثة إلا ورثت فعلم

¹سورة البقرة : 38 .

² تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 86/1 .

³ هو الحافظ العلامة المفسر المؤرخ عماد الدين أبو الفداء : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي البصري، ثم الدمشقي .ولد بمجدل من أعمال دمشق سنة (701هـ) ، ثم انتقل إلى دمشق مع أخيه كمال الدين سنة (707هـ) بعد موت أبيه، توفي في شعبان سنة (774هـ) ، وكان قد أضر في أواخر عمره، تفقه الإمام ابن كثير على فقهاء الشافعية في زمانه ، فحفظ كتبهم ، ودرس علومهم ، بل وكتب الكتب المختصة بهم ، فقد كان مذهب الشافعية هو المذهب المنتشر في بلاد الشام ومصر، من أبرز مؤلفات تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، ينظر :طبقات الشافعية الكبرى ل تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي 326/1. المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1413هـ.

⁴ تفسير القرآن العظيم لابن الكير 59/1.

⁵ تفسير القرآن العظيم 58/1.

⁶ مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي 39/1، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

⁷فتح القدير 17/1.

⁸ سورة البقرة: 251 .

داود عليه السلام تلك الحوادث"¹، والصحيح أن الحكمة هنا النبوة كما أكد ذلك عامة المفسرين مثل الطبري² وابن كثير³.

كما أن الإسفراييني -رحمه الله- نقل قصة إسرائيلية في معرض تفسيره قوله تعالى: "سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ"⁴.

نوح عليه السلام امتنع أن يحمل الحية والعقرب في السفينة كي لا يضر الأخرين فقالا : احملنا فإننا لا نؤذي كل من ذكر اسمك ، ومن أجل ذلك كل من يهابها اليوم يقرأ القصة⁵. نرى أنه رحمه الله لم يفند هذه القصة بل اكتفى بنقلها فقط.

مؤلف كشف الأسرار وعدة الأبرار ينقل الروايات الإسرائيلية دون رد ونقد وتعقيب: فمن المآخذ على تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار أن مؤلفه رشيد الدين الميبدي رحمه الله يورد القصص والروايات والأخبار الإسرائيلية دون رد ونقد وتعقيب كما يعرف القارئ الكريم عند تصفحه هذا التفسير في المسائل الآتية:

قصة خروج آدم عليه السلام من الجنة⁶.

قصة هاروت وماروت⁷.

قصة بناء الكعبة¹.

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 259/1.

² هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري رحمه الله تعالى، يُكنى بأبي جعفر، وعُرف بذلك، واتفق المؤرخون على أنه لم يكن له ولد يسمى بجعفر، بل إنه لم يتزوج أصلاً، وُلد سنة 224هـ/839م، ترك لنا الطبري ثروة علمية تدل على غزارة علمه، وسعة ثقافته، ودقته في اختيار العلوم الشرعية والأحكام المتعلقة بها من أمثال: جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بتفسير الطبري. وتاريخ الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبري. وكتاب ذيل المذيّل، واختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام، المعروف باختلاف الفقهاء وهو في علم الخلاف. توفي سنة 310هـ، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى 125/3.

³ جامع البيان 632/2، وتفسير القرآن العظيم 298/1.

⁴ الصافات 79 - 81.

⁵ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 211/2.

⁶ ينظر كشف الأسرار وعدة الأبرار 1/ 448 - 455.

⁷ ينظر كشف الأسرار وعدة الأبرار 1/ 295 - 299.

قصة هابيل وقابيل².

قصة داود عليه السلام وزواجه المزعوم من زوجة أوريا³.

قصة مرض أيوب عليه السلام⁴.

وقد رأينا تساهلاً واضحاً من المؤلف رحمه الله في نقل الإسرائيليات المردودة وعدم تفنيدها.

أبو جعفر النيسابوري الغزنوي يورد الإسرائيليات من غير رد أو تفنيد:

أبو جعفر النيسابوري مغرم بإيراد القصص والروايات الإسرائيلية في تفسيره دون تمحيص أو تعقيب ، ولعل السبب في شغف أبي جعفر بالإسرائيليات يعود إلى ميله للقصص عموماً، وإلى كونه ألف كتاباً مستقلاً في قصص الأنبياء⁵.

ومن أمثلة الإسرائيليات الواردة في تفسير البصائر قصة موسى عليه السلام منذ الولادة وما جرى له مع فرعون وبني إسرائيل وهذه القصة وإن كانت تحمل في طياتها حقائق أخبر بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلا أنها كذلك تشتمل على أمور غير ثابتة بالنقل الصحيح فلا يمكن الاعتماد عليها. ذكر أبو جعفر الغزنوي هذه القصة قبل الدخول في تفسير قوله تعالى: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ"⁶ وقد استغرقت تفاصيل القصة عشر صفحات من الكتاب⁷.

¹ ينظر كشف الأسرار وعدة الأبرار 1/ 357 - 360.

² ينظر كشف الأسرار وعدة الأبرار 3/ 96 - 99.

³ ينظر كشف الأسرار وعدة الأبرار 8/ 334 - 335.

⁴ ينظر كشف الأسرار وعدة الأبرار 6/ 247 - 248.

⁵ تفسير البصائر 1/ 52.

⁶ سورة البقرة: 40.

⁷ ينظر: تفسير البصائر 1/ 61 - 70 .

ومما تضمنه تفسير البصائر قصة عاميل وبقرة بني إسرائيل وقد أوردها أبو جعفر بطولها وتفصيلها في معرض تفسيره لقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَنْتَخَذْنَاهُ زُحْرًا" (1)(2).

ومن الإسرائيليات التي توسع صاحب البصائر في ذكرها وخصص لها فصلاً مستقلاً القصص المتعلقة بمعجزات عيسى عليه السلام وقد خلط أبو جعفر -غفر الله له- في سرده لمعجزات عيسى عليه السلام الصحيح بالسقيم فذكر المعجزات الثابتة ومعجزات أخرى لم يقدم على ثبوتها أي دليل كما أنه أورد قصصاً تفصيلية حول كل معجزة لم تثبت في القرآن الحديث ما يدل على صحتها هي أشبه بما ينسجه القصاص لجلب انتباه القارئ أو المستمع . وقد ذكر أبو جعفر هذه القصص في أثناء تفسيره لقوله تعالى: "أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ" (3)4.

وقد كانت قصة طالوت وجالوت من الإسرائيليات المشهورة التي أوردها أبو جعفر النيسابوري الغزنوي في تفسيره وذلك في معرض تفسير قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"5 إلى قوله تعالى: "فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۚ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ"6 أورد أبو جعفر قصة طالوت وجالوت بالتفصيل دون ذكر المصدر الذي نقل عنه وبطريقة تدل على أنه اعتبرها صحيحة ومقبولة7. هذا وتجدر الإشارة بأنني أثناء دراستي لتفسير البصائر لم أقف على أي تعقيب

¹ سورة البقرة: 67.

² ينظر: تفسير البصائر 1/ 89 - 91 .

⁽³⁾ سورة البقر : 87 .

⁽⁴⁾ انظر: تفسير البصائر 1/ 103 - 108 .

⁽⁵⁾ سورة البقرة : 246 .

⁽⁶⁾ سورة البقرة : 251 .

⁽⁷⁾ انظر: تفسير البصائر 1/ 281 - 287 .

للمؤلف رحمه الله على ما أورد من القصص الإسرائيلية وتركها دون رد ونقد وبيان بطلانها لهذا ننبه قراء هذا التفسير على ذلك.

4-أبو حفص النسفي مؤلف تفسير النسفي يخوض في الإسرائيليات دون رد أو تعقيب:

فهو رحمه الله يخوض في الإسرائيليات، فقد أورد بعض الإسرائيليات إلا أنه لم يكن يعقب عليها بالرد والإيضاح ، وهذا هو منهجه في غالب ما ذكره منها في تفسيره، والذي يدل على ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" (1) حيث يقول : "وقصته : ما ذكره الكلبي في تفسيره قال : لما نظر إبليس إلى ذلك حسدهما ، وكان أهبط إلى الأرض فاحتال أن يفتنهما فعرض نفسه على كل دابة أن يدخل في صورتها فأبت عليه حتى أتى الحية وكانت أحسن دابة في الجنة خلقا ، وكانت كهينة البعير تمشي على أربع قوائم ليس في الجنة دابة أحسن منها ، فيها من كل لون ، فلم يزل يستدرجها حتى أطاعته ، فدخل بين لحييها ، وقام في رأسها حتى أتى باب الجنة فقام عندها ، فنادى يا آدم ويا حواء فأجابته هي وآدم ... الخ" (2). وهذه القصة أوردتها المؤلف ولم يبين ضعفها ، فهي غير صحيحة ومن الإسرائيليات (3).

وكذلك عند تفسيره قوله تعالى : "وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ" (4) أراد النسفي أن يبين : إنجاء بني إسرائيل في البحر وغرق فرعون لما لحق بهم فقال : وقصته : أن قوم فرعون قالوا له : "أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ" (5)، "فأمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل ، فأمرهم أن يخرجوا وأن يستغيثوا الحلبي من القبط، وأمر أن لا ينادي أحد منهم صاحبه ، وأن يسرجوا في بيوتهم حتى الصباح ، ومن خرج لطح بابيه بكف من دم ليعلم أنه قد خرج ... إلى قوله

البقرة : 36 .

2 تفسير النسفي 42/1.

3 ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 237/1.

4 البقرة : 50 .

5 الأعراف: 127.

: فكان هارون إمام بني إسرائيل يقودهم وموسى على ساقتهم يسوقهم وخرج موسى في ست مائة وعشرين ألف مقاتل لايعدون فيهم ابن العشرين لصغره ، ولا ابن الستين لكبره ، وتبعهم فرعون على مقمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف جواد ليس فيها رمكة" فهو أورد هذه القصة ولم يبين بطلانها⁽¹⁾ (2).

فهذه التفاسير لها قيمة علمية، ومكسب للمكتبة التفسيرية، لو كان مؤلفوها رحمهم الله صانوها عن إيراد الأحاديث الموضوعية والإسرائيليات.

2- التساهل في إيراد الأحاديث والآثار الموضوعية:

من الملاحظ أن بعض التفاسير ذات الطابع الفقهي باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين قد تساهل مؤلفوها بإيراد الآثار والأحاديث الضعيفة والموضوعية من دون الحكم عليها أو بيان ضعفها كما لاحظنا ذلك عند البحث في مسألة وجود الإسرائيليات في تلك التفاسير وعلى وجه الخصوص في تفاسير : ((تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم للأسفراييني ، وكشف الأسرار وعدة الأبرار للمبيدي، وتفسير البصائر للغزنوي وتفسير النسفي³.

ولا شك أن إيراد الأحاديث والآثار الموضوعية قد يغير المفاهيم والمعاني ويؤثر سلباً على القيمة العلمية لتلك التفاسير، كما أن تلك الروايات الموضوعية والباطلة تنمي التمسك بالخرافات والأوهام، على سبيل المثال لا الحصر إيراد شاهفور الإسفراييني أحاديث موضوعية في فضائل السور من دون بيان درجتها وبيان ضعفها وقال في فضل سورة يونس: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة يونس يعطيه الله عشر حسنات على عدد كل صدق يونس ، وعلى عدد كذبه ، وعلى عدد

¹ تفسير النسفي 52/1.

² الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة ص: 51-52، مكتبة السنة، مصر، الطبعة الرابعة.

³ ينظر : تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 211/2 ، وكشف الأسرار وعدة الأبرار 1/ 448-455 ، وتفسير البصائر 103/1 - 108 .

من غرق مع فرعون"¹. وهذه الرواية موضوعة كما ذكرها علماء مصطلح الحديث².

كما أورد رحمه الله رواية ضعيفة في فضل القرآن الكريم قائلة : "يُروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه"³، علماً بأن هذه الرواية ضعيفة وقد بين العلماء ضعفها⁴.

وهكذا نجد مؤلف ((كشف الأسرار و عدة الأبرار)) رشيد الدين المييدي أورد بعض الأحاديث الموضوعة واعتمد عليها في تفسير الآيات فعلى سبيل المثال الحصر:

((عليك بالعدس فإنه مبارك مقدس، وإنه يرقق القلب ويكثر الدمعة))⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

((اطلبوا الخير عند حسان الوجوه))⁽⁷⁾⁽⁸⁾.

((شراركم عزابكم))⁽⁹⁾⁽¹⁰⁾.

((لولاك لما خلقت الكونين))⁽¹¹⁾⁽¹²⁾.

((حب الدنيا رأس كل خطيئة))⁽¹⁾.

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 138/2 - 139.

² ينظر: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطي 1/ 227، دار المعرفة بيروت، 2009.

³ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 30/1.

⁴ قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة لمحمد ناصر الدين الألباني: ((ضعيف)) 35/3، مكتبة المعارف 2006م.

⁵ كشف الأسرار و عدة الأبرار 207/1.

⁶ قال السخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ص 166: ((باطل لا أصل له)).

⁷ كشف الأسرار و عدة الأبرار 515/1.

⁸ قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: ((كذب)) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 87/4.

⁹ كشف الأسرار و عدة الأبرار 735/1.

¹⁰ قال السخاوي: ((موضوع)) المقاصد الحسنة ص: 141.

¹¹ كشف الاسرار و عدة الأبرار 636/1.

¹² قال الألباني: ((موضوع)) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 299/1.

كما أن أبا حفص النسفي رحمه الله نقل في بعض الأحاديث الحديث ولكن دون تثبيت من صحته ، فقد ذكر الأحاديث الضعيفة والموضوعة دون تحري الدقة في النقل ومثال ذلك ما أورده في تفسيره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فاتحة الكتاب شفاء من كل سم" ، وفي رواية : "شفاء من كل داء إلا السام ، وهو الموت"³ ويرى العلماء أنه لا يحل رواية الأحاديث الموضوعة في أي باب من الأبواب، إلا مقترنة ببيان أنها موضوعة مكذوبة⁴.

3 - التأثير بالتفسير الإشاري المرفوض:

"هو تأويل القرآن الكريم بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بين الظاهر المراد أيضاً"⁵.

شروط قبول التفسير الإشاري:

ويرى العلماء أن هذه الأقوال إن أريد أن اللفظ دل عليها وأنها هي المراد فغلط، وإن أريد أنها أخذت من طريق الإشارة والقياس؛ فأمرها قريب.

وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول:

تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون.

وتفسير على المعنى، وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم، وهذا لا بأس به بأربعة شرائط:

¹ كشف الأسرار وعدة الأبرار 598/2.

² قال الألباني ((موضوع)) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 37/3.

³ فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين المناوي 418/4 رقمه (5826)، والرواية الثانية برقم (5827) ورمز لكتا الروايتين بالضعف، لمكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى 1356هـ.

⁴ تفسير النسفي 6/1.

⁵ مناهل العرفان 73/2.

أن لا يناقض معنى الآية.

وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه.

وأن يكون في اللفظ إشعار به.

وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتهد اجتمعت هذه الأمور الأربعة وكان استنباطاً حسناً¹.

كما أن مؤلف مناهل العرفان ذكر شروطاً لقبول التفسير الإشاري على النحو الآتي:

أن لا يتناقى وما يظهر من معنى النظم الكريم.

أن لا يدعي أنه المراد وحده دون الظاهر.

أن لا يكون تأويلاً بعيداً سخيلاً.

أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

أن يكون له شاهد شرعي يؤيده².

والتفسير ذات الطابع الفقهي باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين أقل تأثراً بالتفسير الإشاري بالمقارنة مع التفسير العربية وأغلب الإشارات التي ذكرها مؤلفوها لا يتعارض مع ظاهر الشرع ويدخل ضمن ما يطلق عليه ((التفسير الإشاري المقبول)) ونأخذ كمثال ما يسلكه المبيدي في ((كشف الأسرار وعدة الأبرار)) الذي كان معروفاً بصلابته في التمسك بالسنة ومحاربة البدعة ، وكان أغلب إشارات من النوع المقبول إلا أن بعضاً منها مرفوض في ميزان العلم ولا يمكن اعتباره من التفسير الإشاري المقبول ومن ذلك تفسيره الإشاري للحروف المقطعة في أوائل السور والذي لا يوافق التفسير الصحيح حيث قال في تفسير

¹ التبيان في إيمان القرآن لابن قيم الجوزية ص: 123 ، تحقيق عبد اله البطاطي ، مجمع الفقه الإسلامي بجهة .

² مناهل العرفان 74/2 - 75.

((الم)) في سورة البقرة: (الألف إشارة إلى أنا ، واللام إلى (لي) ، والميم إشارة إلى (مَنِّي)¹ مضيفاً : ((إن الله عز وجل يقول : بأنني أنا الله ، وكل شيء مما يكون ملك لي ، وتحت حكمي وتصرفي ، كل شيء يحدث ويقع فهو بقدره وعلم مَنِّي))².

وهكذا فسر ((الر)) في سورة يوسف تفسيراً إشارياً بقوله: ((الألف)) تشير إلى اسمه ((الله)) واللام تشير إلى اسمه ((اللطيف)) والراء تشير إلى اسمه ((الرحيم)) يقول الله تعالى :بسم الله الرحمن الرحيم))³.

قال ابن كثير: "إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية"⁴.

ومع مؤلف كشف الأسرار وعدة الأبرار المبيدي رحمه الله أورد هذه إلى الإشارات إلا أنه يوضح من باب براءة النفس بأن الحروف المقطعة في أوائل السور من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها مستدلاً بقوله تعالى : ((وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ))⁵ وهذه ظاهرة محمودة أن ينأى المفسر بنفسه عن التفسير بالرأي المذموم .

¹كشف الأسرار وعدة الأبرار 53/1.

² كشف الأسرار وعدة الأبرار 53/6.

³ كشف الأسرار وعدة الأبرار 5/ 10 ، 11.

⁴ تفسير القرآن العظيم 305/2.

⁵ ينظر كشف الأسرار وعدة الأبرار 41 / 1.

الباب الثاني

الاتجاه الفقهي في التفاسير باللغة الفارسية في القرن الخامس الهجري،
تفسير تاج التراجم للأسفراييني نموذجاً.

التمهيد: نبذة عن القرنين الخامس والسادس الهجريين والوضع السياسي
والعلمي والتفسيري فيهما:

يرى الباحثون في الدراسات القرآنية أن التراث التفسيري الضخم باللغة الفارسية على تعدد أنماطه وتنوع اتجاهات أصحابه لم يكن حصيلة حقبة تاريخية معينة، أو نتاج أناس في بيئة جغرافية وثقافية محددة، وإنما وجد هذا الكم الكبير من المؤلفات التفسيرية نتيجة جهود دائبة خلال مسيرة علمية تمتد من فجر التاريخ الإسلامي إلى يومنا هذا وقد أسهم في هذه الجهود مئات العلماء والمؤلفين متأثرين بالمعطيات والمكونات العلمية والثقافية والاجتماعية السائدة في كل عصر ومصر. وقد كان من المؤلفين أن تمر حركة التأليف في التفسير باللغة الفارسية أثناء مسيرتها الطويلة بأطوار ومراحل عدة، تختلف كل مرحلة منها عن غيرها ببعض الفروق والميزات التي تكوّن في مجموعها سمات بارزة تصلح أساساً لتقسيم تطور التفسير الفقهي باللغة الفارسية إلى مراحل¹.

وقد تحدثنا في الفصل الأول من الباب الأول عن نشأة التفسير الفقهي باللغة الفارسية وقلنا رغم النشأة المبكرة للتفسير باللغة الفارسية فقد تأخر تدوينه إلى أواخر القرن الثالث وبدايات القرن الرابع الهجري وقد كان هذا التأخير جزءاً من تأخر حركة التأليف باللغة الفارسية بصورة عامة، وذلك لأسباب أهمها قوة انتشار اللغة العربية لغة الدين والثقافة والسياسة والعلم، مما أدى إلى انطواء اللغة الفارسية وضعف الاهتمام بها حتى من قبل الناطقين الأصليين بها. فقد انصب تركيز هؤلاء الناس

¹ ينظر التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 70/1.

الذين دخلوا في دين الله أفواجاً على لغة دينهم الجديد، والاهتمام بنشرها تعليمياً، وتأليفاً من منطلق الخدمة للإسلام الذي أنقذهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

ويمكن إضافة عامل مهم آخر إلى عوامل تأخر التدوين والتأليف باللغة الفارسية وهو عدم وجود لغة فارسية فصحي خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى ، حيث تأخر ظهور ما يسمى ((بالفارسية الدرية)) التي صارت لغة الكتابة والتأليف بالفارسية من بين لهجات هذه اللغة فيما بعد . فقد كانت اللغة الفارسية الدرية التي وجدت من تمازج اللهجتين البهلوية والدرية بالكلمات العربية في طور التكوين خلال القرون الثلاثة الأولى¹.

وجدير بالذكر في هذا المضمار أنه عندما دخل الإسلام إلى مناطق فارس وخراسان وما وراء النهر ، كانت اللهجة الرسمية في البلاط الساساني في مجالات السياسية والدين والأدب هي اللهجة البهلوية الفارسية التي كانت لهجة من اللهجات الفارسية⁽²⁾ الوسطى التي تعتبر في مجموعها جسراً بين اللهجات الفارسية القديمة والفارسية الحديثة ومع دخول اللغة العربية وانتشارها القوي تضاءلت هذه اللهجة . وقد ترتب على ضعف اللهجة البهلوية وانتشار اللغة العربية بعد سقوط الإمبراطورية الساسانية ، ظهور فترة فراغ لغوي -إن صح التعبير- في مجال الأدب والتأليف في اللغة الفارسية ولكن الأدب الفارسي في اللهجات الفارسية الأخرى كان يتطور خلال القرون الثلاثة الأولى وذلك بعد مزجها بالكلمات العربية وقد برزت من بين هذه اللهجات، اللهجة الدرية التي كان يتحدث بها في خراسان ومناطق ما وراء النهر كلهجة أدبية مستقلة وصارت اللغة الرسمية في مجالات الأدب والسياسة فيما بعد³.

¹ ينظر تاريخ نظم ونثر در ايران ودر زبان فارسي (تاريخ النظم والنثر في إيران وفي اللغة الفارسية) 17-16/1 د. سعيد نفيسي، طهران.

² ينظر: الفهرست لمحمد بن إسحاق بن النديم ص 19، مطبعة الرحمانية للطباعة، القاهرة.

³ تاريخ أدبيات إيران (فارسي) د. صفا 130/1-131، طبع في طهران.

وأصبحت لغة بلاط الحكم في العهد الساماني¹ وبدأ الشعراء والكتاب يكتبون بها ولم يمض وقت طويل إلا وقد ظهر أساتذة كبار في الأدب الفارسي الدري مثل ؛ الرودكي² ، والدقيقي البلخي³، والفردوسي⁴ في القرن الرابع ومن ثم بدأ ينتشر استخدام هذه اللهجة -الدرية- حيث أصبحت لغة الكتابة والتأليف لكل من يريد الكتابة شعراً ونثراً باللغة الفارسية، واستمر تطور اللهجة الفارسية الدرية حيث دخل فيها مفردات من اللهجة الفارسية المحلية الأخرى بالإضافة إلى استمرار نفوذ اللغة العربية فيها من حيث المفردات والتركيبات وحتى بعض القواعد في الصرف والنحو والاشتقاق⁵.

وكان لضعف الخلافة العباسية وظهور حكومات مستقلة أو شبه مستقلة في فارس وخراسان وما وراء النهر مثل: إمارة آل طاهر ، إمارة آل صفار ، قيام دولة آل سامان في القسم الشرقي من دولة الخلافة ، ونفوذ آل بويه القوي داخل بلاط العباسيين ، بالإضافة إلى حاجة عامة الناس إلى الكتب التي يسهل عليهم دراستها ، كان لكل ذلك دور مهم في ظهور اللغة الفارسية الدرية وبدأ التدوين والتأليف بها .

وهناك سبب آخر لتأخير التدوين والتأليف باللغة الفارسية وهو عدم وجود رسم الخط المناسب في هذه اللغة الذي يتلاءم مع تطور هذه اللغة والتغييرات الحاصلة فيها ،

¹ الحكم السامانيون ما وراء النهر وخراسان من سنة 261-389هـ . ينظر : دراسات في تاريخ الشرق الإسلامي د. علي بن صالح المحميد ص 31 ، الرياض 1414هـ - 1993 م .

² هو جعفر بن محمد بن حكيم أبو عبدالله الرودكي السمرقندي المتوفى سنة 329هـ من كبار شعراء الفارسية .

ينظر: تاريخ أدبيات إيران للدكتور صفا 371/1 وما بعد .

³ هو محمد بن أحمد الدقيقي أبو منصور المتوفى بين (365-370هـ) من فحول شعراء الفارسية في العهد الساماني، وقيل إنه كان على دين زرادشت. ينظر: تاريخ أدبيات إيران 408/1 وما بعد .

⁴ هو أبو قاسم الفردوسي المتوفى سنة 411 أو 416 هـ . قيل اسمه منصور بن حسن وقيل حسن بن علي كان من فحول الشعراء باللغة الفارسية وكتابه المشهور شاهنامه أبرز أعماله . ينظر : تاريخ أدبيات إيران 458/1 وما بعد .

⁵ ينظر: تاريخ أدبيات إيران 160/1-163 وتاريخ الأدب الفارسي رضا زاده شفق ص 37، طبع هيئة الثقافة الإيرانية، طهران.

حيث دخلت المفردات والتراكيب العربية إلى اللهجة الدرية ولم يكن رسم الخط البهلوي يستطيع مواكبة التطور والتغيير الجديد لذلك كانت الحاجة ملحة إلى رسم خط جديد مناسب ، وبما أن الخط العربي كان قد دخل إلى بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر مع دخول الإسلام إليها ، وبما أن هذا الخط كان أسهل من الخط البهلوي وجد له قبولاً ورواجاً في أوساط المسلمين الذين كانوا قد تعرفوا على اللغة العربية ، وعرفوا الكتابة بخطها فأصبحوا بحاجة إليه وبمرور الزمن ، ومع تطور اللهجة الدرية وظهورها كلغة فارسية فصحي تم تطوير الخط العربي ومن ثم أصبح وسيلة التحرير ورسم الخط المعتمد في تحرير الفارسية الدرية¹ وهكذا عندما وجد هذا الخط والوسيلة مع تطور اللهجة الفارسية الدرية وظهور لغة فارسية فصحي بدأ التدوين والتأليف باللغة الفارسية.

وقد كان الظهور الحقيقي لحركة التأليف باللغة الفارسية الدرية منذ بدايات القرن الرابع الهجري ، حيث بدأ الأمراء السامانيون في إحياء اللغة الفارسية، وأغدقوا العطايا على الشعراء والكتاب وضموهم إلى بلاطهم². وكان تشجيع التأليف بالفارسية في العهد الساماني جزءاً من اهتمام هذه الأسرة بالعلم والأدب بصورة عامة، حيث لم يكن اهتمام هؤلاء منحصراً باللغة الفارسية والتأليف بها إنما كانوا يبذلون الاهتمام نفسه إلى العلم والعلماء والأدباء في شتى فروع العلم والأدب³.

وقد جاءت حركة التدوين والتأليف باللغة الفارسية عموماً وحركة التدوين والتأليف في مجال تفسير القرآن الكريم بصورة خاصة في أزهى عصور النهضة العلمية والحضارية التي شهدتها العالم الإسلامي ، فإذا كان أبو علي الجبائي (ت ٣٠٣هـ) أول من ألف كتاباً مستقلاً في التفسير باللغة الفارسية، وإذا كان ما يسمى بترجمة تفسير الإمام الطبري إلى اللغة الفارسية في منتصف القرن الرابع الهجري أقدم

¹ ينظر تاريخ أدبيات إيران 154-156.

² تاريخ الأدب الفارسي لرضا زاده شفق ص: 36

³ ينظر: تاريخ الأدب الفارسي ص: 36 .

تفسير موجود للقرآن الكريم باللغة الفارسية بين أيدينا نستطيع القول بكل تأكيد أن التدوين والتأليف في مجال تفسير القرآن الكريم باللغة الفارسية كان قد بدأ في النصف الأول من القرن الرابع ولاشك أن هذه الفترة وما بعدها تعتبر العصر الذهبي بالنسبة للحضارة الإسلامية.

ومن خلال نظرة سريعة إلى الحركة العلمية، والظروف المحيطة بمرحلة التدوين والتأليف في مجال تفسير القرآن الكريم بالفارسية كان جزءاً من النهضة العلمية الشاملة التي عمت العالم الإسلامي في ذلك العصر، سواء مركز الخلافة في بغداد أو في الدول والإمارات التابعة لها وقد أرجع بعض الباحثين هذا الازدهار إلى أمور علمية منها:

إقبال العلماء المسلمين على الابتكار والتأليف.

تشجيع الأمراء والخلفاء لرجال العلم والأدب وبذل الأموال لهم.

التنافس بين الأمراء والخلفاء في اجتذاب أشهر العلماء ليزداد بهم بلاطهم وتعلو بهم دولهم¹.

وقد كانت الدولة السامانية مثلاً لدولة ترعى العلم وتحتضن العلماء، حيث اهتم أمراؤها بالعلم، وشجعوا على طلبه فقصدتهم العلماء من كل حذب وصوب ونشط التأليف في مختلف العلوم ومن ضمنها تفسير القرآن الكريم والذي كان باللغة الفارسية منه نصيب.

وقد كانت البلاد الخاضعة للحكم الساماني مثل: ما وراء النهر بمثابة مراكز للإشعاع العلمي والثقافي تعج بالعلماء والمفسرين والفقهاء والأدباء والشعراء ولم يكن المقدسي مبالغاً عندما وصفها بعد ما شاهدها عن كثب - بقوله:

¹ ينظر: ظهر الإسلام تأليف أحمد أمين 217/1 وما بعد. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.

"هو -إقليم الشرق- أجل الأقاليم وأكثرها أجلة علماء، فيه يبلغ الفقهاء درجات الملوك"¹.

وقد كانت الحلقات العلمية والمدارس التي تتخذ من المساجد مقراً لها مفتوحة لجميع فئات المجتمع دون استثناء وكان عامة الناس يحضرون مجالس العلم ويستمعون إلى العلماء ، كما أن وجود المكتبات العامة والخاصة ، وجمع نواذر الكتب والمراجع العلمية يزيد من النشاط العلمي وتشجيع العلماء على الابتكار والتأليف وكان كل جامع كبير يضم مكتبة كبيرة تحتوي كتباً يقرأها العلماء على طلبة العلم وكان من الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى ظهور عدد كبير من العلماء الأفذاذ في مختلف المجالات وقد كان لهؤلاء أبرز التأثير في إثراء المكتبة الإسلامية بنفائس الكتب والمراجع العلمية التي يعتمد عليها إلى عصرنا هذا وذلك في التفسير ، والحديث ، والفقه ، والتاريخ ، واللغة ، وغيرها من العلوم².

وفي مثل هذه الأجواء العلمية بدأ التدوين والتأليف باللغة الفارسية وقد كان تفسير القرآن الكريم في طليعة حركة التأليف بهذه اللغة ويعتبر تفسير الجبائي ت (٣٠٣ هـ) تأليف ما يسمى بترجمة تفسير الطبري (٣١٠ هـ) باكورة التأليف في التفسير بالفارسية. ثم استمر الحال إلى القرن الخامس الهجري .

ويعتبر القرنان الخامس والسادس الهجريان أهم مرحلة في تاريخ تفسير القرآن الكريم باللغة الفارسية، فقد شهد التفسير بالفارسية ازدهاراً في هذه الفترة ودخل طور التوسع والعمق والشمولية في التأليف، كما أن هذه المرحلة تعتبر مهمة بالنظر إلى عدد المؤلفات حيث وصلنا من نتاج هذه المرحلة إلى تفاسير كاملة للقرآن الكريم، وتفسيرات أخرى غير كاملة وهناك تفاسير أخرى تذكرها المصادر ولكنها لم تصل إلينا.

¹ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لشمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي ص: 260، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، 1991/1411.

² ظهر الإسلام 217/1 وما بعد.

وفيما يلي عرض إجمالي للتفسير ذات الطابع الفقهي باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين:

تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم (تفسير الإسفراييني) :

تأليف عماد الدين أبي المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني المتوفى سنة ١٠٤٧هـ¹. وهو تفسير كامل للقرآن الكريم والذي قد خصصنا هذا الباب للتعريف به².

تفسير شيخ الإسلام عبدالله الأنصاري الهروي:

وللإمام أبي إسماعيل عبدالله الأنصاري الهروي ٤٨١هـ، كتاب في التفسير باللغة الفارسية، قال عنه ابن رجب الحنبلي: ((وله كتاب في التفسير بالفارسية جامع . . .)).³ ورغم أنه لا يعرف عن مصير هذا التفسير شيء اليوم، إلا أنه من المحتمل أن يكون ((تفسير الهروي)) الذي تذكره بعض المصادر ضمن مؤلفات شيخ الإسلام الأنصاري هو عبارة عن التفسير الفارسي الذي ألفه الإمام الهروي. وقد كان تفسير الأنصاري أساساً لتفسير ((كشف الأسرار وعدة الأبرار)) باللغة الفارسية والذي ألفه رشيد الدين أبو الفضل المييدي في سنة ((٥٢٠هـ)) أي بعد وفاة شيخ الإسلام الأنصاري بتسعة وثلاثين سنة، وقد قال المييدي عن تفسير شيخ الإسلام الأنصاري في مقدمة تفسيره ما نصه:

"طالعت كتاب شيخ الإسلام فريد عصره ووحيد دهره أبي إسماعيل عبدالله بن محمد بن علي الأنصاري قدس الله روحه- في تفسير القرآن وكشف معانيه قد بلغ حد الإعجاز لفظاً ومعنى وتحقيقاً وترصيعاً، غير أنه أوجز غاية الإيجاز وسلك فيه

¹ طبقات المفسرين للداودي 212/1، كشف الظنون 268/1 و 442/1

² ينظر: التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 79/1 .

³ الذيل على طبقات الحنابلة 1/1 ط دمشق 1370 هـ - 1951 م .

سبيل الاختصار ، فلا يكاد يحصل غرض المتعلم المسترشد أو يشفي غليل صدر المستبصر"¹.

تفسير السور آبادي (السورياني):

هذا التفسير من تأليف أبي بكر عتيق بن محمد النيسابوري السور آبادي الهروي المتوفي سنة ٤٩٤ هـ²، وهو تفسير كبير يشتمل على جميع القرآن الكريم .

وقد طبع الكتاب بكامله في إيران طبعة مصورة عن نسخة مخطوطة من قبل هيئة الثقافة الإيرانية عام ١٣٥٣ هـ ش كما طبع جزء منه يحتوي على تفسير الآية (٥٦) من سورة المؤمنين وحتى الآية (٣٠) من سورة الفتح في إيران باهتمام مجتبي مينيوي وهو عبارة عن صورة للنسخة الرقم (٣٨٤٠) المحفوظة بمكتبة ديوان الهند في لندن، كما طبعت مقاطع مختارة من التفسير تشتمل على القصص بعنوان : ((قصص قرآن)) باهتمام د. يحيى مهدي في طهران³.

تفسير الحاكم الجشمي (المبسوط والموجز) :

تحدثت العديد من المصادر عن تفسيرين باللغة الفارسية لأبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي (٤١٤ - ٤٩٤ هـ) أحد كبار شيوخ المعتزلة⁴.

تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار:

وهو تأليف رشيد الدين أبي الفضل أحمد بن أبي سعيد محمد الميبيدي وقد ابتدأ بتأليفه في سنة ١٥٢٠ هـ¹. وطبع تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار في عشر

¹ مقدمة فهرست تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار (فارسي) د. محمد جواد شريعت ص: 10 ط انتشارات أمير كبير طهران 1363 هـ ش .

² كشف الظنون 440/1 و 449 .

³ قصص قرآن مجيد بركرفته از تفسير أبو بكر عتيق نيشابوري سور آبادي ((قصص القرآن المجيد المأخوذة من تفسير أبي بكر عتيق النيسابوري المعروف بسور آبادي)) ، باهتمام د. يحيى مهدي وقد طبع من قبل جامعة طهران في عام 1347 هـ ش ، وينظر: التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 91/1 .

⁴ ينظر: كشف الظنون 517/1.

مجلدات كبيرة باهتمام الباحث الأستاذ علي أصغر حكمت خلال السنوات ١٣٣١ - ١٣٣٩ هـ ش في طهران ، كما وضع الدكتور جواد محمد شريعت فهارس متكاملة للتفسير وهي مطبوعة ، وقد تحدثنا عنه بالتفصيل في الفصل الأول من الباب الثالث في هذا البحث .

تفسير النسفي:

ألفه نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي المتوفي سنة ٥٣٧ هـ². والكتاب عبارة عن تفسير كامل للقرآن الكريم، وقد طبع في إيران بتصحيح الدكتور عزيز الله جويني³، وقد تحدثت عنه بتفصيل أكثر في الفصل الثاني من الباب الثالث في هذا البحث.

لطائف التفسير:

تأليف سيف الدين فخر الإسلام أبي نصر أحمد بن حسن بن أحمد بن سليمان البخاري الداراني المتوفي سنة ٥٤٩ هـ. ويعرف الكتاب بأسماء أخرى مثل؛ تفسير الزاهدي ، وتفسير زاهد درواجكي ، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم وتتوفر نسخ مخطوطة منه في عدد من المكتبات⁴.

البصائر في التفسير (تفسير بصائر يميني):

ألفه أبو جعفر محمد بن محمود بن أبي الحسن النيسابوري المتوفي سنة ٥٩٩ هـ⁵ وقد فرغ من تأليفه سنة ٥٧٧ هـ وهو كتاب كبير في مجلدات.

¹ مقدمة كشف الأسرار وعدة الأبرار 1/1، كشف الظنون 1487/2.

² طبقات المفسرين للداودي 5/2 ، كشف الظنون 519/1 ، ونيل الساترين في طبقات المفسرين لمحمد طاهر البنجييري، ص: 117 ، مكتبة اليمان، باكستان 1421 هـ 2000، فهرست نسخه هاي خطي فارسي (فهرس المخطوطات الفارسية) 19/12.

³ طبع تفسير النسفي في مجلدين من قبل ((انتشارات بنياد فرهنگ ایران)) في عام 1353 هـ ش.

⁴ كشف الظنون 448/1.

⁵ كشف الظنون 246/1 و 43.

طبع تفسير البصائر في إيران بتحقيق الدكتور علي رواق¹ وسوف نتحدث عنه بتفصيل أكثر في الفصل الثالث من الباب الثالث لهذا البحث.

تفسير الأصبهاني:

من تأليف الإمام الحافظ إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي التيمي الطلحي الأصبهاني الملقب بقوام السنة المتوفي (٤٥٧ - ٥٣٥هـ)² صاحب العديد من المؤلفات في التفسير والحديث والتوحيد والتاريخ والوعظ.

كان الحافظ إسماعيل التيمي الأصبهاني غزير التأليف في علم التفسير فقد بلغ عدد مؤلفاته في هذا المجال خمسة تفاسير وهي³:

١- التفسير البكر أو الجامع في ثلاثين مجلد.

٢- المعتمد في التفسير في عشرة مجلدات.

٣- الإيضاح في التفسير أربع مجلدات.

٤- الموضح في التفسير في ثلاث مجلدات.

٥- كتاب التفسير باللغة الأصبهانية أي الفارسية.

وبينما تتفق جميع المصادر على وجود كتاب في التفسير باللسان الأصبهاني للحافظ التيمي الأصبهاني وكونه في عدة مجلدات، نجد بعض المصادر ينص على كون

¹ من إصدارات مؤسسة ((بنياد فرهنگ ایران)).

² ينظر : ترجمته في : تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي 1277/4 ط دار إحياء التراث العربي بيروت بدون تاريخ ، الكامل لعلي الجزري ابن الأثير حوادث سنة 535 ، دار الكتاب العربي بيروت، 2000م البداية والنهاية لان كثير 217/12 ، طبقات المفسرين للداودي 113/1-114 .

³ طبقات المفسرين للداودي 114/1، كشف الظنون 442/1 ، كشف الظنون 123/1 و 211 و 575 و 1732/2 ، هدية العارفين 211/1 .

كتاب ((الموضح في التفسير)) باللسان الأصبهاني وبذلك يكون الإمام التيمي ألف اثنين من تفاسيره الخمسة - التي تقع في نحو خمسين مجلداً - باللغة الفارسية¹.

١٠ - ينابيع العلوم (الينابيع في التفسير):

ألفه يوسف بن عبدالله بن أبي يعقوب يوسف بن أحمد بن علي بن أحمد اندخودي² اللؤلؤي³ من علماء القرن السادس ويظهر أن تأليف الكتاب جاء بعد سنة ٥٦٣ هـ لأن المؤلف ذكر أحداثاً في السنوات ؛ ٥٤٩ و ٥٥٦ و ٥٦٠ و ٥٦٣ الهجرية ، توجد أجزاء متفرقة من الكتاب في بعض المكتبات ، وتدل على أن ينابيع العلوم كان تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم⁴.

11- جامع الستين (الستين الجامع للطائف) :

ألفه خواجه تاج الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن زيد الطوسي من القرن السادس الهجري . والكتاب عبارة عن تفسير سورة يوسف بأسلوب صوفي⁵ في ستين فصلاً . يقول المؤلف في المقدمة ما ترجمته : ((عندما سافرنا من بلاد خراسان ورحلنا إلى الجبال والعراق وجدنا أن الناس قلما يرغبون إلى العلم والأدب وكانوا يطلبون منا أن نصنف لهم في فن الوعظ حتى وصلنا إلى أذربيجان فوجدنا الناس يرغبون بشدة إلى تحصيل هذا العلم فاستجبنا لطلبهم وسميناه الستين الجامع للطائف))⁶ .

¹ كشف الظنون 190/2 ، والتفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 85/1.

² اندخودي نسبة إلى اندخوذ وهي بلدة بين بلخ ومرو على طرف البر . معجم البلدان لأبي عبدالله ياقوت الحموي 260/1، دار صادر بيروت لبنان بدون تاريخ النشر، واندخودي هي تقع اليوم في ولاية جوزجان بأفغانستان .

⁽³⁾ كشف الظنون 251/2.

⁽⁴⁾ التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 86/1 .

⁽⁵⁾ فهرست نسخه هاي خطي فارسي (فهرس المخطوطات الفارسية) 38/1 ، فهرست نسخه

هاي خطي كتابخانه كنج بخش (فهرس مخطوطات مكتبة كنج بخش) 47/1 .

⁽⁶⁾ المصدر السابق نقلاً عن النسخة المخطوطة للتفسير تحت الرقم 4233 في مكتبة كنج بخش .

وقد طبع الكتاب في إيران باهتمام السيد محمد روشن بعنوان : ((تفسير سورة يوسف)) وتوجد منه نسخ مخطوطة في مكتبات تركيا وباكستان وإيران¹.

أبرز خصائص التفسير ذات الطابع الفقهي في القرنين الخامس والسادس الهجريين : تمتد هذه المرحلة من النصف الثاني للقرن الخامس إلى نهايات القرن السادس الهجري ، ومن خلال قراءة وتصفح هذه التفسيرات نعرف بأنها تميزت بما يلي :

١- غزارة التأليف :

شهد القرنان الخامس والسادس الهجريان ظهور عدد لا بأس به من التفسيرات باللغة الفارسية وقد اشتمل أغلبها على عدة مجلدات كبيرة تجاوز بعضها العشر ، ولا شك أن هذا يدل على قوة نشاط التأليف لدى مفسري هذه المرحلة ، وتأثرهم الواضح بالأجواء العلمية السائدة في العصر والتي كانت تساعد على البحث والتأليف ومواكبة الحركة العلمية القائمة في كافة أرجاء الوطن الإسلامي الكبير آنذاك.

٢- الشمول :

وأعني بالشمول هنا اتجاه مفسري هذه المرحلة إلى تأليف تفسيرات كاملة للقرآن الكريم ، لأن الأغلبية العظمى لتفسيرات القرنين الخامس والسادس اشتملت على تفسير الآيات القرآنية بالتتابع حسب ترتيب المصحف الشريف.

٣- التنوع والموسوعية :

تميزت تفسيرات المرحلة الثالثة بالموسوعية والتنوع في الموضوعات ، حيث لم يكتف أصحابها بالترجمة التفسيرية للآيات أو تفسير موجز لها بصفة عامة وإنما تعرضوا لأغلب العناصر والموضوعات التي تساعد على فهم الآيات القرآنية وتوضيح

(١) مكتبة أسعد أفندي مخطوطة الرقم 2557 وتوجد صورة منها على مكروفلم تحت الرقم ش 541 في مكتبة جامعة طهران ، مكتبة كنز بخش بإسلام آباد مخطوطة الرقم 4233 ، مكتبة سيهسالار مخطوطة الرقم 2001 ، مكتبة أدبيات (كلية أداب) بجامعة طهران مخطوطة الرقم 57 ب.

مرادها مثل : الأحاديث والآثار ، واللغة ، والمسائل العقدية ، والأحكام الفقهية وغيرها .

٤- التأثير بالمذاهب والفرق:

وكما هو شأن التفسير والمفسرين في كل العصور، فإن القرنين الخامس والسادس وما كان فيهما من صراع حاد بين الفرق والمذاهب والتيارات الفكرية قد ترك آثاره واضحة في التفاسير الفارسية المؤلفة خلال هذه الفترة، ولو دققنا النظر في تفاسير المرحلة الثالثة واتجاهات مؤلفيها نجد أن لكل مذهب وفرقة كان لها شأن وأتباع حظ في التفاسير الفارسية يحمل عقائد المذهب وآراءه ويدافع عنها في مواجهة الخصوم والمخالفين !!

وقد برز من تفاسير أهل السنة في هذه المرحلة تفسير شيخ الإسلام عبدالله الأنصاري الهروي ت ٤٨١هـ ، وتفسير العلامة أبي الفضل رشيد الدين الميبيدي ((كشف الأسرار وعدة الأبرار)) ، وتفسير الإمام الحافظ قوام السنة إسماعيل بن محمد الطلحي الأصبهاني ت ٥٣٥هـ.

ففي حين تمثل هذه التفاسير الاتجاه السني في العقائد والأحكام وقد وقف أصحابها في خندق الدفاع عن مبادئ أهل السنة والجماعة في مواجهة الفرق المخالفة ، نجد أن المعتزلي المشهور محسن بن محمد بن كرامة الحاكم الجشمي البيهقي ت ٤٨٤هـ ، ألف إثنين من تفاسيره الأربعة باللغة الفارسية وهما ((المبسوط)) و ((الموجز)) ، كما أن أبا بكر عتيق بن محمد السوراني النيسابوري الهروي ت ٤٩٤هـ أحد شيوخ المذهب الكرّامي صنّف تفسيراً كبيراً سمّاه ((تفسير التفاسير)) يعكس عقائد وآراء أحد أبرز فرق الكرامية وهي الفرقة ((الهيصمية)) .

وأما الشيعة فقد ظهر أول تفسير لهم باللغة الفارسية في النصف الثاني من القرن السادس على وجه التقريب وهو تفسير ((روض الجنان وروح الجنان)) لأبي الفتوح الرازي المعاصر للطبرسي الشيعي المتوفى سنة ٥٤٨هـ.

والمصوفية كان نصيبهم من تفاسير هذه المرحلة كتاب ((الجامع الستين للطائف)) كما أن ثمة كتب أخرى تحمل بعض أقوال الصوفية في التزكية ، والزهد ، والتقشف ، دون الوقوع في مهالك الضلالات والحلول ، والاتحاد ، و وحدة الوجود ، أو انحرافات أخرى للتصوف الفلسفي والبدع التي تتعارض مع صفاء العقيدة وظاهر الشرع الحنيف ويمكن ضرب المثل بتفسير شيخ الإسلام عبدالله الأنصاري الهروي ، وما جاء من أقوال له في النوبة الثالثة من تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار للمبيدي ، يمكن ضرب المثل بهما كنموذج لتفاسير فارسية اشتملت على أقوال للصوفية في مجال الزهد والتقشف والتزكية في المرحلة الثالثة من مراحل تطور التفسير باللغة الفارسية .

٥- سلامة اللغة:

كما هو شأن النثر الفارسي في القرنين الخامس والسادس بصفة عامة، فإن كتب التفسير باللغة الفارسية في هذه المرحلة قد تميزت بسلامة اللغة، والبعد عن التكلف والتعقيد اللفظي. وتمثل التفاسير الفارسية من هذه الناحية نماذج رائعة للنثر الفارسي ولها قيمة أدبية كبيرة يدل عليها عناية المهتمين بالأدب الفارسي بنشر عدد من هذه الكتب¹.

بما أن هذه التفاسير لها رواج في أروقة المكتبات فينبغي الاهتمام بخدمتها تحقيقاً و نشرًا ودعاية في أقسام القرآن الكريم وعلومها في جامعاتنا الإسلامية.

¹ ينظر: التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 87/1-88.

الفصل الأول: التعريف بتفسير تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم واهتمامه بتفسير آيات الأحكام

المبحث الأول: الوصف الإجمالي لتفسير تاج التراجم وأهميته:

تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم تفسير كبير من تأليف المفسر العلامة شاهفور الإسفرائيني من أقدم وأهم وأشهر التفاسير باللغة الفارسية¹.

وهو تفسير كامل للقرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، وقد طبع تفسير تاج التراجم ويقع في خمس مجلدات، بتحقيق الباحثين علي أكبر الخراساني ونجيب مائل الهروي عام ١٩٩٥م².

وقد سماه مؤلفه بهذا الاسم قائلاً: ((سميناه تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم))³.

سبب تأليف تاج التراجم هو تبليغ أحكام كتاب الله عز وجل للناطقين بالفارسية:

أكد شاهفور الإسفرائيني مؤلف تاج التراجم أن تفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى سائر اللغات من مستلزمات الرسالة النبوية وشمولها وعالميتها وواجب الإنذار والتبليغ يقتضي إيصال معاني القرآن الكريم إلى البشرية جمعاء، فالنبي عليه الصلاة والسلام ينذر بالوحي العرب وكل من يبلغ إليه القرآن من الخلق مستدلاً بقوله تعالى: "وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ"⁴ وقوله سبحانه: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا

¹ ينظر: كشف الظنون 442/1.

² ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1/ الغلاف الداخلي ومعلومات الطبع للكتاب قبل مقدمة المحققين.

³ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 3/1.

⁴ الأنعام: 19.

كَافَّةً لِلنَّاسِ" (1) وقوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (2). ولا يتم إبلاغ الدعوة إلا بترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغات أخرى (3).

كما أضاف رحمه الله سبباً آخر إلى أسباب تأليف تفسيره بأن ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره من وسائل حفظه في مواجهة من يحاول تحريف كلام الله عز وجل من الفرق الضالة والمذاهب الباطلة (4).

توثيق نسبة تأليف تاج التراجم إلى شاهفور الإسفراييني:

وقد اتفقت المصادر العلمية التي توثق نسبة الكتب والمؤلفات إلى أصحابها أن: ((تفسير تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم)) من تأليف العلامة شاهفور الإسفراييني وأنه رحمه الله- قد قام بكتابته وتأليفه ولا شك في ذلك (5).

وقد أكد المؤلف رحمه الله غير مرة في مؤلفاته الأخرى أنه صنف تفسيراً قائلاً: "وقد جمعنا في كتابنا المعروف بتاج التراجم ما هو المعتمد من أقوال المفسرين ابتعاداً عما أحدثه فيه أهل الضلالة والزيغ من التأويلات على سبيل التحريف" (6).

أهمية تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم:

تفسير ((تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم)) من المصادر التفسيرية المهمة المعتمدة خاصة في تفسير آيات الأحكام ولا زال العلماء والباحثون قديماً وحديثاً ينهلون من بحره ، بل هو من أهم التفاسير باللغة الفارسية ومؤلفه كان من أهل الإنصاف والموضوعية والوسطية في عرض المسائل الفقهية، وتحديد أقوال الفقهاء ، فهو يهتم أيضاً ببيان أسباب النزول ، والسياق القرآني ، وذكر أهم القراءات الواردة

1 السبأ: 2.

2 الأنبياء: 107.

3 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 3/1.

4 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 7/1-8.

5 طبقات المفسرين للداودي 217/1-218، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص: 419 ، وكشف

الظنون 442/1 .

6 التبصير في الدين شاهفور الأسفراييني ص: 176.

، وأقوال مفسري الصحابة والتابعين ، وشرح غريب الألفاظ ، والرد على الفرق الضالة كما أنه يتميز عن غيره من التفاسير لكونه لم يقتصر على آيات الأحكام فقط ، والجوانب الفقهية ، بل ضم إلى كل ذلك ما يتعلق بالآيات من الفوائد والإشارة إلى ما أجمع عليه العلماء واتفقوا عليه فهو بلا شك من أجل التفاسير وأعظمها شأنًا، بذل فيه العلامة شاهفور الإسفراييني جهده من أجل إيصال معاني القرآن الكريم إلى الناطقين بالفارسية وفهم كلام الله عز وجل . كما نعرف القيمة العلمية لهذا التفسير من شهرة مؤلفه رحمه الله وعظيم مكانته العلمية لما نقرأ سيرته الذاتية.

وقد شهد الباحثون في الدراسات القرآنية باللغة الفارسية بكثرة الفوائد والاستنباطات والدرر المودعة في تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم مما يجدر بكل باحث وطالب علم يعرف اللغة الفارسية الاطلاع عليها والاستفادة منها.

وأهم ما تتميز به تاج التراجم عن غيره ما يلي:

- ١- تتميز ترجمة الإسفراييني لمعاني الآيات القرآنية بالدقة والسلاسة والوضوح، فهي ليست ترجمة حرفية وإنما التركيز فيها على معنى الآية وإيضاحه للقارئ.
- ٢- يعتبر التفسير بالمأثور من أبرز وأهم الجوانب في تاج التراجم، وقد اهتم العلامة الإسفراييني بهذا النوع من التفسير اهتمامًا بالغاً ولا يكاد يمر بتفسير آية إلا ويصدره بآيات وأحاديث وآثار الصحابة وأقوال التابعين ويستعين بها لاستنباط الأحكام الفقهية والمسائل الشرعية .
- ٣- كما أن مؤلف تاج التراجم كان حريصاً على إيراد أحداث من السيرة النبوية مستعيناً بها في تفسير وشرح معاني الآيات وبيان الأحكام والفوائد.
- ٤- يحذر صاحب تاج التراجم من الفرق الضالة المحسوبة على الإسلام وهي خارجة منه بسبب تحريف الآيات القرآنية وتحريم الحلال وتحليل الحرام قائلاً: "واعلم أن

أعداء الإسلام طائفتان، طائفة اختلطت بالمسلمين وظهرت ففتنتها في دولة الإسلام ،
وتعتبر نفسها من المسلمين لكنّها تكيد لهم . . وطائفة أخرى ملحدون¹.

٥- اهتمامه بأسباب اختلاف المفسرين والذي يعد من المباحث التفسيرية المهمة
خاصة عند اختلاف مفسري آيات الأحكام في بعض المسائل الفقهية فيها فمعرفة
أسباب اختلاف المفسرين بها تساعد في الترجيح بين الأقوال المختلفة².

٦- تميزه بربط الآيات القرآنية بعضها ببعض³.

ولا شك أن لربط الآيات القرآنية بعضها ببعض فوائد علمية حيث أن العلوم
والمعارف القرآنية كثيراً ما تخفي إن أهمل المفسر هذا الجانب لأن من تمام هذا
الكتاب السماوي وجود ترابط بين آياته بداياته ونهاياته وسائر أجزائه كما أكد ذلك
علماء علوم القرآن الكريم⁴.

هذا وقد وصف الباحثون تفسير تاج التراجم بأنه نقطة تحول تاريخي في ضمن
مسيرة التأليف للتفسير باللغة الفارسية وأنه أول حلقة من حلقات ازدهار التفسير
الفقهي باللغة الفارسية⁵. ونظراً لأهميته البالغة كما سماه عدد من علماء الأمة
بالتفسير الكبير⁶، فهو أول تفسير اتبع مؤلفه الترجمة التفسيرية في تفسير معاني
القرآن الكريم بالفارسية في زمن كانت الترجمة الحرفية رانجة، وكانت تراعي
موافقة اللغة من غير اكتراث لأراء المفسرين ولذلك اشتملت على كلمات مبهمة

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 412/1.

² ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 16/1.

³ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 14-13/1.

⁴ ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي 241/2، ومناهل العرفان للزرقاني 312/2.

⁵ التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 147/1.

⁶ ينظر : المنتخب في السياق لتاريخ نيسابور لعبد الغافر الفارسي ص : 288 ، الناشر : جماعة
من المدرسين في قم، سنة 1403 هـ، وسير الأعلام النبلاء للذهبي 401/18 ، وطبقات الشافعية
الكبرى للسبكي 11/5 ، وطبقات المفسرين للداودي 218/1 .

تلتبس على القارئ، بينما الترجمة التفسيرية الكاملة لا تعتمد على اللغة وحدها بل تستعين بكل الأدوات والأساليب التي يحتاجها المفسر لآيات الأحكام^(١).
وهو تفسير مهم للغاية للباحثين والدارسين والمهتمين بتفسير كتاب الله عز وجل وعلوم القرآن الكريم.

(١) ينظر تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 7-5/1 .

المبحث الثاني: التعريف بمؤلف تاج التراجم:

اسمه ومولده: هو شاهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني، ثم الطوسي الشافعي، يكنى بأبي المظفر، والملقب ب((عماد الدين)) الفقيه الأصولي، المفسر، العلامة المفتي كان أحد الأعلام¹.

ولد ببلدة أسفرايين² في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري ربما في التسعينات منه لأنه روى عن ابن محمش الزيادي الذي توفي سنة ٤١٠ هـ³ وكان للمفسر شاهفور صلة مصاهرة بأبي منصور البغدادي الإمام⁴. فقد تزوج ابنته⁵.

نشأته وطلبه للعلم:

عاش الإسفراييني في فترة تعد من أزهى عصور الحضارة الإسلامية، وشهد رحمه الله قيام المدارس النظامية في عدد من عواصم العلم والحضارة آنذاك وقد تحولت خلال سنوات معدودة إلى جامعات وصروح علمية شامخة تشع منها أنوار العلم والمعرفة في أرجاء العالم الإسلامي⁶.

وقد كانت نيسابور موطن العلامة الأسفراييني أول مدينة تحتضن المدرسة النظامية، وقد اشتهرت هذه المدينة العريقة لكونها واحداً من أبرز مراكز العلم التي تعج بالعلماء وطلاب المعرفة في شتى فروع العلم وقد ارتفعت مكانة نيسابور العلمية

¹ ينظر ترجمته في المصادر الآتية: المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور 152-157، وسير الأعلام النبلاء 403-401/18، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي 12-11/5، وطبقات المفسرين للداودي 19-18/2، وطبقات المفسرين للأذنه وي ص 130.

² أسفرايين بليدة من نواحي نيسافور، وتقع في إيران حالياً وتعرف باسم بليقيس، ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي 177/1.

³ هو محمد بن محمش أبو الطاهر الزيادي (317-410 هـ) فقيه نيسابور ومحدثها في أيامه من علماء الشافعية، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 82/3.

⁴ هو عبد القاهر بن طاهر البغدادي الأسفراييني أبو منصور صاحب المؤلفات المشهورة وأحد أعلام الشافعية، ينظر: سير أعلام النبلاء 572/17.

⁵ طبقات المفسرين للداودي 212/1.

⁶ ينظر: طبقات المفسرين للداودي 212/1.

والحضارية في ظل اهتمام حكام و ولاية هذه المدينة وكان المفسر الإسفراييني يحظى باهتمامهم وعنايتهم¹.

مما سبق عرفنا أن المفسر الأسفراييني قد نشأ وترعرع في بيئة علمية وحضارية كانت تعج بالمراكز العلمية ، حيث أن مدينة نيسابور كانت مهذاً للعلم والعلماء ، وهو طلب العلم في هذه المدينة ، ثم سافر للتزود من العلوم والمعارف كما نكرت لنا المصادر التاريخية التي حررت ترجمته قائلة : ((وسافر في طلب العلم وحصل الكثير))²، حيث كان متعارفاً في أوساط العلماء وطلاب العلم شد الرحال، فهو رحل من مسقط رأسه الأسفرايين إلى نيسابور ، كما أشارت مصادر أخرى أنه سافر إلى بغداد لطلب العلم³.

أخذ الإسفراييني رحمه الله الحديث عن أحد علماء عصره ألا وهو محمد بن محمّش وعلم أصول الفقه عن منصور البغدادي وغيره من العلماء الاجلاء⁴، علماً بأنه لا يمكن أن يصل العالم رتبة الاجتهاد وأن يفسر القرآن الكريم كاملاً إلا أن يكون قد أخذ بحظ وافر من مشايخ عصره وإن لم تذكر كتب التاريخ والأعلام تفاصيل حياته لكون أغلب مؤلفاته باللغة الفارسية.

جهوده العلمية ومؤلفاته:

لاشك أن التأليف وكتابة الآثار العلمية من أهم إنجازات العلماء في الحضارة الإسلامية لأن المؤلفات والمدونات العلمية تعد أهم وسيلة للحفاظ على العلوم والمعارف الإسلامية، ونقلها إلى مختلف الأجيال اللاحقة، وقد أكد لنا معلم البشرية

¹ ينظر: معجم البلدان للحموي 48/4، والمدارس النظامية وآثارها العلمية والاجتماعية للدكتور نور الله كسائي ص: 69 - 71 ، انتشارات أمير كبير طهران 1363 هـ ش .

² طبقات المفسرين للداودي 218/1 - 219.

³ طبقات المفسرين للأدنه وي ص: 130 - 131.

⁽⁴⁾ طبقات المفسرين للأدنه وي ص: 130 - 13.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أهمية الكتابة والتأليف بقوله ((قيدوا العلم بالكتابة))¹. وانطلاقاً من الأهمية البالغة للكتابة والتأليف فقد اهتم العلامة شاهفور الإسفراييني بتقييد العلم بالكتابة وألف عدداً من المؤلفات على النحو الآتي:

١- تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم.

٢- "التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكة" المطبوع في القاهرة سنة ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.

كما نقلت المصادر المهمة بترجمة العلامة شاهفور الإسفراييني عن مؤلفات أخرى للمؤلف رحمه الله والتي لم تصل إلينا ومنها:

الأوسط في أصول الفقه.

كتاب في الفقه.

كتاب في علم الفرائض والمواريث.

كتاب في علم الكلام.

كتاب في التفسير².

وفاته رحمه الله:

توفي العلامة المفسر شاهفور الإسفراييني سنة (471هـ)³، بعد أن ترك تراثاً علمياً ضخماً للأمة الإسلامية وعلى وجه الخصوص تفسيره تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم شرحاً لمعاني القرآن الكريم باللغة الفارسية، وتوضيحاً للأحكام والمسائل

¹ رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 46/10، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 106/1، طبع دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (1532)، وقائلاً: ((صحيح بمجموع طرقه)).

⁽²⁾ ينظر: التبصير في الدين ص 156-180.

³ طبقات المفسرين للداودي 1/217-219.

المستنبطة من آيات الأحكام لتسهيل الاستفادة وتيسير فهم القرآن الكريم، بالإضافة إلى مجموعة من العلوم التي تخدم القرآن الكريم فجزاه الله خير الجزاء عن المسلمين.

ثناء العلماء عليه:

فضل الله سبحانه وتعالى العلماء ورفع منزلتهم قائلاً: "يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"¹، ولأن العلماء هم ورثة الأنبياء ، لهذا يجب توقيرهم وهم حملة هذا الدين ، عرفوا بحسن القصد وصالح العمل وصحة الاعتقاد ، وهم الذين بذلوا أعمارهم في طلب العلم ونشره خدمةً لكتاب الله تعالى ومن هؤلاء العلماء الأجلاء أبو المظفر شاهفور الإسفراييني الملقب بعماد الدين، صاحب تفسير تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم الذي أثنى عليه العلماء فقد قال مؤلف: ((المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور)) "شاهفور الإسفراييني أبو المظفر الإمام الكامل ، الفقيه الأصولي المفسر ، جامع بارع ، صنف التفسير الكبير المشهور ، وصنف في الأصول ، وسافر في طلب العلم وحصل الكثير"².

وجاء في طبقات الشافعية: "شاهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني ، الإمام الكامل ، الفقيه الأصولي المفسر ، صنف التفسير الكبير المشهور"³.

كما وصفه صاحب طبقات المفسرين بالإمام العالم الفاضل قائلاً: "شاهفور بن محمد الإسفراييني الإمام العادل الفاضل ، كان متوطناً في بلاد العجم صنف تاج التراجم

¹ المجادلة الآية: 11.

² المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص 252 - 253.

³ طبقات الشافعية لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي الشافعي 98/1، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية بيروت، 2002م.

في تفسير القرآن العظيم باللغة الفارسية¹. كما قال عنه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء: "العلامة المفتي أبو المظفر كان أحد الأعلام"².

ولاشك أن احترام العلماء وذكر محاسنهم والدعاء لهم جرى عليه سلف هذه الأمة وهو جزء من مولاتهم ومحبتهم فهم أولى بالموالاة وأحقهم بالمحبة في الله بعد الأنبياء عليهم السلام.

¹ طبقات المفسرين للأدنه وي ص 419 .
⁽²⁾ سير أعلام النبلاء 401/18.

المبحث الثالث : اهتمام الإسفراييني بتفسير آيات الأحكام:

كانت الأحكام الفقهية المستنبطة من القرآن الكريم موضع عناية واهتمام من قبل الإسفراييني في تفسير تاج التراجع وقد تناول رحمه الله تفسير آيات الأحكام وتطرق إلى المسائل الفقهية المتعلقة بها إما على وجه التفصيل أو الإيجاز والاختصار حسب مقتضى الحال ، ويمكننا أن نعرف مدى اهتمامه رحمه الله- بتفسير آية الأحكام عند قراءة أول آية في تفسيره لما كتب الترجمة التفسيرية للبسملة قال: ((وأعلم أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من أول كل سورة كتبت في بدايتها، كما أنها آية من فاتحة الكتاب، ويجب قراءتها مع بقية آيات الفاتحة في كل ركعة من الصلاة ، هذا هو مذهب الإمام الشافعي ويجب قراءتها جهراً كما تقرأ الفاتحة))¹ . فقد رأينا أنه رحمه الله بين الحكم الفقهي لقراءة البسملة في الصلاة وفق ما ترجم لديه. وهذا القول رآه ابن الكثير رحمه الله قائلاً: "فذهب الشافعي رحمه الله ، إلى أنه يجهر بها مع الفاتحة والسورة، وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفاً وخلفاً ، فجهر بها من الصحابة أبو هريرة ، وابن عمر ، وابن عباس ومعاوية . . ومن التابعين سعيد بن جبير وعكرمة وأبي قلابة ، والزهري . . والحجة في ذلك أنها بعض الفاتحة، فيجهر بها كسائر أبعاضها"².

وبعد ذكر عدد كبير من الأحاديث والآثار قال: "وفي هذه الأحاديث والآثار التي أوردناها كفاية ومقتع في الاحتجاج لهذا القول عما عداه . . وذهب آخرون إلى أنه لا يجهر بالبسملة في الصلاة ، وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة ، وطوائف من سلف التابعين والخلف ، وهو مذهب أبي حنيفة والثوري وأحمد"³.

¹ تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم 18/1.

² تفسير القرآن العظيم لابن الكثير 14/1.

³ تفسير القرآن العظيم لابن الكثير 15/1 .

وأضاف ابن كثير في هذا السياق: "وعند الإمام مالك: أنه لا يقرأ البسملة بالكلية ، لا جهرًا ولا سرًا . . فهذه مأخذ الأئمة -رحمهم الله- في هذه المسألة وهي قريبة، لأنهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر، والله الحمد والمنة"¹.

وقد اتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على إثباتها في أوائل السور إلا التوبة، وذلك في المصحف الذي كتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعث به إلى الأمصار².

فلا خلاف أنها آية في أثناء سورة النمل، ولا خلاف في إثباتها في أوائل السور في المصحف إلا في سورة التوبة³.

ومن أحسن ما قيل في ذلك: الجمع بين الأقوال : بأن البسملة في بعض القراءات - كقراءة ابن كثير- آية من القرآن ، وفي بعض القراءات ، ليست آية ، ولا غرابة في ذلك⁴.

ومن شدة اهتمامه رحمه الله بالجانب الفقهي افتتح مقدمة تفسيره بتناول المسائل الفقهية المهمة مثل حكم ترجمة معاني القرآن الكريم إلى غير العربية، فقد خصّص فصلاً في أحكام الترجمة التفسيرية وقد أورد الأحكام المتعلقة بالترجمة التفسيرية على النحو الآتي:

وجوب ترجمة معاني القرآن الكريم إلى غير العربية لأنها وسيلة إيلاغ الرسالة.
أن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى سائر اللغات من مقتضيات شمولية الإسلام وعالميته.

¹ تفسير القرآن العظيم لابن كثير 15/1.

² ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 19/1.

³ فتح القدير للشوكاني 11/1، ونيل الأوطار لمحمد بن علي الشوكاني 215/2، دار الحديث بمصر 1413 هـ - 1993 م.

⁴ المذكرة في أصول الفقه محمد الأمين الشنقيطي ص 66 - 67، طبع مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة 1393 هـ - 2001 م.

أن واجب إيصال الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة وإنذارهم بالقرآن يستلزم إيصال المعاني التفسيرية والمترجمة إليهم بلغاتهم وهذا غير ممكن بالنسبة لغير الناطقين بالعربية إلا من خلال الترجمة.

أن ترغيب أهل اللغات الأخرى غير العربية إلى الالتزام بأحكام الشريعة وترهيبهم عن المنكرات والمناهي لا يتم إلا من خلال ترجمة معاني القرآن الكريم لأنه الله سبحانه أرسل رسوله بالبشرية جمعاء: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا"¹.

أكد الإسفراييني رحمه الله أن ترجمة معاني القرآن الكريم من فروض الكفايات في نفس الأمر، ولكنها تتحول إلى فرض عين في بعض الحالات كما تدل على ذلك القاعدة الأصولية "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"².

وأضاف رحمه الله حكماً فقهياً آخر في معرض حديثه عن أحكام الترجمة أن المسلم الذي لا يستطيع قراءة الفاتحة في الصلاة بالعربية عليه تعلم ترجمة معاني سورة الفاتحة باللغة التي يعرفها ليصلي بها لكون قراءة الترجمة أولى من التسبيح³.

ومما ذكر من الفوائد الفقهية لترجمة معاني القرآن الكريم إلى غير العربية مسألة إذا كان دخول مجموعة محددة من الناس من غير المسلمين إلى الدين الإسلامي موقوفاً على معرفتهم بما في القرآن الكريم من الأحكام بلغتهم. فيجب حينئذ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى تلك اللغة⁴.

1 السبأ: 2.

2 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1/ 3 - 4.

(3) تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 4/1.

(4) تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 5/1.

ويوبخ مانعي ترجمة معاني القرآن الكريم قائلاً: "هؤلاء ليسوا إلا واحداً من اثنين : إما غافل جاهل بأصول الشريعة ، وإما ملحد معاند لا يريد ظهور الدين ودخول الناس إليه"¹.

كما: "لا شك أن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصاً واستدلالاً، وفقه الله تعالى للقول والعمل لما علم منه، فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الريب ، ونورت في قلبه الحكمة ، واستوجب في الدين موضع الإمامة"².

وبناء على هذه الأهمية لتفسير آيات الأحكام الذي فيه صلاح للناس في أنفسهم ، وصلاحهم في مجتمعهم ، لأهمية التمسك بآيات الأحكام حكماً وعملاً، وما ورد في القرآن الكريم من الآيات المتضمنة للأوامر والنواهي والمسائل الفقهية وغيرها من الأحكام الشرعية ، اهتم الإسفراييني رحمه الله بالجانب الفقهي ما وجد إلى ذلك سبيلاً مع ربط هذه الأحكام بواقع حياة الناس في زمانه ، فقد تناول رحمه الله بالشرح والتفسير ما يتعلق من الأحكام بحل البيع وحرمة الربا ، ومسائل الديون ، والرهن ، وتحريم شرب الخمر ، وعقوبة الزنى ، والقذف ، وما يتعلق بالطهارة كالوضوء والغسل والآداب المرعية في الحيض والنفاس ، وجواز التيمم ، والأمور المتعلقة بنفقة الأسرة والأحوال الشخصية مثل النكاح والطلاق ، وعدة المتوفى عنها زوجها وعدة المطلقات³.

والمفسر الذي يتصدى لاستنباط الأحكام من الآيات القرآنية لابد أن يكون على دراية ومعرفة باللغة العربية، واللغة التي يترجم بها معاني القرآن الكريم وقواعد أصول

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 5/1-7.

² كتاب الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي ص/ 17، مكتبة الحلبي، مصر 1358 هـ - 1940 م.

³ ينظر فهرس المحتويات لتفسير تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 5/ 500-501.

الفقه، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ وأسباب اختلاف المفسرين، وعلم القراءات، والمعرفة التامة بالأحاديث النبوية¹.

ومن بتصفح تفسير تاج التراجم يجد بكل وضوح ما يتميز به منهج العلامة الإسفراييني رحمه الله في تفسير آيات الأحكام بأمر عديده ومنها: سهولة العبارة ووضوحها دون التعقيد اللفظي.

تجنب الحشو الطويل أو الإغراق في المسائل البعيدة .

تجنب ذكر الخلاف في الأمور التي لا تستحق الخوض فيها بل يكتفي بذكر مذهب الإمام الشافعي، أو ما يكون راجحاً لديه ولو كان مخالفاً لمذهبه .

قوة ودقة الاستنباط من آيات الأحكام مثل ما رأينا في الأحكام والفوائد المستنبطة في معرض شرحه لمشروعية الترجمة ووجوبها .

عدم التعصب لمذهبه الفقهي والتعامل بالحسنى مع الرأي المخالف لمذهبه الفقهي ، كما أنه لم يحاول إخضاع آيات الأحكام لاجتهادات المذهب الذي ينتمي إليه ، بل سار على النهج المعتدل المنفتح ، فدار مع الدليل وفق ما أرشده اجتهاده ، ولذلك نجده يختار مذهب الإمام الشافعي في مسألة ويرجح مذهب الحنفي في مسألة أخرى².

ومن أمثلة ترجيحه لمذهب الإمام الشافعي ما قال في تفسير الآية الكريمة: "وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ" فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ"³، اختار الإسفراييني رحمه الله مذهب الشافعية في تحديد مقدار الفدية وقال : "الفدية عبارة عن طعام

¹ ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن 52 / 2 - 57.

² ينظر : تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1 / 4 ، 6 ، 7 .

⁽³⁾ البقرة : 184 .

مسكين واحد ، وهي مقدرة بمدّ وهذا الحكم منقول من قاسم ، وسعيد بن جبير وهذا هو مذهب الشافعي¹.

كما اختار مذهب الإمام أبي حنيفة عند تفسيره كلمة ((لامستم)) في قوله تعالى : "أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا"² بمعنى الجماع ، وعند الإمام الشافعي لمس النساء ناقض للوضوء³.

والأسفراييني رحمه الله أولى آيات الأحكام اهتماماً خاصاً، لكنه لم يقتصر عليها فحسب، بل حرص على استنباط المسائل من آيات الخبر والقصص ، كما أن الميزة الرئيسية لتفسير تاج التراجم في سياق بيان آيات الأحكام هي اهتمامه بالأدلة وربط المسائل الفقهية بالدليل⁴. وغايته من الترجمة التفسيرية لآيات الأحكام هي بيان مسائل الآيات بقدر ما تستلزمه هذه الغاية، فيقوم بعرض تلك المسائل إذا غمض معناها وأشكل الوصول إلى فحواها.

فرائنا أن الجانب الفقهي قد كانت له سمة بارزة وأن المفسر الأسفراييني قد اهتم اهتماماً بالغاً بتفسير آيات الأحكام نظراً لأهميتها في حياة المسلمين كونها تبين الحلال والحرام.

المبحث الرابع: قوة استنباط الإسفراييني من آيات الأحكام:

من مقاصد المفسرين في التفسير الفقهي الاهتمام بالاستنباط من آيات الأحكام وذلك بفرط الذهن وقوة القرينة.

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 211/1.

² المائدة: 6 .

³ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 43/2.

⁴ ينظر على سبيل المثال : تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 321/1 ، 465/2 ، 588/3 .

والاستنباط هو استخراج دلالة الآية على الشيء بالطرائق المقررة لدى العلماء¹.

ويرى علماء علوم القرآن الكريم أهمية علم المفسر بأصوله الفقه وأهم قواعده لأن ذلك من الأسباب المهمة في استخراج الأحكام من الآيات².

الفرق بين الاستنباط والتفسير:

يقول العلماء: "التفسير هو بيان مراد الله عز وجل من كلامه المنزل على نبيينا الكريم، فالمفسر يشتغل ببيان المراد من ألفاظ القرآن الكريم، ودلالات الألفاظ بحسب منطوقها، ثم بعد ذلك يشير إلى ما تدل عليه الألفاظ بحسب مفهومها، فالأول تفسير والثاني استنباط"³.

ومن يتصفح تاج التراجم يعرف أن الأسفراييني رحمه الله يفسر ألفاظ الآية، ويبين دلالتها بحسب منطوقها، ثم يردف ذلك بالكلام عليها بحسب دلالتها من غير محل النطق⁴، وهو "ما يسمى بالمفهوم، هو الاستنباط الذي يقوم على فهم معنى الآيات والمراد منها، وهو فرع التفسير، ومعنى زائد على دلالة منطوق الآيات يقصد به استخراج ما كان من معاني الآيات بطريق اللزوم، يعني الدلالة غير اللفظية"⁵.

أهمية هذا العلم بالنسبة للمفسرين:

استنباط معاني القرآن الكريم باب عظيم من أبواب تفسير القرآن الكريم، وقد مدح الله عز وجل أهل الاستنباط بقوله: "وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ

¹ البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي 6/2، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1376 هـ - 1957 م.

² البرهان في علوم القرآن للزركشي 6/2.

³ الاستنباط عند المفسرين للدكتور محمد عمر بازمول ص: 13، جامعة أم القرى مكة المكرمة.

⁴ ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1/1، تفسير البسملة.

⁵ ينظر: البرهان في علوم القرآن 8/2.

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۚ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١﴾

وقد مدح الله عزوجل المستنبطين في كتابه وأخبر أنهم من العلماء².

ولا شك أن الاستنباط تدبر وتأمل لأمر الله سبحانه: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"³. ويكفي فضل هذا العلم أن موضوعه القرآن العظيم ، وثمرته وفائدته الوقوف على معانيه ، وهو من علم التفسير بالرأي المحمود ، ومن شروط قبوله⁴:

أن لا يخالف التفسير المأثور مخالفة تضاد.

أن يتفق مع سياق الآية وسباقها ولحاقها.

أن لا يتنافى مع دلالة اللفظ من حيث اللغة.

أن لا يتعارض مع الشرع.

أن لا تؤدي إلى نصرة أهل البدع والأهواء المزمومة.

بناء على الأهمية البالغة لعلم الاستنباط بالنسبة للمفسرين فإن العلامة الإسفراييني - رحمه الله- أدرك أسلوب الاستنباط ووظفه خير توظيف في تفسير الآيات القرآنية واستخراج الفوائد التي تساعد في فهم كتاب الله تعالى فعلى سبيل المثال لا الحصر تحدث رحمه الله عن الأحكام المنصوصة لصلاة المسافر عند تفسير قوله تعالى: "وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَاثِرُونَ لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا"⁵. قال رحمه الله: "وعلم أن القصر في الصلاة أن تصلي كل صلاة رباعية ركعتين ، وذلك يجوز في سفر يكون

¹ النساء : 83 .

² إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم 308/1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1411 هـ - 1991 م .

³ محمد : 23 .

⁴ ينظر : الاستنباط عند المفسرين ص: 20 .

⁵ النساء : 101 .

مسافته ستة عشر فرسخاً ، يكون مباحاً أو واجباً ، أما لو كان لمعصية فلا يجوز فيه القصر . وظاهر الآية، توجب القصر حال الخوف لكن القصر حال الأمن ثابت في الأحاديث الصحيحة¹.

قد تناول المؤلف المسائل الآتية :

مشروعية قصر الصلاة للمسافر في حالتي الخوف والأمن.

ذكر مسافة القصر .

وذكر أن السفر المبيح للقصر هو السفر المباح .

عدم جواز قصر الصلاة في سفر المعصية.

ذكر أن السنة النبوية تفسر القرآن وتخصص عامه وضرب مثلاً لذلك مشروعية قصر الصلاة في حال الأمن مع أن السياق القرآني يدل على جوازه في حال الخوف .

بين رحمه الله أن قصر الصلاة في السفر مسألة مختلف فيها بين قائل بوجوبه ، وقائل بكونه سنة ، ورأي ثالث بأنه للتخيير .

ومن النماذج لاستنباط الإسفراييني ما جاء في تفسير الآية: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"⁽²⁾ فذكر رحمه الله في تفسير سجدة الملائكة لآدم عليه السلام أقوالاً عدة ثم خلاص إلى القول بأن :

سجدة الملائكة لآدم كانت بمعنى التحية وليست بمعنى وضع الوجه على الأرض، لأنه لا يجوز وضع الوجه على الأرض إلا لله سبحانه وتعالى³. فيرى رحمه الله أن سجود الملائكة لآدم كان على سبيل التحية والتقدير والتكريم، ولم يكن على وجه الخضوع والتذل والتعبد، لأن ذلك لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى ، لأن مثل هذه

(1) تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 523/2 - 524 .

² سورة البقرة: 34.

³ ينظر : تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 34/1 .

السجدة لغير الله محرم بالإجماع ، مؤكداً بأن المنطوق يدل على أن هذه سجدة التحية والتقدير والمفهوم يدل على أن سجدة العبادة والتذلل لغير الله محرمة ومن فعلها فقد وقع في الشرك، مضيفاً أن نصوص السنة وإجماع الأمة تحرم السجود لغير الله في شريعتنا¹.

وهذا ما أيده علماء الأمة ومفسروها، قال الطبري رحمه الله: "فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، سجود تحية وتكرمة ، لا سجود عبادة"².

وقال ابن العربي: "اتفقت الأمة على أن السجود لآدم لم يكن سجود عبادة"³.

والإسفراييني رحمه الله رفض كل قول يجيز السجود لغير الله أو حتى الأقوال القريبة وذلك بعد حشد الأدلة المقنعة المفندة لتلك الأقوال التفسيرية البعيدة عن روح توحيد الله عز وجل .

ومما يميز طريقة شاهفور الإسفراييني في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات القرآنية أنه رحمه الله يستنبط التفاصيل الإضافية والفوائد النوعية المكملة لأصل التفسير مبتدئاً تفسيره بالقرآن نفسه ، ثم بالسنة النبوية ثم يذكر الآثار ثم الرأي والاستنباط بناء على واحد مما مضى ، فعلى سبيل المثال يتناول أحكام الصيام على النحو الآتي :

يذكر الآية القرآنية الموجبة لصيام رمضان ألا وهي قوله عز ذكره: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"⁴، ويقول : اعلم أن الله سبحانه أراد بلطفه وإحسانه إعلام عباده بحكم من أحكامه وركن من أركان دينه فابتدأه بوجه يجذب قلوبهم ويوقظهم من نوم الغفلة فقال : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" فخاطبهم تنبيهاً لهم ، ووصفهم بالإيمان ثناءً عليهم ، حتى يتذوقوا اللذة في الخطاب

¹ ينظر : تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 35/1 .

² جامع البيان للطبري 14 / 65 .

³ أحكام القرآن لابن العربي 27/1 .

⁴ سورة البقرة: 183 .

فينسوا تعب العبادة فيقتربوا إلى أداء الطاعة ولا يقعوا فيما وقع فيه قوم موسى عليه السلام عندما قالوا : "سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا"¹. ثم بين أنهم وحدهم ليسوا مكلفين بهذا التكليف بل سبقهم به أمم قبلهم ليبعث ذلك الفرح في قلوبهم فيكون التكليف أكثر قبولاً إليهم فقال: "كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ"، ثم أتبعه بقولهم : "لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" ليكون ذلك سبباً من أسباب اتصافكم بالتقوى².

ثم سهّل تسهياً فقال سبحانه: "فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ"³. ورخص للمريض والمسافر أن لا يصومان حال المرض والسفر فعدة من أيام أخر . ورخص للمريض والمسافر أن لا يصومان حال المرض والسفر لما يواجهانه مع الصيام حال السفر والمرض من المشقة ، ولهما أن يفطرا ثم يقضيان بعد ذلك⁴. وقد استنبط رحمه الله المسائل الآتية غير فرائض الصيام⁵ :

أن المشقة تجلب التيسير للعباد لهذا أباح الفطر للمريض والمسافر وأن من يسر الإسلام وسماحته عدم تكليف العباد مالا يطيقون.

عدم اشتراط التتابع في قضاء صيام رمضان، تيسيراً على العباد .

من أفطر صيام رمضان لعذر شرعي كالمرض والسفر يقضي عدد أيام رمضان كاملاً كان أو ناقصاً، ويجوز له أن يقضي في أيام قصيرة باردة عن أيام طويله حارة وبالعكس .

من أكل وهو ناس أو شك في طلوع الفجر صح صيامه، لأن الأصل بقاء الليل.

استحباب السحور وسنية تأخيرهِ.

¹ سورة البقرة: 93.

² ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 183/1 - 185.

³ سورة البقرة: 184.

⁴ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 86/1.

⁵ ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 180/1 - 189.

أن من حكم الله في فريضة الصيام التعرف على أحوال الفقراء وما يعانون من جوع.

وهكذا نجد أن العلامة شاهفور الإسفراييني رحمه الله يذكر الفوائد المكملة لتفسير آيات الأحكام ويضيف ما أمكن استنباطه من الآيات ليكون القارئ على بصيرة من أمره ، حتى أنه رحمه الله يستثمر اختلاف المفسرين في استنباط الأحكام وذلك باختيار القول الراجح من الأقوال المختلفة ، يقول رحمه الله : "واعلم أن في كتاب الله موضوعات كثيرة كثر فيها الاختلاف بين المفسرين ، والرواة ، وأهل اللغة ، والمتحدثين في تأويل القرآن الكريم ، وبعض هذه الخلافات في الرواية وبعضها الآخر في الاستنباط ، وذلك يدل على تمام عناية أهل الدين في حفظ الروايات قليلها وكثيرها ، كما يدل على تمام جدهم واجتهادهم في الاستنباط من كتاب الله عز وجل وعدم تضييعهم شيئاً من ذلك وبهذا ترتفع درجة الأكابر والعلماء"¹.

فرأيناه قوة الاستنباط في توظيف الأدلة لدى المفسر الأسفراييني رحمه الله فهو كان يعد فقيها ومجتهدا بجانب كونه مفسرا لكتاب الله الخالد.

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 162/1 - 163.

المبحث الخامس: أسباب عدم خوضه بتفاصيل المسألة واكتفائه بمذهب الإمام الشافعي:

من يتصفح تفسير تاج التراجم يجد أن مؤلفه رحمه الله جمع بين عدة مسالك ومناهج تفسيرية على النحو الآتي:

سلك طريقة الأثريين وتتبع جميع أي القرآن الكريم دون أن يتوقف على آيات العقيدة والأحكام.

وسلك الأسفراييني رحمه الله طريقة الفقهاء فاهتم بآيات الأحكام وتوسع في استنباط المسائل الشرعية ولكن على مذهب الإمام الشافعي أو ذكر الإمام أبي حنيفة أحياناً.

كما اهتم بتتبع الجوانب اللغوية من خلال الاستشهاد بالشعر والاحتجاج باللغة في معرض بيان المعاني والأحكام.

وهنا في هذا المبحث يهملنا البحث في عدم خوضه في بعض المسائل واكتفائه بمذهب الإمام الشافعي رحمه الله ، ذلك لأن الأسفراييني رحمه الله كان ينتمي إلى مذهب الإمام الشافعي في الفروع فرأيناه يكتفي في بعض الأحيان بذكر الحكم الفقهي المستنبط من الآية وفق المذهب الشافعي دون التعرض لبقية المذاهب ، مراعاة لجانب الإيجاز والاختصار ولكي لا يتحول تفسيره إلى كتاب خلافاً فقهية تحجب هدايات الآيات ، ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه رحمه الله يذكر رؤوس المسائل الفقهية المستنبطة من الآية ، دون الإشارة إلى مذهب معين ثم يحيل لمعرفة تفاصيل المسألة إلى مظانها في المصادر الفقهية . مثال ذلك ما جاء في تفسير الآية: "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"¹ فقد بين الأسفراييني رحمه الله شروط وجوب الحج وأنواعه دون التطرق إلى الأدلة والخلاف الفقهي وأحال إلى كتب الفقه للوقوف

على التفاصيل¹. وهذا الموقف يعد من محاسن تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم بحيث أن مؤلفه لم يشحن تفسيره بقضايا فقهية كثيرة خشية تحوله إلى كتاب فقهي قد فقد ميزته كونه تفسيراً من التفاسير ولذلك نلاحظ أنه رحمه الله كثيراً ما يحيل القارئ إلى المصادر الفقهية وبحثه على الرجوع إلى أمهات كتب الفقه².

وهكذا لما فسر الآية: "وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"³ بين أحكام الإيلاء بكل اختصار وقال: "واعلم أن الإيلاء في الشريعة أن يقول الرجل لامرأته والله لن أقربك، وحكمه يمهل أربعة أشهر فإن راجعها خلال هذه المدة وكفر عن قسمه ارتفع حكم الإيلاء، وإلا طلب منه أن يقر بذلك أو أن يطلق زوجته، فإن لم يطلق فللحاكم حق التطلق، واعلم أن الطلاق لا يقع بمجرد مضي المدة مالم يطلق الرجل، أو يمتنع عن الأمرين السابقين فيطلق الحاكم"⁴. فهو رحمه الله لم ذكر بعض التفاصيل المتعلقة بأحكام الإيلاء الذي هو باب من الأبواب المهمة في فقه الأسرة وقد عرف العلماء الإيلاء بأنه: الحلف على الامتناع من وطء الزوجة مطلقاً أو أكثر من أربعة أشهر⁵ قاصداً إلحاق الضرر بها⁶.

ومدة الإيلاء تكون أكثر من أربعة أشهر وهو قول الجمهور، فإن حلف على أربعة أشهر فما دونها لا يكون مولياً⁷.

وتبدأ مدة الإيلاء من الحلف وإذا انقضت فإن القاضي يخير المولي بين أمرين: إما أن يأتي زوجته؛ وإما أن يطلقها⁸. فإن أتى الرجل زوجته وجبت عليه كفارة اليمين، وهي إطعام عشرة مساكين من أوسط ما يأكل أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فإن لم

¹ ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1/191.

² ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1/213، 235، 2/465، 588.

³ سورة البقرة: 227.

⁴ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم: 1/524.

⁵ الموسوعة الفقهية الكويتية 3/52.

⁶ منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري ص 327، دار السلام للطباعة والنشر 2004 م.

⁷ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 3/108.

⁸ فتح الباري للحافظ بن حجر العسقلاني 9/337، دار الريان للتراث القاهرة.

يجد صام ثلاثة أيام ، وأما إذا رفض الرجل أن يأتي زوجته فإن القاضي يأمره أن يطلقها تطليقة واحدة ، فإذا طلقها فإنه يكون طلاقاً رجعيّاً¹.

وإن كان حلف بالنبي أو الملائكة أو الكعبة ألا يطأها فهذا ليس بمول².

والإيلاء يختص بالزوجات دون الإماء³ وإنما الإيلاء يكون بالحلف بترك الجماع لا بترك الكلام، وقوله: "لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ"⁴ لا خلاف أنه قد أضمر فيه اليمين على ترك الجماع ، لاتفاق الجميع على أن الحالف على ترك جماعها مول ، ما عدا ذلك من ترك الكلام ونحوه لم تقم الدلالة على إضماره في الآية فلم يضممه⁵.

هكذا فسر آية الصيد مختصراً موجزاً دون الشرح والتوضيح الكامل لأحكام الصيد في حال الإحرام فقال في تفسير قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكِ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ" عفا الله عما سلف⁶ ومن عاد فلينتقم الله منه⁷ والله عزيز ذو انتقام⁸. "حكم هذه الآية أن من قتل الصيد محرماً وجب عليه الجزاء وهو أن يقدم ما قتل من النعم حسب ما يفتيه الفقيه العدل ، وذلك إذا لم يكن حكمه منصوصاً عليه في الشريعة كما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم حكموا بالشاة على من يصيد الغزال ، وبالبقرة الأهلية على من يصيد البقرة الوحشية ، وبالقيمة على من يصيد طيراً دون الحمامة ، وعلى من وجب عليه الجزاء الخيار في أن يذبح الجزاء المذكور في الحرم فيقسمه على

¹ ينظر: فتح الباري 339/9، والجامع لأحكام القرآن 110/3 - 111.

² الجامع لأحكام القرآن 111/3.

³ تفسير القرآن العظيم لابن كثير 314/1.

⁴ سورة البقرة: 226.

⁵ ينظر: أحكام القرآن للجصاص 179/1.

⁶ المائدة: 95.

فقراءه ، أو أن يقدر قيمته فيشتري بها طعاماً يوزعه على فقراء الحرم، أو أن يصوم بدل كل مد من الطعام يوماً¹.

من المعروف أن باب أحكام الصيد في الحرم من الأبواب المهمة في تفاسير آيات الأحكام ولكن الأسفراييني رحمه الله تناوله بإيجاز وأرى من الضروري أن أشير إلى بعض أحكامه من خلال أقوال المفسرين وكتكملة للمسألة .

الصيد لغة: مصدر صاد، وهو تناول ما يظفر به مما كان ممتنعاً .

والصيد اصطلاحاً: اقتناص حيوان حلال متوحش طبعاً ، غير مملوك ولا مقدور عليه².

ويرى العلماء أن ربط تحريم الصيد بالإحرام يدل على أنه إذا زال الإحرام زال التحريم.

كما يرون أنه لا شيء على المحرم في قتل الحية والعقرب والغراب لأجل ضررها. و من أن من قتل صيداً أو ذبحه فعليه جزاء واحد لقتله دون أكله، وبه قال الشافعي رحمه الله ، وقال أبو حنيفة رحمه الله : عليه جزاء ما أكل يعني قيمته وخالفه أصحابه فقالوا : لا شيء عليه سوى الاستغفار³.

"وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا"⁴ ذكر الله سبحانه المتعمد ولم يذكر الناسي أو المخطئ والمتعمد هنا هو القاصد للشيء مع العلم بالإحرام ، والمخطئ هو الذي يقصد شيئاً فيصيب صيداً ، والناسي هو الذي يتعمد الصيد ولا يذكر إحرامه ، واختلف العلماء في ذلك على خمسة أقوال : الأول : عن ابن عباس رضي الله عنه قال : إنما التفكير

¹ تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم 136/2.

² الموسوعة الفقهية الكويتية 18 / 49.

³ ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 121/3-122.

⁴ سورة المائدة: 95.

في العمد ، القول الثاني : أن قوله : ((متعمداً)) خرج على الغالب فألحق به النادر.
الثالث: أنه لا شيء على المخطئ والناسي وبه قال الطبري وأحمد في إحدى روايتيه،
لما خص الله سبحانه المتعمد بالذكر دل على أن غيره بخلافه والأصل براءة الذمة
فمن ادعى شغلها فعليه الدليل . الرابع : أنه يحكم عليه في العمد والخطأ والنسيان ،
وبه قال مالك والشافعي أبو حنيفة وأصحابهم ، الخامس : أن يقتله متعمداً لقتله ناسياً
لإحرامه وهو قول مجاهد لقوله تعالى ذلك : ومن عاد فينتقم الله منه : قال : ولو كان
ذاكراً لإحرامه لو جبت عليه العقوبة لأول مرة¹ وأما المتعمد لقتل الصيد مع ذكره
لإحرامه فذاك أمره أعظم من أن يكفر ، وقد بطل إحرامه² هذا كان بعض أحكام
الصيد.

والناظر في منهج الإسفراييني رحمه الله يرى أنه سلك مسلك والإيجاز والاختصار
ربما لأسباب عديدة ومنها:

1-أن مظان الخلافات الفقهية تفاصيلها هي كتب الفقه ولهذا فهو في كثير من
المواضيع يحيل القارئ إلى كتب الفقه.

2-بما أنه رحمه الله كان يعيش في بيئة يسود فيها مذهب الإمام الشافعي رحمه الله
فرأى أنه من الأنسب ذكر مذهب الإمام الشافعي والاكتفاء به لتيسير وصول الناس
إلى تلك الأحكام وشرح أحكام الدين على قدر، استيعابهم.

3-قد يكون من الأسباب التي جعلته يتجنب الخوض في الفروع الفقهية ولا يميل إلى
التوسع في المسائل الاجتهادية تورعه عن الجدل ولكي لا يكون تفسيره مسرحاً
للتناقشات والردود التي قد تحجب المزايا التفسيرية في تاج التراجم في تفسير القرآن
للأعاجم لأن توسع المفسر في مسائل بعيدة خاصة التفريع ومحاولة البحث في مسائل

¹ ينظر: الجامع لأحكام القرآن 123/3 - 124.

² تفسير القرآن لابن كثير 66/2.

افتراضية محضة أو عرض قضايا خلافية بعيدة عما تدل عليها الآية، وقد تكون مسائل لا علاقة لها بالفقه والفروع.

ولا شك أن الإسفراييني رحمه الله قد تميز بالنظر الثاقب ودقة الاستنباط وذلك بالحرص على المحافظة بالمزايا التفسيرية لتفسيره وعدم خروجه عن مساره التفسيري إلى مدونة الفقه المقارن.

المبحث السادس: أسباب عدم التزامه بذكر النصوص وأقوال الصحابة والتابعين باللغة العربية بل يكتفي بإيراده ترجمتها الفارسية:

يقدم الإسفراييني رحمه الله عند البدء في تفسير الآيات القرآنية نبذة موجزة عن وقت نزول السورة المراد تفسيرها، وكونها من السور المكية أو المدنية، كما يذكر عدد آياتها وحتى كلماتها حروفها أيضاً ويذكر في أثناء عد الآيات خلاف البصريين والكوفيين، كما يورد بعض الأحاديث في فضائل السورة¹.

والمنهج الذي اتبعه الإسفراييني في تفسيره هو أن يترجم معاني آية أو عدة آيات إلى الفارسية أولاً، ثم يبدأ بالتفسير إما مطولاً² أو موجزاً³. وفق مقتضى الحال، وقد بذل جهده أن يتميز ما يترجمه بالدقة والسلاسة والوضوح، فلا تكون ترجمة حرفية بل يتحقق الهدف المرجو من تأليف هذا التفسير ألا وهو إيضاح الترجمة التفسيرية للقراء الناطقين بالفارسية⁴.

ويعتبر التفسير بالمأثور من أهم الجوانب في تاج التراجم، واهتم الإسفراييني رحمه الله بهذا النوع من التفسير اهتماماً بالغاً ولا يكاد يمر تفسير آية إلا ويصدره بآيات وأحاديث وآثار للاستعانة بها في معنى الآية وتوضيح مرادها واستنباط أحكامها. ومن أمثلة تفسيره القرآن بالقرآن وما ذكره في تفسير قوله عز ذكره: "غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ"⁵ فقد فسر الإسفراييني المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى واستشهد على كل آية فقال: "قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ⁶ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ"⁶. وقال في صفة تلك الطائفة من قوم عيسى: "وَلَا

¹ انظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1/1، 22، 16، 193، 196، 220.

² ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 201/1، 203، 309، 317.

³ ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 25/1، 26، 123، 197.

⁴ ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 3/1 - 6.

⁵ الفاتحة: 7.

⁶ المائدة: 60.

تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ" (1)(2). وفي معرض تفسيره لقوله جل في علاه: "وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا" وبألوالدين إِيْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا" (3) يوضح الإسفراييني رحمه الله عموم معنى الإحسان وشموله لغير الفئات المذكورة في الآية قائلًا: الإحسان على عمومته أمر محمود إلى جميع الخلق، وقد أمر بذلك الله عز وجل، ثم يستشهد بآيات أخرى لدعم تفسيره مثل قوله سبحانه: "وَأَخْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" (4)، وقوله عز وجل: "أَوْفُوا بِالْعُقُودِ" (5)، وقوله سبحانه: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى" (6) والإحسان عنده عموم الخير ونفع الناس بكل ما يملك الإنسان من وسائل نشر الخير والفضائل (7).

ومثال آخر ما قال في تفسير قوله: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ" (8). فإن ظاهر هذه الآية يقتضي أن الغنائم لله ولرسوله فقط لأنها لم تذكر أحداً سواهما يستحق الغنيمة، ولكن قال الله سبحانه في آية أخرى: "وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ" (9)، ففي هذه الآية ذكر الأصناف المستحقة للغنيمة الذين لم يذكر أسماءهم في الآية الأولى، وأشار رحمه الله إلى قولين في المسألة، الأول: أن الآية الثانية ناسخة للأولى،

¹ سورة المائدة: 77.

² تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم 21/1 - 22.

³ النساء: 36.

⁴ سورة البقرة: 195.

⁵ المائدة: 1.

⁶ المائدة: 2.

⁷ تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم 235/1 - 236.

⁸ الأنفال: 1.

⁹ الأنفال: 41.

والقول الثاني : أن الآية الأولى مجملة والثانية مبينة لها ، فالغنيمة في الآية الأولى ملك لله ولرسوله أن يقسمها لمستحقيها كما أمره الله سبحانه 1.

ومنهج الإسفراييني رحمه الله أنه يذكر النص العربي للآيات القرآنية التي يفسرها أو التي يستشهد بها ثم يورد ترجمة معانيها إلى اللغة الفارسية وهو ملتزم بذلك فلا يكتفي بذكر الترجمة التفسيرية للآية بل يورد النص العربي للآية التزاماً منه رحمه الله بالأحكام والآداب المرعية في الترجمة التفسيرية لأن العلماء ذكروا أن الترجمة التفسيرية من غير إيراد نصوصها العربية خلاف تفسيره بلغته العربية وخلاف تفسيره بغير لغته العربية، "وخلاف ترجمة تفسيره العربي ترجمة حرفية أو تفسيرية" 2. أما: "حكم ترجمة القرآن بهذا المعنى فالاستحالة العادية والشرعية أي عدم إمكان وقوعها عادةً وحرمة محاولتها شرعاً" 3.

ومن المعروف أن القرآن الكريم: "متعبد بتلاوته، فإنه لا يمكن أن يتحقق في الترجمة، لأن ترجمة القرآن غير القرآن قطعاً، والتعبد بالتلاوة إنما ورد في خصوص القرآن وألفاظه عينها بأساليبها وترتيباته نفسها، دون أي ألفاظ وأساليب أخرى" 4.

بناء عليه: "ولو كانت عربية مرادفة لألفاظ الأصل وأساليبه كما أن محاولة مثل هذه الترجمة تشجع الناس على انصرافهم عن كتاب ربهم. مكتفين ببذل أو أبدال يزعمونها ترجمات له، وإذا امتد الزمان بهذه الترجمات فسيذهب عنها اسم الترجمة ويبقى اسم القرآن وحده علماً عليها ويقولون هذا القرآن بالإنجليزية، وذاك بالفارسية، لهذه الأسباب قد حرم العلماء هذا الأسلوب والعلامة الأسفراييني رحمه الله كونه أحد المفسرين وعلم من أعلام هذا العلم قد تنبه لذلك الخطأ وتجنبه والتزم بآداب وضوابط

1- ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 321/2 - 32.

2- مناهل العرفان في علوم القرآن 132/2.

3- مناهل العرفان في علوم القرآن 133/2.

4- مناهل العرفان في علوم القرآن 134/2.

ترجمة معاني القرآن الكريم بل هو من روادها¹. ومن الملاحظ أن مؤلف تاج التراجم ينقل الأحاديث النبوية بالنص وبالمعنى أي أنه يكتفي أحياناً بإيراد الترجمة الفارسية للحديث دون ذكر النص العربي ، أما ما يخص النصوص العربية لأقوال الصحابة والتابعين وهو يذكر الترجمة الفارسية في أغلب الأحوال ، أخذاً بقول المجيزين من العلماء بجواز الرواية بالمعنى، وقد جاء جواز الرواية بالمعنى عن كثير من السلف ؛ من التابعين والمحدثين والمفسرين ، حيث أن من أقام الإسناد وحفظه ، وغير اللفظ فإن هذا واسع عند أهل العلم إذا لم يتغير المعنى² فعن واثلة بن الأسقع قال : "إذا حدثناكم عن المعنى فحسبكم"³ ، وعن ابن سيرين : "كنت أسمع من عشرة اللفظ متخلف والمعنى واحد"⁴، وعن وكيع : "إن لم يكن المعنى واسعاً فقد هلك الناس"⁵.

وقد اشترطوا لرواية الحديث بالمعنى⁶ :

أن يكون الناقل عالماً بلغات العرب، بصيراً بالمعاني .

أن لا يكون الراوي حافظاً للفظ الحديث حين أدائه له .

ألا يجعل الحلال حراماً، أو الحرام حلالاً.

ألا تكون في النصوص التوقيفية والألفاظ التعبدية كالأنكار.

فمن بلغ الرواية بمعناها قد أدى ما سمع إذا قامت المعاني مقام الألفاظ فأداء الأحاديث والآثار وتبليغها يكون بالمعنى كما يكون اللفظ، ومن هذا المنطلق ذكر الأسفراييني

¹ ينظر: على سبيل المثال لا الحصر : تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 17/1 ، 26 ، 35 ، 64 ، 97 .

² ينظر شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي 145/1 ، تحقيق نور الدين عشر دار السلام للنشور والتوزيع ، بالرياض 2014 م .

³ شرح علل الترمذي 145/1 .

⁴ شرح علل الترمذي 145/1 .

⁵ شرح علل الترمذي 147/1 .

⁶ ينظر : فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث للعراقي ، لشمس الدين السخاوي 137/3 ، مكتبة السنة مصر الطبعة الأولى 1424 هـ - 2003 م ، وشرح علل الترمذي 147/1 .

رحمه الله كثيراً من الأحاديث النبوية وآثار الصحابة وأقوال التابعين بالمعنى أي ترجمتها بالفارسية وهنا نذكر بعض الأمثلة على النحو الآتي :

وقد ذكر رحمه الله عند تفسيره لسورة الفاتحة الترجمة الفارسية لما وري عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: "يقول الله عز وجل : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل"¹، ثم استدل بهذا الحديث أن الصلاة اسم من أسماء الفاتحة².

كما ذكر حديث: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"³، وذلك في معرض بيانه لحقوق الجار وضرورة الإحسان إليه، لما فسر قوله تعالى: "وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ"⁴، فهنا اكتفى بذكر الحديث بالمعنى والترجمة الفارسية له⁵.

ومثال آخر لما فسر قوله سبحانه: "لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ"⁶ قال : وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله : "لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" قال "هي الرؤية الصالحة يراها المؤمن أو ترى له" ثم قال : "المبشرات هي الرؤية الصالحة يراها المؤمن من ثناء الناس عليه بسبب طاعته لربه"⁷.

وفيما يخص آثار الصحابة رضي الله عنهم وأقوال التابعين رحمهم الله فإن شافهفور الأسفراييني لا يلتزم في إيراد النصوص العربية في تفسيره أيضا وإنما يذكر

¹ أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركوع رقمه (598) .

² تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 21/1.

³ أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب الوصاية بالجار ، رقمه (4963) .

⁴ النساء: 36.

⁵ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 235/1.

⁶ يونس : 64 .

⁷ أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الرؤيا، باب ذهب النبوة وبقيت المبشرات، سنن الترمذي 534/4، رقمه (2272) ، وأخرجه البخاري في كتاب التعبير ، باب المبشرات ، بلفظ : ((هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم . .)) رقمه (6589) ..

الترجمة الفارسية لها في أغلب الأحوال ولنضرب بعض الأمثلة لكي تتضح لنا المسألة أكثر :

قال الأسفراييني رحمه الله في تفسير قوله سبحانه : "هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"¹ ، ما ترجمته للعربية : "يقول ابن عباس -رضي الله عنهما- المتقي هو من تجنب الشرك والكبائر والفواحش . ويقول ابن عمر -رضي الله عنهما- المتقي هو من لا يعتبر نفسه أفضل من غيره"².

ومن ذلك ماء جاء في تفسيره لقوله تعالى: "لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ" نَصِيبًا مَّفْرُوضًا"³ ، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- : "إن هذه الآية منسوخة بآية المواريث ، وقال طائفة : أن الآية غير منسوخة وإنما هذا على سبيل الاستحباب" يقصد إعطاء شيء من التركة لمن حضر القسمة . فهنا لم يذكر رحمه الله النص العربي إنما اكتفى بالترجمة الفارسية لقول ترجمان القرآن وغيره⁴.

وفي معرض تفسير قوله تعالى : "لَا يَخْرُجُ فِي الْفَرْعِ الْكَبِيرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ"⁵. قال الأسفراييني رحمه الله : "قال ابن عباس -رضي الله عنهما- الفرع الأكبر هي النفخة الثانية بدليل قوله سبحانه:" وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ ذَاخِرِينَ"⁶ وقال الحسن البصري : "الفرع الأكبر" هو أن يؤمر العبد إلى نار ، وقال سعيد بن جبير : الفرع الأكبر هو أن يطبق باب الناس فيبأس أهل النار ، وقال بن جريج : الفرع الأكبر هو أن يؤتى بالموت على صورة كبش أملح عندما يدخل أهل النار النار وأهل

¹ سورة البقرة:2.

² تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم 24/1.

³ سورة النساء : 32 .

⁴ تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم 22/1.

⁵ الأنبياء: 103.

⁶ النمل: 87.

الجنة الجنة ، ويوقف بالأعراف جدار بين الجنة والنار ينظر إليه الفريقان فيذبح وينادي المنادي : "يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت"¹. فهو رحمه الله أورد الترجمة الفارسية لأقوال الصحابة والتابعين باللغة الفارسية ولم يذكرها بنصها العربي ولكنه تميز بدقة النقل ووضوح الترجمة لتلك النصوص².

وقد ذكر وقول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير ((الفرقان)) باللغة الفارسية كما فسر قوله تعالى: ((وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))³، قائلاً : ((قال ابن عباس -رضي الله عنهما- : الفرقان بمعنى النصر على الأعداء ، أعطينا موسى الكتاب والنصرة ، كما قال الله سبحانه : ((وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ))⁴، يوم النصر على الأعداء⁵. ولما فسر الآية: ((يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ⁶ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ))⁶، قال: "قال عكرمة : يمحو ذنوب عباده ما يشاء بالتوبة ، ويثبت له الحسنات بدلاً عنها كما يشاء" فهو اكتفى بالترجمة الفارسية لتفسير عكرمة وقوله دون إيراد بالعربية⁷، كما اكتفى بترجمة قول مجاهد إلى اللغة الفارسية لما فسر قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ"⁸، قائلاً: "قال مجاهد : أريناه في الدنيا مكانه من الجنة"⁹.

ونستطيع أن نقول بأن من أسباب عدم التزامه بذكر النصوص وأقوال الصحابة والتابعين والنقول العلمية باللغة العربية واكتفائه بإيراده باللغة الفارسية هي:

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 193/3 - 194 .

² ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 193/3

³ البقرة : 53 .

⁴ سورة الأنفال : 41 .

⁵ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 101/1 - 102 .

⁶ الرعد: 39.

⁷ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 149/3.

⁸ الأنعام: 75.

⁹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 175/2.

الأخذ بقول المجيزين بالرواية بالمعنى بالشروط التي ذكرناها في هذا المبحث حيث قال كثير من العلماء بجواز ذلك.

كثرة الروايات الواردة في تفسيره واستحالة حفظ كل هذه الروايات باللفظ.

تحقق الهدف من تفسير معاني آيات القرآن الكريم حيث أن القارئ باللغة الفارسية يجد المعنى بكل سهولة ويسر ربما لا يشعر بالحاجة الملحة للنصوص العربية لتلك الروايات الكثيرة.

التزامه بالدقة في الترجمة الفارسية فهو يقوم بترجمة تلك النصوص إلى اللغة الفارسية بأسلوب سلس واضح، ولما يتصفح القارئ تفسيره يشعر كأن المصادر العربية موجودة أمامه.

يرى رحمه الله أن ترجمة النصوص من الأحاديث النبوية وآثار الصحابة وأقوال التابعين والأئمة إلى الفارسية وغيرها من مستلزمات الرسالة النبوية، ونشر أحكام العقيدة الإسلامية والعبادات لهداية البشرية بهذه الترجمة يتم إنذار الناس وترغيبهم وترهيبهم ولو لم تذكر النصوص العربية¹.

حبه للاختصار وعدم الإطالة على قراء التفسير وذلك بعدم ذكره النصوص العربية لتلك الآثار واكتفائه بالترجمة الفارسية لتلك النصوص تخفيفاً لهم وتيسيراً عليهم، فمن رغب في الوصول إلى النصوص العربية لتلك الأقوال والآثار بإمكانه الرجوع إلى مظانها في كتب الحديث وشروحها والمصنفات².

¹ ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 3/1-5.

² ينظر: مقدمة الناشر لتاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 5/1-6.

الفصل الثاني

الاتجاه الفقهي في تفسير تاج التراجم للأسفراييني:

المبحث الأول: طريقته في الترجيح عند اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام:

لمعرفة مباحث التعارض والترجيح أهمية كبيرة لدى المفسر من خلاله يتوصل إلى القول الراجح في التفسير عند وجود أكثر من قول متعارض¹.

كما أن غاية العلم بالترجيح هي تصفية وتنقية التفسير من الدخيل، فطلب أصح الأوجه في تفسير القرآن الكريم من أهم المقاصد لدى المفسرين، لذلك ينبغي العلم به، وبناء عليه نجد أن الإسفراييني رحمه الله قد اهتم اهتماماً بالغاً في اسعرص والترجيح واختلاف المفسرين.

تعريف التعارض:

التعارض في اللغة مصدر تعارض، يقال عارض الشيء بالشيء معارضة قابله، وعارضت كتابي بكتابه أي قابلته².

والتعارض في الاصطلاح: "تقابل الجنسين المتساويين في القوة على وجه يوجب كل منهما ضد ما توجهه الأخرى في محل واحد في وقت واحد"³.

وما نقصده هنا مبحث الأقوال المختلفة في التفسير والأصل فيه خلاف التضاد، وأدخلت بعض صور خلاف التنوع من باب حمل الآية على أولى الوجوه و أوقفها للنظم.

¹ ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية للدكتور حسين الحربي 40/1، طبع دار القاسم بالرياض 1417 هـ - 1996 م.

² لسان العرب مادة عرض 167/7 - 168.

³ التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ص: 45، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الأولى 1403 هـ - 1983 م.

تعريف الترجيح:

الترجيح في اللغة: "الراء والجيم والحاء أصل واحد يدل على رزانة و زيادة يقال رجع الشيء وهو راجح إذا رزن ، وأرجح الميزان أي أثقله حتى مال"¹.

والترجيح في الاصطلاح: تقديم دليل على دليل آخر يعارضه لاقتران الأول بما يقويه².

ويقصد بالترجيح لدى المفسرين: "تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقويه أو لتضعيف أو رد ما سواه"³.

أهم قواعد الترجيح التي التزم بها الإسفراييني رحمه الله في تفسيره هي على النحو الآتي:

لا تصح دعوى النسخ عنده إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه⁴.

- لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه.

إذا ثبت الحديث وكان نصا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره، وإذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه .

كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد.

إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير.

تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم⁴.

¹ لسان العرب 445/2.

² التعريفات للجرجاني ص 45.

³ ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين 35/1.

⁴ ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 163/1، 321/2، 96/3.

عناية مؤلف تاج التراجم بأسباب اختلاف المفسرين لدفع التعارض والوصول إلى الترجيح:

يقول الإسفراييني رحمه الله: "واعلم أن في كتاب الله عز وجل موضوعات كثيرة كثر فيها الاختلاف بين المفسرين ، والرواة ، وأهل اللغة المتحدثين في تأويل القرآن الكريم ، وبعض هذه الاختلافات في الرواية ، وبعضها الآخر في الاستنباط وذلك يدل على تمام عناية أهل الدين بحفظ الروايات قليلها وكثيرها ، كما يدل على تمام جدهم واجتهادهم في الاستنباط من كتاب الله عز وجل وعدم ضياعهم شيئاً من ذلك وبهذا ترتفع درجة الأكابر والعلماء"¹.

وعندما تختلف الروايات تعجز طائفة بسبب الضعف في الرأي فلا تعلم طريقة لتوجيه الاختلاف، وأما الطائفة المتهمة في الدين فتصنع من اختلاف الروايات شبهة لعلها تستطيع بها إيقاع إمرئ في شك من دينه ، "يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"⁽²⁾، ويرى الإسفراييني رحمه الله أن الأصل في باب تعارض الأقوال التفسيرية أن الاختلاف في التأويل والرواية على نوعين:

الأول: وهو ما يمكن جمعه في واحد ولا يسقط بعضه بعضاً وتستطيع القول بأنه يحتل هذا المعنى وذاك، كما ذكر في معنى حرف (الم) ويجوز أن يكون تأكيداً للمعجزة، وهذا دليل على شرف هذا الكلام وتماحه في معنى البلاغة ولا ينكر ذلك أي عاقل.

الثاني هو ما لا يمكن جمعه في حال واحدة وهو على نوعين:

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 164/1.

² التوبة: 32.

الأول : هو ما يتعلق به حكم من الشريعة ويوجب تأويل نفي هذا الحكم بينما يوجب الثاني إثباته ، كما في قوله عز ذكره : "أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ"¹ فالإمام الشافعي يقول بأن المراد ملامسة بشرة الرجل بشرة المرأة ويوجب ذلك الوضوء ، بينما يذهب الإمام أبو حنيفة أن المراد هنا هو الوطء ولا توجب الملامسة الوضوء ، في مثل هذا الموقف لابد أن نبحث من مرجع في الأخبار ، أو اللغة ، أو القياس في أصول الشريعة ، يمكن به معرفة المراد من بين المعنيين ، فلا تضيع حاله ، مثلما يقول الشافعي أن اللمس باليد كما قال الله عز وجل : "فَلَمَسُوهُ بَأْيَدِيهِمْ"⁽²⁾.

والثاني هو ما يتعلق به حكم من أحكام الشريعة، وفي هذه الحالة إذا استطعت أن تجمع بين الأقوال والآثار على وجه لا يؤدي إلى تعطيل أي منها فافعل. وإذا لم يمكنك الجمع فاعتقد أن واحداً من هذه الأقوال والآثار صواب أيا كان، فقدره الله عز وجل أعظم من أن يحيط بها العقل، أو يتصورها الوهم ولا يضرك عدم معرفتك للصواب ما دمت لا تضيع حكماً من أحكام الله تعالى.³

كما أكد الإسفراييني رحمه الله أن التفسير بالرأي المذموم الباطل ليس مقصوداً وغير معتد به في الأصل⁴.

أمثلة من واقع منهجه في رفع ما يقع من التعارض التفسيري في الظاهر:

من منهج المفسر شاهفور الأسفراييني -رحمه الله- في كتابه تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم أن ما يقع من التعارض الظاهري في تفسير بعض الآيات له العديد من الأسباب ويمكن درء التعارض وترجيح الأقوى من خلال بيان المجمل ، وتقييد المطلق ، وتخصيص العام ، وتبيين المشكل والمختلف وبيان الناسخ والمنسوخ.

¹ النساء: 43.

² الأنعام: 7.

³ ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 24/1.

⁴ ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 25/1.

والمجمل: هو "لفظ لا يفهم المراد منه إلا باستفسار من المجمل وبيان من جهته يعرف به المراد"¹. وقيل هو ماله دلالة على أحد أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه²، وضرب مثلاً في بيان المجمل عند تفسيره لقوله جل في علاه: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ"³، فإن هذه الآية تدل بظاهرها أن الغنائم لله ولرسوله حصراً لأنها لم تتناول غيرهما، بينما قوله تعالى ذكر مستحقي الغنائم: "وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ"⁴. وقال شاهفور رحمه الله:- "إن الآية الأولى جملة والثانية مبينة لها، فالغنائم في الآية الأولى ملك لله ولرسوله أن يقسمها على مستحقيها كما أرشده الله تعالى"⁵.

مثال تقييد المطلق:

المطلق: هو "اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه"⁶.
والمقيد: هو "اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه مع تقييده بوصف من الأوصاف"⁷.

ومن طرق درء التعارض في التفسير حمل المطلق على المقيد ومثال ذلك ما قاله المؤلف في تفسير قوله: "وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا"⁸. "واللذان يأتیان تلك الفاحشة منكم فأذوهما، فإن تابا

¹ أصول السرخسي ل محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأنمة السرخسي 167/1، دار الكتاب بالعرب، بيروت 1372 هـ.

² الإحكام في أصول الأحكام لأبي الحسن سيد الدين الأمدي 1/3، دار الكتاب العربي بيروت، 1404 هـ.

³ الأنفال: 1.

⁴ الأنفال: 1.

⁵ تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم 405/2.

⁶ الإحكام في أصول الأحكام للأمدي 4/3.

⁷ الإحكام في أصول الأحكام للأمدي 4/3 - 5.

⁸ النساء: 16.

عن ارتكاب الفاحشة وهما أصلحا فلا تقاطعوها ولا تؤذوهما لأن الله يتوب عن عباده ويرحمهم، واعلم أن الإيذاء في هذه الآية مطلق وقد جاء تفسير بعضه في الكتاب وبعضه في السنة، وذلك هو ما استقرت الشريعة عليه من أن من زنى من الأ Bakar فعليه مائة جلدة وتقريب عام، وإن كان ثيباً يرحم حتى يقتل¹.

وهو يشير إلى قوله عز وجل: "الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" ولْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ²، وقوله عليه الصلاة والسلام: "وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام"³.

ومن الأمثلة التي ذكرها قوله سبحانه: "وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْنُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"⁴، فإنه تقييد لإطلاق الأكل والشرب في الآية السابقة "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ"⁵. قال رحمه الله: لما قال الله تعالى: "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا" عقبه بذكر ما يقيد حتى يعلم العباد أن بعض ما أطلقه يؤكل وبعضه لا يؤكل فقال سبحانه: "وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ"⁶.

فقد لاحظنا أنه رأى أن الآية الأولى مطلقة ثم قيدها بما بعدها.

كما ذكر المؤلف أن الدعاء للوالدين بالرحمة والمغفرة مقيد بكونهما مسلمين في قوله سبحانه: "وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"⁷، فإن الدعاء بالرحمة للوالدين في هذه الآية مطلق وقد ذكر رحمه الله أنه

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 111/2.

² النور: 2.

³ أخرجه المسلم في كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى 1325/3.

⁴ سورة البقرة: 188.

⁵ سورة البقرة: 187.

⁶ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 196/1 - 197.

⁷ الإسراء 24.

مقيد بقول الله عز ذكره : "مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ"¹، فطلب الرحمة والدعاء لهما مأمور به لو كانا مسلمين غير مشركين².

كما قيد رحمه الله مطلق الوصية بالثلث لما فسر قوله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ³" وقال: "فرض عليكم إذا حضر أحدكم الموت وترك مالا أن يوصي ولكن لا يوصي بأكثر من الثلث وهذا واجب على المؤمنين"⁴. فقيد مطلق الوصية بالثلث الوارد في السنة، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : "جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي ، فقلت : إني قد بلغ بي الوجع ما ترى ، وأنا ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنة لي ، أفأتصدق بثلثي مالي ؟ قال : لا قلت : فالشطر يا رسول الله ؟ قال : لا قلت : فالثلث يا رسول الله ؟ قال : الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن تذر وراثتك أغنياء خیر من أن تذرهم عالة يتكفون الناس"⁵.

فالحدد الأعلى للوصية والصدقة في المرض هو الثلث، ولا حد لأقل الوصية إن نقصت من الثلث.

مثال تخصيص العام:

العام هو: "لفظ يستغرق جميع ما يصلح له بوضع واحد دفعة واحدة من غير حصر"⁶.

¹ التوبة: 113.

² تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 511/2 - 512.

³ سورة البقرة: 180.

⁴ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 184/1.

⁵ متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الوصايا باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكفوا

الناس 1006/3، رقمه (2591)، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث 1250/3،

رقمه 1628.

⁶ الإحكام في أصول الأحكام للامدي 287/2.

والخاص هو: "كل لفظ وضع لمعنى واحد على الانفراد".¹ ونقصد بتخصيص العام قصر العام على بعض مسمياته.

وقد ضرب المؤلف مثلاً لتخصيص العام في تفسير الآية: "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ"²، قد خصصت هذه الآية بقوله صلى الله عليه وسلم: "القاتل لا يرث"³. فالقاتل لا يرث⁴.

وقال في تفسير قوله سبحانه: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ"⁵، دل عموم الآية على وجوب إخراج الزكاة فيما يملكه المسلم، لكن هذا العموم خصص بقوله صلى الله عليه وسلم: "ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة"⁶. فلا يجب الزكاة في الخيل⁷ وقال في تفسير قوله تعالى: "لَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ"⁸، دل عموم الآية على تحريم قربان الحائض في أيام الحيض بجماع وغيره، ولكن هذا الحكم قد خصص لأن النبي عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يباشر امرأة من نسله أمرها فاتزرت وهي حائض⁹، فيجوز الاستمتاع بالحائض من فوق الإزار ولا يحرم¹⁰.

¹ الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 40/2.

² النساء: 11.

³ رواه الترمذي 425/4 برقم (2109)، وابن ماجه 913/2، برقم (2735)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه 348/2، رقمه (2157).

⁴ ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 97/2.

⁵ البقرة 43.

⁶ رواه مسلم 675/2 رقمه (972).

⁷ تفسير تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 185/1.

⁸ البقرة 43.

⁹ رواه البخاري 115/1، رقمه (2297)، ومسلم 243/1، رقمه (294).

¹⁰ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 453/1.

مثال توضيح المشكل والمختلف وما يوهم ظاهره التناقض:

من المعروف لدى علماء الدراسات القرآنية: "أن النظرة السريعة للقرآن الكريم غير المحيطة بعلوم القرآن، المعينة على بيانه وتفسيره قد توهم أحياناً أن هناك تعارضاً بين بعض الآيات، فقد تجد آيتين وردتا في موضوع واحد، غير أن كلاً منهما تحمل حكماً غير ما تحمله الأخرى، فتبدوان كأنهما متعارضتان، إلا أن المفسر يدرك أن هذا التعارض ظاهري فحسب، حيث لا تعارض حقيقي بين الآيات ولا بين النصوص الشرعية"¹.

والمشكل ما يوهم التعارض بين الآيات فهو لفظي يحتمل المعاني المتعددة ويكون المراد واحداً منها، ولا يعرف الباحث المراد منه إلا بدليل يميزه عن سائر ما أشكل². ومن أمثله قوله سبحانه: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ"⁽³⁾ الذي في ظاهره تعارض مع آيات أخرى مثل: "وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا"⁴ وقوله سبحانه: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ"⁽⁵⁾، وقوله: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ"⁶. قال الإسفراييني: "سنل عبد الله بن عباس عن هذا الإشكال والتعارض فقال: إن الله أنزل القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليلة القدر في شهر رمضان: و وضعه في بيت العزة، ثم أمر

¹ الاتقان في علوم القرآن للسيوطي 56/2.

² الإتقان في علوم القرآن للسيوطي 57/2، أصول السرخسي 1068/1

³البقرة: 185.

⁴الإسراء: 106.

⁵الدخان: 3.

⁶سورة القدر: 1.

جبريل أن ينزله على محمد نجما نجما في عشرين عاماً" وهذا ما قال الله عنه : ((فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ))⁽¹⁾ "وهكذا قام برفع ما ظاهره التعارض"².

أمثلة لبيانه الناسخ من المنسوخ عند وقوع التعارض:

والنسخ هو: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي³.

ومعرفة الناسخ والمنسوخ من الأمور المهمة في حياة المفسر، وعلى وجه الخصوص إذا وجد المفسر أدلة متعارضة لا يرفع التناقض بينهما إلا بعد معرفة الدليل السابق من اللاحق والناسخ من المنسوخ، ولهذا اهتم العلامة شاهفور الإسفراييني بالناسخ والمنسوخ، وإن كان متساهلاً حيث اعتبر معظم الآيات المتعلقة بالصبر، والصفا، والاعراض عن المشركين مما نسخته آية السيف، وآيات الجهاد، وهذه أمثلة ما ذكر :

نماذج مما اعتبره من المنسوخ بآية القتال، وآية السيف، وآيات الجهاد عموماً : قوله سبحانه : "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ"⁴، قال العلامة شاهفور بعد ترجمة الآية : "ثم نسخت هذه الآية بآية القتال"⁵.

وقوله تعالى: "مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ" وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا"⁶ قال المؤلف : "وهذا كان قبل نزول آية القتال"⁷.

¹ القيامة: 75.

² تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم 190/1 - 191.

³ مناهل العرفان للزرقاني 163/2.

⁴ يونس: 108.

⁵ تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم 105/3.

⁶ النساء: 8.

⁷ تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم 196/2.

وقوله عزوجل: "وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ"¹ قال شاهفور : " نسخت بقوله " : "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ" (2) (3)

وقوله تعالى : "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا" وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ"⁴، قال الإمام شاهفور : "ثم نسخ آية الاعراض هذه بآية السيف ، وهي قوله: "فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ"⁽⁵⁾ (6). وقوله تعالى: "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ"⁷، قال الإمام شاهفور بعد أن ذكر وجهاً مبنياً على عدم القول بالنسخ: "وقال الجماعة يقصد بقوله : (عَنِ الْجَاهِلِينَ) الإعراض عن قتالهم . وهذا منسوخ بآية السيف "⁸.

وقوله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ" حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ"⁹، قال شاهفور : "قال ابن عباس : "هذا الآية منسوخة بآية المواريث في سورة النساء ، عندما نزلت تلك الآيات قال النبي صلى

¹ النساء: 81.

² التوبة: 73.

³ تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم 512/2.

⁴ الأنعام: 107.

⁵ سورة التوبة: 5.

⁶ تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم ص 677.

⁷ الأعراف: 199.

⁸ تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم 400/2.

⁹ سورة البقرة: 180.

الله عليه وسلم في وسطها: ألا إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ، فلا وصية للوارث"¹.

مثال شرح غريب الألفاظ والأساليب:

أحياناً تحتوي الآية على ألفاظ غريبة، أو أساليب دقيقة، أو خفية من لغة العرب، فتحتاج إلى البيان والتفسير.

ولا شك أن الأولى أن يبين ذلك هو القرآن نفسه، فينبغي للمفسر أن يقرن النظر بالنظير، ويمثل الآية بأخرى ، حتى يزيل الغرابة فيتضح المعنى .

وهذه المسألة وإن كان يصدق عليها بعض صور الأمثلة السابقة، نكرتها بصفة مستقلة لأهميتها ، ولما لها من معنى خاص لا يشاركه فيه غيره.

وفيما يلي بعض النماذج من اهتمام شاهفور بشرح غريب ألفاظ القرآن وأساليبه بالقرآن نفسه:

قال في تفسير قوله: "فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ"⁽²⁾ "واو" هنا بمعنى "أو" كما في قوله : "قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بَوَاحِدَةٍ³ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا⁴ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ"⁽³⁾ (4).

ومنه تفسيره للفظ "الحق" الوارد في قوله تعالى: "قَالَ رَبِّ اخْكُم بِالْحَقِّ⁵ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ"⁵، ومنشأ الغرابة في الآية أن الطلب من النبي

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1/184، والحديث رواه أبو داود (2870) والترمذي (2120) والنسائي (4641) وابن ماجه (2713) والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود (2870).

² النساء: 3.

³ سبأ: 46.

⁴ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 4/459.

⁵ الأنبياء: 112.

صلى الله عليه وسلم ، ولا يتصور من جنابه أن يطلب من ربه أن يحكم بالحق لأن أحكام الله كلها حق ، فما المراد بالحق إذن؟ فسرره العلامة شاهفور بالعذاب استناداً إلى الآية الأخرى حكاية عن موسى عليه السلام : "رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ" (1) (2) وكان الفتح بينه وبين فرعون بإنزال العذاب على فرعون .

فهو رحمة الله أخذ بقانون الترجيح في هذا الموقف ورفع الإشكال ودفع التعارض، مع اعتماد الدليل دون مجرد الرأي.

المبحث الثاني: عنايته بفقهاء النوازل من خلال تفسيره لآيات الأحكام:

من مميزات التفسير الفقهي أنه يشتمل على الردود على التحديات المعاصرة في زمن مؤلفيها، وكان المفسر لآيات الأحكام تكون له وقفات عند المسائل التي تهم المسلم من أجل معالجة بعض النوازل الطارئة حديثاً في عصرهم، لأن فقه النوازل من الأبواب الضرورية التي تجيب عن أسئلة الناس وتبين لهم الحلال من الحرام في الوقائع التي تنزل بهم ولكل عصر نوازله الخاصة.

تعريف النوازل:

النوازل: "جمع نازلة والنازلة في اللغة: اسم فاعل من نزل ينزل إذا حل، وقد أصبح اسماً على الشدة من شدائد الدهر، ومن ذلك القنوات في النوازل، يعني الشدائد التي تحل بالمسلمين"³.

والنوازل اصطلاحاً: "عرفت بأنها الوقائع والمسائل المستجدة والحادثة المشهورة بلسان العصر"¹.

¹ سورة الأعراف: 89.

² ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 3/ 167-168.

³ ينظر: لسان العرب 11/ 656 - 659، والمصباح المنير للفيومي ص 601.

وعرفت أيضاً: "بأنها المسائل التي سئل عنها المشايخ المجتهدين في المذهب ولم يجدوا فيها نصاً، فأفتوا فيها تخريجاً"²، فهي الوقائع الجديدة التي تتطلب اجتهاداً وبيان حكم³، بما أن النوازل يتعلق بها ولا بد حكم شرعي.

حكم الاجتهاد في النوازل:

يرى العلماء أن "الاجتهاد في النوازل واجب على هذه الأمة، فهو من فروض الكفاية، وربما يتعين هذا الواجب على بعض المتهين للنظر في بعض النوازل؛ فيصير النظر في نازلة ما واجباً عينياً في حق هؤلاء"⁴.

وقد ذكر ابن عبد البر⁵ عن جمهور أهل العلم أنهم كانوا يكرهون استعمال الرأي في الوقائع قبل أن تنزل، وتفريع الكلام عليها قبل أن تقع ، وعدوا ذلك اشتغلاً بما لا ينفع"⁶.

¹ فقه النوازل قضايا فقهية معاصرة لبكر أبو زيد ص: 9، مؤسسة الرسالة 1407 هـ.

² فقه النوازل وفقه الواقع -مقاربة الضوابط والشروط لعبد المجيد قاسم ص 10 .

⁽³⁾ فقه النوازل لمحمد حسين الجيزاني 21/1 ، دار ابن الجوزي بالرياض .

⁴ ينظر : المجموع شرح المذهب 27/1 ، 45 .

⁵ هو العلامة يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر (368 - 463 هـ = 978 - 1071 م) من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، باحث. يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة. ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها، ثبناً، مُتقناً، علامة، مُتبحراً، صاحب سنة واتباع وولي قضاء لشبونة وشنترين. وتوفي بشاطبة. كان إماماً ديناً، ثقة، من مؤلفاته: الدرر في اختصار المغازي والسير ، والعقل والعقلاء، والاستيعاب في تراجم الصحابة، وجامع بيان العلم وفضله ، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والآسانيد، والاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار، ينظر ترجمته في: وفيات الأعيان 2/ 348، وسير أعلام النبلاء 157 / 18.

⁶ ينظر : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر 139/2 ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية 1414 هـ 1994 م، وإعلام الموقعين لابن قيم الجوزية 69/1، دار الكتب العلمية ، بيروت 1411 هـ 1991 م، وجامع العلوم والحكم لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي 240/1 - 252، دار المعرفة بيروت 1408 هـ وشرح الكوكب المنير لأبي البقاء حمد بن النجار الحنبلي 584/4 - 588، مكتبة العبيكان بالرياض، 1418 هـ 1997 م.

وقد ورد في ذلك ما أخرجه الدرامي في سننه عن وهب بن عمير أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : " لا تعجلوا بالبليّة قبل نزولها ، فإنكم إن لا تعجلوها قبل نزولها ، لا ينفك المسلمون ، و فيهم إذا هي نزلت من إذا قال وفق و سدد ، و إنكم إن تعجلوها تختلف بكم الأهواء ، فتأخذوا هكذا و هكذا ، و أشار بين يديه و على يمينه و عن شماله " ¹.

لذلك يؤكد العلماء أن من شروط المسألة التي يجتهد فيها أن تكون هذه من المسائل النازلة بالمسلمين، أما الأمور غير الواقعة فقد يكره النظر الاجتهادي فيها وقد يحرم أن يجتهد فيها. كما لا يجب النظر في المسائل التي تخص غير المسلمين وحدهم ولا علاقة للمسلمين بها ².

أهمية الاجتهاد في النوازل:

تظهر أهمية الاجتهاد في النوازل المعاصرة في النقاط التالية:

بيان صلاح هذه الشريعة لكل عصر و مصر وأن شريعتنا قد كفلت بتقديم الحلول الشرعية للمشكلات التي تواجه المسلمين.

إيقاظ أبناء الأمة وبيان خطورة القضايا والمسائل التي ابتلي بها جموع من إخوانهم في هذا الزمن.

وبشرح هذه النوازل ونشر أحكامها الشرعية بيان لسمو التشريع الإسلامي وإبراز لمحاسن هذه الشريعة ³.

مدارك الحكم على النوازل:

¹ مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) لأبي محمد عبد الله الدارمي 9/1، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1412 هـ.

² فقه النوازل لمحمد الجيزاني 34/1.

³ ينظر : فقه النوازل لمحمد الجيزاني 35/1

قال ابن السعدي¹: "جميع المسائل التي تحدث في كل وقت، وسواء حدثت أجناسها أو أفرادها يجب أن تتصور قبل كل شيء فإذا عُرِفَتْ حقيقتها، وشُخِصَتْ صفاتها، وتصورها الإنسان تصوراً تاماً بذاتها ومقدماتها ونتائجها طُبِّقَتْ على نصوص الشرع وأصوله الكلية؛ فإن الشرع يحل جميع المشكلات: مشكلات الجماعات والأفراد، ويحل المسائل الكلية أو الجزئية؛ يحلها حلاً مرضياً للعقول الصحيحة والفطر السليمة، ويشترط أن ينظر فيه البصير من جميع نواحيه وجوانبه الواقعية والشرعية"².

وانطلاقاً لهذه الأهمية الكبيرة لفقه النوازل وكونه يخدم تفسير آيات الأحكام قد اهتم العلامة الأسفراييني رحمه الله بهذا النوع من الفقه في كتاب تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم، حيث طلب بضبط ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية ووضع قواعد واضحة لها لأن الترجمة الحرفية ممكن في بعض الكلام دون بعض نظراً لعدم وجود مفردات متساوية في اللغتين الأصل والمترجم إليها، كما أن للقرآن الكريم نوعان من الدلالات والمعاني: دلالات أصلية على معان مطلقة، ودلالات ثانوية تابعة على معان مطلقة، ودلالات ثانوية تابعة على معان خادمة، والترجمة الحرفية للقرآن الكريم سواء للمعاني الأصلية أو التابعة هي أصعب لما يتمتع به القرآن الكريم من أسمى وأرقى درجات البلاغة مما يجعل الترجمة الحرفية لآياته الخالدة ضرباً من المستحيل كما قال المفسر الإسفراييني -رحمه الله- مشيراً إلى

¹ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، (1307 - 1376 هـ) عالم ومفسر سعودي ولد في القصيم بالمملكة العربية السعودية. مات والده ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، طلب العلم وجد فيه حفظ القرآن الكريم والمتون فاشتهر أمره وعلت منزلته وكثر تلاميذه، ترك عدة كتب نافعة، أكثرها في تفسير القرآن وعلومه، أبرزها تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، واختصر هذا التفسير بكتاب سماه تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، وكتبه قيمة محققة تخلو من الدخيل والغرائب، أسلوبها سهل ميسر، ينظر ترجمته في: علماء نجد خلال ثمانية قرون 3/218-273، لعبد الله بن عبد الرحمن آل بسام، مكتبة المعارف بالمدينة المنورة 1409 هـ.

² الفتاوى السعدية لأبي عبد الله عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي 190 - 191 مكتبة المعارف بالمدينة المنورة 1402 هـ.

الصعوبات التي يواجهها مفسر آيات الأحكام إلى اللغة الفارسية لكون أحكام ترجمة معاني القرآن الكريم من نوازل عصره قائلاً : "ألفاظ القرآن أشرف وأجمع من أن تتيسر ترجمة كل لفظ منها إلى ألفاظ وكلمات بالفارسية"¹.

إن مجرد هذه المحاولة ستؤدي إلى "الخلل في الترجمة حيث يختل نظمها في كثير من الأحوال وتظهر تراكمات لا وجود لها أصلاً في لغة الترجمة"².

وأما الترجمة المعنوية فأيضاً أمر دونه في غاية الصعوبة لأنه يتعذر فيها الوفاء بجميع المقاصد والمعاني القرآنية، كما أن الكلام المترجم في كثير من المواضع يحتمل وجهين وقد لا يفطن المترجم إلا لوجه لا يريده المتكلم وهذا يعد من أبرز أسباب وقوع التحريف في الكتب السابقة³.

وذهب بعض أهل العلم إلى القول بإمكانية ترجمة القرآن من حيث الدلالة الأولى التي لا تختلف باختلاف اللغات دون الدلالات الثانوية التي عليها مدار الإعجاز في القرآن⁴.

ولكن هذا القول ليس على إطلاقه، فقد يكون ذلك ممكناً في بعض الآيات القرآنية دون غيرها، كما أن "ترجمة المعاني الأصلية لا تخلو من فساد، فإن اللفظ الواحد في القرآن قد يكون له معنيان أو معان تحتملها الآية فيضع المترجم لفظاً يدل على معنى واحد حيث لا يجد لفظاً يشاكل اللفظ العربي في احتمال تلك المعاني المتعددة . وقد

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 3/1.

² المقدمة في قوانين الترجمة لولي الله الدهلوي ص: 1، من المخطوط.

³ ينظر في مقدمة قوانين الترجمة ص: 2 من المخطوط.

⁴ ينظر: الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي 105/2 - 107 ط دار ابن عفان الخبر 1417 هـ - 1997 م.

يستعمل القرآن اللفظ في معنى مجازي فيأتي المترجم بلفظ يرادف اللفظ العربي في معناه الحقيقي ، ولهذا ونحوه وقعت أخطاء كثيرة فيما تُرجم لمعاني القرآن¹.

أضف إلى ذلك أن الوقوف الكامل على هدايات القرآن الكريم ومقاصده لا يتحقق إلا من خلال الدلالات التابعة للقرآن، كما أن الإعجاز والتعبد بالتلاوة وهما من مقاصد القرآن لا يتحققان في الترجمة سواء أكانت للدلالات الأصلية أو التابعة، وكل ذلك يكفي لجعل ترجمة القرآن الكريم بالمعنى العرفي بنوعيه الحرفي والمعنوي أمراً مستحيلاً.

وبعد ثبوت استحالة ترجمة القرآن الكريم بالمعنى العرفي الذي لا بد فيه من تناول جميع مقاصد القرآن الكريم ومعانيه، وإزاء الحاجة الماسة إلى إبلاغ هدايات القرآن الكريم وتعاليمه إلى الناس كافة عرباً وعجماً لا بد من ترجمة معاني القرآن الكريم - وليست ترجمته المعنوية- إلى غير العربية².

و ترجمة معاني القرآن الكريم تعبير عما يحتويه القرآن من معان، ودلالات، وهدايات، بلغة غير العربية، يقوم به المترجم بعد فهمه للنص القرآني بلغته الأصلية وهي العربية ولا يشترط فيها الوفاء بجميع المقاصد القرآنية، ولا تسمى هذه المعاني وكذلك العبارات المؤدية لها قرآن لأن ترجمة معاني القرآن الكريم في هذه الحالة ليست إلا تفسيراً وبياناً موجزاً للقرآن بلغة أخرى غير العربية ولذلك حكمه حكم تفسير القرآن الكريم وهو الجواز المقابل للحظر، فيصدق بالوجوب وبالندب، وقد تضافرت الأدلة على ذلك في الكتاب والسنة ومنها قوله: "بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ³ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"³.

¹ مباحث في علوم القرآن لشيخنا مناع القطان ص: 326 ط مكتبة المعارف بالرياض 1417 هـ / 1996 م .

² ينظر : التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 20/1.

³ النحل: 44.

وقوله سبحانه: "وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ¹ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"² ومنها قول رسولنا الكريم: "بلغوا عني ولو آية"³.

والثابت في السنة أن النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام كانوا يفسرون كتاب الله ويبينون أحكامه وحكمه.

ولاشك أنه لا فرق في الحكم بين بيان معاني القرآن الكريم وتفسيره باللغة العربية وبين بيان معانيه وتفسيره بلغة أخرى غير العربية، لأن تفسير القرآن ليس إلا بياناً لمراد الله بقدر المستطاع ضمن نطاق العمل البشري وهذا سواء كان البيان باللغة العربية أو غيرها من اللغات، فإبلاغ الدعوة إلى الناس كافة عربهم وعجمهم من أوجب الواجبات و"ما لا يتم هذا الواجب إلا به فهو واجب" أيضاً وتأتي ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره بجميع اللغات ضمن هذه الواجبات. وجواز ترجمة معاني القرآن الكريم بالمفهوم الذي ذكرناه لا يختلف عليه أحد ويقول به حتى أشد معارضي ترجمة القرآن الكريم في العصر الحاضر وفيما يلي أذكر بعض الأقوال في هذا الصدد:

يقول الشيخ محمد بخيت المطيعي³: "وعلى كل حال فإيصال المعنى بطريق الترجمة مقطوع بجوازه كما قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ"⁴.

¹ النحل: 64.

² رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل 4/ 145، رقمه (3461).

³ هو الشيخ محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية سابقاً (1271 - 1354هـ) له مجموعة من المؤلفات، ينظر: الأعلام 6/ 50، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 98/9.

⁴ إبراهيم: 4.

ويقول الشيخ مصطفى صبري¹: "وكل كلامنا في الترجمة لا في التفسير، بل كلامنا في الترجمة التي يراد بها أن تقوم مقام الأصل. وكل ترجمة لا يدعى قيامها مقام الأصل، فتعتبر تفسيراً موجزة وتكون جائزة طبعاً"².

ويقول أيضاً: "وقد تبين مما سبق أن للقرآن خواصاً وأوصافاً عالية تأبين الترجمة وتوجب بقاء عربية، وكلامنا في الترجمة التي يراد بها تمثيل أصل القرآن، وإقامتها مقامه لا في ترجمة تقوم مقام تفسيره ويراد بها فهم معانيه"³.

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي: "أما ترجمة المعاني فلا مانع منها إذا قام به مسلمون ثقات مؤهلون لهذا العمل، متضلعون من لغة القرآن ومن فهم الإسلام ومن اللغة التي تنقل إليها المعاني"⁴.

ويتبين مما ذكر أن القائلين بمنع ترجمة القرآن لم يقصدوا بهذا المنع إلا منع الترجمة الحرفية لما فيها من فساد ومحظورات واستحالة وكونها مظنة أن يعدها البعض قرآناً، ولذلك جاء في البرهان: "ورأيت في كلام بعض الأئمة المتأخرين أن المنع من الترجمة مخصوص بالتلاوة، فأما الترجمة للعمل به فإن ذلك جائز للضرورة"⁵.

وأما الذين قالوا بجواز الترجمة فلا يقصدون جواز الترجمة الحرفية كما أنهم لا يقولون بكون الترجمة قرآناً، فهذا العلامة شاهفور الأسفراييني الذي يرى وجوب

¹ هو الشيخ مصطفى صبري عابدين الحنفي التركي شيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقاً (1286 - 1373 هـ) فقيه متكلم، قاوم الحركة الكمالية وله العديد من المؤلفات. ينظر: الأعلام 236/7 ومعجم المؤلفين 258/12.

² مسألة ترجمة القرآن تأليف الشيخ مصطفى صبري ص: 81 ط المطبعة السلفية بالقاهرة 1351 هـ.

³ مسألة ترجمة القرآن ص: 93.

⁴ الهيئة العالمية للقرآن الكريم ضرورة الدعوة والتبليغ تأليف الدكتور حسن المعاييرجي، مقدمة الدكتور القرضاوي للكتاب ص 9، الدوحة 1999 بدون دار نشر.

⁵ البرهان في علوم القرآن للزركشي 466/1 ط المكتبة العصرية - بيروت.

ترجمة معاني كتاب الله إلى غير العربية¹، وقد قام بها فعلاً وألف تفسيره باللغة الفارسية يؤكد في الوقت نفسه على استحالة الترجمة الحرفية قائلاً: "ألفاظ القرآن الكريم أشرف وأجمع من أن تتيسر ترجمة كل لفظ منها إلى لفظ آخر بالفارسية"²، كما أنه يجزم بأن الترجمة لا تعد قرآناً فيقول: "وغالت طائفة من العلماء وقالوا إن ترجمة القرآن قرآن، وهذا قول بعيد عن الحقيقة لأن نظم القرآن معجز، ونظم الترجمة ليس بمعجز... ولو كانت ترجمة القرآن قرآناً كان يجب أن تكون ترجمة الشعر شعراً.. وبما أن هذا محال ذلك أولى أن يكون محالاً"³.

وأما الإمام ولي الله الدهلوي فيقول في هذا الصدد: ((إن القرآن الكريم نزل باللغة العربية، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يتكلم بهذه اللغة، فلا يستقيم أمر الأمة بدون معرفة اللغة العربية ولذلك يعد تعلم اللغة العربية من الواجب الكفائي على الأمة وهو مندوب ومسنون لكل مسلم.. ولذلك لم يجيزوا تلاوة القرآن، وذكر الله عز وجل، وخطب الجمعة بالفارسية))⁴.

ونعرف مما سبق أن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى غير العربية جائزة شرعاً وذلك لإبلاغ هدايات القرآن الكريم إلى الناس كافة، علماً بأن هذه الترجمة لا تعد قرآناً، ولا تقوم مقامها على أية حال وإنما هي بمثابة تفسير موجز للقرآن الكريم.

ومما ابتكر وبرع فيه الأسفراييني من مباحث متعلقة بعلم القرآن مبحث ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره إلى غير العربية، تناول الأسفراييني هذا المبحث بحديث مستفيض رصين واستدل على وجوب ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره

¹ ينظر : تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1 / 3.

² تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1 / 4.

³ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1 / 4.

⁴ المقدمة في قوانين الترجمة (فارسي) ص: 2 من المخطوط.

بغير العربية بالنقل والعقل، وقد كان الإسفراييني صاحب قصب السبق في هذا المضمار.

ولاشك أن ما كتبه الأسفراييني عن مبحث ترجمة معاني القرآن الكريم ، ليعتبر من الميزات الخاصة التي امتاز بها تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم من بين سائر التفاسير سواء كانت بالعربية أو الفارسية أو غيرهما.

والإسفراييني من العلماء المتقدمين الذين يرون ((عدم كتابة شيء من غير القرآن في المصاحف إلا أن يكون مختلفة عن القرآن إما بلون أو هيئة لكي لا يلتبس الأمر على شخص فيظن أنه من القرآن. ولهذا السبب يكتبون تراجم السور، والعواشر، وعلامات السجدة، والأسباع، والأجزاء في المصاحف بلون آخر.

وأما الذي يكتب تفسيراً للقرآن بالعربية أو الفارسية ولا يميز تفسيره بخط [غير خط المصحف] ¹، فيجوز لأن الكل يعرف أنه جمع في الكتاب القرآن وغيره فلا يقع في اللبس الذي ذكرناه)) ².

وإنما يكون أول الألسنة لسان قوم الرسول، لأنهم أقرب إليه، فيرسل الرسول أولاً إليهم ليبين لهم فيفقهوا عنه ما يدعوهم إليه ، ثم تنوب التراجم في كل أمة من الأمم دعوته مقام الأصل ويكفي التطويل ويؤمن اللبس والتخليط ويوجب للمفسرين الثواب الجزيل في التعلم والتعليم والإرشاد والاجتهاد ³.

والحاجة ظهرت إلى تفسير القرآن الكريم بغير العربية تأكيداً على عالمية القرآن الكريم والدين الإسلامي وشمول الرسالة المحمدية واستجابة لضرورة تعرف شعوب العالم قاطبة على تعاليم القرآن الكريم وأحكامه بشتى اللغات وسيلة نقل تلك التعاليم

¹ الجملة الواقعة بين المعكوفتين من الباحث.

² تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 2/1 - 4.

³ ينظر: غرائب القرآن ورجائب الفرقان لنظام الدين القمي 106/13، شركة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1384هـ.

والأحكام هي الترجمة، والترجمة التفسيرية ليست كغيرها من الأعمال بل لا بد لها من قواعد وضوابط، ومن هنا عدّ العلامة الإسفراييني وضع ضوابط شرعية لترجمة معاني القرآن من النوازل وذلك لتوقف تبليغ عقائد المسلمين وعبادتهم عليها من غير الناطقين بالعربية¹.

وهكذا نجد العلامة الإسفراييني قد اهتم بفقه نوازل عصره من خلال تفسيره تاج التراجم، وكان - رحمه الله - يعتقد وجوب ترجمة معاني القرآن الكريم إلى غير العربية في بعض الحالات حيث يقول : ((وقد رأوا وجوبها في بعض الأحوال ، فقد قال كثير من علماء الدين من أهل السنة والجماعة أن من لا يستطيع قراءة فاتحة الكتاب وتعلمها ، عليه تعلم ترجمة الفاتحة ليصلي بها لأن قراءة الترجمة أولى من التسبيح))². ومن أسلم ولا يعرف العربية ولا يحفظ ولا يقرأ الفاتحة بالعربية ويحاول أن يتعلم وإلى حين أن يتعلم يرى الإمام أبو حنيفة رحمه الله أنه يصح في هذه الحالة القراءة بغير العربية ، وقيد صاحبا أبو يوسف ومحمد -رحمهما الله- الجواز بالعاجز عن العربية جاء في كتب الفقه الحنفي : ((وأما القراءة بالفارسية : فجائزة في قول أبي حنيفة وقال أبو يوسف ومحمد لا تجوز إذا كان يحسن العربية لأن القرآن اسم لمنظوم عربي" لقوله سبحانه: ((إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا))³ وقال سبحانه : ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا))⁴ ، والمراد نظمه"⁵.

¹ ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 3 / 1 - 4.

² تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 3 / 1 - 4.

³ الزخرف: 3.

⁴ يوسف: 2.

⁵ تبين الحقائق شرح كنز الدقائق لجمال الدين الزيلعي 110/1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

ويرى جمهور العلماء وجوب القراءة في الصلاة بالعربية وأن القراءة في الصلاة لا تصح إلا بالعربية. لما ورد في الحديث الصحيح: ((إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر من القرآن))¹.

ولا تصح قراءة القرآن بغير العربية، لأن القرآن لو ترجم لم يكن قرآناً، بل هو تفسير للقرآن ، وقالوا : ((ولا تجزئه القراءة بغير العربية ، ولا إبدال لفظها بلفظ عربي ، سواء أحسن القراءة بغير العربية أو لم يحسن))².

وجوب تعلم العربية لمن كان لا يعلم:

فإن كان لا يعلم العربية يجب عليه أن يتعلم، وإن لم يتعلم مع المقدرة لا تصح صلاته بغير العربية ، كما أنه إذا لم يستطع التعلم أو كان يخشى أن يفوته الوقت وكان بإمكانه حفظ آية من الفاتحة كررها سبع مرات³.

وأما التكبير والتسبيح والتشهد ، فيجب تعلم ذلك وأداؤه بالعربية ، فإن لم يقدر على ذلك أتى بلغته عند جمهور الفقهاء⁴.

وما يتعلق بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام يرى العلامة الأسفراييني -رحمه الله- أنه لو دعا إمام المسلمين طائفة من غير المسلمين إلى الإسلام وطلب هؤلاء عرض القرآن الكريم عليهم وتوفير تفسيره لهم وقالوا إذا كان القرآن صادقاً وصحيحاً يوافق كتابنا ويصدقه نقبل الإسلام ، تجب ترجمته وإرسالها إليهم⁵.

¹ رواه البخاري (757) ومسلم (397).

² المغني لابن قدامة 350/1، مكتبة القاهرة .

³ ينظر المغني لابن قدامة 351/1 .

⁴ ينظر : المغني لابن القدامة 352 /1 .

⁵ ينظر : تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 3/1 - 4 .

فالإسفراييني رحمه الله يرى أن ترجمة معاني القرآن الكريم فرض كفاية، وتتحول إلى فرض عين في حالات خاصة ، ويؤكد أنه لا يمنع ترجمة معاني القرآن الكريم إلى سائر اللغات إلا شخص غافل عن أصول الشريعة ، أو ملحد لا يريد ظهور الدين واهتداء كل شخص إليه ليبقى متمكناً من إلهاده ويغوي ضعفاء أهل الديانة¹، "يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"².

المبحث الثالث: خصائص ومميزات تفسير الأسفراييني:

لم تنحصر جهود مؤلف تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم في مجال الترجمة المختصرة لمعاني القرآن الكريم، بل استنبط الأحكام الفقهية، وقدم للمكتبة التفسيرية باللغة الفارسية ما يدخل في نطاق الإبداع والابتكار مثل حديثه عن أسباب اختلاف المفسرين، وتناوله ما يحتاجه المفسر عند تفسيره لكتاب الله عز وجل، أضاف إلى ذلك أنه يمكن التعرف على القيمة العلمية لأي مؤلف أو كتاب من خلال المعيارين التاليين :

مدى تقدير أهل العلم للمؤلف والكتاب والثناء عليهما بالنظر إلى مكانة المؤلف العلمية في العلم وما يحتويه الكتاب من مادة علمية نافعة.

مدى تأثير الكتاب على المجتمع والأجيال القادمة وخاصة العلماء وطلاب العلم والرجوع إليه كمصدر أو مرجع علمي يستفاد منه في التدريس والتأليف.

وبناء على المعيارين المذكورين سنحاول تقويم تاج التراجم في تفسير القرآن الكريم للأعاجم

أولاً: ثناء العلماء على مفسر تاج التراجم وتفسيره:

¹ ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 40/1.

² التوبة : 32 .

تحدث كثير من أهل العلم قديماً وحديثاً عن الكتاب ومؤلفه، ونكروا تفسير تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم بالخير وأثنوا عليه مما يدل على أهمية هذا التفسير وقيمته العلمية وتقدير العلماء لجهود الأسفراييني والمكانة العلمية التي يتبوؤها.

وغني عن القول بأن ثناء العلماء على تاج التراجم ومؤلفه لا يعني خلو هذا الكتاب من هفوات ومآخذ ، كما لا يفهم منه تبرئة مؤلفه من الأخطاء والزلات التي وقع فيها .

وفيما يلي نذكر بعض ما سطره أهل العلم في الثناء على تاج التراجم ومؤلفه:

ترجم عبد الغافر الفارسي في السياق التاريخي لنيسابور للأسفراييني واصفاً إياه بالإمام الكامل والجامع البارع وتفسيره بـ ((الكبير المشهور)) فقال : ((شاهفور بن طاهر بن محمد الأسفراييني أبو المظفر الإمام الكامل ، الفقيه الأصولي المفسر ، جامع بارع ، صنف التفسير الكبير المشهور، وصنف في الأصول، وسافر في طلب العلم وحصل الكثير))¹.

وجاء في طبقات الشافعية للأسنوي: ((شاهفور بن طاهر بن محمد الأسفراييني، الإمام الكامل الفقيه الأصولي المفسر . صنف ((التفسير الكبير المشهور))².

وقد أبدى القاضي أبو بكر بن العربي إعجابه بكتاب ((التبصير في الدين)) للأسفراييني ووصف المؤلف بـ ((الشيخ الإمام أبو المظفر شاهفور...))³، كما ترجم

¹المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص 252 - 253.

² طبقات الشافعية للأسنوي 97/1.

³ عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي لأبي بن العربي 79/10، دار الكتب العلمية بيروت، 2011م.

له ابن عساكر في تبیین كذب المفتری فیما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ووصفه بقوله: ((الإمام الكامل، الفقيه، الأصولي، المفسر))¹.

وقال الداودي في ترجمة الإسفراييني: ((الإمام الكامل، الفقيه الأصولي المفسر، جامع بارع))².

وقال عن تفسيره تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم ومكانته العلمية: ((صنف التفسير الكبير المشهور، وصنف في الأصول، وسافر في طلب العلم، وحصل الكثير، وارتبط بنظام الملك بطوس فأقام بها سنين، ودرس بها سنين، ودرس بها في العلوم، وأفاد الكثير واستفاد الناس منه))³.

وترجم للأسفراييني أحمد بن محمد الأدنه وي قائلًا: "شاهفور بن محمد الأسفراييني الإمام العالم الفاضل، كان متوطنًا في بلاد العجم... صنف تاج التراجم في تفسير القرآن العظيم باللغة الفارسية"⁴.

وقال الدكتور فضل الهادي وزين أستاذ الدراسات القرآنية المشارك في جامعة سلام بكابول: ((تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم عنوان التفسير الكبير والمشهور الذي ألفه العلامة شاهفور بن طاهر الأسفراييني، وهو أقدم وأهم التفاسير الفارسية، ويعد أقدم تفسير كامل موجود للقرآن الكريم باللغة الفارسية بين أيدينا لمؤلف معروف))⁵.

وأهم ما يتميز به تفسير تاج التراجم ما يلي:

¹ تبیین كذب المفتری فیما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لعلي بن الحسن ابن عساكر ص: 267، القدس، دمشق 1992م.

² طبقات المفسرين للداودي 212/1.

³ طبقات المفسرين للداودي 212/1.

⁴ طبقات المفسرين للأدنه ص: 419.

⁵ التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 147/1 - 148.

لا شك أن تفسير تاج التراجم يعد جسراً موصلاً بين الشعوب المسلمة الناطقة بالفارسية وبين القرآن الكريم، ومن خلاله وعلى مدى القرون تمكن الناطقون بالفارسية من الوصول لمعاني القرآن الكريم ، والارتواء من معين الوحي الصافي ، والتعرف على أحكام القرآن المجيد وحكمه فاستفادوا منها في دينهم ودنياهم وسيبقون ينهلون من هذا المنهل العذب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . فهو تفسير قيم وكنز من كنوز المعارف القرآنية ومصدر مهم من المصادر التفسيرية باللغة الفارسية ، كما استفاد منه العشرات من المؤلفين قديماً وحديثاً ومثال ذلك اعتماد التفليسي عليه عند تأليفه قائلاً : ((أردت أن أولف كتاباً كاملاً ومفيداً في وجوه القرآن ، ما جاء في تفسير الثعلبي ، تفسير السور أبادي ، وتفسير النقاش ، وتفسير شهنور على وجه الاختصار))¹.

كما تميز عن غيره من التفاسير الفارسية بكونه لم يقتصر على تفسير آيات الأحكام فقط ، أو شرح الجوانب الفقهية ، بل ضم إلى كل ذلك ما يتعلق بالآيات من الفوائد العلمية ، حيث شهد الباحثون بكثرة الفوائد والاستنباطات والدرر المودعة في تاج التراجم .

تميز مؤلف تاج التراجم بوضوح المنهج في تفسيره، والدقة والسلاسة ، فكتابه ليست ترجمة حرفية لمعاني القرآن الكريم بل تفسير كامل لمعاني الآيات وشرح واضح لكل ما يتعلق بالآيات القرآنية .

كما اهتم مؤلف تاج التراجم بالتفسير المأثور اهتماماً بالغاً فيفسر الآيات القرآنية بالآيات والأحاديث و آثار الصحابة رضي الله عنهم وأقوال التابعين رحمهم الله، فهو جمع بين المأثور الصحيح والمعقول الصريح ، كما كانت أحداث السيرة النبوية مصدراً آخر من مصادر تفسيره .

¹ وجوه القرآن للتفليسي ص: 1 .

كما تصدى المؤلف رحمه الله في تفسيره لأباطيل الفرق الضالة التي دأبت على بيان معاني القرآن الكريم وتفسيره من خلال عقائدهم الباطلة وحسب أهوائهم كما أبطل شبهات الملحدين في عصره ، فبحكم براعته في علم الكلام ومعاصرته للصراع الحاد بين المذاهب والفرق ، خاصة في بلده نيسابور والذي كان ساحة للصراعات الشديدة بين الفرق الكلامية ، قد رد أيضاً على فرقة المعتزلة التي كانت تمثل خطورة على عقيدة المسلمين نظراً لانتشارها الملفت بالإضافة إلى القدرة الجدلية التي تمتع بها بعض رؤوسها وكانت سبباً في إغواء فئات من عامة الناس ، لذلك نجد الأسفراييني رحمه الله يستغل كل فرصة في تفسيره لمناقشة ردود المعتزلة والرد عليها، ومن أمثلة ردود الأسفراييني الكثيرة على المعتزلة ومناقشته لهم مسألة رؤية الله سبحانه وتعالى في تفسيره قوله عز وجل : ((وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي))¹، فبعدما يستشهد الأسفراييني بالآية على جواز رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة وكون موسى عليه السلام سيرى ربه مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم في الآخرة، يورد الآية الكريمة : ((وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ))²، استدلالاً على صحة مذهب أهل السنة ومن ثم يبين مذهب المعتزلة وتمسكهم بالآية في نفي الرؤية لينتقل بعد ذلك إلى إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى ودحض رأي المعتزلة قائلًا : ((وفي هذه الآية التي قال فيها (لن تراني)) خمسة أدلة على جواز رؤية الله عز وجل:

أولها: أن موسى عليه السلام طلب الرؤية ولو كانت الرؤية محالة لما طلبها، لأنه لا يجوز لمؤمن أو نبي أن يطلب من الله عز وجل ما لا يجوز أو محال.

¹الأعراف: 143.

²القيامة: 22.

ثانيها: قال: لن تراني ولو لم تكن الرؤية جائزة لقال: لن يراني، كما أنه لو كان لدى شخص سيفاً وطلبه منه شخص آخر ليقطع به شيئاً وقال له صاحب السيف : لن تقطع، لكان ذلك دليلاً على أن السيف قاطع ولكن الشخص الذي طلبه ممنوع من القطع به في ذاك الوقت فلو كان السيف لا يقطع لقال له : لن يقطع ، وكان ذلك دليلاً على أن السيف غير قاطع .

ثالثها: قال عز وجل: ((فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوَفَ تَـرَآنِي)) وعلق الرؤية على شرط يجوز وقوعه، فعلمنا أن رؤيته جائزة ولو كانت مستحيلة لعلقها على شرط محال مثلما لم يرد دخول الكفار إلى الجنة فعلقه على شرط محال وقال : ((حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ))¹.

رابعها: ((قال: "فسوف تراني" ولم يقل: تراني فعلمنا أن الرؤية التي عقلت على شرط استقرار الجبل كانت الرؤية في الحال وليست أصل الرؤية بالجملة، وهذا دليل ظاهر على أن الرؤية جائزة بالجملة))².

وفي رده على اعتقاد المعتزلة بأن أفعال الله سبحانه وتعالى كلها حسنة وأنه تعالى لا يفعل الشر وأن كل قبيح من فعل العباد، يقول الأسفراييني في معرض تفسيره لقوله تعالى : ((إِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا))³ : ((قالت المعتزلة : أن الخير من الله عز وجل والشر من عندنا كما قال المنافقون، وكما قال ورا⁴، أن الخير من (يزدان))¹، والشر من (أهرمن)²، وكما قال الثنوية أن الخير

¹ الأعراف : 40 . ونص الآية كاملة : (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) .

² تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم ، 429/1 - 430 .

³ النساء : 78 .

⁴ كوران : بفتح الكاف الفارسي وسكون الواو : المجوس . ينظر : المعجم الفارسي الكبير 2512/3 .

من النور والشر من الظلمة. ردّ الله عز وجل على الجميع وقال للنبي صلى الله عليه وسلم : ((وَقُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ)) وعاب عليهم جهلهم لهذه الدرجة فقال : ((فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا)).

ويعيب الأسفراييني على المعتزلة عقيدتهم بأن أفعال العباد حادثة من جهتهم ويعتبر ذلك خرقاً لإجماع المسلمين، فيقول في أثناء تفسير قوله سبحانه وتعالى: ((فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ))³، وفي هذه الآية أظهر دليل على أن الله سبحانه وتعالى يخلق هداية العبد وضلالته، خلافاً للمعتزلة الذين يقولون بأن العبد يخلق لنفسه هذه الصفات. وقد خالفت المعتزلة بذلك إجماع المسلمين لأن جميع المسلمين قالوا: لا خالق إلا الله كما قالوا: ((لا إله إلا الله، وجاءت المعتزلة واثبتوا مائة ألف خالق بخلاف قول المسلمين في الأعصار الماضية))⁴.

ونتهي الحديث عن موقف الأسفراييني في تفسيره تاج التراجم من قضايا العقيدة والفرق بإيراد نموذج لرده على الشيعة والقدريّة، وهو ما جاء في تفسير قوله تعالى : ((وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا))⁵، قال الإسفراييني: ((وفي هذه الآية دليل على أنه لا واسطة بين نبي وصدّيق، وجملة الأمة قالوا لأبي بكر - رضي الله عنه - الصديق، مثلما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الرسول، فكما لا يجوز أن تكون الأمة ظالمة في قول، لا يجوز أن تكون ظالمة في آخر فوجب أن لا تكون واسطة بين

¹ كلمة فارسية معناها : الرب .

² كلمة فارسية معناها : الشيطان .

³ الأنعام: 125.

⁴ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 398/7.

⁵ النساء: 69.

درجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه - وبين درجة المصطفى صلى الله عليه وسلم خلافاً لقول الرافضة .

واعلم أن في هذه الآية دليل على أن نعمة الله سبحانه وتعالى على هذه الطائفة فضله ابتداء ولم يستحقوا ذلك بطاعتهم خلافاً لقول القدرية، ألا ترى أن الله عز وجل قال: ((ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ)) وقد ظهر في هذه الآية بطلان قول الروافض في باب الإمامة كما ظهر بطلان قول القدرية في باب الحكمة والعدل¹.

كما كان مهتماً بمباحث علوم القرآن مثل أسباب النزول، والمطلق والمقيد والخاص والعام والمنطوق والمفهوم، والسياق القرآني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم المتشابه ورجح بأن الراشدين في العلم يعلمون تأويل المتشابه، حيث أن المحكم المبين والذي لا يحتاج إلى التأويل والمتشابه هو ما خفي ويحتاج إلى التأويل².

هذا ومما يؤخذ على الأسفراييني في تفسيره تاج التراجم إكثاره من ذكر وإيراد الإسرائيليات دون تعقيب أو رد وإليك أمثلة من ذلك:

في تفسيره لقوله تعالى: ((قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...))³، أورد الإسفراييني بالتفصيل القصة الإسرائيلية التي تتحدث عن خداع إبليس لأدم وحواء وأكلهما من الشجرة الممنوعة والذي أدى إلى طردهما من الجنة⁴.

وفي معرض تفسيره لقوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً))⁵، ذكر الأسفراييني القصة الإسرائيلية المعروفة التي تتحدث عن الرجل القاتل

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 245/1.

² ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 223/1.

³ سورة البقرة: 36.

⁴ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 35/1 - 37.

⁵ سورة البقرة: 67.

في بني إسرائيل ودقائق مواصفات البقرة التي أمروا بذبحها¹، وقد عنون مؤلف تاج التراجم لها ب((القصة)) ثم أوردتها بطولها وتفصيلها².

ومن الاسرائيليات المرفوضة شرعاً وعقلاً قصة الملكين هاروت وماروت³، وقد أوردتها الأسفراييني في تفسير قوله تعالى : ((وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ)) (4) (5).

وأطول قصة إسرائيلية اطلعت عليها في تاج التراجم هي حكاية التابوت التي قيل إن فيها صور الأنبياء وقصة طالوت وجالوت⁶، فقد ذكرها الأسفراييني بتفصيل واسهاب احتل (14) صفحة من الكتاب، وذلك أثناء تفسير قوله تعالى : ((أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ

¹ وردت القصة في العديد من كتب التفسير منها: جامع البيان 379/1 ، والدر المنثور لجلال الدين السيوطي 148/1 - 150 وعلق عليها ابن كثير قائلاً : ((وهذه السياقات عن عبدة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف ، الظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل وهي مما يجوز نقلها لكن لا نصدق ولا نكتب فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا والله أعلم)) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 110/1 ط دار المعرفة بيروت 1402 هـ .

² تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 49 / 1 - 50.

³ القصة المذكورة في جامع البيان 501/1 - 504 ، والدر المنثور 185/1 - 193 ، وقد عقب ابن كثير على القصة بقوله : ((وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا اطناب فيها)) تفسير القرآن العظيم 141/1 . وينظر : الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد أبو شهبه ص: 159 وما بعدها . وقد حكم الألباني رحمه الله- على القصة بالبطلان . ينظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 314/2.

⁴ سورة البقرة : 102 .

⁵ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 61/1 - 63 .

⁶ وردت القصتان في جامع البيان 611/2 وما بعدها ، والدر المنثور 557/1 وما بعدها .

ولا شك أن القصتين من الاسرائيليات التي اختلط فيها الصدق والكذب والحق والباطل ، ولا يتوقف تفسير الايات عليهما . ينظر : الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص: 170 و 177 .

الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدَ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) (1) (2).

ومن الاسرائيليات واضحة البطلان الشعر المنسوب إلى آدم عليه السلام وحواء - رضي الله عنها -³، وقد أورده الأسفراييني في معرض تفسيره لقوله تعالى : ((وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا)) (4) (5).

مصادر الإسفراييني في تاج التراجم:

رجع الاسفراييني كأي مؤلف آخر في تأليف تفسيره إلى المصادر العلمية المتوفرة بين يديه ، وهو وإن كان لا يذكر أسماء الكتب التي نقل منها الأقوال، إلا أنه صرح بأسماء أصحاب هذه الأقوال وعزا كل قول إلى صاحبه.

وإذا استثنينا بضعة أسماء في الفقه والسيرة⁶، نجد أن أغلب ما تبقى من مصادر الأسفراييني كان في باب التفسير فقط. فقد نقل عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما -⁷، ومجاهد⁸، وعكرمة¹، وقتادة²، والحسن البصري³، والضحاك⁴، وأبي

¹ سورة البقرة : الآيات 246 - 251 .

² تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 129/2 - 135 .

³ ذكر الطبري الشعر الإسرائيلي المنسوب إلى آدم عليه السلام في 4/ 530 - 531 ، وذكره السيوطي في الدر المنثور 2/ 489 - 490 ، وابن كثير في تفسيره 2/ 46 ولم يعقب عليه . والظاهر أن هذه الأبيات المنسوبة إلى آدم عليه السلام من الإسرائيليات الدخيلة في التفسير وقد نص على ذلك بعض أهل العلم من المفسرين والمحدثين . ينظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص: 182 - 184 .

⁴ المائدة : 27 .

⁵ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1/ 303.

⁶ مثل الإمام الشافعي ، والإمام أبي حنيفة في الفقه ، ومحمد بن إسحاق، ينظر : تاج التراجم 1/ 163، و 59/1.

⁷ نقل الأسفراييني كثيرًا جدًا في تفسيره .

⁸ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1/ 216.

العالية⁵، ووهب بنمنبه⁶، وجعفر بن محمد الصادق⁷، ومقاتل بن حيان⁸، وكعب الأحبار⁹، وعطاء¹⁰، والسدي¹¹.

وسفيان الثوري¹²، وعبد الله بن المبارك¹³، والحسين بن الفضل¹⁴، ومحمد بن سيرين¹⁵، والجنيد¹⁶، وابن جرير الطبري¹⁷، وفضيل بن عياض¹⁸، والزجاج¹⁹، وأبي عبيدة²⁰، والفراء¹.

-
- 1 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 484/1.
 - 2 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 23/1.
 - 3 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 11/1.
 - 4 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 23/1.
 - 5 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 35/1.
 - 6 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 18/1.
 - 7 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 15/1.
 - 8 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 192/2.
 - 9 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 18/2.
 - 10 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 204/1.
 - 11 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 216/2.
 - 12 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 485/3.
 - 13 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 16/1.
 - 14 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 20/2.
 - 15 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 491/2.
 - 16 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 24/1.
 - 17 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 140/1.
 - 18 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 24/1.
 - 19 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 584/2.
 - 20 تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 19/2.

ورغم كثرة الأحاديث الموجودة في تاج التراجم وحتمية رجوع مؤلفه إلى المصادر الحديثية إلا أنني لم أقف على أي ذكر لكتاب في الحديث فالأسفراييني يكتفي بعزو الحديث إلى الصحابي الذي رواه ، أو يقول: وفي الحديث، أو في الأخبار، أو مثلهما لدى إيراد حديث لا يذكر تخريجه². ولذلك أرى أن تفسير تاج التراجم بحاجة لتحقيق علمي وتخريجه أحاديثه وتمييز صحيحه من سقيميه والحكم عليها.

وما ذكرته عن إيراده للإسرائيليات بدون رد أو عدم ذكر مصادره الحديثية لا يقلل من قيمته العلمية فهو من أهم وأبرز التفاسير المتداولة بين طلاب العلم باللغة الفارسية.

المبحث الرابع : عدم تحويله تفسيره إلى كتاب خلافات فقهية واحتفاظه بخصائصه التفسيرية :

من المعروف أن كتب ((التفسير الفقهي)) أو ((الأحكام)) تعد المجال الذي برزت فيه المذهبية الفقهية ، بحكم تنوع اتجاهات التفسير وتعددتها تبعاً لاختلاف المفسرين وأهدافهم وأغراضهم وميولهم الفقهية ، وكان الصدر الأول من الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين -رحمهم الله- بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم الأئمة المجتهدين ينظرون في آيات الأحكام ، واشتهر كل واحد منهم بطريقة خاصة لا تخرج عن ((المنهج الجامع)) لفهم النصوص والذي استنبطت أصوله العلمية من هدي النبوة³.

وبعد عصر الاجتهاد وجد من أئمة الأمة وعلمائها من اقتفى طريقة أحد الأئمة الأعلام ثم لم يلبث الأمر أن تحول إلى مذهبية وسعى بعض هؤلاء العلماء من

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 584/2 .

² ينظر : تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 28/1 ، 29 ، 53 ، 71/2 ، 93 ، 111 .

³ ينظر: الاتقان للسيوطي 181/2، والتحرير والتنوير لابن عاشور 26/1.

استخراج دعامات اجتهاد كل واحد من الأئمة الذين صارت آراؤهم واجتهاداتهم وطريقتهم في الاستنباط تتبع¹.

وبحكم اختلاف طرق الاستنباط وجد خلاف بين أئمة الاجتهاد في الفروع ، وهذا الخلاف يمكن فهمه ، وإدراك علته إذا رجعنا إلى أسباب اختلاف الفقهاء . وقد تطور الاختلاف في الفروع بعد عصر الإنمة إلى انتقاله إلى التفاسير عامة وإلى التفسير الفقهي بشكل خاص ودرج المفسرون على الاهتمام بفقہ آيات الأحكام ولم يخل عملهم من تضمين التفسير آراء مذاهبهم في الفروع الاجتهادية مع مناقشة مذاهب مخالفيهم مع نصيب من الردود في الخلافات حتى نظر إلى بعض كتب التفسير الفقهي أنه شبيه بأهمات كتب الفقه ، وذلك بتوسع مؤلفيها في الحجاج والنقاش ، ومع مرور الزمن أضحي تفسير آيات الأحكام يجمع في ثنياه درراً على مدى ما بلغه مؤلفو تفاسير آيات الأحكام في مجال التفريع والاستنباط².

وكان شاهفور الأسفراييني يحمل سمات شخصية المفسر الفقيه الذي يتتبع الآثار يحتج بها ويعرض لخلاف الأئمة ، ويتوسع في بسط الحكم المستنبط ثم يرجح ما يراه مناسباً ، كما تظهر ميزته في ترجيح القول المشهور في مذهب الإمام الشافعي ، ويظهر إلتزام العلامة الأسفراييني بالمذهب الشافعي من خلال أمرين :

الأمر الأول : ترجيحه باختياره لهذا المذهب فنجده يقول : وبهذا قال الإمام الشافعي - رحمه الله- أو المشهور من المذهب هكذا .

الأمر الثاني : نجد في تفسير آيات الأحكام اهتمامه بمسائل الخلاف داخل المذهب مع ذكر لأقوال فقهاء المذهب الحنفي أيضاً في بعض الأحيان وليس دائماً .

¹ ينظر : الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي 119/4 .

² ينظر : الاتجاهات في التفسير للرومي 346/2 - 347.

وهكذا نجده يتعامل مع الخلاف الفقهي وفق مقتضى الحال والاكتفاء في كثير من المواضع بذكر الحكم الفقهي المستنبط من الآية وفقاً للمذهب الشافعي دون التعرض إلى بقية المذاهب ، مراعاة لجانب الإيجاز والاختصار وأحياناً يذكر المذهب الحنفي ويكتفي بمخاطبة العامة على قدر عقولهم وهذه طريقة حسنة حتى لا يتحول تفسيره إلى كتاب خلافات فقهية تحجب الجانب التفسيري ، ومن أمثلة تجنبه للدخول في الخلاف والنقاش الطويل ما جاء في تفسير البسمللة : ((واعلم أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من أول كل سورة كتبت في بدايتها ، كما أنها آية من فاتحة الكتاب ويجب قراءتها جهرأً مع بقية آيات الفاتحة في كل ركعة من الصلاة هذا هو مذهب الشافعية . ويجب قراءتها جهرأً كما تقرأ الفاتحة))¹.

كما أنه أشار للخلاف بين الشافعية والأحناف حول مدة الحيض عند تفسيره لقوله تعالى : "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ" قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ"²، دون ذكر بقية المذاهب³.

كما أنه رحمه الله يقوم بالإحالة لكتب الفقه للوقوف على تفاصيل المسائل الخلافية، ومثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"⁴. فقد بين الأسفراييني رحمه الله شروط وجوب الحج، وأهم الأحكام المتعلقة بمناسك الحج دون التطرق إلى الخلاف وأحال القارئ إلى كتب الفقه دون تحديد كتاب معين للوقوف على تفاصيل المسائل الخلافية⁵.

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 19/1.

² سورة البقرة: 222.

³ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 166/1.

⁴ ال عمران: 97.

⁵ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 191/1.

فالعلامة الأسفراييني رحمه الله يتميز تفسيره بأنه مع استيفائه الأحكام الفقهية المستفادة من آيات الأحكام كان حريصاً على دعوة الناس إلى الاهتداء بهدي القرآن والعمل به بدلاً من الاستغراق في الجوانب الخلافية، فهدفه الأول هو تبليغ أحكام الله كما قال رحمه الله في سبب تأليفه: "إن الحاجة ماسة لتأليف تفسير بالفارسية، لأن عدد العجم أكثر من العرب، ولا شك في وجوب تبليغ أحكام الله إلى هؤلاء الذين لا يعرفون العربية ولا يمكن ذلك إلا من خلال ترجمة أحكام القرآن لهم"¹.

وأرى من واجبي كطالب العلم أن أشيد بالأدب الجم الذي تميز به العلامة شاهفور الأسفراييني في التعامل مع المسائل الفقهية ومخالفه في الرأي من المذاهب الأخرى فقد تجنب استخدام الألفاظ الجارحة في حق مخالفه من أتباع المذاهب الفقهية الأخرى ودأب رحمه الله على ذكر أئمة المذاهب وعلمائها بالخير والترحم عليهم كما يقتضي ذلك أدب النقاش العلمي والتعامل مع العلماء.

والسبب الآخر هو أن العلامة الأسفراييني رحمه الله كان مهتماً بالأدلة وربط الفقه بالدليل وكان يختار ويرجح ما وافق الدليل من القرآن والسنة وآثار الصحابة رضي الله عنهم من غير أن يدفعه التزامه بالمذهب الشافعي إلى القول ببطالان المذاهب الأخرى والتحامل عليهم، ولهذا رأى أن ربط الفقه والأحكام بالأدلة يغني عن التوسع في الخلافات أو تحويل تفسيره إلى كتاب فقه مقارن².

المبحث الخامس: فوائد ترجمة آيات الأحكام إلى الفارسية من منظور الأسفراييني وأنها من مستلزمات الرسالة النبوية وعالميتها:

قد خصص الأسفراييني الفصل الأول من مقدمة تفسيره تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم لأحكام ترجمة معاني القرآن الكريم وأهميتها للشعوب المسلمة غير الناطقين بالعربية، وقد أكد فيه وجوب ترجمة معاني القرآن الكريم إلى غير العربية، مع

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 3 - 6 .

² هذا ما توصلت إليه من خلال قراءتي لتفسير تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم.

التنويه على استحالة الترجمة الحرفية لأن : ((ألفاظ القرآن الكريم أشرف وأجمع أن تتيسر كل لفظ منها إلى لفظ آخر بالفارسية))¹.

كما اعتبر العلامة الأسفراييني ترجمة معاني القرآن الكريم إلى سائر اللغات من مقتضيات الرسالة النبوية ، وشمول الإسلام ، وعالميته ، لأن واجب الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة عربهم وعجمهم و إنذارهم بالقرآن الكريم يستلزم إيصال معاني القرآن الكريم إليهم وهذا لا يمكن بالنسبة لغير العرب إلا عبر الترجمة ، وإن الرسول صلى الله عليه وسلم ينذر بالوحي العرب وكل من يبلغ إليه القرآن الكريم من الخلق ، قال تعالى : ((وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ))²، وقال سبحانه : ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ))³. وقال أيضاً : ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ))⁴. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير هذا المعنى : ((بعثت إلى الأحمر والأسود))⁵، ولا يمكن إنذار العجم وإبلاغهم بالعربية، فلا بد من ترجمة القرآن الكريم إلى لغة أخرى سيحصل ترغيب وترهيب أهل تلك اللغة⁶.

وقد نقل العلامة الأسفراييني رحمه الله إجماع علماء الأمة على مشروعية تفسير القرآن الكريم بالفارسية وعده من فروض الكفاية قائلاً : ((أجمع أول هذه الأمة وآخرها على بيان تفسير القرآن الكريم بالفارسية في المجالس، وعلى المنابر ، وفي

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 4/1.

² الأنعام: 19.

³ السبا: 28.

⁴ الأنبياء: 107.

⁵ متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجداً 93/1 ومسلم في كتاب المساجد 370/1 - 371.

⁶ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 3/1.

مجامع الخواص والعوام من أهل الدين ، ولم يبيحوا لأحد إنكار ذلك لأن الجميع يرونه من فروض الكفاية¹.

ويرى رحمه الله أن ترجمة معاني القرآن الكريم إذا كانت فرض كفاية في نفس الأمر، لكنها تتحول إلى فرض عين في بعض الحالات بناء على القاعدة: ((ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فمن لا يستطيع قراءة الفاتحة في الصلاة بالعربية عليه تعلم ترجمة معاني سورة الفاتحة باللغة التي يعرفها ليصلي بها لكون قراءة الترجمة أولى من التسبيح، وكذلك إذا كانت دخول مجموعة محددة من غير المسلمين إلى الإسلام موقوفة على معرفتهم بما في القرآن بلغتهم، فيجب حينئذٍ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى تلك اللغة².

كما يرى أن من يمنع ترجمة معاني القرآن فهو من مانعي الدعوة الإسلامية إما أن يكون جاهلاً بأصول الشريعة ومقاصد هذا الدين، أو ملحداً معانداً لا يريد ظهور وانتشار الإسلام³.

وبالرغم من تحمسه الشديد لترجمة معاني القرآن الكريم إلى غير العربية إلا أنه لا يعتبر الترجمة قرآناً ، ويتهم القائلين بذلك بالغلو والبعد عن الحقيقة موضحاً : ((أن طائفة من العلماء بالغوا وقالوا أن ترجمة القرآن قرآن، وهذا القول بعيد عن الحقيقة ، لأن نظم القرآن معجز، ونظم الترجمة ليس بمعجز . . . ولو كانت ترجمة القرآن قرآناً كان يجب أن تكون ترجمة الشعر شعراً . . . وبما أن هذا محال وذلك أولى أن لا يكون محالاً))⁴. فنجدته يختار الوسطية في مسألة ترجمة معاني القرآن الكريم.

فوائد ترجمة معاني القرآن الكريم من منظور الإسفراييني:

¹ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 3/1.

² ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 4/1.

³ ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 4/1.

⁴ تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 4/1 .

نكر الأسفراييني رحمه الله عددا من الفوائد لترجمة معاني القرآن الكريم على النحو الآتي:

تحقق شمولية رسالة الإسلام وعالميتها، وتحقق عالمية رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

إقامة الحجة على الذين لا يعرفون اللغة العربية، فمن خلال ترجمة معاني القرآن الكريم يمكن تبليغ أحكام الشريعة إليهم جملة وتفصيلاً.

تحقق واجب الإنذار وتبليغ توحيد الله تعالى ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناطقين بغير العربية.

أن ترجمة معاني القرآن الكريم من أهم وسائل الدعوة الإسلامية لمخاطبة الناطقين بغير العربية.

تفسير القرآن الكريم إلى غير العربية من أنجح أسباب انتشار الإسلام ودخول الكثيرين في دين الله أفواجا.

ترجمة معاني القرآن الكريم في حقيقة الأمر ماهي إلا إيصال التعاليم القرآنية إلى غير الناطقين بالعربية لتأكيد عالمية الدين الإسلامي وشمولية الرسالة المحمدية.

من الطبيعي أن يولي المفسر ترجمة معاني القرآن الكريم اهتماماً خاصاً انطلاقاً من اهتمامه ورعايته للأصل وهو القرآن الكريم نفسه وانسجاماً مع قيامه بالدعوة في بيئة الناطقين بغير العربية.

تماشياً مع قناعة العلامة الأسفراييني رحمه الله بأن خير وسيلة لفهم كتاب الله تعالى وشرعه الحنيف ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره حيث تمكن الناطقين إلى غير العربية من الوقوف على الهدايات القرآنية بصورة مباشرة فتساهم بذلك في الحفاظ على دينهم وعقيدتهم.

أن تفسير القرآن الكريم تحمي الشعوب الناطقة باللغة الفارسية من عواصف تيارات الانحراف كالاعتزال والرفض والإلحاد¹.

فلا يتصور نشر الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة في البلدان الناطقة بغير العربية بمنأى عن القرآن الكريم الذي هو أساس الإسلام في كافة أبعاده وجوانبه فقد كان القرآن الكريم في طليعة ما حمله المسلمون الفاتحون إلى بلاد فارس وخراسان من عقيدة ورسالة ومنهج حياة، فدخل القرآن الكريم إلى المناطق المفتوحة مع الفاتحين محفوظاً في الصدور مدوناً في المصاحف.

ولا شك أن الشعوب الناطقة باللغة الفارسية سمعوا آيات القرآن الكريم منذ دخول المسلمين إلى بلادهم، وكان من البديهي أن يستثير القرآن انتباه هؤلاء الشعوب ، واهتمامهم بفهم ما تحويه هذه الآيات من معان، ومبادئ وأحكام ومن ثم يحاولون الوصول إلى فهم هذه الآيات الكريمة من خلال التفسير والشرح بواسطة من يعرف العربية والفارسية².

وكذلك الحال بالنسبة للذين دخلوا في دين الله أفواجاً من الناطقين بالفارسية، فقد أوجب الإسلام عليهم أداء خمس صلوات في اليوم والليلة ، وتقتضى الصلاة قراءة القرآن ، ولا غرابة بعد ذلك أن يسعى هؤلاء لفهم معاني ما يقرؤونه في الصلاة ، الأمر الذي يتطلب الاستفسار والاستيضاح لمعاني الآيات القرآنية بلغتهم الفارسية ومن هنا نقول بأن هذه هي فائدة ترجمة معاني القرآن الكريم حيث أن الحاجة إلى تفسير القرآن الكريم كانت موجودة بالحاح منذ صدر الإسلام ، ولهذا قام العلامة الأسفراييني بهذا الواجب وكان من أحد أعلام هذا الميدان ورائداً من رواده وشيخاً من شيوخه ويرجع فضل مجالس وحلقات التفسير باللغة الفارسية إليه وإلى أمثاله من

¹ ينظر: تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم 1/ 3 - 5.

² ينظر: التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 1/ 57 - 58.

مفسري الأمة باللغة الفارسية فهي مازالت خير وسيلة للتدبر في آيات الذكر الحكيم والوصول إلى مقاصدها ومراميها¹.

ولا شك أن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الفارسية وغيرها من اللغات أمر ضروري ومطلوب ومفيد وفيه مصلحة واضحة، وعلى كل مسلم أن يعرف معاني القرآن الكريم بلغته، فهذه الترجمة تعد من محاسن الدين الإسلامي لأنها وسيلة تبليغ لألفاظ القرآن الكريم، والمترجمون يكتب لهم أجر قيامهم بهذا الواجب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))²،

في هذا الحديث يُخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أفضل المسلمين وأرفعهم نكراً وأعلامهم عند الله درجة من تعلم القرآن؛ تلاوة وحفظاً وترتيلًا، وتعلمه؛ فقهًا وتفسيرًا، وترجمة لمعانيه التي هي من مستلزمات التفسير لغير الناطقين بالعربية، فأصبح عالمًا بمعانيه، فقيهاً في أحكامه، وعلم غيره ما عنده من علوم القرآن مع عمله به، وإلا كان القرآن حجة عليه.

فخير الناس من جمع بين هذه الأوصاف؛ من تعلم القرآن وعلم القرآن، تعلمه من غيره وعلمه غيره وقام بترجمة معانيه لمن لا يعرف العربية.

فتبينه وتقريبه إليهم يقتضي إزالة كل ما يحول دون فهمه، وأن الله تعالى إذا أوجب على العباد شيئاً واحتاج أداء الواجب إلى تعلم شيء من العلم كان تعلمه واجباً، فإذا كان معرفة العبد لما أمره الله به تتوقف على أن يعرف معنى كلام تكلم به بغير لغته وهو قادر على تعلم معنى تلك الألفاظ التي ليست بلغته أو على معرفة ترجمتها بلغته وجب عليه تعلم ذلك³.

¹ ينظر: التفاسير باللغة الفارسية وإتجاهاتها 1/59

² أخرجه البخاري برقم (5027).

³ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية 1/213.

لذا فإن ترجمة معاني القرآن الكريم من الروافد المهمة في الدعوة إلى الله وتأتي مشروعية ذلك منذ ظهور الإسلام نفسه ، فالقرآن الكريم إنما نزل ليعمل به ، والعمل به ترجمة له وبيان لمعناه ، ولذا فإن من الممكن أن يقال : إن ترجمة معاني القرآن الكريم تنقسم إلى قسمين : ترجمة حسية ، و ترجمة معنوية ، وكلاهما مكمل للآخر فالترجمة الحسية ترجمة معاني ألفاظه إلى غير لغته ، والترجمة المعنوية نقل معانيه بالعمل بها ، وقد دخل في الإسلام أعداد كبيرة من غير المسلمين بما رأوه من تعامل المسلمين بهدي القرآن وتعاليمه والمسلمون في شرق آسيا مثال واضح على ذلك¹.

كما أن تمكين المشركين من القرآن الكريم منهي عنه بخلاف ترجمة معانيه، وجاءت النصوص في النهي عن تمكين غير المسلمين من القرآن الكريم فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو²، وقال صلى الله عليه وسلم : ((لا تسافروا بالقرآن فإني لا آمن أن يناله العدو))³، وعلة النهي خشية تعرضه للتمزيق والإهانة⁴.

قال العلماء: "يجوز وضع الكتب المشتملة على الآيات القرآنية والتفاسير بين أيدي غير المسلمين ووضعها أمامهم وإعارتها لهم ليطلعوا عليها وهذا التصرف نوع من أنواع البلاغ والدعوة إلى الله وفاعله مأجور إن أخلص في ذلك"⁵.

¹ ينظر : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ بن باز 373/6. الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

² رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب كراهية السفر بالمصحف إلى أرض العدو، رقمه (2990).

³ رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم رقمه (1869).

⁴ ينظر مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز 373/6.

⁵ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية 75/2، دار المؤيد للنشر والتوزيع الرياض 2010م.

كما أن ترجمة معاني القرآن الكريم وسيلة مهمة إلى التعريف بالإسلام وللقرآن الكريم تأثير عظيم في النفوس وقد أنزله الله تعالى مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم¹.

مواجهة أعداء الإسلام الذين يسعون إلى ترجمة كتب دياناتهم المحرفة في كل أنحاء العالم ولاسيما النصارى، حيث قاموا بترجمة الإنجيل إلى لغات عديدة، وهذا يؤكد أهمية نشر القرآن الكريم وتعاليمه لأنه الحق الذي لا ريب فيه تنزيل من حكيم حميد².

فترجمة معاني القرآن الكريم مفتاح الدعوة الإسلامية، وهي من الحلول الرئيسية لمعالجة مشكلة اللغة، حيث يتعذر إيصال الدعوة لجميع فئات المدعوين المختلفين في الألسنة واللغات واللهجات، ولذلك فالترجمة سبيل لإيصال الدعوة وتبليغها لغير المسلمين، يقول علي سلطان (فرنسا): العامل الرئيس في اعتناقي للإسلام القرآن الكريم، وإني مدين للكتاب الذي ألفه مالك بن نبي واسمه ((الظاهرة القرآنية)) ومثله د. هان ماركوس (ألمانيا) ووليم بيكارد (بريطانيا) ويذكر محمد شريف (سيريلانكا) - وكان قسيساً- أن قراءة سورة الفاتحة والبقرة كانت سبباً رئيساً في إسلامه³.

كما أن الداعية البريطاني يوسف إسلام (كات ستيفين) قدم له أحد الدعاة ترجمة لمعاني القرآن الكريم فتأثر بها كثيراً وأعلن إسلامه⁴.

ولا يزال خصوم الدعوة الإسلامية منذ عصر الرسالة وحتى يومنا هذا يسعون بكل ما يستطيعون ليصرفوا الناس عن الانتفاع بالقرآن الكريم وفهم معانيه وقراءة

¹ ينظر: دور ترجمة معاني القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام للدكتور إبراهيم اللحيان ص (1-12). بحث مقدم في ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل عام 1422هـ.

² ينظر: دور ترجمة معاني القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ص: 20.

³ ينظر: لماذا أسلمنا، ترجمة حازم عوض ص 81، 94، 99، 102، 218، 219، 226، الناشر وكالة الصحافة الفرنسية 2017م.

⁴ دور ترجمة معاني القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين ص: 23.

ترجمته والتأثر بها ، قال الله تعالى : "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ"¹ وهذا ما نبّه عليه العلامة الأسفراييني رحمه الله حين قال : "أنّ هؤلاء الذين يمنعون ترجمة معاني القرآن الكريم ليسوا إلا واحداً من إثنين : إما غافل بأصول الشريعة ، أو ملحد معاند لا يريد ظهور الدين ودخول الناس فيه"².

فهو رحمه الله كان هدفه من تأليف تفسيره تبليغ رسالة الإسلام كما أكد ذلك قائلاً: "إن الحاجة ماسة لتأليف تفسير بالفارسية، لأن عدد العجم أكثر من العرب ولا شك في وجوب تبليغ أحكام الله إلى هؤلاء الناس الذين لا يعرفون العربية ولا يمكن ذلك إلا من خلال ترجمة أحكام القرآن لهم"³.

¹ فصلت: 26.

² تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم 4/1.

³ تاج التراجع في تفسير القرآن للأعاجم 6/1.

الباب الثالث

الاتجاه الفقهي في التفاسير باللغة الفارسية في القرن السادس الهجري

الفصل الأول: الاتجاه الفقهي في تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار للمبيدي (سنة 520هـ) المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وبالكتاب

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف:

هو رشيد الدين أبو الفضل أحمد بن أبي سعد بن لأحمد بن مهر يزد المبيدي اليزدي أحد العلماء المفسرين في القرن السادس الهجري¹.

لا تقدم المصادر المتوفرة بين أيدينا شيئاً عن تفاصيل حياة المبيدي اليزدي من ميلاد، ونشأة، ورحلات، وأساتذة، وتلاميذ، ووفاء، وكل ما لدينا حول مؤلف كشف الأسرار وعدة الأبرار من معلومات مؤكدة أنه كان حياً في سنة 520هـ، وقد بدأ فيها بتأليف تفسيره².

وبما أن تأليف تفسير كبير بحجم "كشف الأسرار وعدة الأبرار" لا بد أن يكون قد استغرق عدة سنوات، ويمكن الاستنتاج بأن المبيدي عاش بعد سنة 520هـ أعواماً أخرى ليكمل كتابه، ويشير المبيدي في أماكن متعددة من كشف الأسرار أن تأليف تفسيره جاء بعد مرور بضع وخمسمائة سنة من إقامة دولة الإسلام، أو وفاة النبي

¹ ينظر: مقدمة المجلد السابع لتفسير كشف الأسرار بقلم علي أصغر حكمت. وينظر: مجلة ((يغما)) (الفارسية) الإيرانية العدد 7 ص 312 سنة 1430هـ ش، (1960م) والعدد 4 ص 190 سنة 1346هـ ش (1966م).

² ينظر: كشف الأسرار وعدة الأبرار 1/ 11، مؤسسة انتشارات أمير كبير طهران 1361هـ ش.

صلى الله عليه وسلم¹، وهذه الإشارات تؤكد بدورها أن المييدي كان يعيش في النصف الأول من القرن السادس الهجري².

وكذلك من القليل الذي نعرفه عن مؤلف كشف الأسرار وعدة الأبرار أنه كان من منطقة مييد³ الواقعة في يزد⁴. ويؤكد هذه النسبة بعض الكتب التي جاء فيها ذكر الكتاب والمؤلف⁵، كما تؤكد مخطوطات كشف الأسرار⁶، وبعض الفهارس الخاصة بالمخطوطات⁷، بالإضافة إلى عثور بعض الباحثين⁸ على قطعة حجر تعبر في مييد بمنطقة يزد كتب عليها: ((موفق الدين أبي سعد بن أحمد بن مهر بن يزد المتوفى سنة 570هـ)) وثمة احتمال راجح أن صاحب القبر هو أخ المؤلف⁹.

¹ ينظر: كشف الأسرار وعدة الأبرار 1/ 95، و 3/ 93، و 9/ 14.

² ينظر: التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 2/ 411.

³ مييد أو مييد بفتح الميم وسكون الياء وضم الباء الموحدة وذال المعجمة بلدة من نواحي أصبهان وقيل إنها من نواحي يزد وبين مييد ومدينة يزد عشرة فراسخ. ينظر معجم البلدان للحموي 5/ 240-241.

⁴ بفتح أوله، وسكون ثانيه، ودال مهملة مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز وأصفهان، بينها وبين شيراز سبعون فرسخاً.

ينظر: معجم البلدان 5/ 435.

⁵ ينظر مثلاً: تفسير أسرار الفاتحة لمعين الدين الفراهي ص 13، و 75، و 530.

⁶ ينظر: مقدمة علي أصغر حكمت في المجلد السابع من كشف الأسرار صفحة: ب فقد ذكر اسم المؤلف ونسبه ونسبته كما ورد في بعض النسخ المخطوطة للكتاب.

⁷ ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط 2/ 902، ط مؤسسة آل البيت عمان، الأردن 1989م، ومعجم الدراسات القرآنية تأليف د. ابتسام مرهون الصغار ص: 187، طبع الكتاب بمساعدة جامعة بغداد، العراق 1984م، وفهرست نسخهاي خطي فارسي كتابخانه كنج بخش اسلام آباد (فارسي) 54/1، وفهرست كتابهاي خطي فارسي (فهرس المخطوطات الفارسية) 55/1.

⁸ هو الباحث الإيراني إيرج أفشار وقد ذكر ذلك في مقاله ((احتمالي در باب مؤلف كشف أسرار)) (فارسي) في مجلة يغمما العدد 7 ص 312 سنة 1340 هـ ش.

⁹ ينظر: فهرست تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار (فارسي) إعداد الدكتور محمد جواد شريعت ص: 9، ط مؤسسة انتشارات أمير كبير طهران 1363 هـ ش.

هذا ولا نعرف شيئاً عن بقية مؤلفات المييدي غير ما ذكره بنفسه عن وجود كتاب له باسم ((الأربعين))¹، يبدو أنه في الحديث، ورسالة أخرى في تفسير سورة يس ركز فيها على استنباط العبر والتذكير²، ولا يعرف شيئاً عن مصير الكتابين الآن. ومن المحتمل أن يكون للمييدي كتاباً في الوجوه والنظائر ويفهم ذلك من قوله في بيان استعمال حرف ((إلا)) في القرآن حيث قال: و ((إلا)) بهذا المعنى كثيرة في القرآن وستبين هذه المعاني في الوجوه والنظائر³.

وثمة احتمال راجح أن يكون المييدي من تلاميذ شيخ الإسلام عبدالله الأنصاري الهروي، ويظهر ذلك من تأثر المييدي الشديد بالأنصاري في كشف الأسرار وعدة الأبرار والذي هو في الأصل مبني على تفسير شيخ الإسلام وشرح له⁴، كما أن أقوال شيخ الإسلام وآراءه في مختلف المسائل تكوّن جزءاً كبيراً من كشف الأسرار فلا تكاد تمر عدة صفحات من كشف الأسرار إلا وتتضمن قولاً أو استدلالاً تفسيرياً أو رأياً لشيخ الإسلام الأنصاري⁵.

ولعل تضمن كشف الأسرار لتفسير شيخ الإسلام الهروي لكون الأول شرحاً للثاني، وكثرة نقل المييدي لأقوال شيخ الإسلام الأنصاري، وتأثره الشديد به، بالإضافة إلى تشابه الآراء والأفكار، وتقارب الأسلوب بين مؤلفات الأنصاري وكشف الأسرار

¹ ينظر كشف الأسرار 219/5.

² ينظر: كشف الأسرار 243/8.

³ كشف الأسرار 632/2.

⁴ ينظر: كشف الأسرار 1/1.

⁵ ينظر التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 85/2.

وعدة الأبرار هو السبب في نسبة كشف الأسرار وعدة الأبرار إلى شيخ الإسلام الأنصاري في بعض الكتب المعاصرة¹.

وذهب بعض الباحثين إلى رأي وسط في الموضوع ورأى أن يكون المييدي قد جمع مادة تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار من خلال دروس شيخ الإسلام ومجالسه في التفسير والتي كان قائمًا عليها لعشرات السنين في مدينة هراة التي تقع حاليًا في أفغانستان، ثم رتبها المييدي وأخرجها في صورة كتاب كبير²، وهذا أسلوب علمي متعارف عليه بين العلماء وطلاب العلم إلى يومنا هذا.

ويعتقد أن ما ذكره المييدي في مقدمة كشف الأسرار بأن كتابه شرح وبسط لتفسير شيخ الإسلام الأنصاري الذي وجدته في غاية الإيجاز³، يقطع دابر الشك حول نسبة الكتاب إلى الأنصاري ويقدم تفسيرًا وتوجيهًا لجميع الأسباب المؤدية إلى هذا الاحتمال، لأن كشف الأسرار إذا كان شرحًا لتفسير الهروي ومبنيًا عليه فمن الطبيعي أن يتضمن أقوال الهروي وآراءه من تفسير وغيره من الأحكام والفوائد، ومن ثم يكون هناك تقارب في الأفكار والآراء والأسلوب بين الأصل والشرح أضف إلى ذلك نسبة الكتاب إلى المييدي في بعض المراجع المتقدمة مثل تفسير أسرار الفاتحة لمعين الدين الفراهي، وما جاء في ثنايا كشف الأسرار من نقل المؤلف لأقوال شيخ الإسلام الأنصاري والثناء عليه بالإضافة إلى عدم ذكر عنوان الكتاب في أي مصدر قديم ضمن مؤلفات

¹ ومن الذين وقعوا في هذا الخطأ: د. سعيد عبد المجيد الأفغاني في كتابه شيخ الإسلام الأنصاري ص: 100، وعبد الرحمن عبد العزيز الشبل في قسم الدراسة من تحقيقه لكتاب ذو الكلام للشيخ الأنصاري 134/1 ط مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة 1416 هـ - 1995 هـ.

² ينظر: مقدمة الدكتور محمد سرور مولاني على طبقات الصوفية لشيخ الإسلام الأنصاري الهروي (فارسي) ص: 23 - 24، ط انتشارات توس - إيران 1362 هـ ش.

³ ينظر: كشف الأسرار وعدة الأبرار 1/1 .

الأنصاري رغم شهرة مؤلفاته ، كل ذلك يؤكد نفي نسبة تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار إلى شيخ الإسلام الأنصاري¹.

بما أن مؤلف تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار تأثر بالشيخ عبد الله الأنصاري الهروي وأرى من المفيد أن نذكر نبذة عن حياة شيخ الإسلام الأنصاري رحمه الله.

ترجمة المفسر الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي²:

نشأ عبد الله الأنصاري في هراة في كنف والدين محبين للعلم وبدأ الدراسة والتعلم منذ كان عمره أربع سنوات³ ، وسمع الحديث بهراة من يحيى عمار السجزي⁴ ، وأخذ منه علم التفسير، ومن أبي منصور الأزدي⁵ ، وأبي الفضل الجارودي الحافظ⁶، وأخذ منه علم الحديث وغيرهم . وسمع في نيسابور من أبي سعيد

¹ ينظر: التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 86/2.

² ينظر: طبقات المفسرين للداودي 24/1 -، والمنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص: 284 - 285، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص: 137-138، المنتظم 44-45، وسير أعلام النبلاء 503 / 18 - 518، والبداية والنهاية 12 / 135، وطبقات المفسرين للسيوطي ص: 25.

³ ينظر : مناجات خواجه عبدا الله أنصاري (فارسي) ص: 4 - 5 هـ تعليق وتحشية على أصغر بشير ط كابل ، أفغانستان 1355 هـ ش ونفحات الأنس من حضرات القدس لعبد الرحمن الجامي ص 332 (فارسي) تصحيح مهدي توحيدي بور ط انتشارات كتابفروشي محمودي تهران 1338 هـ ش .

⁴ هو يحيى بن عمار بن يحيى الشيباني السجستاني أبو زكريا، شيخ سجستان، ونزيل هراة، إمام محدث، رأس في التفسير مات بهراة سنة 422 هـ وله تسعون سنة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 17 / 350، والعبر في خبر من غير لشمس الدين الذهبي، ويليه ذيل العبر ت: زغلول 20 / 245، دار الكتب العلمية بيروت، 2006م.

⁵ هو محمد بن محمد بن عبد الله الأزدي الهروي أبو منصور العلامة، المحدث، القاضي كان رأس الشافعية في عصره بهراة ومسند البلد جمع بين الفقه والحديث وتولى قضاء هراء ثلاثين سنة توفي بها 420 هـ وقد قارب التسعين . ينظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء 17 / 274 ، والعبر للذهبي 2 / 218، وطبقات الشافعية للسبكي 3 / 81 .

⁶ هو محمد بن أحمد بن محمد الجارودي الهروي أبو الفضل شيخ هراة في عصره ، إمام ثقة ، حافظ ، متقن توفي سنة 413 هـ . انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء 17 / 386 والعبر 2 / 225

الصيرفي¹، كما سمع من الإمام أبي يعقوب القراب²، وسمع في طوس وبسطام من خلق يطول ذكرهم، وصحب الشيوخ، وتأدب بهم وخرج الأمالي والفوائد والكثيرة لنفسه ولغيره من شيوخ الرواة وأملي الحديث سنين³.

وصفه عبد الغافر الفارسي بقوله: "كان إماماً كاملاً في التفسير، حسن السيرة في التصوف، على حظ تام من معرفة العربية، والحديث، والتواريخ، والأنساب. قائماً بنصر السنة والدين من غير مداينة ولا مراقبة لسلطان ولا غيره، وقد تعرض بسبب ذلك إلى إهلاكه مراراً فكفاه الله شرهم"⁴.

قضى شيخ الإسلام الأنصاري عمره في التدريس، والتذكير، والإرشاد وقد تخرج عليه خلق كثير منهم عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي والهروي أبي الوقت⁵، وعبد الجليل ابن منصور بن إسماعيل الهروي الفامي⁶، وغيرهم. توفي شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي في شهر ذي الحجة من سنة 481هـ في هراة ودفن في قرية ((كازركاه))⁷.

¹ هو محمد بن مسو بن الفضل الصير في النيسابوري أبو سعيد شيخ ثقة مأمون، مات سنة 412هـ وقد تجاوز تسعين سنة. انظر ترجمته في سير الأعلام 350/17، والعبر 2/245.

² هو إسحاق بن إبراهيم بن محمد السرخسي ثم الهروي أبو يعقوب القراب محدث هراة بل محدث خراسان، إمام جليل وحافظ كبير، له مؤلفات كثيرة، كان مرجعاً في العلل والجرح والتعديل مات سنة 429هـ. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 570/17 وتذكرة الحفاظ 1100/3.

³ الذيل على طبقات الحنابلة 51/1.

⁴ طبقات المفسرين للداودي 249/1.

⁵ هو عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي الهروي أبو الوقت، الشيخ المحدث، المتصوف الزاهد، انتهى إليه العلو في الإسناد، خدم شيخ الإسلام الأنصاري نحو عشرين سنة توفي سنة 553هـ ببغداد. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 303/20 والعبر 20/3.

⁶ هو عبد الجليل بن منصور بن إسماعيل الهروي الفامي أبو محمد مسند هراة شيخ جليل عدل من أهل الخير والصدق توفي سنة 562هـ. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 415/20، والعبر 37/3.

⁷ ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة 67/1.

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب:

تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار تفسير كبير وموسوعي جامع للقرآن الكريم باللغة الفارسية يبدأ بفاتحة الكتاب وينتهي بسورة الناس، ويعد من أهم التفاسير الفارسية المتداولة لأهل السنة والجماعة.

ألفه رشيد الدين أبو الفضل المييدي اليزدي، شرحاً وبسطاً بتفسير شيخ الإسلام عبد الأنصاري الهروي والذي وجده المييدي في غاية الإيجاز ، فأراد أن ينشر فيه جناح الكلام ويرسل في بسطه عنان اللسان كما يقول رحمه الله :

"فإني طالعت كتاب شيخ الإسلام فريد عصره ، ووحيد دهره ، أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري قدس الله روحه في تفسير القرآن وكشف معانيه ، ورأيت أنه قد بلغ حد الإعجاز¹، لفظاً ومعنى ، وتحقيقاً وترصيعاً ، غير أنه أوجز غاية الإيجاز وسلك فيه سبيل الاختصار ، فلا يكاد يحصل غرض المتعلم المسترشد ، أو يشفي غليل صدر المتأمل المستبصر ، فأردت أن أنشر فيه جناح الكلام وأرسل في بسطه عنان اللسان ، جمعاً بين حقائق التفسير ولطائف التذكير وتسهيلاً للأمر على من اشتغل بهذا الفن"².

ويُعد كشف الأسرار وعدة الأبرار واحداً من أشهر التفاسير ذي الاتجاه الفقهي باللغة الفارسية، وهو متداول من قديم الأيام في الأوساط العلمية ويظهر ذلك من انتشار نسخه المخطوطة في كثير من مكتبات العالم³، وكونه مصدراً لبعض المفسرين ممن ألفوا تفاسيرهم باللغة الفارسية كالواعظ الكاشفي الهروي في تفسيريه جواهر

¹ وصف تفسير شيخ الإسلام بأنه بلغ حد الإعجاز مبالغة من المؤلف، لأن الإعجاز لن يكون إلا لكلام الله عز وجل، ربما قصد أن الروعة في الأسلوب.

² كشف الأسرار وعدة الأبرار 1/1.

³ يراجع: التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 80/2.

التفسير¹، والمواهب العلية²، ومعين الدين الفراهي في تفسيريه حدائق الحقائق³، وأسرار الفاتحة⁴.

طبع كشف الأسرار وعدة الأبرار أول مرة في عام 1371هـ الموافق 1951م بعناية الأستاذ على أصغر حكمت من قبل جامعة طهران، وهو يقع في عشر مجلدات كبار يبلغ عدد صفحاتها (6500) صفحة من القطع المتوسط.

وتجدر الإشارة إلى أن تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار غير محقق، وبالرغم من الجهد الذي بذله الأستاذ على أصغر حكمت في طباعة الكتاب إلا أن ثمة شكوك من قبل بعض الباحثين حول دقة المتن المطبوع⁵، ومما يؤكد لدى الباحثين هذه الشكوك مقارنة الباحثين لمواضع من نسخة مخطوطة لتفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار محفوظة في مكتبة المحمودية (الملك عبد العزيز) بالمدينة المنورة⁶، مع النسخة المطبوعة من هذا التفسير، فوجدوا على سبيل المثال أن كلمات الترضي على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ساقطة في النسخة المطبوعة، بينما هي موجودة في النسخة المخطوطة⁷، كما أنه تم استبدال جملة -عليه السلام- بجملة -

¹ ينظر: جواهر التفسير ورقة 45 و 51 من المخطوط.

² ينظر: على سبيل المثال: المواهب العلية ص: 45، 215، و 240.

³ ينظر: حدائق الحقائق ص: 2.

⁴ ينظر: أسرار الفاتحة ص: 13، و 75، و 530.

⁵ ينظر: مقدمة فهرست كشف الأسرار وعدة الأبرار لمحمد جواد شريعت ص: 1.

⁶ النسخة المحفوظة برقم 191 في مجموعة المحمودية وقد نسبت خطأ إلى التفتازاني.

⁷ ينظر: كشف الأسرار ورقة 276 من المخطوط و قارنها مع المطبوع 10 / 579 و 580.

رضي الله عنه- كلما ذكر اسم علي بن أبي طالب أضيف جملة "عليه السلام" بعد كل اسم من أسماء ذرية علي "رضي الله عنه"¹، ولو لم يكونوا من الصحابة²، ! !

ولا شك أن ما ذكر من فروق بين النسخة المطبوعة والأصل المخطوط تتفق مع المذهب الشيعي في تعامله مع الصحابة وغلوه في حب آل البيت ويستبعد تماماً أن يكون من صنع المؤلف ، الأمر الذي يرجح احتمال تصرف الناشر في متن الكتاب والخروج عن جادة الأمانة ، ومحاولته للتغيير والتحريف خاصة فيما يخص موقف المؤلف -رحمه الله- من الرفض والتشيع³ .

وعلى كل حال إن كشف الأسرار وعدة الأبرار يحتاج إلى تحقيق علمي وهذا ما بدأنا- لله الحمد والمنة-، حيث تتولى الإشراف عليه جامعتنا المباركة، وهناك ثلاثة من زملائنا في مرحلة الدكتوراه قد سجلوا عناوين رسائلهم "الدخيل في تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار" لفرز وإبعاد كل أنواع الدخيل من هذا الكنز الزاخر من تراث أهل السنة والجماعة في تفسير القرآن الكريم ، وأهل السنة هم أولى الناس بالاهتمام به والمحافظة عليه من التحريف والتبديل من الأيدي العابثة.

وقد بذل المؤلف رحمه الله جهداً وافراً ووقفاً ثميناً في تأليف هذا التفسير الموسوعي الذي أصبح أحد أبرز المصادر في التفسير الفقهي باللغة الفارسية.

طريقة مؤلف كشف الأسرار وعدة الأبرار في تفسير الآيات:

¹ ينظر : كشف الأسرار ورقة 276 و وازنها بالمطبوع 10 / 577 . وانظر ورقة 284 من المخطوط و وازنها بالمطبوع 10 / 628 ، وانظر ورقة 284 من المخطوط و وازنها بالمطبوع 10 / 626 .

² ينظر مثلاً : كشف الأسرار ورقة 287 من المخطوط و وازنها بالمطبوع 10 / 637 .

³ ينظر: التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 88/2 وما بعدها.

بدأ المؤلف رحمه الله تفسيره بمقدمة موجزة ، تحدث فيها بعد الحمد لله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، عن سبب تأليفه لكشف الأسرار وعدة الأبرار كما أوردناه في المطلب الأول من هذا المبحث، قال رحمه الله:

"وشرعت بعون الله في تحرير ما هممت، في أوائل سنة عشرين وخمس مائة ، وترجمت الكتاب بكشف الأسرار وعدة الأبرار ، وأرجو أن يكون اسماً يوافق مسماه ، لفظاً ويطابق معناه، والله ولي التوفيق لإتمامه ، وتحقيق غرضنا فيه ، وهو حسبي ونعم الوكيل"¹.

انفرد الميبدى رحمه الله في طريقة تفسيره للآيات القرآنية من بين سائر المفسرين ، فهو يقسم تفسيره لكل مجموعة من الآيات إلى ثلاث نوبات مستقلة عن البعض ، ففي النوبة الأولى يترجم معاني الآيات إلى اللغة الفارسية يراعي فيها الدقة في نقل المعنى المباشر دون الخوض في الشرح والتفصيل إلا في حالات نادرة تقتضي ترجمة جملة أو كلمة في الآية مزيد توضيح فيبادر الميبدى إلى إيضاح المعنى المقصود بالكلمات المعودة².

وفي النوبة الثانية يفسر المؤلف الآية تفسيراً مفصلاً يشمل جميع العناصر والجوانب الضرورية التي تساعد على فهم الآية من لغة، وأحاديث وآثار، وقراءات، ومباحث علوم القرآن، وفقه، وقصص، وعقيدة وغيرها. وتشكل النوبة الثانية صلب تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار ويشهد على براعة المؤلف وطول باعه في علم التفسير، كما تدل على ثقافته الموسوعية، وغزارة علمه، واطلاعه الواسع على المصادر وحسن استفادته منها.

¹ كشف الأسرار 1/1

² ينظر مثلاً : ترجمة معاني الآيات 40-48 ، و ترجمة معاني الآيات 101 - 103 من سورة البقرة .

وفي النوبة الثانية من كشف الأسرار يظهر الاتجاه الفقهي للكتاب بصورة جلية وذلك من خلال التركيز الشديد للمؤلف على الأحكام الفقهية من بيان مسائل مستنبطة من الآيات والاستدلال عليها بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال فقهاء السلف ومفسريهم.

وأما النوبة الثالثة من التفسير، فقد خصصها المؤلف لإيراد لطائف التذكير، ورقائق الوعظ، والإرشادات المستنبطة من بعض الآيات على طريقة أهل الزهد ويكثر فيها ذكر أقوال شيخ الإسلام الأنصاري الهروي فيما تخص تزكية النفس، وترقيق القلب، وتهذيب الخلق¹.

وانطلاقاً من إدراك المؤلف رحمه الله أن مدار العلوم الشرعية على تفسير كتاب الله عز وجل، وأنه مفتاح جميع العلوم والمعارف لدى المسلم فإنه اهتم بالجانب الفقهي واستنباط الأحكام اهتماماً كبيراً، ولأهمية التفسير الفقهي لتوضيح معاني كلام الله عز وجل وآيات الأحكام، واشتماله على أحكام العبادات والمعاملات، عملاً بقول النبي عليه الصلاة والسلام: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"²، ولاشك أن التفقه في الدين هو معرفة تفسير كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، واستنباط الأحكام منهما، وتفسير آيات الأحكام هو المصدر المهم الدفين للباحث عن الأحكام الشريعة، وقول فصل في المتنازع فيه من الأحكام.

التفسير بالمأثور في كشف الأسرار وعدة الأبرار:

مؤلف كشف الأسرة وعدة الأبرار كان أكثر اهتماماً بهذا اللون من التفسير من بين جميع من ألفوا تفاسيرهم باللغة الفارسية، فقد توسع الرجل في تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالحديث وأقوال الصحابة والتابعين، حيث بنى تفسيره الفقهي على

¹ ينظر: كشف الأسرار وعدة الأبرار 10/1-29، تفسير سورة الفاتحة.

² رواه مسلم في صحيحه برقم (817).

الأدلة من التفسير بالمأثور ومن نماذج تفسير القرآن بالقرآن في كشف الأسرار
تفسير ((الصراط)) في قوله سبحانه:

"صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ"¹، بأنه الطريق الوحيد الذي يريد الله عز وجل إتباعه
من العباد، وهذا ما ورد في قوله عز وجل: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا
تَتَّبِعُوا السُّبُلَ" (2) (3).

ومما ذكره المؤلف في تفسير ((الضالين)) في سورة الفاتحة بأن المراد بهم الذين
يسيرون في الضلال والانحراف ولكن مع ذلك يظنون أنهم على الطريق المستقيم
واستدل على هذا التفسير بقوله عز ذكره: "الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ
يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا" (4) (5).

ومن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن في كشف الأسرار وعدة الأبرار ما جاء في تفسير
((المتقين)) في قوله تعالى ((هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ))⁶، فقد ذكر المييدي أن "أصل التقوى هو
تجنب الشرك وهو المعنى بقوله: "وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ
أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ"⁷، ويقول "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ"⁸.

¹ الفاتحة: 7 .

² الأنعام: 153 .

³ كشف الأسرار وعدة الأبرار 20/1 ط مؤسسة انتشارات أمير كبير تهران 1361 هـ ش .

⁴ الكهف: 104 .

⁵ كشف الأسرار: 1 / 37 .

⁶ سورة البقرة: 2 .

⁷ سورة النساء: 131 .

⁸ سورة الحج: 1 .

وبعد ذلك يراد بالتقوى الاجتناب من المعاصي وهو المراد بقوله: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ))¹، ويأتي بعد ذلك الاجتناب من الشبهات وهو المشار إليه بقوله

: ((أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى))²، وبقوله: ((إِنْ أُولَئَاؤُهُ إِلَّا الْمُفْتُونَ))³.⁽⁴⁾.

ومما يتعلق بتفسير القرآن بالقرآن ولكنه لا يعد تفسير القرآن بالقرآن بالمعنى المعروف تتبع المؤلف معاني الكلمة القرآنية في القرآن الكريم وبيان معناها في كل موضع وهذا ما يسمى بالوجوه والنظائر ومن أمثلة ذلك تتبع معنى كلمة ((فساد)) أثناء تفسيره لقوله تعالى : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ))⁵، وقال المبيدي : ((والفساد في القرآن بمعنى الهلاك)) كما قال : ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا))⁶، أي : لهلكتا. والفساد بمعنى القتل، كما قال : ((أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ))⁷، والفساد بمعنى الخراب ، كما قال : "إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ"⁸، والفساد بمعنى السحر "إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ

¹ آل عمران : 102 .

² الحجرات : 3 .

³ الأنفال: 34 .

⁴ كشف الأسرار 45/1 .

⁵ سورة البقرة : 11 .

⁶ الأنبياء : 22 .

⁷ الأعراف : 127 .

⁸ الكهف : 94 .

المُفْسِدِينَ"¹، وبمعنى قحط المطر "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ"⁽²⁾.⁽³⁾.

وفي أثناء تفسير قوله تعالى: "الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا"⁴، ذكر المؤلف أن كلمة ((جعل)) وردت في القرآن الكريم على أربعة معانٍ على النحو التالي: ((جعل بمعنى خلق))، مثلما في قوله تعالى: ((وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ))⁵، و ((ويجعل لكم نورًا تمشون به))⁶. وجعل بمعنى التسمية كما في قوله عز وجل: ((وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا))⁷، أي سموهم إنثًا، لأنه قال في موضع آخر: ((لَيْسَتُمُ الْمَلَائِكَةُ تَسْمِيَةَ الْإِنثَى))⁽⁸⁾، والثالث بمعنى الإلقاء كما قال: ((وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَغْضَةً عَلَى بَغْضٍ))⁹ أي يلقي بغضه على بغض، يدل عليه قوله: ((فيركمه جميعا))¹⁰، والرابع بمعنى صير، مثلما قال: ((إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا))، صيرناه وقوله تعالى: ((جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا))⁽¹¹⁾.

¹ يونس : 81 .

² الروم : 41 .

³ كشف الأسرار 1 / 72 - 73 .

⁴ سورة البقرة : 22 .

⁵ سورة الأنعام : 1 .

⁶ سورة الحديد : 28 .

⁷ سورة الزخرف : 19 .

⁸ سورة النجم : 27 .

⁹ سورة الأنفال : 37 .

¹⁰ سورة الأنفال : 37 .

¹¹ كشف الأسرار 100/1 .

عني المييدي رحمه الله- بتفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية ، وكان اهتمامه كبيراً بهذا الجانب إلى درجة إنني أستطيع القول بكل ثقة واطمئنان أن كشف الأسرار وعدة الأبرار أغنى التفاسير الفارسية المعروفة من حيث الأحاديث والأثار .

وقد دأب المييدي على إيراد نص الحديث وترجمته الفارسية معاً في تفسير الآية كما في تفسير قوله تعالى : ((وَيُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ))¹، فقد ذكر قوله عليه الصلاة والسلام لابن مسعود رضي الله عنه- ((إن في الصلاة لشغلاً عن السلام))²، مع ترجمته الفارسية³ ، وقد يكتفي بذكر النص دون الترجمة كما في تفسير قوله تعالى : ((وما هم بمؤمنين))⁴، حيث أورد قوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل أي الأعمال أفضل ؟ فأجاب ((الإيمان بالله ، قيل ثم ماذا ؟ قال ثم الجهاد في سبيل الله))⁵، دون الترجمة الفارسية⁶، كما أنه يورد ترجمة الحديث بدون النص في بعض المواضع⁷ .

ويحذف المييدي سند الحديث تماماً⁸، أو يكتفي بعزوه إلى الصحابي⁹ ، أو يذكره بصيغة التمريض مثل روي¹⁰، وينص على صحة الحديث في كثير من المواضع¹¹ ،

¹ سورة البقرة : 3 .

² رواه البخاري باختلاف يسير في اللفظ في كتاب مناقب باب هجرة الحبشة 4 / 246.

³ كشف الأسرار 48/1 وانظر مزيداً من الأمثلة في كشف الأسرار 2/1 ، 3 ، 8 ، 64 ، 522 .

⁴ سورة البقرة : 8 .

⁵ متفق عليه : البخاري كتاب الحج باب فضل الحج 2 / 141 ومسلم كتاب الإيمان باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال 1 / 88 .

⁶ كشف الأسرار 1 / 69 وانظر مزيد الأمثلة في كشف الأسرار 1 / 168 ، 224 ، 416 ، 484 ، 488 ، 500 .

⁷ ينظر على سبيل المثال : كشف الأسرار 1/، 484 ، 489 ، 5 / 434 ، 490 - 492 ، 723 .

⁸ ينظر على سبيل المثال : كشف الأسرار : 34/1 ، 45 ، 47 ، 48 ، 64 ، 67 .

⁹ ينظر على سبيل المثال كشف الأسرار : 69/1 ، 70 ، 71 ، 78 ، 101- .

¹⁰ ينظر على سبيل المثال كشف الأسرار : 101/1 ، 350 ، 647 .

¹¹ ينظر على سبيل المثال كشف الأسرار : 8/1 ، 126 ، 154 ، 173 ، 345 .

ولكن السكوت عن بيان درجة الحديث من حيث القبول والرد هو النهج السائد في تفسير كشف الأسرار.

ومن أمثلة تفسير القرآن بالحديث في كشف الأسرار ما جاء في تفسير قوله سبحانه : ((فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ))¹، فبعد ما حذر المؤلف من الشرك بالله ، ذكر بعض الأحاديث والآثار في بيان خطورة الشرك ومعناه ، ومن ذلك ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه- أنه قال : يا رسول الله أي ذنب أعظم ؟ قال : ((أن تجعل لله أنداداً وهو خالقك))² . وعن ابن عباس قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ((ما شاء الله وشئت ، فقال : أجعلت لله ندًا ؟ ! ما شاء الله وحده))⁽³⁾ (4) .

وفي تفسير قوله تعالى : ((وَأَزَكُّوْا مَعَ الرَّاْكِعِيْنَ))⁵، ذهب المييدي بأن الآية حث على صلاة الجماعة ، ثم ذكر عددًا من الأحاديث في فضل صلاة الجماعة ، منها : ((تفضل صلاة الجمع على صلاة أحدكم بخمسة وعشرين درجة))⁶.

و ((وصلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة))⁷، و ((فضل صلاة الرجل في جماعته على صلاته في بيته ، وصلاته في سوقه خمس وعشرون درجة))⁽¹⁾ (2).

¹ سورة البقرة: 22.

² متفق عليه: البخاري في كتاب الأدب باب قتل الولد خشية أن يأكل 75/7، ومسلم في كتاب الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب 90/1.

³ أخرجه أحمد : 1838 ج 1 / 226 باختلاف يسير في اللفظ .

⁴ كشف الأسرار 1 / 103 .

⁵ سورة البقرة : 43 .

⁶ أخرجه البخاري بنحوه في كتاب الأذان باب فضل صلاة الجماعة 1 / 158 .

⁷ متفق عليه: مسلم في كتاب المساجد باب فضل صلاة الجماعة 1 / 450، والبخاري في كتاب الأذان باب فضل الصلاة الجامعة 1 / 158 .

وفي معرض تفسير قوله تعالى : ((وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ))³، أورد المؤلف رحمه الله- بعض الأحاديث في معنى حياة الشهداء ومن ذلك : ((أرواحهم في أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل))⁴، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : ((يعطى الشهيد خمس خصال عند أول قطرة من دمه ، يكفر عنه كل خطيئة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويزوج من الحور العين ، ويؤمن من الفزع الأكبر ، ومن عذاب القبر ، ويحلى حلية الإيمان))⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

وفي تفسير قوله تعالى : ((لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ))⁷، تحدث الميبيدي بالتفصيل عن معنى الأيمان وأنواعها وأحكامها ، ودعم قوله ببعض الأحاديث نذكر منها قوله صلى الله عليه وسلم : ((من حلف على يمين وهو فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم ، لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان))⁸، وقوله عليه الصلاة والسلام : ((من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله))⁽⁹⁾⁽¹⁰⁾.

¹ متفق عليه : البخاري في كتاب الأذان باب فضل صلاة الجماعة 158/1 ومسلم كتاب المساجد باب فضل صلاة الجماعة 450/449/1 .

² كشف الأسرار 171/1 .

³ سورة البقرة : 154 .

⁴ رواه مسلم برقم (1887).

⁵ رواه أحمد : 17750 ج 4 / 272 .

⁶ كشف الأسرار : 1 / 417 .

⁷ سورة البقرة : 225

⁸ متفق عليه : البخاري كتاب الخصومات باب يحلف المدعى عليه في الأموال 3 / 160 ، ومسلم كتاب الإيمان باب وعيد من اقطع من مسلم يمين فاجر 122/1 .

⁹ متفق عليه : البخاري كتاب الشهادات باب كيف يستحلف 3 / 162 ، ومسلم كتاب الإيمان باب النهي عن الحلف بغير الله 1267/3 واللفظ لمسلم .

¹⁰ كشف الأسرار 603/1.

وأما أقوال الصحابة والتابعين فتشكل مصدرًا رئيسًا من مصادر كشف الأسرار، فلا تكاد تمر آية إلا ويذكر المؤلف في تفسيرها أقوالاً للصحابة والتابعين ومن أبرزهم - على سبيل المثال- عبد الله بن عباس رضي الله عنه¹، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه²، ومجاهد³، والحسن البصري⁴، وعطاء بن أبي رباح وقتادة وغيرهم رحمهم الله جميعاً⁵.

اهتمام المؤلف بعلوم القرآن:

لم يهمل مؤلف كشف الأسرار وعدة الأبرار مباحث علوم القرآن وإنما تعرض لبعض منها إما على سبيل التطبيق وإما على سبيل التعريف والتفصيل، ومن أبرز هذه المباحث: المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم المتشابه والقراءات.

وبالنسبة للمكي والمدني من القرآن يرى المييدي أن ما نزل من السور والآيات قبل الهجرة هو مكي وما نزل بعد هجرة الرسول إلى المدينة فهو مدني⁶. ويذكر المييدي في مستهل تفسير كل سورة كونها مكية أو مدنية كما يشير إلى الآيات المكية في السور المدنية، والآيات المدنية في السور المكية⁷.

وبالنسبة لمبحث النسخ والمنسوخ فقد وافق المييدي جمهور أهل العلم بجواز النسخ في القرآن والسنة وقال بجواز القرآن بالقرآن، ونسخ السنة بالسنة، ونسخ القرآن

¹ ينظر على سبيل المثال : كشف الأسرار : 15/1 ، 22 ، 62 ، 171 ، 205 ، 713 . 731 ، 735.

² ينظر مثلاً : كشف الأسرار : 64/1 ، 202 ، 203 ، 723 ، و 120/2 ، 603 ، 702 ، و 76 ، 55/3 .

³ ينظر مثلاً : كشف الأسرار 619/2 ، 737 ، و 61/3 ، و 75 ، 120 ، 123 .

⁴ ينظر مثلاً : كشف الاسرار 612/2 ، 619 ، 703 ، 120/3 .

⁵ ينظر مثلاً : كشف الاسرار 202/1 ، 203 ، 726 .

⁶ ينظر : كشف الاسرار 41/1 .

⁷ ينظر مثلاً : كشف الأسرار 285/3 ، و 548 .

بالسنة ، ونسخ السنة بالقرآن وفند قول اليهود بعدم جواز النسخ لزعهم الباطل أن ذلك يؤدي إلى البداء وهو لا يجوز في حق الله تعالى .

وقال المبيدي بوجود ثلاثة أنواع من النسخ في القرآن الكريم وهي: نسخ الحكم والتلاوة، ونسخ التلاوة دون الحكم ، ونسخ الحكم دون التلاوة¹.

وفي الجانب التطبيقي نجد أن المبيدي من المتوسعين في القول بالنسخ في القرآن الكريم، فهو يرى أن (124) آية من القرآن منسوخة بآية ((فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ))² (3) فقط ، ويصرح بالقول أن الآيات التي ورد فيها العفو ، والصفح ، والترصص ، والارتقاب كلها منسوخة بآية السيف⁴.

وتناول المبيدي مسألة المحكم والمتشابه في تفسيره لقوله عز وجل : "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ"⁵، وذهب إلى القول بأن المحكم من القرآن هو ما ليس إشكال في لفظه ومعناه ، فلا نسخ فيه ولا معارضة فهو ظاهر وواضح مثل الأمر، والنهي ، والحلال ، والحرام ، وهذا معظم القرآن وأصله ، وأما المتشابه فهو ما يشبه شيئاً في ظاهره ولكنه ليس كذلك في حقيقة الأمر كقوله تعالى : "وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا"⁶ وقال في آية أخرى : "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"⁷، ففي الظاهر

¹ ينظر : كشف الاسرار 308/1 - 309 .

² محمد : 4 .

³ ينظر : كشف الاسرار 93 / 4 .

⁴ ينظر : كشف الاسرار 314/1 .

⁵ عمران : 7 .

⁶ الإسراء : 16 .

⁷ النحل : 90 .

يبدو أن الله تعالى يأمر بالفسق في الآية الأولى وينهى عنه في الثانية فيأتي العالم يبين ويقول أن معنى الآية أننا أمرناهم بالطاعة فخالفوا وفسقوا¹.

ويفرق المبيدي بين التفسير والتأويل، ويرى أن التفسير عبارة عن علم أسباب النزول، وقصص الآيات وهذا لا يحصل إلا بالتوقيف والسماع، ولا يمكن القول فيه إلا بالنقل والأثر وأما التأويل فهو عبارة عن حمل الآية على معنى محتمل ويجوز استنباط هذا المعنى للعلماء إذا كان موافقاً للكتاب والسنة.

ويرى المبيدي أن استعمال التفسير إما يكون في فهم الألفاظ الغريبة مثل البحيرة، والسائبة، والوصيلة، أو في شرح كلام موجز يحتاج إلى الشرح مثل قوله تعالى: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ"²، أو في بيان قصة لا يمكن فهم الآية بدون الوقوف عليها مثل قوله تعالى: "إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ"³.

وأما التأويل فقد يكون استعماله على سبيل العموم، وقد يكون على سبيل الخصوص مثل كلمة ((الكفر)) فقد تطلق على مطلق الجحود ن وقد تطلق على جحود العبد للباري سبحانه وتعالى كما يكون التأويل في المشترك اللفظي وغيره⁴.

وذهب مؤلف كشف الأسرار وعدة الأبرار رحمه الله إلى القول بأن التفسير مبني على التلقين والتعليم، والتأويل مبني على الاجتهاد والتوفيق⁵، ويرى أن الاختصار على الأثر في فهم القرآن يؤدي إلى ترك الكثير مما يحتاج إليه، ولابد من إعمال الفكر والنظر في فهم القرآن الكريم، شريطة أن يكون مبنيًا على "علوم اللغة، والاشتقاق، والنحو، والقراءات، والسير، والحديث، وأصول الفقه، والأحكام"،

¹ ينظر: كشف الأسرار : 17/2 - 18 .

² سورة البقرة : 110 .

³ التوبة : 37 .

⁴ ينظر: كشف الاسرار 20/2.

⁵ ينظر: كشف الأسرار 292/6 - 293.

فلا يجوز الخوض في تفسير القرآن إلا لمن كان لديه معرفة والمأم بهذه العلوم حتى يخرج من دائرة الوعيد الوارد في الحديث : ((من فسر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ))¹.

يعد كشف الأسرار وعدة الأبرار من أثرى وأغنى التفاسير فيما يخص القراءات القرآنية ، فالمؤلف رحمه الله أبدى اهتماماً واضحاً بالقراءات ويتعرض لاختلاف الأئمة ويذكر القراءات المروية أثناء تفسيره للآيات ، ويبين أثر الاختلاف في معنى الآية كما في فعل في تفسيره لقوله تعالى : (مالك يوم الدين) في سورة الفاتحة حيث ذكر قراءة (مالك) بالألف ، وقراءة (ملك) بدون الألف ونسب كل قراءة إلى القراء مبيناً معنى الآية حسب كل قراءة²، كما ينسب كل قراءة إلى من قرأ بها من الأئمة أو غيرهم سواء كانت القراءة سبعة كما في قوله تعالى : "لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ"³ فقد ذكر المبيدي قراءة (يرى) بياء الغائب والقراءة الثانية وهي بقاء المخاطبة ونسب كل قراءة إلى الأئمة القراء السبعة⁴ ، أو شاذة كما في تفسير قوله تعالى : "كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ"⁵ فقد ذكر المؤلف القراءة المتواترة وهي (بربوة) كما ذكر في القراءتين الشاذتين وهما : (بربوة) بكسر الراء و (برباوة) بزيادة الواو وصرح بكونهما من القراءات الشاذة⁶.

¹ رواه الترمذي في تفسير القرآن باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه برقم (3017)، وأبو داود كتاب العلم باب الكلام في كتاب الله بغير علم 320/3 .

² ينظر : كشف الأسرار 14/1 وانظر مزيداً من الأمثلة في 437/1 ، 771 ، و 50/2 ، 288 .
³ سورة البقرة : 166 .

⁴ ينظر : كشف الاسرار 445/1 ، 457 ، 463 ، و 99/2 ، 121 ، 361 .

⁵ سورة البقرة : 265 .

⁶ ينظر : كشف الاسرار 725/1 ، 167/2 ، و 387 / 3 .

ولا يكتفي مؤلف كشف الأسرار وعدة الأبرار بإيراد القراءات المتعددة ونسبتها إلى القراء فحسب وإنما يقوم بتوجيه كل قراءة وتطبيقها بالقواعد والضوابط اللغوية¹.

اهتمام المؤلف باللغة في تفسيره:

المؤلف رحمه الله ذو باع طويل في اللغة العربية ودقائق قواعدها ومعانيها، ويظهر ذلك جلياً من طريقة المبيدي في تناول المسائل اللغوية المرتبطة بتفسير الآيات القرآنية. يحلل الكلمة حرفياً ويبين جذورها واشتقاقها²، ويبين معناها في القرآن واللغة³، كما يتناول إعراب الكلمات والجمل ، ويوضح أثر أوجه الإعراب في توجيه المعنى واستنباط الحكم . ومن أمثلة ذلك ما ورد في تفسير قوله جل في علاه: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ"⁴، قال المؤلف: "ولنبلونكم : النون في الآية للتأكيد : والله لنبلونكم أي لنعاملنكم معاملة المختبر"⁵.

وفي تفسير قوله سبحانه : "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ"⁶ تطرق المؤلف إلى بيان نوع اللام في كلمة (لما) وقال إنه للتأكيد ويقضي الجواب بلام القسم مثل قوله : "وَلَنِ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا"⁷.

¹ ينظر: كشف الأسرار 751/2 - 752 ، و 287/4 ، و 142/5 - 143 .

² ينظر : كشف الأسرار 87/1 ، 92 ، 432 ، 773 .

³ ينظر : كشف الاسرار 87/1 ، 99 ، 146 ، 74 ، 744/5 .

⁴ سورة البقرة : 155 .

⁵ ينظر : كشف الأسرار 418/1 - 444 .

⁶ آل عمران : 81 .

⁷ كشف الأسرار : 180/2 .

ويتطرق المؤلف لعلوم البلاغة فيبين ببراعة المحقق الدقائق البلاغية في الآية من تقديم وتأخير، واختصار، وإضمار وغير ذلك¹.

الدخيل والإسرائيليات والموضوعات في تفسير كشف الأسرار:

من الملاحظات العلمية على تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار كون المؤلف رحمه الله متساهلاً في رواية القصص والروايات الإسرائيلية التي يذكرها بالتفصيل والإسهاب دون رد وتعقيب . ومن أشهر القصص الإسرائيلية الباطلة التي أوردتها المبيدي في كشف الأسرار : قصة خروج آدم عليه السلام من الجنة²، وقصة هاروت وماروت³، وقصة بناء الكعبة⁴، وقصة هابيل وقابيل⁵، وقصة مرض أيوب عليه السلام⁶، وقصة داود عليه السلام و زواجه المزعوم من زوجة أوريا⁷.

وإذا كان المبيدي أكثرًا من إيراد الحكايات الإسرائيلية في تفسيره ، فهو متساهل كذلك في إيراد الأحاديث الموضوعة والاعتماد عليها في تفسير الآيات ، وقد ضمن تفسيره كثيرًا من هذه الموضوعات نضرب بعض الأمثلة على النحو الآتي: "عليكم بالعدس فإنه مبارك مقدس ، وإنه يرقق القلب ويكثر الدمعة"⁽⁸⁾ (9).

¹ ينظر : كشف الأسرار 593/1 ، 658 ، و 195/3 .

² اكشف الأسرار : 149/1 - 150 .

³ كشف الأسرار 295/1 .

⁴ كشف الأسرار : 357/1 .

⁵ اكشف الأسرار : 96/3 .

⁶ كشف الأسرار : 248/6 .

⁷ اكشف الأسرار : 335/8 .

⁸ كشف الأسرار 207 /1 .

⁹ جاء في مختصر المقاصد الحسنة بلفظ : ((قُدس العدس على لسان سبعين نبيا . . .)) وقال السخاوي : باطل لا أصل له.

وقال المحقق : موضوع . ينظر : مختصر المقاصد الحسنة ص 166 .

- ((أطلبوا الخير عند حسان الوجوه)) (1) (2).
- ((أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)) (3) (4).
- ((شراركم عزابكم)) (5) (6).
- ((لولاك لما خلقت الكونين)) (7) (8).
- ((حب الدنيا رأس كل خطيئة)) (9) (10).
- ((عليكم بلباس الصوف ، تعرفون به في الآخرة فإن النظر في الصوف يورث القلب ، التفكير)) (11) (12).
- ((المعدة بيت كل داء والحمية رأس كل دواء)) (13) (14).

¹ موضوع . قال الشيخ الألباني عنه : "كذب" ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 87/4 .

² كشف الأسرار 515/1 .

³ موضوع . سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 87/1 .

⁴ كشف الأسرار 561/1 .

⁵ موضوع ، ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ص: 141 .

⁶ كشف الأسرار 635/1 .

⁷ موضوع : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 299/1 .

⁸ كشف الأسرار 635/1 .

⁹ موضوع ، ينظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 370/3 .

¹⁰ كشف الأسرار 598/2 .

¹¹ موضوع . ينظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 128/1 .

¹² كشف الأسرار 518/3 .

¹³ موضوع . وهو من كلام حارث بن كلدة طبيب العرب ، ينظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 227/1 .

¹⁴ كشف الأسرار 597/2 .

ويرى المفسرون وجوب بيان الدخيل وتعقبه لكي يكون القارئ على بصيرة من أمره، قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر حديث: "يَلْعُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"¹ ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد، لا للاعتداد. فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما نشهد له بالصدق، فذاك صحيح. والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه. والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوزُ حكايته لما تقدم. وغالبُ ذلك مما لا فائدة فيه تعودُ إلى أمرٍ ديني. ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلافٌ بسبب ذلك. كما يذكرون في مثل أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعدتهم، وعصا موسى من أي شجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيلُ من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم. ولكن نقلُ الخلاف عنهم في ذلك جائزٌ كما قال سبحانه: ((سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ))⁽²⁾⁽³⁾.

فبهذه الأمثلة اتضحت رؤية هذا المفسر الجليل في تفسير كتاب الله عز وجل.

¹ أخرجه البخاري برقم (3461).

² الكهف: 22.

³ تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1/31.

المبحث الثاني: اهتمام وعناية المييدي بالمباحث الفقهية وتخصيصه فصولاً خاصة لبيان الأحكام المستنبطة:

كشف الأسرار وعدة الأبرار من التفاسير التي توسع مؤلفها في تفسير آيات الأحكام ومن سمات هذا التوسع الفقهي أن المييدي رحمه الله خصص فصولاً خاصة للمسائل الفقهية المستنبطة من الآيات القرآنية.

فعناية المييدي بالمسائل الفقهية في تفسيره واضحة من خلال هذه الفصول لبيان الأحكام والمسائل المستنبطة من الآية مثل ؛ الصلاة¹، والصيام²، والزكاة³، وأحكام الخمر⁴، والبيوع⁵، والربا⁶، والأذان⁷، وغيرها .

ولدى تناوله للأحكام الفقهية يذكر مؤلف كشف الأسرار وعدة الأبرار خلاف أهل العلم في المسألة وقد يورد قول كل طرف مع دليله⁸ . ولا يتقيد بذكر المذاهب الأربعة وإنما يذكر أقوال أئمة وفقهاء آخرين أيضاً⁹، وقد يكتفي ببيان الحكم وفق المذهب الشافعي فقط¹⁰.

ويتبع مؤلف كشف الأسرار وعدة الأبرار مذهب الإمام الشافعي في الفروع ، ويبدو ذلك واضحاً من خلال تفسيره لآيات الأحكام ، فيذكر قول المذهب الشافعي في بعض

¹ ينظر : كشف الأسرار 667/2 وما بعد .

² ينظر : كشف الأسرار 487/1 وما بعد .

³ ينظر : كشف الأسرار : 12/3 وما بعد .

⁴ ينظر : كشف الأسرار : 585/1 وما بعدها ، و 224/3 وما بعدها .

⁵ ينظر : كشف الأسرار 749/1 وما بعدها .

⁶ ينظر كشف الأسرار : 755/1 وما بعدها .

⁷ ينظر: كشف الأسرار 161/3 .

⁸ ينظر: كشف الأسرار 246/1 .

⁹ ينظر : كشف الأسرار : 529/1 ، و 435/2 ، و 519 .

¹⁰ ينظر: كشف الأسرار : 473/1 ، 475 ، 488 ، 544 ، 585 ، 599 ، 608 ، 609 .

المسائل دون التطرق إلى أي مذهب آخر كما فعل في حكم رجوع المطلقة طلاقاً غير بانن¹، في أثناء تفسيره لقوله سبحانه: "وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَخُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ"²، "أمر من الله عز وجل للرجال إذا طلق أحدهم المرأة طلاقاً له عليها فيه رجعة، أن يحسن في أمرها إذا انقضت عدتها، ولم يبق منها إلا مقدار ما يمكنه فيه رجعتها، فإما أن يمسكها، أي: يرجعها إلى عصمة نكاحه بمعروف، وهو أن يشهد على رجعتها، وينوي عسرتها بالمعروف، أو يسرحها، أي: يتركها حتى تنقضي عدتها، ويخرجها من منزله بالتالي هي أحسن، من غير شقاق ولا مخاصمة ولا تقابح، ومن أحكام الزوجة المطلقة التي طلقها زوجها طلاقاً واحدة، ولا تزال في عدتها، فإن لزوجها أن يرجعها بغير عقد جديد، أما المرأة التي طلقها زوجها ثلاث تطليقات، لا رجعة لها، إلا أن يتزوجها رجل آخر بنية الزواج المؤبد، ويعاشرها معاشرة الأزواج، فإذا طلقها أو مات عنها، وانقضت عدتها، جاز لزوجها الأول إرجاعها إليه بعقد وصادق جديدين"³.

وعلى المطلقة في حال الرجعة البقاء في بيت زوجها إلى حين انقضاء عدتها، ويجب عدم ترك منزل زوجها إلا من عذر شرعي، ولا يجوز لزوجها إخراجها إلا من عذر شرعي إلى حين عدتها لقوله عز من قائل: "لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا"⁴، ولا يجوز لزوجها إخراجها من البيت ما كانت في فترة عدتها، ويحرم عليها الخروج من البيت إلا لعذر شرعي، أما العدة فلا تنقطع⁵.

¹ ينظر: كشف الأسرار 622/1.

² سورة البقرة: 231.

³ ينظر: كشف الأسرار 473/1.

⁴ الطلاق: 1.

⁵ كشف الأسرار 58/9.

قال ابن كثير: "أي: إنما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة، لعل الزوج يندم على طلاقها، ويخلق الله في قلبه رجعتها، فيكون ذلك أيسر وأسهل"¹.

كما ذكر العلامة الميبيدي أن المطلقة رجعيًا لها النفقة والسكن خلال فترة العدة، مؤكداً على أن على الزوج أن يشهد عدلين في الطلاق والرجعة².

وبيان حكم توبة المرتد³، في تفسير قوله جل في علاه: "وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ"⁴.

والردة هي اختيار الكفر بعد أن كان مسلماً من تلقاء نفسه؛ وذلك بأن يعتقد عقيدة كفرية، أو يتلفظ طوعاً أو يعمل عملاً مخرجاً من الملة، أو حتى شك. سواء اعتقده أو قاله أو فعله مستهزئاً، أو في حال العناد غير مكره⁵.

وقيل في تعريف الردة أنها: "قطع الإسلام بنية أو قول أو فعل مكفر"⁶.

يرى العلامة الميبيدي وجوب الإقرار بالشهادتين لرجوع المرتد عن ردة إلى نور الإسلام، وأن يقر بما أنكره وأن يتوب إلى الله فتصح حينئذ توبته، فعلى سبيل من أنكر فريضة من الفرائض فيرجع عما قال قولاً وعملاً⁷.

واشترط التوجه للقبلة في صفة الصلاة¹، لدى تفسير قوله سبحانه: "قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۚ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ

¹ تفسير القرآن العظيم 97/4.

² كشف الأسرار 401/1.

³ ينظر: كشف الأسرار 192/2.

⁴ آل عمران: 85.

⁵ ينظر: حاشيتنا قليوبي وعميرة لأحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة 174/4، دار الفكر بيروت، 1995م.

⁶ التوقيف على مهمات التعاريف لعبد الرؤوف المناوي ص: 176، عالم الكتب ط 1-1410هـ.

⁷ ينظر: كشف الأسرار 192/2.

وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ"²، من المعروف شرعا أن من شروط قبول الصلاة : استقبال المصلي القبلة ، ولا تقبل الصلاة إلا بالتوجه نحو القبلة ، لأن ذلك أمر الله عزوجل للعبد ولكن يُستثنى من هذا الحكم في ثلاث حالات كما نعرفها في الآتي :

الحالة الأولى: إذا كان المصلي عاجزاً مثل المريض غير مستطيع أن يتوجه نحو القبلة ، ذلك يسقط عنه استقبال القبلة.

الحالة الثانية: المصلي الذي أدركه وقت الصلاة وهو في شدة من الخوف مثل من هرب من عدوه، أو من حيوان سبع، وغيره ، في هذه الحالة عليه أن يصلي حيث أمكن لأن وجوب التوجه إلى القبلة معلق باستطاعته .

الحالة الثالثة :صلاة النافلة في حال السفر، أو على دابة وبعير فله أن يصلي حيث أمكن التوجه في صلاة النافلة.

أما المصلي الجاهل واجبه أن يستقبل القبلة، وعندما قام بالتحري ولكنه أخطأ وصلى إلى غير جهة القبلة فلا إعادة عليه في هذه الحالة ،لأنه تحرى وبذل جهده³.

قال ابن كثير:وقوله:"وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره": "أمر تعالى باستقبال الكعبة من جميع جهات الأرض ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، ولا يستثنى من هذا شيء ، سوى النافلة في حال السفر ، فإنه يصليها حيثما توجه قلبه ، وقلبه نحو الكعبة . وكذا في حال المسابقة في القتال يصلي على كل حال، وكذا من جهل جهة القبلة يصلي باجتهاده ، وإن كان مخطئا في نفس الأمر ، لأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا

¹ ينظر : كشف الأسرار 400/1 .

² سورة البقرة: 144 .

³ ينظر : كشف الأسرار 400/1-402.

وسعها"¹. والمصلّي إلى جهة بغير اجتهاد، فإنّه لا تصحّ صلاته باتفاق العلماء"²، وأجمع العلماء على أنّه من صلّى إلى غير القبلة من غير اجتهاد حمّله على ذلك، أنّ صلاته غير مجزئة عنه، وعليه إعادتها إلى القبلة، كما لو صلّى بغير طهارة³.

وعدم اشتراط الصوم في الاعتكاف⁴:

في تفسيره لقوله سبحانه: "وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ"⁵، حيث يرى العلامة المييدي رحمه الله أنه يصحّ الاعتكاف من غير صوم، والصوم فغير واجب فيه، بل إن اعتكف مُفطراً جاز وهو مذهب الشافعية⁶، وقاله به علماء المذهب الحنبلي أيضاً⁷.

مما يفهم منه أن المييدي شافعي المذهب في الفروع ، اكتفاؤه بذكر أدلة المذهب الشافعي أثناء بيان خلاف المذاهب في المسألة وترجيحه لرأي الشافعي فيها ، ومن أمثلة ذلك في تفسير المييدي ما يلي:

علامات البلوغ:

¹ تفسير القرآن العظيم 411/1.

² ينظر: كشف الأسرار 402/1، والمجموع شرح المذهب للنووي 204/1.

³ التمهيد لابن عبد البر 54/17.

⁴ ينظر: كشف الأسرار 506/1 .

⁵ سورة البقرة : 187 .

⁶ ينظر: كشف الأسرار 506/1، وينظر أيضاً: الأم للشافعي 118/2، دار المعرفة بيروت، والحاوي الكبير لأبي الحسن الماوردي 486/3. دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.

⁷ ينظر: كشاف القناع عن متن الإقناع لمنصور بن يونس البهوتي 348/2، دار الكتب العلمية بيروت، 2010م، والفروع وتصحيح الفروع لشمس الدين ابن مفلح 145/5، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1424 هـ - 2003 م.

قال في تفسير الآية الكريمة: "وَابْتَئَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ"¹، "البلوغ في الغلام تارة يكون بالحلم ، وهو أن يرى في منامه ما ينزل به الماء الدافق الذي يكون منه الولد للذكر والأنثى، وذكر من علامات البلوغ، الإنبات، والحيض والحمل بالنسبة للأنثى، مضيفا إن حدَّ البلوغ استكمالُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، الذَّكَرُ والأنثى في ذلك سواء، وهذا مذهبُ الشافعية"².

وأضاف في تفسير قوله: "فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم" يعني رأيتم صلاحا في دينهم وكانوا حريصين على محافظة أموالهم، فإن بلغ هذا الغلام وصار مصلحا لأموال دينه وشنون أمواله، تم رفع الحجر عنه، فيعطى له ماله الذي بيد ولي أمره وهذا مذهبنا³.

تارك الصلاة تكاسلا وتهاوننا لا يكفر مادام غير منكر لفرضية الصلاة:

عند تفسيره للآية: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ"⁴، يبين أن الصلاة أهم ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين وتوحيد الله عزوجل، فهي عماد الدين ومن تركها فقد هدم الدين ولكنه لا يكفر مادام مقرا بها وغير منكر لها، إن كان تركها تهاوننا وتكاسلا والنصوص التي تدل أن تارك الصلاة كافر هي للتحذير مثل حديث : "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر"⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

¹ النساء : 6 .

² ينظر: كشف الأسرار 57/2، ويراجع: مغني المحتاج للشريني 166/2، والحاوي الكبير للماوردي 314/2.

³ ينظر : كشف الأسرار 57/2.

⁴ سورة البقرة: 3.

⁵ أخرجه الترمذي (2621)، والنسائي (463)، وابن ماجه (1079)، وأحمد (22987)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم (462).

⁶ ينظر: كشف الأسرار 49/1.

والرأي الآخر أن تارك الصلاة بالكلية تهاوناً أو كسلاً، كافرٌ كفرًا مُخرجًا من الملة، وهذا مذهب الحنابلة، ووجه عند الشافعية، وقولٌ عند المالكية، وبه قالت طائفةٌ من السلف، وهو مذهب جمهور أصحاب الحديث¹، واستدلوا بأدلة كثيرة منها الآية: "فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا"².

وأنه سبحانه ذكر المضيعين صلاتهم المتبعين لشهواتهم: "إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ"؛ فتدلّ الآية على أن هؤلاء في حال إضاعة الصلاة واتباع الشهوات غير مؤمنين على وجه الحقيقة.

وبحديث: "إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ"³، فتدل النصوص إن تارك الصلاة بالكلية تهاوناً أو كسلاً يخرج من الملة إن تركها بالكلية ولو كان مقراً بفرضيتها⁴.

والعلامة رشيد الدين الميدي رحمه الله يراعي جانب الاحتياط فيحمل النصوص التي تدل في ظاهرها بكفر تارك الصلاة بأنه منكر فرضيتها، أما ما يتعلق بتارك الصلاة تهاوناً فهي تحذير له.

المراد بالإحصان:

¹ ينظر: الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي 285/1، والمجموع شرح المذهب للنووي 14/3، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني لعلّي الصعيدي العدوي 102/1، دار الفكر، بيروت، 1994م، وتعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي 936/2. مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1406هـ.

² مريم: 59.

³ رواه مسلم برقم (82).

⁴ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا 157/10، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، والشرح الممتع على زاد المستقنع لمحمد بن صالح بن عثيمين 27/2. دار ابن الجوزي بالرياض، 1422هـ.

قال في تفسير الآية: "فإن أتت بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب" معنى بالإحصان في الآية الكريمة الإسلام، لهذا لا تحد الكافرة إذا زنت¹.

وقيل: "المراد به هاهنا : التزويج . وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وطاوس ، وسعيد بن جبير"²، هذا ما رجحه ابن كثير بقوله: " أن المراد بالإحصان هاهنا التزويج، لأن سياق الآية يدل عليه" ، حيث قال سبحانه: "ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم". وسياق الآية الكريمة كلها في الفتيات المؤمنات، فالمراد بقوله: ((فإذا أحصن)) أي: "تزوجن ، كما فسرہ ابن عباس ومن تبعه"³.

وقال القرطبي: "فإذا زنت الأمة المسلمة جلدت نصف جلد الحرة؛ وإسلامها هو إحصانها"⁴.

وقيل: "إحصانها التزوج، إلا أن الحد واجب على الأمة المسلمة غير المتزوجة بالسنة، كما في صحيح البخاري ومسلم أنه قيل: يا رسول الله، الأمة إذا زنت ولم تحصن؟ فأوجب عليها الحد . قال الزهري : فالمتزوجة محدودة بالقرآن ، والمسلمة غير المتزوجة محدودة بالحديث"⁵.

أي الأنساك الثلاثة أفضل في الحج؟

¹ سورة النساء 25.

² تفسير القرآن العظيم لابن كثير 2/82.

³ تفسير القرآن العظيم لابن كثير 2/82.

⁴ الجامع لأحكام القرآن 2/195.

⁵ الجامع لأحكام القرآن 2/196.

وفي تفسيره للآية: "فَإِذَا أَمِنْتُمْ مِمَّنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ"¹، حيث اقتصر على قول الشافعية أن حج الأفراد أفضل².

حج الأفراد: هو أن يحرم بالحج مفردا، وبعد انتهاء الحج يأخذ عمرة من التمتع إن شاء، ولا دم عليه.

والتمتع: هو الإحرام بالعمرة في أشهر الحج من غرة شهر شوال فإذا أتم من أعمال العمرة، وخرج من الإحرام، قام بالإحرام بالحج في نفس العام من مكة المكرمة أو من مكان قريب من مكة، وعليه الهدى؛ لقول الله سبحانه: "فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ".

وأما القرآن: فهو أن يقرن بين الحج والعمرة، فيحرم بهما جميعا. وله صورة ثانية: وهي أن يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل أن يشرع في طوافها وعليه الهدى³.

ويجوز الإحرام بأي الأنساك الثلاثة شاء: الأفراد، أو القرآن، أو التمتع، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وأجمع أهل العلم على جواز الإحرام بأي الأنساك الثلاثة شاء⁴.

والخلاف في أفضلية واحد من هذه أنواع النسك الثلاثة، وهذا الخلاف ناشئ عن أسباب، ومن أسباب الخلاف في هذه المسألة على وجه الخصوص، أن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام اختلفوا في نوع النسك الذي أحرم به، فمن قال: إن النبي صلى كان مفردا، قال: الأفراد أفضل، ومن قال: إن النبي الرحمة كان قارئا، قال:

¹ سورة البقرة 196.

² ينظر: كشف الاسرار : 528/1 .

³ الموسوعة الفقهية الكويتية 25/18-29.

⁴ ينظر: تبين الحقائق للزيلعي 40/2 ، والكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر القرطبي 1/381، مكتبة الرياض الحديثة، 1990، والحاوي الكبير للماوردي 44/4، والفروع لابن مفلح 330/5، والمغنى لابن قدامة 260/3.

القرآن أفضل، ومن قال: إن النبي عليه الصلاة والسلام كان متمتعاً، قال: التمتع أفضل¹.

احتج العلماء بهذه الآية على أن الواجب على من دخل في الحج والعمرة أن يتمهما، وأنه ليس له الخروج منهما بل يجب عليه إتمامهما، فإذا أحرم بالحج وجب عليه تمام الحج، وإذا أحرم بالعمرة وجب عليه تمامها، وليس له الخروج منها إلا بالطريقة الشرعية، وهي أداء الأنساك التي شرع الله في الحج والعمرة، فإذا لبى بالحج لم يخرج منه حتى يقف بعرفات وحتى يرمي الجمرة يوم العيد، ثم يحلق ويتحلل التحلل الأول، ثم بعد الطواف والسعي يتم له التحلل الكامل، هذا هو الذي شرعه الله سبحانه وتعالى، فالحاج حين يحرم بالحج يبقى حراماً، لا يتطيب ولا يقص أظفاره، ولا يأخذ من شعره، ولا يأتي أهله ولا يصيد إلى غير ذلك مما حرم الله في الإحرام².

ترجيحه لغير مذهب الإمام الشافعي بعدم جواز اللغب بالشطرنج:

وإذا كان التمسك الشديد بالمذهب الفقهي من الأمور السلبية في بعض التفاسير فإن من أبرز خصائص كشف الأسرار وعدة الأبرار عدم التعصب بالمذهب الشافعي الذي ينتمي إليه، ومن أمثلة عدم التعصب المذهبي ما حرره المييدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: "وَأَنْ تَسْتَفْهِمُوا بِالْأَزْلامِ" ³ ذِكْكُمْ فِسْقٌ³، فقد خالف رحمه الله بعض فقهاء المذهب الشافعي وقال بعدم جواز اللعب بالشطرنج واعتبره من أعمال الفسق، في حين أن المؤلف أكد بكون بعض المتأخرين من فقهاء المذهب الشافعي قد

¹ ينظر: تبیین الحقائق للزليعي 40/2 ، والكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر 1/381، والحاوي الكبير للماوردي 44/4، والفروع لابن مفلح 330/5، والمغني لابن قدامة 260/3.

² ينظر: كشف الأسرار وعدة الأبرار 66/1، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 30/3، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 55/1.

³ المائدة:3.

رخصوا في اللعب بالشطرنج بشروط محددة من أمثال: إذا لم يكن في الصلوات نسيان، وفي المال خسران، وفي اللسان طغيان، فهو أنس بين الخلان¹.

المبيدي اعتبر اللعب المذكور ((فسقاً)) واللاعب به ((فاسقاً)) وقال: إن هذا هو ((مذهب أصحاب الحديث، وسيرة أهل الورع والديانة))².

قال الإمام القرطبي: "هذه الآية تدل على تحريم اللعب بالنرد والشطرنج قماراً أو غير قمار لأن الله تعالى لما حرم الخمر أخبر بالمعنى الذي فيها" فقال: ((إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ)) "فكل لهو دعا قليله إلى كثيره وأوقع العداوة والبغضاء بين العاكفين عليه وصد عن ذكر الله وعن الصلاة فهو كشرب الخمر وأوجب أن يكون حراماً مثله"³.

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية:

"أن الشطرنج متى شغل عما يجب باطنا أو ظاهراً حرم باتفاق العلماء كما لو شغل عن واجب كالصلاة، أو ما يجب من مصلحة النفس أو الأهل، أو الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر أو صلة الرحم أو بر الوالدين، أو ما يجب فعله من نظر في ولاية أو إمامة أو غير ذلك من الواجبات، فإنه حرام بإجماع المسلمين. وكذلك إذا اشتمل على محرم كالكذب أو اليمين الكاذبة أو الخيانة أو الظلم أو الإغاة عليه أو غير ذلك من المحرمات فإنه حرام بإجماع المسلمين"⁴.

¹ ينظر: كشف الأسرار وعدة الأبرار 16/3.

² ينظر: كشف الأسرار: 16/3.

³ الجامع لأحكام القرآن 291/6.

⁴ مجموع الفتاوى 218/32.

وذكر الإمام ابن القيم قائلًا: "ومفسدة الشطرنج أعظم من مفسدة النرد، وكل ما يدل على تحريم النرد فدلالته على تحريم الشطرنج بطريق أولى، وهذا قول مالك وأصحابه، وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وقول جمهور التابعين، ولا يُعلم أحدٌ من الصحابة أهلها ولا لعب بها، وقد أعاذهم الله من ذلك وكل ما نسب إلى أحد منهم من أنه لعب بها كأبي هريرة فافتراء وبهت على الصحابة، ينكره كل عالم بأحوال الصحابة، وكل عارف بالآثار، وكيف يبيح خير القرون وخير الخلق بعد رسول الله اللعب بشيء صدّه عن ذكر الله وعن الصلاة أعظم من صد الخمر إذا استغرق فيه لآعبه، والواقع شاهد بذلك، وكيف يحرم الشارع النرد ويبيح الشطرنج وهو يزيد عليه مفسدة بأضعاف مضاعفة"¹.

وقال الذهبي: "وأما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها سواء كان برهن أو بغيره أما بالرهن فهو قمار بلا خلاف وأما إذا خلا عن الرهن فهو أيضا قمار حرام عند أكثر العلماء، وسئل النووي رحمه الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز؟ فأجاب رحمه الله تعالى: إن فوت به صلاة عن وقتها أو لعب بها على عوض فهو حرام وإلا فمكروه عند الشافعي وحرام عند غيره"².

فنرى أن الجانب الفقهي يشكل أساس تفسير المفسر الميبيدي وكان مهتما بهذا اللون من التفسير كما عرفنا من تقسيماته.

المبحث الثالث: طريقة الميبيدي في تفسير آيات الأحكام:

¹ ينظر: الفروسية لابن قيم الجوزية تحقيق مشهور بن حسن سلمان، ص: 305 وما بعدها، دار الأندلس - السعودية - حائل الطبعة: الأولى، 1414، 1993م.

² الكبائر لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ص: 89-90. مكتبة الفرقان، الإمارات، 1424هـ - 2003م، وينظر أيضا: تحريم النرد والشطرنج والملاهي وبلييه بحث خاص في الأغاني والمعازف للأجري ص: 5 وما بعدها، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، 1402هـ - 1982م.

من المعروف أن العلامة الميبيدي رحمه الله يستدل لكل قول تفسيري في تفسيره
لآيات الأحكام بدليل يرى أنه سبب لذلك القول، معتمداً في استدلاله على أحسن طرق
التفسير، من تفسير القرآن بالقرآن، والتفسير بالسنة، وتفسير الصحابة وتابعيهم،
واللغة التي نزل بها كلام الله تعالى، والاستنباط وفق شروطه الصحيحة، مما جعل
في استدلاله من الفرائد والنفائس الإضافة البارزة، واللطائف النافعة، وعنايته بذكر
أقوال المفسرين، فهو يرى أن مهارة الاستدلال لأقوال المفسرين مما تشدد حاجة
مفسر آيات الأحكام إليها فلا تخلو حجج المفسرين من حاجة إلى استدلال لكل قول،
ومعرفة مأخذه وعطله، وملكة الاستدلال تفتح أبواباً في التدبر، واستخراج الفوائد
والأحكام الفقهية، لقوة الاتصال بين الاستدلال لأقوال المفسرين والأدوات العلمية
التي تستعمل في استنباط هذه الأحكام، والأدوات التي يستعملها العلماء في الاستدلال
لأقوال المفسرين ومن بينهم الميبيدي رحمه الله،

كما أن الميبيدي رحمه الله انفرد في طريقة تفسيره للآيات القرآنية من بين سائر
المفسرين، فهو يقسم تفسيره لكل مجموعة من الآيات إلى ثلاث نوبات مستقلة عن
البعض، ففي النوبة الأولى يترجم معاني الآيات إلى اللغة الفارسية يراعي فيها الدقة
في نقل المعنى المباشر دون الخوض في الشرح والتفصيل إلا في حالات نادرة
تقتضي ترجمة جملة أو كلمة في الآية مزيد توضيح فيبادر الميبيدي إلى إيضاح
المعنى المقصود بالكلمات المعدودة بأسلوب موجز جداً¹.

وفي النوبة الثانية يفسر المؤلف الآية تفسيراً مفصلاً يشمل جميع العناصر والجوانب
الضرورية التي تساعد على فهم الآية من إيراد اشتقاقات اللغوية، وذكر الأحاديث
النبوية وآثار الصحابة وأقوال التابعين، والقراءات، ومباحث علوم القرآن، والفقه،
والقصص، والعقيدة والرد على الفرق الضالة وغيرها. وتشكل النوبة الثانية صلب

¹ ينظر مثلاً: ترجمة معاني الآيات 40-48، و ترجمة معاني الآيات 101 - 103 من سورة البقرة.

تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار ويشهد على براعة المؤلف وطول باعه في علم التفسير، كما تدل على ثقافته الموسوعية، وغزارة علمه ، واطلاعه الواسع على المصار وحسن استفادته منها.

وفي النوبة الثانية من كشف الأسرار يظهر الاتجاه الفقهي للكتاب بصورة جلية وذلك من خلال التركيز الشديد للمؤلف على الأحكام الفقهية من بيان مسائل مستنبطة من الآيات والاستدلال عليها بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ، وأقوال فقهاء السلف ومفسريهم.

وأما النوبة الثالثة من التفسير، فقد خصصها المؤلف لإيراد لطائف التذكير، ورفائق الوعظ ، والإرشادات المستنبطة من بعض الآيات على طريقة أهل الزهد ويكثر فيها ذكر أقوال شيخ الإسلام الأنصاري الهروي فيما تخص تزكية النفس ، وترقيق القلب ، وتهذيب الخلق¹.

كما عرفنا أن مؤلف كشف الأسرار وعدة الأبرار يخصص النوبة الثانية من تفسيره للآيات لاستنباط الأحكام الفقهية وبالمثال يتضح المقال، ونأخذ على سبيل المثال أحكام المداينة من خلال تفسيره لقوله سبحانه:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ^٢ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ^٣ . وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ^٤ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَنْخَسِ مِنْهُ شَيْئًا ^٥ . فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ^٦ . وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ ^٧ . فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ^٨ . وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ^٩ . وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ^{١٠} . ذَلِكَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى إِلَّا أَنْ تَكُونَ

^١ ينظر: كشف الأسرار وعدة الأبرار 1/10-29، تفسير سورة الفاتحة.

تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۖ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ
وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ
ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ¹.

تعريف الدين:

الدين لغة: من المداينة ودأبنت شخصاً إذا عاملته ديناً، في الأخذ والعطاء.²

والدين في الاصطلاح: لزوم حق في الذمة³.

والدين أمره عظيم؛ لتعلق حق الغير بذمة المدين ولأهمية أحكام الدين قد خصص
العلامة الميبيدي رحمه الله فصلاً خاصاً لبيان أحكام المداينة، وفي النوبة الأولى ذكر
رحمه الله بين معاني الكلمات، وفي النوبة الثانية بين كل ما يتعلق بأحكام المداينة وما
يدخل في تفسير هذه الآية الكريمة، وهذه الأحكام والمسائل التي ذكرها:

أن الله سبحانه أمر عباده في الديون والحقوق المؤجلة بالكتابة والإشهاد.

وجوب تحديد أجل الدين في أثناء الكتابة والإشهاد.

- وجوب الشهادة مع الكتابة في الديون في التجارة الكثيرة إذا لا معنى أن يشهد
الإنسان على شراء حاجاته التي يدفع ثمنها.

- على الكاتب ألا يضار بكتابات فيكتب خلاف ما يملأ عليه.

- النهي عن الملل عن كتابة الدين مهما كانت قلته أو كثرته مع استثناء الشيء الأقل
مما لا مطمع فيه.

¹ سورة البقرة: 282.

² ينظر: لسان العرب، مادة 23/5.

³ ينظر: العناية شرح الهداية لمحمد البابرتي 6 / 346، مطبعة الميمنية بمصر سنة
1306 هـ، والموسوعة الفقهية الكويتية 47/18.

- أن من العدل كتابة القليل والكثير من الدين وهذا أعدل وأقوم للشهادة وأحفظ لهذه الشهادة من التحريف والتبديل.

- والإشهاد في الدين محمول على الاستحباب لا أنه واجب في الآية: "وَأَشْهَدُوا إِذَا نَبَأَ بَعْثُكُمْ" كما قال بعض المفسرين.

- لتوثيق الدين وسيلتان هما الكتابة والإشهاد وعلى المتدائنين طلب الشهادة على عقدهما.

- تشمل الكتابة مبلغ الدين وزمن أجله، كافة المعلومات النافية لأي جهالة فيه.

- يجب على الذي عليه الدين أن يخبر الكاتب ما في ذمته لكي يقيده بالكتابة.

- والشهادة تتم بشهادة رجلين أو رجل وامرأتان.

- إن كان المدين سفيهاً، أو صغيراً في سنه أو ضعيفاً في عقله أو لا يستطيع التعبير والبيان يتولى ذلك عنه وليه.

- على الكاتب أن يكتب ما يملأ عليه من الطرفين، وعلى الشاهد أن يشهد بما سمع، فإن فعلاً خلاف ذلك فإن هذه الفعل يعد فسوقاً وعصيانياً.

- الرهن بديل عن الكتابة خاصة في حال السفر لما لا يوجد كاتب.

- ثبوت جواز الرهن في السفر بالقرآن وفي غير السفر بالسنة.

- التحذير والوعيد من كتمان الشهادة لمن يكتتمها كونه آثم القلب.

- أوجب الله الكتابة في الدين لقطع النزاع بين المتدائنين¹.

وهكذا رأينا أن المفسر المبيدي قد استنبط من آيات الأحكام ما يسهل على القارئ الوصول إلى الأحكام الشرعية.

¹ ينظر: كشف الأسرار 1/761-777.

المبحث الرابع: اهتمام المييدي بالأدلة وربطه التفسير الفقهي بالدليل:

من المعروف أن من لوازم التفسير الفقهي بيان الأحكام واستنباط المسائل الشرعية وتأصيلها وهو جانب مهم فيظهر فيه جهد مؤلف التفسير وقيمة سعيه وذلك بإبراز فقهياته بالأدلة، فهو يضيف جوانب تطبيقية عملية بالإضافة إلى تأصيله العلمي للمسائل، وهي مرحلة أساسية ومهمة من مراحل تفسير آيات الأحكام، لأن القارئ لما يجد الحكم الشرعي يفكر في معرفة دليله لكي يكون على بصيرة من أمره، بناء عليه قد بذل العلامة المييدي رحمه الله جهداً مضاعفاً في إيراد الأدلة الشرعية وقام بتفسيرها باللغة الفارسية إن كانت الأدلة من الآيات القرآنية، وترجمها إن كانت من الأحاديث النبوية وأثار الصحابة رضي الله عنهم، ولتسليط مزيد من الضوء على المسألة نذكر تعريف الأدلة ثم نتدرج في ضرب الأمثلة التطبيقية من واقع تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار، حيث أن التفسير الفقهي قادر على استيعاب الأحكام العملية وتقديم حلول ناجعة للقضايا التي تتطلب الشرح والبيان.

تعريف الأدلة لغة واصطلاحاً:

الأدلة جمع دليل والدليل في اللغة المُرْشِدُ وَالْكَاشِفُ ومصدره دلولة ودلالة والdal وصف للفاعل¹.

وفي الاصطلاح: "الدليل هو ما يُتَوَصَّلُ بِصَحِيحِ النَّظَرِ فِيهِ إِلَى الْعِلْمِ بِمَطْلُوبِ خَبَرِيٍّ وَلَوْ ظَنًّا، وَقَدْ يَخُصُّهُ بَعْضُهُمْ بِالْقَطْعِيِّ"².

والأدلة الْمُتَّفَقُ عَلَيْهَا هِيَ: "الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ وَالْقِيَاسُ، فلا بدَّ لإثبات كل حكم من دليل شرعيته من كتاب وسنة وإجماع أو قياس، كما أنه عند تطبيقه على الوقائع من العالم والمفسر والفقيه وسائر المكلفين، لا بد من معرفة وقوعه بأدلة الوقوع،

¹ لسان العرب 5/54، والمصباح المنير 1/89.

² الإحكام في أصول الأحكام للأمدي 1/9.

فمفسر آيات الأحكام يقرّر أن وقت صلاة المغرب يكون مع غروب الشمس؛ استناداً لأدلة شرعية الأحكام، ومعرفة غروب الشمس يكون بدليل وقوع الحكم، ولأدلة شرعية الأحكام، وأدلة وقوعها أهمية كبيرة، ومكانة عظيمة، فبالأول يُعرف شرعية الحكم؛ من وجوب، وسنية واستحباب وإباحة، وحُرمة وكراهة، وغيرها، كما يُعرف به سبب السبب، وشرطية الشرط، ومانعية المانع¹.

وإن لاهتمام مفسر آيات الأحكام بالأدلة الشرعية وربطه التفسير الفقهي بالدليل أهمية لتوظيف تلك الأدلة في تقرير الأحكام الشرعية وبيانها ولأن شرعية الأحكام من الوجوب، والاستحباب والحرمة، وغيرها وسببية الأسباب، وشرطية الشروط ومانعية الموانع يأخذها المفسر من الأدلة التي تثبت شرعية الأحكام لا غيرها².

أمثلة تطبيقية من اهتمام المبيدي بالأدلة:

1- أحكام اليمين:

وفي تفسير قوله سبحانه: "لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ"³، تحدث المبيدي بالتفصيل عن معنى الأيمان وأنواعها وأحكامها، وفسر الآية بقوله: "لا يعاقبكم الله ولا يلزمكم بما صدر منكم من الأيمان اللاغية"، وهي التي لا يقصدها الحالف، بل تجري على لسانه عادة من غير تعقيد ولا تأكيد، ولكن يؤاخذ به أن يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب"⁴، ودعم قوله ببعض الأدلة من الآيات والأحاديث نذكر منها:

¹ ينظر: بدائع الفوائد لابن القيم 12/4-15، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 2010م، وشرح تنقيح الفصول للقرافي ص:45، دار الفكر 1424هـ 2004م.

² ينظر: بدائع الفوائد 15/4-16.

³ سورة البقرة: 225

⁴ كشف الأسرار 602/1.

قوله عز ذكره: "وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ"¹، وذكر أن المراد بالآية النهي عن الحلف، إنما نهى الله في هذه الآية عن أن يجعل الإنسان اليمين مانعة من فعل الخير، فيمتنع عن فعل خير؛ بحجة أنه حلف ألا يفعله، فحتى لو حلف على أمر، ثم كان غيره أفضل منه، شرع له أن يكفر عن يمينه، ويأتي بالأفضل وقد ذكر رسولنا الكريم ذلك: "إذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيراً منها، فكفر عن يمينك، وأت الذي هو خير"².

ثم بين أن لحلف بالله كاذباً كبيرة من كبائر الذنوب؛ مستدلاً بالحديث الصحيح: "الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس"³، وأكد العلامة المبيدي رحمه الله بأنه يعظم الإثم إذا كان الإنسان يسقط حقاً لغيره لما يحلف وهو كاذب، أو يتوصل بيمينه إلى أكل أموال الناس بالباطل، ويجلب منفعة للحديث الوارد في ذلك: "من حلف على يمين وهو فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان"⁴.

كما أشار إلى حكم آخر من أحكام اليمين ألا وهو الحلف بغير الله، كالحلف بالأنبياء، وحياة الأبوين وغيرهم، فهو شرك أصغر، لقول النبي عليه الصلاة والسلام: "من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله"⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

¹ سورة البقرة: 224.

² رواه البخاري برقم (6722)، ومسلم برقم (1652).

³ رواه البخاري برقم (6675).

⁴ متفق عليه: البخاري كتاب الخصومات باب يحلف المدعى عليه في الأموال 3 / 160 ، ومسلم كتاب الأيمان باب وعيد من أقطع من مسلم بيمين فاجر 122/1 .

⁵ متفق عليه : البخاري كتاب الشهادات باب كيف يستحلف 3 / 162 ، ومسلم كتاب الأيمان باب النهي عن الحلف بغير الله 3 / 1267 واللفظ لمسلم .

⁶ كشف الأسرار 603/1.

وذكر رحمه الله أن تحليل اليمين كفارتها مستدلا بقوله تعالى: "قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ"¹. أي والتحليل من اليمين كفارتها إذا رغبتم استباحة المحلوف عليه، كذلك إذا قام الرجل بتحريم زوجته عليه، ما يترتب على فعله هذا يمين يكفرها، وكفارتها إطعام عشرة مساكين².

2- عدة المطلقات:

العلامة المييدي رحمه الله شرح أحكام عدة المطلقة عند تفسيره لقوله سبحانه: "وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ"³.

تعريف العدة لغة واصطلاحاً:

العدة في اللغة: معناها العد والحساب والإحصاء وتربص المرأة الواجبة عليها⁴.

والعدة في الاصطلاح: "هِيَ الْمُدَّةُ الَّتِي تَتَرَبَّصُ فِيهَا الْمَرْأَةُ لِمَنْ أَجَلَ مَعْرِفَةِ بَرَاءَةِ رَحِمِهَا، أَوْ لِلتَّعَبُّدِ أَوْ لِتَفْجُئِهَا عَلَى زَوْجِهَا"⁵.

شرعت العدة لأمر ومعان ومنها:

علم اليقين ببراءة رحم المرأة، وعدم اجتماع ماء الزوجين والواطئين وأكثر في رحمها لكي لا تختلط الأنساب وتبطل وتفسد، ومن تلك المعاني تعظيم أمر الزواج ورفع مكانته وإبراز شرفه، وأيضا إطالة زمن الرجعة للزوج المطلق لعله يكون قد ندم من الطلاق ويكون مصادفاً لزمن يتمكن من الرجعة فيه، والاحتياط لحق كل من

¹ سورة التحريم: 2.

² ينظر: كشف الأسرار 115/2.

³ سورة البقرة: 228.

⁴ ينظر: لسان العرب مادة "عد" 46/7، والمصباح المنير للفيومي ص: 65.

⁵ الموسوعة الفقهية 304/39.

الزوج ومصلحة الزوجة وحقوق الولد، والقيام بما أوجبه الله تعالى من الحق، كما أن براءة الرحم تعد من مقاصد العدة وحكمها¹.

ذكر المبيدي رحمه الله بأنه تجب على المرأة العدة بالفرقة بين الزوجين بعد المعاشرة والدخول بسبب الطلاق أو الوفاة أو فسخ الزواج أو اللعان بينهما، كما تجب العدة بالوفاة قبل دخول الزوج عليها وبعد عقد نكاح صحيح، وقد أجمع الفقهاء على مشروعية العدة وكونها من الواجبات على المرأة عند وجود الأسباب الموجبة واستدلوا بالآية الكريمة: "وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ"²، وبالآية: "وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتِ الْأُحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ"⁽³⁾ وقوله عز ذكره: "وَالَّذِينَ يَتَوَقَّؤْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا"⁴.

كما استدلووا بالحديث النبوي: "لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، تُحْدُ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا"⁵، وَمَا وَرَدَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ: "اعْتَدِي فِي بَيْتِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ"⁶، وبحديث أم المؤمنين عائشة قَالَتْ: "أَمَرْتُ بِرَبْرَةٍ أَنْ تَعْتَدَ بِثَلَاثِ حَيْضٍ"⁽⁷⁾⁽⁸⁾.

كما ذكر رحمه الله من أحكام العدة أموراً ومنها:

¹ إعلام الموقعين 2 / 85، والموسوعة الفقهية الكويتية 39/305.

² سورة البقرة: 228.

³ الطلاق: 4.

⁴ سورة البقرة: 234.

⁵ أخرجه البخاري برقم (1281).

⁶ صحيح سنن أبي داود للألباني رقمه (2284).

⁷ صحيح سنن ابن ماجه رقمه (2077).

⁸ ينظر: كشف الأسرار 1/611-612.

أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَقْرَاءِ فِي الْعِدَّةِ: الْأَطْهَارُ.

لا تجب العدة على المرأة بمجرد الخلوة دون الوطء وهو قول الشافعية، خلافا لجمهور الفقهاء الذين قالوا: بوجوب العدة على المطلقة بالخلوة في النكاح الصحيح غير الفاسد، فلا تجب العدة عليها في النكاح الفاسد إلا بعد الدخول¹.
إذا طلق الزوج امرأته فرأت الدم من الحيضة الأخيرة أي الثالثة فقد برئت هي منه وهو الزوج برئ من هذه الزوجة.

والأمة عدتها نصف عدة الزوجة الحرة، إلا في الحمل فتكون عدتها وضع الحمل، وإن كانت تحيض فطهران.

عدة الأيسة والصغيرة التي لم تحض ثلاثة أشهر.

وإن طلقها في الطهر فتبدأ عدتها من ذلك الطهر الذي هي فيه

و"عدة المستحاضة المتحيرة التي لم تستطع التمييز بين الدمين ونسيث قدر عادتتها، أو ترى يوماً دمًا ويوماً نقاءً، وسواء أكانت مُبتدأة أم غيرها، ثلاثة أشهر، بناءً على أنَّ الغالب نزول الحيض مرةً في كل شهر، أو لاشتمال كل شهر على طهرٍ وحيضٍ غالباً، ولِعَظَمِ مَشَقَّةِ الْإِنْتَظَارِ إِلَى سِنِّ الْيَأْسِ، وَلِأَنَّهَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مُرْتَابَةٌ" كما تدل عليها الآية الكريمة: "إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ" (2)، (3).

3- أحكام الرجعة:

¹ ينظر: كشف الأسرار 612/1، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 536/1، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 96/2.

² الطلاق: 4.

³ ينظر: كشف الأسرار 609/1.

الرجعة في اللغة: بفتح الراء وكسرها، والفتح أفصح: المرءة من الرجوع¹.

والرجعة اصطلاحاً: رد الزوجة إلى النكاح من طلاقٍ طلقها الزوج غير بائن في هذه العدة دون استئناف عقد النكاح².

قد تحدث العلامة المييدي عن أحكام الرجعة في أثناء تفسيره للآية الكريمة: "وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَخُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ، وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا"³، هذا أمر سماوي للأزواج إن طلق أحد منهم امرأته يحق له الرجوع فيه ، أن يكون تعامله معها بالإحسان، إذا انتهت عدتها ، ما بقي من العدة إلا بقدر ما يمكن الزوج فيه الرجوع عن هذا الطلاق، فإمسكها بأسلوب حسن بنية حسن العشر معها، أو يسرحها بمعروف بعد انقضاء عدتها من الجدل والخصام والعداوة والشقاق⁴.

مضيفاً أن الرجعة تتحقق في المذهب الشافعي بالقول لا الفعل، والإشهاد ليس فيها شرطاً إنما يستحب، كما لا يشترط في الرجعة رضا الزوجة، والألفاظ الصريحة في الرجعة هي: "راجعتها" و"رددتها"، و"أمسكتها"، و"نكحتها"⁵.

وقال بأن الشريعة قد حذرت من الإضرار بالمطلقة حيث عن نقل عن ترجمان القرآن قال: "كان الرجل يطلق المرأة ، فإذا قاربت انقضاء العدة راجعها من أجل الإضرار بها ، ولكي لا تتزوج غيره ، ثم يطلقها فتعتد ، فإذا شارفت على انقضاء العدة طلق لتطول عليها العدة وتبقى معلقة، فنهاهم الله عن ذلك ، وتوعدهم عليه فقال :ومن يفعل

¹ ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير 201/2، ولسان العرب لابن منظور مادة "رجعة" 119/8..

² الموسوعة الفقهية 104/22.

³ سورة البقرة: 231.

⁴ ينظر: كشف الأسرار 622/1.

⁵ كشف الأسرار 623/1.

ذلك فقد ظلم نفسه، أي بارتكابه مخالفة أمر الله عز وجل¹، مستدلاً أيضاً بما روي أن عبد الله بن عمر قال: "طَلَّقْتُ امْرَأَتِي وَهِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ ذَلِكَ عُمَرُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَعَيَّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! ثُمَّ قَالَ: مُزِهْ فَلْيُرَاجِعْهَا حَتَّى تَحِيضَ حَيْضَةً أُخْرَى مُسْتَقْبَلَةً سِوَى حَيْضَتِهَا الَّتِي طَلَّقَهَا فِيهَا، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا مِنْ حَيْضَتِهَا قَبْلَ أَنْ يَمْسَهَا؛ فَذَلِكَ الطَّلَاقُ لِلْعِدَّةِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ طَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً وَاحِدَةً، فَحُسِبَتْ مِنْ طَلَّاقِهَا، وَرَاجَعَهَا عَبْدُ اللَّهِ كَمَا أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"²، كما استدل بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "طلق رجل امرأته وهو يلعب، لا يريد الطلاق؛ فأنزل الله: "ولا تتخذوا آيات الله هزوا" فالزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الطلاق"³.

وذكر من أحكام الرجعة أنه يُشْتَرَطُ فِي رَجْعَةِ الزَّوْجِ زَوْجَتَهُ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا؛ فَلَا رَجْعَةَ لِمَجْنُونٍ، لِأَنَّ الْمَجْنُونِ مَرْفُوعٌ عَنْهُ الْقَلَمُ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ أَوْ يُفِيقَ"⁴.

كما يُشْتَرَطُ فِي رَجْعَةِ الزَّوْجِ أَنْ يَكُونَ مُخْتَارًا؛ فَلَا يَصِحُّ مِنْ مُكْرَهٍ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ: "إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتَكْرَهَا عَلَيْهِ"⁵، وَأَنْ تَكُونَ الزَّوْجَةُ الْمُرْتَجِعَةُ مُسْلِمَةً زَمَنَ الرَّجْعَةِ؛ فَلَا تَصِحُّ رَجْعَةُ مُرْتَدَّةٍ¹.

¹ كشف الأسرار 623/1.

² أخرجه البخاري برقم (4908)، ومسلم برقم (1471) واللفظ له.

³ كشف الأسرار 624/1، وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 517/1، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 312/2.

⁴ أخرجه النسائي برقم (3432) واللفظ له، وابن ماجه برقم (2041)، وأحمد برقم (24694) والترمذي برقم (1423) بلفظ: (المعتوه حتى يعقل)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (1423).

⁵ أخرجه ابن ماجه برقم (2045) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته برقم (1836).

والطَّلَاقُ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ الرَّجْعَةُ هُوَ مَا وَقَعَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ لَمَّا رَوَى: "أَنَّ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ كَانَتْ أَخْتُهُ تَحْتَ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا، ثُمَّ خَلَى عَنْهَا حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا، ثُمَّ خَطَبَهَا، فَحَمِي مَعْقِلٍ مِنْ ذَلِكَ أَنْفًا، فَقَالَ: خَلَى عَنْهَا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا، ثُمَّ يَخْطُبُهَا! فَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا"، فَانْزَلَ اللَّهُ: "وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ، فَتَرَكَ الْحَمِيَّةَ وَاسْتَقَادَ لِأَمْرِ اللَّهِ"².

وقال الإمام القرطبي: "أجمع العلماء على أنَّ الحُرَّ إِذَا طَلَّقَ زَوْجَتَهُ الْحُرَّةَ وَكَانَتْ مَدْخُولًا بِهَا- تَطْلِيقَةً أَوْ تَطْلِيقَتَيْنِ: أَنَّهُ أَحَقُّ بِرَجْعَتِهَا"³.

وَالرَّجْعَةُ لِلزَّوْجَةِ الْمَدْخُولِ بِهَا، وَلَا رَجْعَةَ لغيرِ الْمَدْخُولِ بِهَا، لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِنْ غَيْرِهنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا"⁴.

بَيَّنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَا عِدَّةَ عَلَى غَيْرِ الْمَدْخُولِ بِهَا، فَتَبَيَّنَ بِمَجَرَّدِ طَلَاقِهَا وَتَصِيرُ كَالْمَدْخُولِ بِهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا؛ لَا رَجْعَةَ عَلَيْهَا⁵.

وَتَكُونُ الرَّجْعَةُ تَكُونُ فِي الْعِدَّةِ لِلآيَةِ الْكَرِيمَةِ: "وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا"⁶، وَالْمُرَادُ بِ"ذَلِكَ" فِي الْآيَةِ الْعِدَّةُ فَقَطْ⁷.

المبحث الخامس: ترجيحات المبيدي في تفسيره لآيات الأحكام:

¹ ينظر: كشف الأسرار 623/1،

² أخرجه البخاري برقم (5331)، وينظر: كشف الأسرار 618/1.

³ الجامع لأحكام القرآن 120/3.

⁴ سورة الأحزاب: 49.

⁵ كشف الأسرار 616/1.

⁶ سورة البقرة: 228.

⁷ كشف الأسرار 619/1.

من المعروف لدى علماء علوم القرآن أن القرآن الكريم يستخدم أسلوب الاستطراد في العرض، ولهذا نجد الحديث في موضوع واحد من نواح عديدة وفي أكثر من موضع، على سبيل المثال وردت الإشارة إلى الزكاة والإنفاق والصدقة في مواضع مختلفة، وهذه الإشارات القرآنية تحتاج إلى تقريب للباحث عن أحكامها بحيث تكون في مكان واحد بوصفها وحدة علمية مرتبة على الأبواب الفقهية، لكي يسهل وصول العالم والمتعلم إليها، مع الاستدلال بالأقوال التفسيرية، حتى أن بعض المفسرين استنبطوا أحكاماً لا نجدها في المصادر الفقهية والكثير من المسائل الفرعية مختلف فيها بين مفسري آيات الأحكام كما حال الفقهاء ولهذا يضطر مفسر آيات الأحكام لكي يختار قولاً من بين الأقوال المختلفة ويرجحها حتى ولو لم يكن هذا القول هو الراجح في المذهب الفقهي الذي يتبعه المفسر ونقصد بترجيحاته هنا هذه الحالة.

وما يميز كشف الأسرار عن غيره ويضيف إلى قيمته العلمية أنه عند تناوله لمسائل الخلاف بين الفقهاء ومفسري آيات الأحكام لا يتعصب لمذهبه الفقهي بل يتجرد مع الدليل، ومن أمثلة ذلك:

جواز قراءة القرآن في الصلاة بالفارسية لمن يعجز عن القراءة بالعربية:

مع أن العلامة الميبدي ينتمي إلى المذهب الشافعي ولكنه أفتى بجواز قراءة القرآن في الصلاة بالفارسية لمن يعجز عن القراءة بالعربية موافقاً للقول الذي يراه أئمة المذهب الحنفي¹.

فالجُمهور وهم المالكية والشافعية والحنابلة لا يرون جواز القراءة في الصلاة بغير اللغة العربية سواء في ذلك من أحسن القراءة بالعربية أم لا، لأن الله أمر بقراءة القرآن في الصلاة، والقرآن نزل بالعربية وقال سبحانه: "فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْ

¹ كشف الأسرار 1/87..

القرآن¹، كما قال أيضا: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا"²، وذكر أيضا: "بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ"³، ولأن ترجمة معاني الآيات يعد من التفسير، وليست من القرآن، لأن القرآن الكريم هو اللفظ العربي المنزل على نبي الرحمة، فالقرآن دليل نبوته ورسالته، والقرآن معجز بلفظه ومعناه، والإعجاز كما هو معلوم من حيث اللفظ يزول حتى بزوال النظم العربي، فلا ليست الترجمة قرآنا لعدم وجود الإعجاز، ولهذا لا تحرم قراءة ترجمة معاني الآيات على الجنب والحائض، ولا يحنت من حلف بها⁴.

ويرى صاحباً أبي حنيفة أن المصلي إن كان يحسن قراءة العربية لا يجوز له أن يتلو القرآن بغير العربية، وإن كان لا يحسن قراءة العربية يجوز له. وقد ذكر العلماء أنه ثبت رجوع الإمام أبي حنيفة إلى رأي صاحبيه لوجاهة أدلتهم ومنها: لأن العبد مأمور بقراءة القرآن، وهو اسم لكلام الله المنزل بالألفاظ العربية هذا هو المنظوم الذي عبر عنه بالنظم الخاص، والمكتوب في المصاحف، والمنقول إلى العباد نقلاً بالتواتر. واللغة الأعجمية إن سميت إنما تسمى قرآناً بطريقة مجازية، ولهذا نقول يصح أن ننفي اسم القرآن عن النص المترجم إلى الأعجمية⁵.

كما قال الإمام أبو حنيفة في قوله المشهور بجواز القراءة باللغة الفارسية في الآيات التي يمكن أن تترجم حرفياً كما هو جائز بالعربية نفسها، لمن كان يحسن القراءة بالعربية أم لا، لأنها خلف عن النص والنظم الموجود بالعربية لا لأنه القرآن نفسها،

¹ المزمل : 20 .

² يوسف : 2 .

³ الشعراء : 195 .

⁴ القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية لابن جزى ص:65، دار ابن حزم 2010م، وروضة الطالبين للنووي 244/1، والمجموع شرح المهذب للنووي 299/2، والمغني لابن قدامة 486/1، 487، وكشاف القناع 340/1 .

⁵ حاشية ابن العابدin 325/1، وبدائع الصنائع للكاساني 112/1 .

وهذا من باب الرخصة عند الإمام ، أما إن كان يحسن القراءة بالعربية ولم يلتزم بذلك وقراءة بالفارسية فهو مسيء لكونه قد خالف السنة التي ورثتها الأمة في هذا الصدد⁽¹⁾ وقد أشرنا إلى رجوع الإمام إلى قول صاحبيه.

ثم حتى هذا الجواز على رأي الإمام الذي رجع عنه خاص بمن لا يكون متهما بالبعث بالشرعية والقرآن، ولا تكون دينه وعادته التلاوة بالأعجمية، لأن عادة التلاوة بالأعجمية منعها العلماء بالشكل المطلق².

ومن أمثلة ترجيحه وجوب مسح الرأس كله في الوضوء:

لما فسر الآية الكريمة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ"³، قال الآية تدل على وجوب تكميل مسح جميع الرأس، في حين ذهب كل من الحنفية والشافعية إلى القول بجواز مسح بعض الرأس وأن الفريضة تتم به⁴، وقال: "وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ" وهذا الأمر والحكم يعم جميع رأس المتوضئ والآية: "وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ" كقوله سبحانه في جواز التَّيْمُمِ: "فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ"⁵، كما يجب استيعاب الوجه في الوضوء الاستيعاب والتيمم أيضا يجب في الرأس في هذا

¹ الهداية للمير غيناني 47/1 ط مصطفى البابي الحلبي ، وبدائع الصنائع 112/1 ط دار الكتاب العربي. وابن عابدين 325/1 ، 326 ، 327 .

² حاشية ابن العابدين 326/1 ، 327.

³ المائدة:6.

⁴ كشف الأسرار 513/2.

⁵ النساء:43.

المقام¹، واستدلّت الحنفية والشافعية بالآية: "وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ" وذكروا بأن الباء للتبويض، فكانه أمر: "وامسحوا ببعض رؤوسكم"².

ولكن العلامة المييدي قد رجح وجوب مسح جميع الرأس مستدلاً بما روي: "أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ، وَهُوَ جَدُّ عَمْرٍو بْنِ يَحْيَى: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِينِي، كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَوَضَّأُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ: نَعَمْ، فَدَعَا بِمَاءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ فَعَسَلَ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ مَضَمَضَ وَاسْتَنْثَرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَنْبَرَ، بَدَأَ بِمُقَدِّمِ رَأْسِهِ حَتَّى ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاةٍ، ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ"³، و رأى بأن من يمسح بعضاً من رأسه في الوضوء صح وضوؤه عند الشافعية، والراجح أنه لا يجزئه هذا المسح غير المكتمل لأن الله سبحانه لم يقل في الآية: "وامسحوا ببعض رؤوسكم"⁴.

ترجيحه عدم جواز رد المصلي السلام في الصلاة حتى بالإشارة:

لما فسر الآية المباركة: "وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ"⁵، رجح المييدي رحمه الله القول بعدم جواز رد السلام في الصلاة مطلقاً ولو بالإشارة قائلاً بأن هذا الرد أي كان مشروعاً في الصلاة في أوائل انتشار الدين الإسلامي ثم تم نسخه، مستدلاً بقول بحديث: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس؛ إنما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة

¹ كشف الأسرار 513/2.

² ينظر: أحكام القرآن للجصاص 2، 431، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 116/2، والجامع لأحكام القرآن 214/3.

³ أخرجه البخاري برقم (199)، ومسلم برقم (235).

⁴ كشف الأسرار 513/2.

⁵ سورة البقرة: 3.

القرآن"1، ومن تكلم في الصلاة بغير ما هو منها لا يجوز، ومن تكلم في الصلاة جاهلاً فلا شيء عليه، وصلاته صحيحة، وفي حكمه من تكلم في صلاته ساهياً، فصلاته صحيحة ولا شيء عليه، ورد السلام أيضاً يعد كلاماً يأخذ حكم ما ذكر، علماً بأن الشافعية يرون جواز رد السلام في الصلاة بالإشارة، وقالوا: والسَّلامُ عَلَى الْمُصَلِّي مَبَاحٌ وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَرُدَّ بِاللَّفْظِ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الرَّدُّ لَكِنْ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَرُدَّ فِي الْحَالِ إِشَارَةً وَإِلَّا فَبَعْدَ السَّلَامِ لَفْظاً2.

وجوب حلق جميع الرأس، أو تقصيره ثلثه في الحج والعمرة:

لما فسر الآية: "لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ"3، قال: "عامٌ في جميع شعر الرأس، فالرأس اسمٌ لجميعه"4، وأنَّ رسولَ الله عليه الصلاة والسلام حلق رأسه في حجة الوداع5، وهو لما حلق جميع رأسه؛ كان هذا تفسيراً لمطلق الأمر به، فيجب الرجوع إليه6.

وقال الشافعية: أقل ما يجزئ ثلاث شعرات حلقاً أو تقصيراً من شعر الرأس7،

ورأي المييدي رحمه الله أن القول بحلق أو تقصير جميع شعر الرأس في الحج والعمرة هو الأحوط وأنه لا ينبغي الاقتصار على أخذ شعر بعض أجزاء الرأس دون الجميع8.

1 أخرجه مسلم برقم (538).

2 ينظر: كشف الأسرار 6/1-7، والمجموع شرح المذهب للنووي 104/4.

3 الفتوح: 27.

4 كشف الأسرار 86/7.

5 رواه البخاري برقم (4410) ومسلم برقم (1304).

6 كشف الأسرار 86/7.

7 ينظر: المجموع شرح المذهب للنووي 199/8، وكشف الأسرار 513/2.

8 كشف الأسرار 514/2.

ومن أمثلة ذلك أيضا ترجيحه القول بتحريم اللعب بالنرد والشطرنج خلافا لبعض علماء الشافعية:

ومن أمثلة ذلك أيضا ترجيحه القول بتحريم اللعب بالنرد والشطرنج واعتباره من أعمال الفسق عند تفسيره للآية: "وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ، ذَلِكَمْ فِسْقٌ"¹، فقد خالف رحمه الله بعض فقهاء المذهب الشافعي وقال بعدم جواز اللعب بالشطرنج واعتبره من أعمال الفسق، مع تأكيده أن يكون بعض المتأخرين من فقهاء المذهب الشافعي قد رخصوا اللعب بالشطرنج بشروط محددة من أمثال: إذا لم يكن في الصلوات نسيان، وفي المال خسران، وفي اللسان طغيان، فهو أنس بين الخلان².

المبيدي اعتبر اللعب المذكور ((فسقاً)) واللاعب به ((فاسقاً)) وقال: إن هذا هو ((مذهب أصحاب الحديث ، وسيرة أهل الورع والديانة))³.

وهذا القول أيده الكثير من العلماء، حيث قال الإمام القرطبي رحمه الله:

"هذه الآية تدل على تحريم اللعب بالنرد والشطرنج قمارا أو غير قمار لأن الله تعالى لما حرم الخمر أخبر بالمعنى الذي فيها فقال: ((إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ)) فكل لهو دعا قليله إلى كثيره وأوقع العداوة والبغضاء بين العاكفين عليه وصد عن ذكر الله وعن الصلاة فهو كشرب الخمر وأوجب أن يكون حراماً مثله"⁴.

وذكر الذهبي عن تحريم الشطرنج ما نصه: "وأما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها سواء كان برهن أو بغيره أما بالرهن فهو قمار بلا خلاف وأما إذا خلا عن

¹ المائدة:3.

² ينظر: كشف الأسرار وعدة الأبرار 16/3.

³ ينظر: كشف الأسرار: 16/3.

⁴ الجامع لأحكام القرآن 291/6.

الرهن فهو أيضا قمار حرام عند أكثر العلماء . . وسئل النووي رحمه الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز؟ فأجاب رحمه الله تعالى: إن فوت به صلاة عن وقتها أو لعب بها على عوض فهو حرام وإلا فمكروه عند الشافعي وحرام عند غيره¹.
فنجد أن المفسر رشيد الدين المييدي رحمه الله يراعي الاحتياط وترجيحاته مبنية على هذا الأساس حتى لو خالف مذهبه الفقهي الذي كان ينتمي إليه.

المبحث السادس: جوانب التجديد في التفسير الفقهي عند كشف الأسرار:

تعريف التجديد:

التجديد لغة:

يقول علماء اللغة: "جَدَّ الشيءُ يَجْدُ بالكسر جَدَّةً ، صَارَ جَدِيداً ، وهو نَقِيضُ الْخَلْقِ"².
وقال ابن فارس: "سُمِّي كُلُّ شَيْءٍ لَمْ تَأْتْ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ جَدِيداً ، ولذلك يُسَمَّى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ الْجَدِيدَيْنِ وَالْأَجْدَيْنِ ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا جَاءَ ، فَهُوَ جَدِيدٌ"³.

والتجديد الفقهي اصطلاحاً: هو تجديد ما تبقى من الجانب الفقهي في التفسير على جوهره ومعالمه وخصائصه وتجديد الفهم له، وتجديد الالتزام والعمل بأحكامه وتجديد الدعوة إليه⁴.

اعترافاً بمنطق التغيير الذي تفرضه حركة التفسير واختلاف ظروف الزمان والمكان، وبما تقتضيه التطورات التي تشهدها المجتمعات الإسلامية، فإن التفسير الفقهي لابد أن يكون موصولاً بواقع الناس، متفاعلاً مع التحولات التي يعيشها الناس،

¹ الكبائر لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ص: 89-90، وينظر أيضاً: تحريم النرد والشطرنج والملاهي ويليه بحث خاص في الأغاني والمعازف للأجري ص: 5 وما بعدها.

² ينظر: الصحاح للجوهري مادة (جدد)، 454/2.

³ ينظر: معجم مقاييس اللغة 409/1.

⁴ ينظر: تجديد الدين وإحيائه للمودودي ص: 9.

قادراً على معالجة مشكلات وقضايا الناس المتجددة، وانطلاقاً من هذه الأهمية الكبيرة للتجديد في التفسير الفقهي، لا نجد تفسيراً كبيراً وموسوعياً شاملاً للقرآن الكريم كله باللغة الفارسية يهتم بتفسير آيات الأحكام مثل تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار، الذي خصص لبيان الأحكام الفقهية فصولاً خاصة، مع انعدام ظاهرة التعصب، فقد كان العلامة الميدي رحمه الله يرجح في المسائل الخلافية ما يجد الصواب والحق وما يدعه الدليل، وإن كان مخالفاً للمذهب الذي ينتمي إليه، منصفاً لغيره من العلماء، متوخياً الدقة في النقل والتحري.

ولا تخفى على طلاب العلم والباحثين ما لدور أهمية الترجمة التفسيرية للقرآن الكريم في بيان الأحكام ونقل الشريعة من اللغة العربية إلى لغات شتى، فهي من مصادر هذا الدين إن التزم المفسر المترجم بالقواعد والضوابط في هذه الترجمة، وبعد فتح البلدان واتساع رقعة جغرافيا الأمة الإسلامية منذ عصر الرسالة والراشدين ومن تبعهم بإحسان انتشر العربية بين الشعوب لأنها لغة القرآن الكريم ، وكانت لغة الدين والدولة وبناء عليه زادت أهمية الترجمة التفسيرية لتبليغ الرسالة النبوية وشرح الأحكام ومنها تفاسير آيات الأحكام بلغات غير العربية منها اللغة الفارسية من أمثال تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار ويجدد التفسير الفقهي وفي هذا المبحث نتناول جوانب التجديد في التفسير الفقهي في كشف الأسرار على النحو الآتي:

1-تلبية حاجة الشعوب الناطقة باللغة الفارسية وما أحوج هذه الشعوب المسلمة إلى معرفة أحكام دينهم من مصدرها الأول ألا وهو القرآن الكريم ، وأحوج البشرية إلى الإقبال على كتاب الله تعالى تلاوة وتدبراً ، تعلماً وتعليماً ، وفهماً للمعاني والتفسير ويستوي في ذلك المسلمون وغيرهم، وغير المسلمين اليوم على مختلف دياناتهم الباطلة بحاجة إلى أن يسمعوا كتاب الله تعالى ، ويفقهوا معاني آياته وأحكامه وتشريعاته، ومن المعروف في شريعتنا الإسلامية أن ما لا يتم إلا بمعرفته أحكام الشريعة فهو واجب أيضاً وتعلم العلوم المساندة لذلك الواجب أيضاً يبلغ درجة

الوجوب ، فعلى سبيل المثال إذا كانت معرفة أحكام الشرعية والعبادات والمعاملات تتوقف على ترجمة معاني آيات القرآن الكريم إلى غير العربية فهذه الترجمة من أكد الواجبات أيضا¹.

فالشعوب المسلمة الناطقة بغير العربية الذين لا يتكلمون بالعربية فإن الضرورة ملحة لتبليغهم معاني القرآن الكريم بلغتهم وإيصال أحكام القرآن إليهم².

وترجمة معاني القرآن الكريم من أعظم الأسباب التي تدعو الناس إلى الدخول في الإسلام، فنقل علوم ومعارف القرآن الكريم وهداياته ومسائله الشرعية إلى غير الناطقين بالعربية من أهم المهمات و أوجب الواجبات، ولن يستقيم أمرهم ولا ينعمون في هذه الدنيا والآخرة إلا بالقرآن الكريم³، وهذا ما قام به مؤلف كشف الأسرار وعدة الأبرار.

2- وكان من شدة اهتمام المبيدي بالتفسير الفقهي أنه خصص فصولا خاصة لتناول الأحكام الفقهية المستنبطة من آيات الأحكام فقارئ كشف الأسرار وعدة الأبرار يجد وحدة متكاملة للمسائل الفقهية وبكل يسر وسهولة مرتبة ترتيبا شبيها بالتبويب الفقهي⁴، وهذا يعد تجديدا واضحا للتفسير الفقهي باللغة الفارسية حيث لم يسبقه أحد من المفسرين في هذا الابتكار وجودة الترتيب.

3- يعد كشف الأسرار وعدة الأبرار أول تفسير من التفاسير ذات طابع فقهي باللغة الفارسية يجمع بين اللغتين العربية والفارسية، فجد العلامة المبيدي رحمه الله يبدأ في تفسير الآية باللغة الفارسية ثم ينتقل إلى العربية، فعلى سبيل المثال نراه قد بدأ

¹ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح 213/1.

² ينظر: دور ترجمة معاني القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين ص 13.

³ مناهل العرفان 136/2.

⁴ ينظر مثلا أحكام الصلاة والزكاة في: كشف الأسرار وعدة الأبرار 10-3/1، وأحكام الصيام 320-312/1، وأحكام الحج 412/1 وما بعدها.

رحمه الله بتفسير سورة الماعون بالفارسية ثم انتقل إلى العربية فيفسر الآية: "فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ"¹، على النحو الآتي: أي يقهره ويزجره ويدفعه عن حقه، ويدع اليتيم معناه: يتركه ويهمله ولا يعبأ به "وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ"²، أي لا يطعم المسكين، ولا يأمر غيره بإطعامه لأنه كاذب بيوم الجزاء لأنه عزوجل لم يعذر من ليس عنده طعام، وألزمه الحض على الإطعام والسعي على الفقير الجائع حتى يطعم وأوعد في ذلك وعيدا غليظا، وقوله "على طعام المسكين"، أي على إطعام المسكين والحض الحث، والمسكين هو الذي له شيء يسكن إليه والفقير الذي لا شيء له وقيل هما سواء³.

ثم انتقل مرة أخرى إلى اللغة الفارسية وذكر الأحكام المستنبطة من السورة على النحو الآتي:

-الماعون ما لا يجوز منعه لو طلب الجيران كالماء، والملح، والنار، وكل منفعة وعارية مثل القدر، والفأس.

مَنعُ الماعون من صفات المنافقين.

الحث والترغيب في الخير والمعروف والإنفاق في الأمور الخفيفة، بإعارة أدوات صغيرة؛ والتحذير من البخل في مثل هذه الأمور.

الحث على رعاية الفقراء والمحتاجين، والمساكين والأرامل، ومَن وقعوا في نكبة، ونحو ذلك.

¹ الماعون:2.

² الماعون:3.

³ كشف الأسرار 10/631-632.

من يمنع الناس ماعونًا يحتاجون إليه فأيمانه ناقص، وإن كانت هذه عادته فليبحث عن قلبه¹.

القسوة على اليتيم وسوء معاملته دليل على ضعف الإيمان، وكذا منع مساعدة المحتاج والدعوة إليه.

والتكذيب بيوم الدين على وجهين، أحدهما إنكاره له وجحوده به باللسان، والثاني أن لا يعمل به فيكون بمنزلة المكذب به².

4- خلو تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار من أي تعصب أو تجريح لمن قبله أو لمعاصريه، ونظرته إلى اختلاف المذاهب الفقهية بوصفه اختلاف تتوع لا اختلاف تضاد.

5- كثرة الاحتجاج بالسنة النبوية وأثار الصحابة رضي الله عنهم وربط تفسير آيات الأحكام بالحديث والأثر.

6- ربط تفسير آيات الأحكام والمسائل المستنبطة من الآيات القرآنية بالحياة المعاصرة لعصره، ولهذا لقي قبولاً لدى من جاء بعده من المفسرين وعامة الناس، ووجد رواجاً في المكتبات والدوائر العلمية لأسلوبه السهل ومنهجه الواضح في توضيح الأحكام.

7- تقريب الخلاف بين المذهبين الحنفي والشافعي وقد ضرب العلامة الميبدى أروع الأمثلة في هذا الميدان فأخذ الأقوال ونقل الآراء من كلا المذهبين ثم رجح القول الذي يدعمه الدليل.

8- إن تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار أدى دوراً كبيراً في الدفاع عن فقه أهل السنة والجماعة أمام مطاعن الفرق الضالة واقتراءاتهم في عصر ازدهار التفسير

¹ ينظر: كشف الأسرار 632/10.

² كشف الأسرار 631/10-634..

بالفارسية وظهور تفاسير الطوائف المنحرفة وقد تمثل اهتمام العلامة المييدي بالمحافظة على دين الأمة وفقها والتصدي لأعدائها من الداخل والخارج، ولا شك أن ملامح التجديد وإحياء الشريعة وإقامة الدين الصحيح تظهر بوضوح في تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار، فمن يتصفح هذا التفسير يجد أنه يدعو إلى الاستقاء من معين الكتاب والسنة واللجوء إلى كنف شريعة الله الخالدة في جميع شؤون الحياة وشعبها، ويرد على أباطيل الآخرين بقوة البرهان والحجة، ونكتفي هنا بإيراد مثال واحد من هذه الردود وهو ما يتعلق بحكم نكاح المتعة الذي يجيزه الشيعة ويعتبرون ممارسته تقرباً إلى الله.. وجاء رد العلامة المييدي عند تفسيره لقوله تعالى: "وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ"¹، فقد بين رحمه الله معنى الزوجية وأحكامها وذكر بأن نكاح المتعة لا ينطبق عليه معنى الزوجية وبناء الأسرة المسلمة ولا يمكن اعتبار الرجل والمرأة في نكاح المتعة زوجين لبعضهما البعض، فلا يرثان عن بعضهما لو مات أي واحد منهما قبل الآخر، ولا يجب للمرأة في نكاح المتعة النفقة واللباس، كما أن نكاح المتعة ليس سبيلاً للتناسل والمحافظة على النسل حيث أن كل من الرجل والمرأة يبحث عن المتعة والاتصاق بشخص آخر، كما أن الأحكام الزوجية من عدة وطلاق، وإيلاء، ولعان، وظهار، وقسمة المبيت لا وجود لها مع المرأة التي تنكح بنكاح المتعة وفق شريعة المجيزين لنكاح المتعة ولا شك أن انتفاء أحكام الشيء دليل واضح على انتفاء الشيء نفسه².

المبحث السابع: القيمة العلمية لتفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار:

تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار تفسير كبير وموسوعي جامع للقرآن الكريم باللغة الفارسية يبدأ بفاتحة الكتاب وينتهي بسورة الناس ويقع في عشر مجلدات، ويعد

¹ المؤمنون: 5-6.

² ينظر: كشف الأسرار 364/6.

من أهم التفاسير الفارسية المتداولة لأهل السنة والجماعة وتكمن قيمته العلمية في الجوانب الآتية:

1- يُعد كشف الأسرار وعدة الأبرار واحداً من أشهر التفاسير ذي الاتجاه الفقهي باللغة الفارسية ، وهو متداول من قديم الأيام منذ القرن السادس الهجري في الأوساط العلمية ويظهر ذلك من انتشار نسخه المطبوعة والمخطوطة في كثير من مكتبات العالم، ويحظى بشهرة واسعة بين الباحثين في الدراسات القرآنية باللغة الفارسية، لأنه تفسير يمتاز عن غيره من التفاسير، بأسلوب شيق وطريقة ممتازة، سخر كل العلوم النافعة من أمثال: علوم القرآن الكريم ، وأسباب النزول، وأبحاث المكي والمدني، الناسخ والمنسوخ، القراءات، اللغة، في خدمة التفسير وكونه جمع أيضاً بين التفسير بالمأثور وبالرأي الممدوح.

2- وهو من التفاسير الموسوعية التي اهتمت بالفقه اهتماماً بالغاً، بل يعد تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار مصدراً من المصادر المهمة للتفسير الفقهي لعدد كبير من المفسرين باللغة الفارسية من أمثال: الواعظ الكاشفي الهروي في تفسيريه ((جواهر التفسير)) و ((المواهب العلية)) ومعين الفراهي في تفسيريه ((حقائق الحقائق)) و ((أسرار الفاتحة))¹.

3- كما أن تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار قد ساهم في إثراء المكتبة التفسيرية بالفارسية وكان من المصادر المهمة لطلبة العلم والباحثين والدارسين في مجال الدراسات القرآنية ، واستفادت منه الشعوب الناطقة باللغة الفارسية التي يصل عدد أفرادها إلى عشرات الملايين ، وهذا التفسير يتميز بالشمول حيث اشتمل على تفسير آيات الأحكام بالتتابع من أول القرآن الكريم إلى آخره، وقد توسع مؤلفه المييدي رحمه الله في تفسير آيات الأحكام واستنباط المسائل والفوائد الفقهية حتى إنه عقد

¹ ينظر: التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 507/1 .

فصولاً خاصة في بيان أحكام الصلاة، والصيام والزكاة، والحج، والبيوع، والربا، والأذان، وفقه الأسرة، وغيرها¹.

ولا شك أن هذا الرواج والانتشار الكبير لهذا التفسير يدل على تأثير المجتمعات والأجيال المتعاقبة به، الذي أزال حاجز اللغة من أمام الناطقين بالفارسية ومكنهم من الوقوف على الهدايات القرآنية بصورة مباشرة فساهم بذلك في الحفاظ على دينهم الإسلامي الحنيف عقيدة، وشريعة، وأخلاقاً بالرغم من وجود عواصف تيارات الانحراف كالأعتزال والرفض في عصر المؤلف رحمه الله².

وغني عن القول أن إقبال المسلمين الناطقين باللغة الفارسية على تفسير كشف الأسرار المكتوب بلغتهم الأم، واستفادتهم منه، وتأثرهم به لهو دليل آخر على القيمة العلمية لهذا التفسير³.

4- ويشهد الباحثون في الدراسات القرآنية بالأدب الجم الذي تميز به مؤلف كشف الأسرار في التعامل مع المخالفين في الرأي في المسائل الفقهية فقد تجنب استخدام الألفاظ والعبارات الجارحة في حق مخالفه من أتباع المذاهب الأخرى ودأب على ذكر أئمة المذاهب وعلمائها بالخير والترحم عليهم مع الإشارة إلى محاسنهم⁽⁴⁾.

5- مما يميز كشف الأسرار عن غيره من التفاسير التركيز على الجانب الفقهي الذي له دور في تكوين هذه الثروة التشريعية التي قدمت مادة علمية تفسيرية فقهية غزيرة أحياناً تغني عن مراجعة أمهات مصادر الفقه بحكم توسعه في الاستنباط، حيث جمع ثروة فقهية جعلت من هذا التفسير مرجعاً هاماً لأصحاب الفتاوى فلا غنى عنه لباحث في التفسير والدراسات القرآنية وفي العلوم الشرعية.

¹ يراجع فهرس كشف الاسرار وعدة الأبرار 10/ 611 - 612 .

² ينظر: التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 787/2.

³ ينظر: التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 787/2.

⁴ التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 743/2.

6- ويمكننا أن نعرف أثر أي كتاب من مدى تقدير أهل تخصصه لهذا الكتاب ومؤلفه والثناء عليهما، ومدى استفادة الناس من محتوى ذلك الكتاب، ومن الآثار الإيجابية لهذا المحتوى في حياة الناس، فنجد في واقعنا المعاصر المفسرين والباحثين في مجال الترجمات والدراسات القرآنية يرجعون إلى هذا التفسير، وقد كان مرجعاً للترجمات التفسيرية للباحث محمد صديق راشد سلجوقي¹.

6- يحتوي كشف الأسرار وعدة الأبرار على الروايات الحديثية في التفسير ومؤلفه يفسر القرآن بالسنة النبوية وينقل أقوال الصحابة وآثارهم رضي الله عنهم، ويشتمل على النقول التفسيرية للتابعين، إذا لم يجد ما يفسره بالقرآن.

7- من يتصفح تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار يجده كأنه عبارة عن أربعة تفاسير لأن مؤلفه رحمه الله يجمع بين الأساليب الأربع التالية²:

الأول: يبين معاني الكلمات بألفاظ موجزة ومختصرة ويشبه في ذلك تفسير الجلالين، وفي واقعنا المعاصر أيسر التفاسير للشيخ أبي بكر الجزائري، لأن فهم معاني الكلمات يساعد القارئ على معرفة تفسير الآيات نفسها، وهذا الأسلوب يعد من محاسن تفسير كشف الأسرار باللغة الفارسية.

الثاني: وسماه النوبة الأولى، وهو تفسيره الإجمالي للآيات اعتماداً على تفسير القرآن بالمأثور؛ فيفسر الآية بآية أو آيات أخرى، وهو شديد الاهتمام بهذا الأسلوب، ويبدل جهده في سرد الآيات المتناسبة التي يجمعها معنى واحد، ثم يشرع في سرد الأحاديث المتعلقة بالآية المراد شرح معانيها وتفسيرها، ثم يبدأ في الخطوة التالية ألا وهي ذكر أقوال الصحابة الكرام وتفسير التابعين، ومن بعدهم من أهل التفسير وهكذا نجده أنه تفسير بالمأثور شبيه بتفسير القرآن العظيم لابن كثير وفتح القدير للشوكاني.

¹ ينظر: در سايه قرآن (فارسي) أي في ظلال القرآن 372/1 - 373 .

² ينظر: كشف الأسرار 7-3/1، 21-29.

الثالث: استنباط الأحكام الفقهية وبيان المسائل الشرعية كما هو الحال لدى مفسري آيات الأحكام مثل تفاسير الأئمة أحكام القرآن لأبي بكر رازي الجصاص، وأحكام القرآن لابن العربي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، مما يدل على عنايته بالأحكام الفقهية وربط التفسير بالفقه وحل مشاكل الناس في ضوء شريعتهم الخالدة، وهذا الجزء سماه المبيدي رحمه الله النوبة الثانية¹.

الرابع: هذه هي النوبة الثالثة وهي مخصصة للرد على الطوائف والفرق الضالة سواء خارجة عن الإسلام أو محسوبة عليها ولكنها انحرفت وفسرت القرآن الكريم حسب أهوائها وفي ضوء عقائدها الباطلة، فالمؤلف رحمه الله يرد على أباطيلهم بالحجة والبرهان ويبين زيغهم وضلالهم ويحذر الأمة من اتباع سبيلهم².

وقد وقف العلامة المبيدي من خلال تفسيره كشف الأسرار وعدة الأبرار سدا منيعا أمام الفرق والتيارات المنحرفة فحفظ للمسلمين عقيدتهم ودينهم، ورد على المعتزلة في إنكارهم لرؤية الله في الآخرة، وذهب بأن موقف أهل السنة إثبات رؤيته عز وجل في الآخرة مستدلا بقوله سبحانه: "فَأَخَذْتُكُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ"³، هذه الآية دليل على رؤية الرب جل جلاله، ورد على المعتزلة المنكرين للرؤية ووجه الدليل أن موسى عليه السلام لم ينكر عليهم طلبهم رؤية الله ولو كانت الرؤية مستحيلة لوجب على موسى الإنكار والنهي عن الطلب⁴.

كما رد العلامة المبيدي رحمه الله على الخوارج في قولهم بخلود مرتكب الكبيرة غير التائب في النار، وذلك في أثناء تفسيره للآية: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا

¹ ينظر: كشف الأسرار 1/704، و711، 721.

² ينظر: كشف الأسرار وعدة الأبرار 10/637. .

³ سورة البقرة: 55.

⁴ ينظر: كشف الأسرار 1/192.

دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ"¹، بأن هذا النص فرق بين الشرك وبين المعصية، فنفى المغفرة في الشرك وأثبتها في المعصية لأنه لو كان جميع المعاصي شركا وكفرا، ينقطع الكلام في قوله: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ" لأنه يشمل جميع المعاصي فلا يبقى محملا لقوله: "وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ"، فعلم أن القول بخلود أصحاب الكبائر في النار باطل وفاسد².

وفي معرض تفسيره لقول الله عز وجل: "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ" ^٤ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ"³، تحدث المييدي رحمه الله عن فضائل الصحابة وعظم درجاتهم وعلو مكانتهم، ثم تطرق إلى بيان خطورة بغض الصحابة وشناعة جريمة من يحقد عليهم، وأن من يحقد على أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام فهو ضال ومضل⁴.

الفصل الثاني: تفسير النسفي لنجم الدين أبي حفص عمر بن أحمد النسفي (ت 537هـ)

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وبتفسيره:

المطلب الأول: ترجمة النسفي:

اسمه ونسبه، ومولده، وطلبه للعلم:

هو العلامة "عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن علي بن لقمان النسفي، ثم السمرقندي"⁵.

¹ النساء: 49.

² ينظر: كشف الأسرار 2/639-640.

³ الفتح: 29.

⁴ ينظر: كشف الأسرار 9/232-233.

⁵ الجواهر المضيئة 2/657، 658، وطبقات المفسرين للدواي 7/2، وطبقات المفسرين للسيوطي ص 75، ومعجم المؤلفين 2/571.

أما كنيته : فقد تضافرت المراجع والمصادر التي ترجمت له على كنيته بأبي حفص¹.

وأما لقبه هو "نجم الدين" ، وكذلك زاد بعضها أنه يلقب أيضاً بـ "مفتي الثقليين"².

والنسفي نسبة إلى "نسف" بفتح أوله وثانيه ثم فاء، قال الاصطخري عنها :

"وأما نسف فإنها مدينة لها أربعة أبواب ، وهي على مدرج بخارى وبلخ ، والجبال منها على مرحلتين فيما يلي كش ، وأما ما بينها وبين جيحون فمفازة لا جبل فيها لها نهر واحد يجري وسط المدينة"³.

وهي مدينة كثيرة الأهل وكبيرة بين نهر جيحون وسمرقند، وسميت في بعض اللغات بـ "نخشب"⁴ وتقع الآن في جمهورية أوزبكستان، تربي فيها كثير من أهل العلم في كل فن كالإمام النسفي وغيره من العلماء .

أما مولده : فقد كان بـ "نسف" سنة إحدى⁵ ، أو اثنتين وستين وأربعمائة للهجرة⁶. جميع المصادر والمراجع التي ترجمت للإمام النسفي لم تذكر نشأته ولا البيئة التي عاش فيها، وهل كان من أسرة غنية أم فقيرة.

¹ ينظر: الجواهر المضيئة 657/2، 658، وطبقات المفسرين للداودي 7/2، وطبقات المفسرين للسيوطي ص 75 ، ومعجم المؤلفين 571/2.

² ينظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي ص: 149 ، 150 .

³ معجم البلدان 329/5.

⁴ معجم البلدان 329/5.

⁵ طبقات المفسرين للسيوطي ص: 76، ومعجم المؤلفين 571/2.

⁶ الجواهر المضيئة 657/2 - 658، وطبقات المفسرين للداودي 7/2، ومفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة لأبي العباس بن العريف 123/1، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 1993م.

ولم تشر إلى شيء من رحلاته العلمية عدا ما ذكره الكتبي في تاريخه قائلاً: "قدم بغداد وحدث بكتاب تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار، وروى فيه عن مشايخه"¹، إلا أنه لم يشر إلى تاريخ انتقاله وكذا مدة بقائه فيها .

وكذلك ما ذكره الداودي في طبقاته: وهو أن الإمام النسفي زار جارا الله الزمخشري في داره ، وذلك في مكة².

قال عمر رضا كحالة: "ورد بغداد حاجاً"³، وبناء عليه نستطيع أن نقول أن العلامة عمر النسفي خرج من سمرقند إلى مكة قاصداً الحج وهناك مر ببغداد وأقام بها وحدث بكتابه تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار، وهو الذي ذكره الكتبي في تاريخه ، ثم سافر بعد ذلك إلى مكة حيث يريد الحج ، وهناك زار الزمخشري ، ثم عاد إلى سمرقند ، وأقام بها حتى توفي .

وجدير بالإشارة إلى أن النسفي هذا غير أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي صاحب التفسير المعروف بـ "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" المتوفى سنة 710هـ .

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

لقد بلغ العلامة عمر النسفي مكانة علمية كبيرة أشاد بها العلماء، وسجلها له المؤلفون من بعده ، فوصفوه بسمات عديدة ، وذكروه بالقاب مختلفة ، من ذلك ما ذكره ابن النجار حيث قال : "كان فقيهاً ، فاضلاً ، مفسراً ، محدثاً ، أديباً ، متقناً ، وقد صنف كتباً في التفسير والحديث والشروط"⁴.

¹ طبقات المفسرين للداودي 8/2

² ينظر: طبقات المفسرين للداودي 8/2.

³ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 571/2.

⁴ الجواهر المضية للقرشي 660/2.

وقال عنه عمر رضا كحالة : ((كان مفسراً ، فقيهاً ، محدثاً ، متكلماً ، أصولياً ، مؤرخاً ، أديباً ، ناظماً ، لغوياً ، نحوياً))¹.

وقال عنه الكتبي في تاريخه : ((ولعله صنف مائة مصنف ، قدم بغداد وحدث بكتاب" تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار" من جمعه ، وروى فيه عن عامة مشايخه))².

وقال عنه السمعاني : ((فقيه ، فاضل ، عارف بالمذهب والأدب ، صنف التصانيف في الفقه والحديث ، ونظم الجامع الصغير، كان إماماً ، فاضلاً ، مبرزاً ، متقناً ، صنف في كل نوع من العلم))³.

وقال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء : "كان صاحب فنون، أَلَفَ في الحديث والتفسير والشروط ، وله نحو من مائة مصنف"⁴.

ذكر العلماء أن:"العلامة النسفي أراد أن يزور جارا الله العلامة الزمخشري في مكة، فلما وصل إلى داره دق الباب ليفتحوه ويأذنوا له بالدخول ، فقال الشيخ أي الزمخشري : من ذا الذي يدق الباب ؟ فقال: عمر ، فقال جارا الله : انصرف ، فقال نجم الدين : يا سيدي عمر ما ينصرف، فقال الشيخ : إذا نُكِرَ ينصرف"⁵.

شيوخه:

¹معجم المؤلفين 571/2.

²طبقات المفسرين للداودي 9/2.

³مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش الكبرى زادة 124/1 ، ط دار الباز للنشر والتوزيع .

⁴سير أعلام النبلاء للذهبي 126/20.

⁵ينظر: طلبية الطلبة في الاصطلاحات الفقهية لأبي حفص النسفي 5/1، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، بدون تاريخ.

تلقى العلامة النسفي العلم على يد عدد من العلماء، في مختلف أنواع العلوم سواء كان في التفسير، أم الفقه أم الحديث، وقد أشار النسفي إلى شيوخه في كتاب أسماه: "تعداد الشيوخ لعمر"، مستطرف على الحروف مستطر¹.

وقد بلغ شيوخه عدداً كبيراً حتى إنه كان يقول عنه صاحب الهداية: ((سمعت نجم الدين عمر يقول: أنا أروي الحديث عن خمسمائة وخمسين شخصاً))². وقد ذكرت بعض المصادر التي ترجمت له بعض شيوخه، وهم: "أبو القاسم بن بيان سمع منه في بغداد، وحدث عن إسماعيل بن محمد النوحى، والحسن بن عبد الملك القاضي، ومهدي بن محمد العلوي، وعبد الله بن علي بن عيسى النسفي، وأبو اليسر محمد بن محمد النسفي، وحسين الكاشغري، وأبو محمد الحسن بن أحمد السمرقندي، وعلي بن الحسن الماتريدي"³.

ومن أشهر شيوخه رحمه الله ما يلي:

أحمد بن محمد بن جبريل، الإمام، أبو نصر النسفي تفقه بسمرقند على القاضي منصور بن أحمد الغزقي، وروى عنه الحديث وعن غيره، وحدث وسمع منه أبو حفص عمر بن محمد النسفي، ولد في رجب سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة⁴.

أسعد بن عبد الله بن حمزة الفقيه، الحاكم الغوبديني، نسبة إلى غوبدين، قرية من قرى نسف، على فرسخين منها، يروي مصنفات محمد بن الحسن عن والده عن جده يعقوب، روى عنه الإمام أبو حفص عمر بن محمد النسفي، صاحب المنظومة⁵.

¹ كشف الظنون 418/1، وهديّة العارفين 783/1، والجواهر المضيئة 660/2.

² الجواهر المضيئة 660/2.

³ الجواهر المضيئة 660/2.

⁴ ينظر: الجواهر المضيئة 320/1، والطبقات السنية ص 368.

⁵ ينظر: الجواهر المضيئة 384/1، ومعجم البلدان 820/3.

إسماعيل بن محمد بن إبراهيم ، النوحى النسفى ، كانت ولادته فى شعبان سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة بسمرقند ، سمع أبا العباس جعفر بن محمد المستغفرى ، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفى ، له ذكر فى طلبة الطلبة ، ذكره السمعاني ، وقال : ((كتب الحديث بسمرقند ، توفي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة))¹.

عمر بن محمد بن عمر بن أحمد بن خشنام الخشنامى البخارى ، قال السمعاني : ((كان فقيهاً فاضلاً مناظراً أدبياً ، سمع أبا بكر محمد بن علي بن حيدرة البخارى ، وسمع منه أبو حفص عمر بن محمد النسفى ، توفي ببخارى سنة اثنتين وخمسمائة))².

عمر بن أبى الحارث المنغنى القاضى ، أبو حفص الحاكم ، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفى³.

قيس بن إسحاق بن محمد أبو المعالى المرغينانى ، ذكره أبو سعد فى الأنساب وقال : "كان أميراً ، إماماً ، فاضلاً ، أقام بسمرقند ودرس بها ، روى عنه : أبو حفص عمر بن محمد النسفى ، تولى بجامع سمرقند سنة سبع وعشرين وخمسمائة"⁴.

محمد بن أحمد بن محمود بن أحمد النسفى ، ابن أبى المويد أحمد ، كان عالماً ، إماماً محدثاً ، فاضلاً ، سمع بالحجاز وغيره وحدث ، روى عنه نجم الدين عمر النسفى ، وذكر أن ولادته بيمرغ سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة⁵.

ثانيا : تلاميذه :

¹ الجواهر المضية 392/1 ، 393 .

² الجواهر المضية 392/1 ، 393 .

³ معجم البلدان 717/4 ، والجواهر المضية 647/2 ترجمة رقم (1050).

⁴ الجواهر المضية 713/2 .

⁵ الجواهر المضية 66/2 .

وأبرز من ذكرت المصادر من تلاميذه:

ولده : أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن لقمان النسفي ، أبو الليث ويعرف بالمجد ، من أهل سمرقند ، ولد سنة سبع وخمسمائة كما ذكره السمعاني ، تفقه على والده الإمام نجم الدين عمر بن محمد النسفي وغيره ، إلا أنه لم تكن له عناية بالحديث .

قال عنه أبو سعد : من أولاد المحدثين الأئمة ، كان فقيهاً ، فاضلاً ، حسن الصمت واعظاً ، وصولاً للأصدقاء .

ورد بغداد وأقام بها شهرين ، وعنده عودته إلى بلاده خرج عليه جماعة من الإسماعيلية ، وقطعوا الطريق على القافلة ، وقتلوا مقتلة عظيمة من العلماء وغيرهم ، ومنهم أبو المجد أحمد النسفي ، وكان ذلك في سنة اثنين وخمسين وخمسمائة¹.

علي بن أبي بكر ، شيخ الإسلام ، المرغيناني العلامة المحقق صاحب "الهداية" ، تتلمذ عند النسفي ، ومن مؤلفاته : الهداية ، كفاية المنتهي ، يذكر عن العلامة جمال الدين بن مالك أن صاحب الهداية كان يعرف ثمانية علوم ، مات سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة².

محمد بن الحسن بن محمد الدهقان ، أبو عبد الله ، الفقيه ، من أهل سمرقند ، ذكره ابن النجار فقال : قديم بغداد حاجاً سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وأملى بها الحديث عن عمر بن محمد النسفي ، وعبد العزيز بن عبد الجبار الكوفي³.

4- "محمد بن إبراهيم التوريشتي، وولده أحمد بن عمر ، وعمر بن محمد بن عمر العقيلي"¹.

¹ ينظر: الجواهر المضيئة 226/1 ، ترجمة الرقم 185 .

² ينظر : مفتاح السعادة 263/2 ، وكشف الظنون 227/1 ، 352 ، وهدية العارفين 702/1 ، والجواهر المضيئة 627/2 ، 628 .

³ الجواهر المضيئة 129/3 - 130 .

مؤلفاته:

لقد كان العلامة النسفي رحمه الله ذا علم غزير، وثقافة عالية، وأفق واسع عظيم، فقد نضجت ثقافة النسفي أيما نضج، واكتملت شخصيته العلمية أعظم اكتمال، وكان لهذه الثقافة ثمار، ولتلك الشخصية نتاج ظهرت تلك الثمار وأبرز ذلك النتاج في مجالات مختلفة أبرزها وأشهرها مجال التأليف؛ لذا أجمع أولئك الذين ترجموا له على أنه كان واسع المعرفة متفنناً في العلوم، وأن ثقافته ذات جوانب متعددة، وأنواع مختلفة، وأفاق واسعة.

فمثلاً يقول عنه السمعاني: "كان إماماً فاضلاً مبرزاً متقناً، صنف في كل نوع من العلم"².

ويقول عنه الكتبي في تاريخه: ((ولعله صنف مائة مصنف))³.

إلى غير ذلك من الأقوال التي تدل على ثبات قدمه في العلم، وباعه الطويل في مجال التأليف، وأهم مؤلفاته ما يلي:

مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن:

الأكمل الأطول في تفسير القرآن: في أربع مجلدات وهو مخطوط⁴.

تفسير النسفي، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم، وقد طبع في مجلدين في إيران بتصحيح الدكتور عزيز الله جويني، وتوجد نسخ مخطوطة منه في بعض المكتبات¹، وهو التفسير سوف نتحدث عن اتجاهه الفقهي في هذا الفصل.

¹ سير أعلام النبلاء للذهبي 26/20، والجواهر المضيئة 608/2، وطبقات المفسرين للداودي 27/2، وطبقات المفسرين للسيوطي ص 75.

² الجواهر المضيئة 659/2، وطبقات المفسرين للسيوطي ص 75، 76.

³ طبقات المفسرين للداودي 9/2.

⁴ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لأسماعيل محمد أمين البغدادي 117/1، دار إحياء التراث العربي بيروت، 2010م، وهدية العارفين 783/1، والأعلام 60/5.

التيسير في علم التفسير : طبع في خمس عشرة مجلداً بدار اللباب في اسطنبول تركيا².

زلة القارئ في بيان الخطأ في قراءة القرآن الكريم وحكمه وأنواعه³.

مؤلفاته في الحديث وعلومه :

الإجازات المترجمة بالحروف المعجمة⁴.

تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار ، قال عنه الكتبي في تاريخه : (قدم بغداد وحدث بكتاب " تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار" من جمعه ، وروى فيه عن عامة مشايخه⁵.

النجاح في شرح كتاب أخبار الصحاح ، وهو شرح صحيح البخاري⁶.

القند في تاريخ سمرقند : ولدي منه الجزء الأول مطبوع ، ويقوم المؤلف فيه بالترجمة للعلم مع الاستشهاد له بحديث سنده عالي ، وهو مطبوع في عشرين مجلد⁷.
الياقوته : في الأحاديث⁸.

¹ طبقات المفسرين للداودي 5/2، وكشف الظنون 519/1، وهدية العارفين 783/1.

² كشف الظنون 519/1 ، ومعجم المؤلفين 306/7 ، والفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات اللكنوي ص: 150 ، طبع مطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر - لصاحبها محمد إسماعيل الطبعة الأولى سنة 1324هـ.

³ معجم المؤلفين 571/2 .

⁴ طبقات المفسرين للداودي 9/2 .

⁵ طبقات المفسرين للداودي 9/2 ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن عماد الحنبلي 115/4 ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى 1986م.

⁶ كشف الظنون 553/1 ، وهدية العارفين 783/1 ، ومعجم المؤلفين 306/7 .

⁷ طبقات المفسرين للداودي 9/2 ، وطبقات المفسرين للسيوطي ص 76 ، وكشف الظنون 1356/2 ، وكشف الظنون 1356/2 .

⁸ كشف الظنون 2048/2 ، وهدية العارفين 783/1 .

مؤلفاته في العقائد والملل والنحل :

- عقائد النسفي : وهذا الكتاب مطبوع و متداول في جمهورية مصر العربية وهو متن ، وقد اعتنى به كثير من العلماء فشرحوه ، وأهم تلك الشروح شرح التفتازاني ، وقد طبع المتن والشروح عدة طبعات¹.

- المعتقد² : شرحه الشيخ شرف الدين أبو الفضل إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد الشيباني ، وسمّاه " المنتقد " ذكر فيه أنه رواه أبو جعفر الطحاوي ، وهو الموثوق بروايته عن الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - رواه عن أصحابه ذكره - أي النسفي - بأوجز إشارة وأبلغ عبارة وضمنه معظم أصول الدين .

- بيان مذهب المتصوفة³ .

د) مؤلفاته في الفقه :

الحصائل في المسائل⁴.

حصر المسائل وقصر الدلائل في شرح المنظومة النسفية⁵ .

الخصائص في المسائل الفقهية⁶.

الحصائل في الفروع ، وهو في فروع فقه الحنفية⁷ .

¹ معجم المؤلفين 571/2 ، وكشف الظنون 1145/2 ، والأعلام 60/5 ، وهدية العارفين 783/2 .

² كشف الظنون 1731/2 ، وهدية العارفين 783/1 .

³ معجم المؤلفين 571/2 .

⁴ كشف الظنون 668/1 ، وهدية العارفين 783/1 .

⁵ كشف الظنون 668/1 .

⁶ معجم المؤلفين 571/2 .

⁷ كشف الظنون 706/1 ، وهدية العارفين 783/1 .

طلبة الطلبة على ألفاظ كتب الحنفية¹.

الفتاوى النسفية² : وهي فتاواه التي أجاب بها عن جميع ما سُئل عنه في أيامه دون ما جمعه لغيره .

قيد الأوابد³ : منظومة في الفقه ، وهو لا يزال مخطوطاً .

مشارع الشارع : في فروع الحنفية⁴.

كتاب نظم الجامع الصغير⁵، في مسائل الفروع لمحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة.

منظومة النسفي في الخلافيات المترتبة على عشر أبواب⁶.

منهاج الدراية⁷ : في فروع الحنفية .

وفاة العلامة النسفي رحمه الله :

وبعد عمر حافل بالعلم ونشره، وافته المنية بسمرقند في ثاني عشر جمادي الأولى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة للهجرة، رحمه الله⁸ .

¹ ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون 1114/2 ، والفوائد البهية ص 150 ، ومعجم المؤلفين 571/2 ، والجواهر المضيئة 659/2 .

² كشف الظنون 1230/1 .

³ ذكر في الأعلام 60/5 .

⁴ كشف الظنون 1686/2 ، والفوائد البهية ص 150 .

⁵ طبقات المفسرين للداودي 9/2 ، وطبقات السيوطي ص 75 ، وشذرات الذهب 115/4 .

⁶ الجواهر المضيئة : 659/2 ، وكشف الظنون 1867/2 ، ومعجم المؤلفين 571/2 ، والفوائد البهية ص 150 .

⁷ كشف الظنون 1871/2 ، وهديّة العارفين 783/1 .

⁸ ينظر : طبقات المفسرين للسيوطي ص: 76 ، ومعجم المؤلفين 571/2 ، وطبقات المفسرين للداودي 9/2 .

المطلب الثاني: الوصف الإجمالي لتفسير النسفي:

تفسير النسفي، تفسير كامل للقرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، باللغة الفارسية ألفه العلامة المفسر نجم الدين أبوحفص عمر النسفي المتوفى سنة 537هـ¹، وقد طبع في إيران في مجلدين، بتصحيح وعناية الدكتور عزيز الله جويني²، وهو متداول في المكتبات بنسختيه المطبوعة والمخطوطة³.

وهو بلا شك كتاب نفيس ومصنف فريد في تفسير القرآن الكريم باللغة الفارسية، وله أهمية خاصة في أوساط الناطقين بالفارسية، وقد ألفه العلامة النسفي رحمه الله بعبارة موجزة، وألفاظ وكلمات واضحة مع الاهتمام بالأحكام الفقهية ولقي قبولاً لدى المهتمين بالدراسات القرآنية وطلبة العلم لما اشتمل عليه من أحكام، وفوائد ونكات علمية تشد إليها الرحال، ويعد واحداً من أشهر تفاسير الفارسية من حيث الإيجاز والاختصار.

جمعه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي:

إن أول ما يلفت النظر في تفسير النسفي أنه تفسير جمع في منهجه بين المأثور والرأي، فهو يذكر في تفسيره المأثور، وهو ما روي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وما ثبت عن أصحابه والتابعين في تفسير القرآن مع حذف الأسانيد اختصاراً وقصداً إلى عدم التطويل.

اعتماده على الكتاب والسنة :

¹ ينظر: طبقات المفسرين للداودي 5/2، وكشف الظنون 519/1، وهدية العارفين 783/1.

² طبع تفسير النسفي في مجلدين من قبل انتشارات بنياد فرهنگ ايران (هيئة الثقافة الإيرانية) عام 1353 هـ ش.

³ ينظر: فهرست نسخه هاي خطي فارسي (فهرس المخطوطات الفارسية 19/12).

يعتبر كتاب الله العزيز معجزة الإسلام الخالدة في تفوق بلاغته وحسن بيانه وجمال أسلوبه ، وآيات القرآن الكريم يفسر بعضها البعض الآخر ، فما كان مجملاً وموجزاً في مكان قد بين وبسط ضمن آية أخرى ، وقد تخصص آيات عموم آيات سابقة ، وما ورد مطلقاً في مكان ورد مقيداً في مكان آخر .

المهم أن كتاب الله تعالى يوضح بعضه البعض الآخر، وهو سر كونه من عند الله: "وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"¹.

وتأتي السنة المطهرة بعد كتاب الله في تفسير أي القرآن ، وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم المبينة الموضحة لآيات كتاب الله ذات أهمية كبيرة ، قال تعالى: "بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۖ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"²، ويأتي تفسير كتاب الله تعالى في المقام الأول بآيات الكتاب نفسها ، وهو ما يسمى بـ "تفسير القرآن بالقرآن" ، وقد أدرك الإمام النسفي أهمية الصلة بين آيات كتاب الله بعضها البعض الآخر ، وبينها وبين حديث النبي عليه الصلاة والسلام حين قرر معنى التفسير وجعله مما يجب أن يكون مسموعاً بطرق ثابتة ، فقال: "أما التفسير علم نزول الآية وشأنها وقصتها والأسباب التي نزلت فيها والأقوام الذين أريدوا بها ، ولا يتكلم فيه إلا بالسمع"³.

وينبني على هذا المفهوم أن التفسير لا يكون مقبولاً ولا مرضياً إلا إذا كان مسموعاً، ولاشك أن كتاب الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أثبت طرق السماع وأصدقها في طريق النقل، فهي أجدر السبل في تفسير كتاب الله العزيز:

تفسير القرآن بالقرآن:

¹ النساء: آية 82.

² النحل: 44.

³ تفسير النسفي 1/8.

يعتمد تفسير النسفي على كتاب الله اعتماداً كبيراً، ويقوم بالاستشهاد بآيات القرآن لبيان معانى الآيات التي يراد تفسيرها، وسأضرب أمثلة لتوضيح هذا الجانب ففي تفسيره السورة الفاتحة أراد أن يبين في مستهلها الفرق بين الحمد والشكر فقال : ((وتكلموا في الفرق بين الحمد والشكر ، فقل : الحمد بالقول ، قال تعالى : ((وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ))¹، والشكر بالعمل ، قال تعالى : ((اغْمَلُوا آلَ دَاوُودَ))⁽²⁾⁽³⁾.

وكذلك في تفسير سورة الفاتحة عند قوله تعالى: ((الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)) يذكر أقوال المفسرين في المراد بالمنعم عليهم فيقول : ((واختلف في هؤلاء المنعم عليهم من هم ؟، وفي هذا الإنعام ما هو ؟ .

قال مجاهد: هم النبيون .

وقال ابن كيسان : هم الأنبياء والصديقون.

وقال الحسن وعبدالرحمن بن زيد: هم الأنبياء وأتباعهم .

وقال مقاتل : هم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون .

وقال السدي : هم الأنبياء والمؤمنون .

ثم قال : وهذه الأقوال متقاربة ، ودليلها قوله تعالى : ((فأولئك مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ))⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

وعلى النحو نفسه كان منهجه في بيان المراد من قوله: ((غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ))¹، فأما المغضوب عليهم هم اليهود ، وأما الضالون فهم النصارى ، وهنا

¹ الإسراء: 111.

² سبأ: 13.

³ تفسير النسفي 4/1.

⁴ النساء: 69 .

⁵ تفسير النسفي 5/1.

قد فسر القرآن بالقرآن ، وحدد هاتين الطائفتين من سورة أخرى وهي المائدة ، فقال :
 وقال في حق اليهود ((قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُنُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ
 وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا
 وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ))⁽²⁾ وقال في حق النصارى : ((وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ
 ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا)) إلى أن قال : ((لَيْسَ مَا قَدَّمْتُ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ))⁽³⁾ (4).

تفسير القرآن بالسنة:

وفيما يخص تفسير القرآن بالسنة نجد أن العلامة النسفي يستخدم ثقافته ومهاراته
 الحديثية الواسعة ، خصوصاً أنه كان مهتماً بهذا الجانب ، وكان منهجه في هذا
 الجانب أنه كان إذا ورد تفسير رسول الله عليه الصلاة والسلام للآية فإنه يذكره أولاً
 ، ويذكر الأقوال الأخرى للمفسرين بعده ، مثال ذلك : عند تفسير قوله: ((غَيْرِ
 الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)) ، قال : ((فَأَمَّا الْمُرَادُ بِهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، فَقَدْ رَوَى
 عَدِي بْنُ حَاتِمٍ الطَّائِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ هُمُ الْيَهُودُ وَالضَّالُّونَ هُمُ
 النَّصَارَى ، وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ))⁽⁵⁾ (6).

¹ الفاتحة:8.

² المائدة : 60 .

³ المائدة : 77- 80 .

⁴ تفسير النسفي 6/1.

⁵ أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب سورة الفاتحة 187/5 حديث رقم (2954) وقال أبو عيسى : حسن غريب ، ونصه : عن عدي بن حاتم الطائي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "اليهود مغضوب عليهم ، النصارى ضلال" .

⁶ تفسير النسفي 6/1.

ومن منهجه عدم التزامه بتخريج الأحاديث ونسبتها إلى مصادرهما الأصلية من كتب الحديث فيقول مثلاً: "وفي الحديث كذا ، أو روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال كذا"¹.

اهتمامه بإيراد أقوال الصحابة والتابعين في تفسير الآيات:

وأما ما ورد عن الصحابة والتابعين من التفسير بالمأثور فقد اهتم به اهتماماً كبيراً بعد تفسير القرآن بالقرآن ، وبعد التفسير بالمأثور عن النبي عليه الصلاة والسلام ، فالنسفي نقل في تفسيره من أقوالهم وآرائهم ، وكان من أبرز من نقل عنه من الصحابة: أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء رضي الله عنهم أجمعين/ كما كان من التابعين ممن اهتم المؤلف بأقوالهم: الحسن البصري، ومجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبیر ، وزيد بن أسلم ، والضحاك بن مزاحم وعكرمة ، وقتادة بن دعامة ، وأبو العالية : رفيع بن مهران وغيرهم ، ومقاتل بن سليمان ، ومقاتل بن حبان ، والكلبي ، والسدي ، وتبن جريج ، وهب بن منبه ، وغيرهم من المفسرين .

ومثال ذلك ما أورده عند تفسيره للآية: "الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين"⁽²⁾ قال النسفي في تفسيره : "وفي هذه الحروف التي افتتحت بها هذه السورة قريب من ثلاثين قولاً :

قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : "في كل كتاب سر وسر الله تعالى في القرآن هذه الحروف" .

¹ تفسير النسفي 8-5/1.

² البقرة : 1 ، 2 .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : "إن لكل كتاب صفوة ، وصفوة القرآن حروف التهجي" .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "لكل كتاب زينة ، وزينة القرآن التهجي" .

قال ابن عباس : "هي المكتوم الذي لا يفسر" .

وقال الضحاك : "عجزت العلماء عن تفسير الحروف المقطعة" .

وقال مجاهد : "إنها فواتح يفتتح الله بها كتابه"¹ .

التفسير بالرأي عند النسفي :

ذكر النسفي من خلال مقدمة تفسيره موقف العلماء من التفسير بالرأي هل يجوز أو لا ؟ ، فمنعه بعضهم واستدلوا على ذلك ما ورد عن النبي عليه الصلا والسلام من أحاديث تحذر من يقول في القرآن برأيه وتوعده بالنار ، فقال : وقال قوم : "لايجوز تفسير القرآن إلا أن يرد به نقل صحيح لرواية ابن عباس عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال :من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"²، وقال عليه السلام : "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"³ .

كما استدل بموقف لبعض الصحابة والتابعين الذين تخرجوا عن القول في القرآن بأرائهم ، مثل قول أبي بكر الصديق أنه قال : "أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في القرآن برأبي ، أو بما لا علم لي به"⁴ .

¹ تفسر النسفي 10/1 .

² أخرجه الترمذي برقم (2951) وقال: " هذا حديث حسن "، وأحمد في المسند (2069 ، 2429 ، 2976 ، 3025) .

³ أخرجه الترمذي برقم(3015) وقال : " حديث حسن" .

⁴ الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، رقمه(311)الناشر: دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى سنة الطبع: 1418 هـ .

وفي الجانب الآخر يذكر النسفي قول المجيزين للتفسير بالرأي فيقول : "وعامة أهل العلم على جوازه لقوله: "أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"¹، وقوله سبحانه : "لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ"²، وقوله: "لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ"³.

ويستدل ببعض أقوال السلف على جوازه مثل قول الحسن : "ما أنزل الله آية إلا والله يحب أن يعلم العباد ما عني بها"⁴.

وما روي عن ترجمان القرآن أنه قال : "التفسير على أربعة أوجه ، وجه تعرفه العرب بكلامها ، وتفسير لا يعذر أحدٌ بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى"⁵.

والعلامة عمر النسفي كان يرتضي هذا المسلك فيجيز التفسير بالرأي ويفتح المجال لكل من عنده مؤهلات الفهم والاستنباط ، ويتأول ما تمسك به الفريق الأول من أحاديث بين أن حديث جندب معناه : من حملة على ما يتراء بخاطره ، ولم يعمل على شواهد ألفاظه بدلائله ، فأصاب الحق فقد أخطأ الدليل ، وكذلك أشار إلى بيان ضعف هذا الحديث⁶ عن طريق الإمام أبي منصور الماتريدي عندما قال : "أنكر بعض السلف هذا الخبر"¹.

¹ النساء : 82 .

²النحل : 44 .

³ النساء : 83 .

⁴ أخرجه عبد بن حميد عن حسن . الدر المنثور للسيوطي 349/1 ، وتفسير القرطبي 26/1 .

(⁵) هذا الأثر عن عباس ذكره ابن جرير في مقدمة تفسيره : باب القول في الوجوه التي يتوصل بها إلى معرفة القرآن ، ثم ابن جرير ذكر حديثاً مرفوعاً في هذا المعنى ، ولكنه قال في آخره : (وفي إسنادة نظر) ، ينظر : جامع البيان 26/1 ، والإتقان للسيوطي 182/2 ، وابن كثير 7/1 مقدمة تفسيره .

(⁶) لأن هذا الحديث لم تثبت صحته؛ لأن من رواه سهيل بن أبي حزم وهو متكلم فيه ، قال أبو حاتم ليس بالقوي ، وكذا قال البخاري والنسائي ، وقال فيه الإمام أحمد : وري أحاديث منكرة ، والترمذي قال بعد روايته لهذا الحديث : وقد تكلم لبعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم (.

من هذا يتضح لنا موقف الإمام النسفي من التفسير بالرأي ، وأنه يجيزه إذا كان هذا الرأي على موافقة الأصول ولم يخالف المعقول.

ومن منهج العلامة النسفي رحمه الله أنه كان يرى أن ألفاظ الآيات تحتل عدة وجوه من المعنى وبناء عليه أكثر من إيراد الاحتمالات لحمل الآية عليها للترجيح والوصول إلى أرجح الأقوال، كما أكثر من ذكر نقول المفسرين في الآية ثم تركها دون تعقيب أو شرح وبيان ، بمعنى أن كل هذه الأقوال محتملة إن لم يتمكن من الترجيح .

مثال ذلك : عند تفسيره للآية : "صُمُّ بُكْمٌ عُمِّيٌّ فَهُمْ لَا يَزْجَعُونَ"² ، قال عند قوله: ((فَهُمْ لَا يَزْجَعُونَ)) : ((وتفسيرها هاهنا : لا يرجعون إلى الحق .

وقيل : عن التعامي والتصامم والتباكيم .

وقيل : إلى رؤية الحق وسماعه ، والتكلم به .

وقيل : إلى ثواب الله)³.

الاستنباط من الآيات :

وفي بعض الأحيان نجد أن العلامة النسفي يخرج برأي جديد يستنبطه من خلال تفسيره للآية ، مثال ذلك عند قوله سبحانه : "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ"⁴ ذكر النسفي أقوال العلماء في تفسيرها ثم قال : "ودلت الآية على قبح

ينظر : تهذيب التهذيب 261/4 ، والتفسير والمفسرون للذهبي 260/1 ، وتفسير القرطبي 32/1 حيث قال بعد أن روى الحديث : وتكلم في أحد رواته .

¹ تفسير النسفي 12/1 .

² البقرة : 18 . - .

³ تفسير النسفي 9/1 .

⁴ البقرة : 15 .

الاستهزاء بالناس" ، وقد قال: "لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ"¹، وقال سبحانه في قصة موسى: "قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُؤًا² قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ"²، فأخبر أنه فعل الجاهلين ، وإذا كان وعيد الإستهزاء بالناس هذا فما جزاء الإستهزاء بالله ، وهو فيما قال عليه السلام : "المستغفر من الذنب وهو مصرّ عليه كالمستهزئ بربه"⁽³⁾⁽⁴⁾

هذا هو منهج النسفي في تفسيره بالنسبة للمأثور والرأي، منهج يقوم في مجموعه على أسس معينة ومقاييس محددة ، ولا يعيب النسفي في هذا المنهج سوى أنه كان يذكر في تفسيره ويكثر الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وكان يعتمد في ذكرها على كتب التفسير التي جمعت بين الغث والسمين ، وما كان أغناه عن هذا كله لو أنه اعتمد في مجال الحديث من تفسيره على كتب الحديث الصحيحة والموثوق بها.

ذكره للناسخ والمنسوخ:

النسخ جائز عقلاً وواقع سمعاً عند جميع علماء الأمم بخلاف اليهود ، فإن منهم من يقول : لا يجوز عقلاً ولا شرعاً ؛ لأن النسخ هو عين البداء ، ومنهم من قال : يجوز عقلاً ولكنه منعه سمعاً ، ومنهم من أجازته عقلاً وشرعاً⁵.

جمهور المسلمين يرون جواز النسخ ووأنه وقع وقد دلت الأدلة على نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، و هذه النبوة لا تثبت إلا مع وقوع النسخ القول به، ونبي الرحمة محمد نسخ شريعة من كان قبله فالواجب القبول بوقوع النسخ والقطع به¹.

¹ الحجرات : 15.

² البقرة : 67 .

³ حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني 398/13، وقد ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة برقم (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة" (616).

⁴ تفسير النسفي 29/1.

⁵ ناسخ القرآن ومنسوخه لابن الجوزي ص: 104، تحقيق حسين سليم، طبعة دار الثقافة العربية.

والمفسر أبو حفص النسفي لا يهمل هذا الجانب من هذا العلم بل إنه ذكره في تفسيره لبيان الفرق بين معنيين دقيقين هما الجبر والإكراه .

يتضح ذلك عند تفسيره للآية : "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" ²، حيث قال النسفي : "ثم رفع الجبل ليقبلوا التوراة لم يكن جبراً على الإسلام ؛ لأن الجبر ما يسلب الاختيار ولا يصح معه الإسلام ، بل كان إكراهاً وهو لا يسلب الاختيار ، وهو جائز كالمحاربة فأما قوله سبحانه : لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ³، وقوله : أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ⁴ فقد كان ذلك قبل الأمر بالقتال ثم نسخ به" ⁵ .

والنسفي قد يستشهد بالناسخ والمنسوخ لتأكيد أحد أقوال المفسرين في الآية ، مثال ذلك عند قوله عز ذكره : "وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ^ط وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ" ⁶ .

ذكر النسفي أقوال العلماء فقال : "وقيل : هذه الآية مقدمة في المعنى أي : واذكروا إذ وقعت هذه الحادثة فيكم فسألتكم موسى بأن أمرها ، فقال : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وتضربوه ببعضها فيحيا فيخبركم عن قتله فقلتم له : اتخذنا هزواً إلى آخرها ، والتقديم والتأخير في الأخبار والتلاوة إذا لم يوقع الخل والتناقض جائز ، ألا ترى أن

(1) ومن أراد الاستزادة في الأقوال والأدلة التي تؤكد وقع النسخ شرعاً وعقلاً فليراجع ناسخ القرآن ومنسوخه ص: 104، وشرح الكوكب المنير 205/1.

² البقرة : 63 .

³ البقرة : 256 .

⁴ يونس : 299 .

⁵ تفسير النسفي 52/1.

⁶ البقرة : 72 .

العدة بأربعة أشهر وعشر ناسخة للعدة سنة متاعاً إلى الحول غير إخراج ، ثم الناسخ مقدم في التلاوة والمنسوخ متأخر"¹.

اهتمامه بذكر المناسبات بين الآيات والسور :

ومن الأشياء التي تلفت نظر القاريء لتفسير النفسي وتجذب اهتمامه هو حرص المؤلف على الربط بين السورة وسابقها ، وكذلك بعض الآيات التي قبلها .

فمثال ذكره بين السورة والتي قبلها ما أشار إليه في أول "سورة البقرة" والعلاقة بينها وبين أم الكتاب ، فقال : "وانتظام هذه السورة بالفاتحة من سبعة أوجه : بواحد، واثنين ، وثلاثة ، وأربعة ، وخمسة ، وستة ، وسبعة ، أما الواحد"².

أما الأمثلة لذكر المناسبات بين الآية والتي قبلها مثال ذلك عند تفسيره قوله: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا"³، قال النسفي : "وانتظامه بما قبله أنه خطاب للذين ناداهم فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، وقد أمرهم بالإيمان وهو بالله ورسوله وكتابه ، وأثبت دليل ربوبيته بما ذكر في تلك الآية ، وأثبت رسالة رسوله وصحة كتابه في هذه الآية"⁴.

وكذلك عند تفسيره قوله سبحانه : "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"⁵، حيث يقول : "انتظام هذه القصة بما قبلها من وجوه :

أحدها : أنه أخبر عن خلق السموات والأرض ، ثم أخبر أنه خلق بعدهما البشر وأبوهم آدم ، وأخبر الملائكة قبل خلقه أنه يخلقه ويستخلفه .

¹ تفسير النسفي 66/1.

² تفسير النسفي 15/1.

³ البقرة: 23.

⁴ تفسير النسفي 27/1..

⁵ البقرة: 30.

الثاني : أنه قال : خلق لكم مافي الأرض جميعاً ثم خلقكم فيها أسبابكم ثم أخرجكم ، وفيه تفريغ قلوبهم وتفريغ كروبهم¹.

طريقته في الترجمة:

أما طريقة النسفي رحمه الله في تفسيره فهي الترجمة الفارسية لمعاني الآيات، ثم ذكر ما تدل عليه الآيات، ثم اختيار القول الذي يراه راجحاً وأنه أصح الأقوال التفسيرية وبتعبير مختصر وجيز، مع كونه موجزاً ومختصراً إلا أنه يشمل شرح الألفاظ الغريبة، ثم شرح المعنى الإجمالي للآية وذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وقصص القرآن، حيث أن مباحث علوم القرآن وثيقة الصلة بتفسير القرآن الكريم، وقد كانت هذه الصلة والقرب دافعا للعلامة النسفي لاهتمامه بما يتعلق بعلوم القرآن في تفسيره، والاستعانة بها في بيان المراد من الآيات، وشرح أحكامها، بقدر ما هو مسموح للمفسر وما لديه من ملكة تفسيرية.

كعادته لم يتوسع في تناول علوم القرآن في تفسيره وذلك لكون تفسيره مختصراً والمباحث التي تناولها هي كالاتي:

أسباب النزول.

غريب القرآن وشرح الكلمات.

الناسخ والمنسوخ.

القراءات.

الترجمة الحرفية أو اللفظية.

الترجمة التفسيرية ونقل المعنى إلى اللغة الفارسية².

¹ تفسير النسفي 45/1.

² ينظر: تفسير النسفي 21-8/1.

المكي والمدني، ويذكر في صدر تفسيره لكل سورة كونها مكية أو مدنية، ويرى أن القول الشائع بأن كل آية أولها (يا أيها الذين آمنوا) فهي مدنية، وكل آية أولها (يا أيها الناس) فهي مكية، لا يعني أن كل آية هذا شأنها نزلت في مكة أو المدينة، وإنما المراد منه أن كل آية تبدأ بقوله تعالى (يا أيها الناس) هي خطاب لمشركي مكة لأنهم كانوا أكثر سكان هذه المدينة، وكل آية في أولها (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمؤمنين الساكنين في المدينة المنورة غالباً¹.

كما أن النسفي رحمه الله مع كون تفسيره موجزا ومختصرا وأيضاً باللغة الفارسية إلا أنه مهتم باللغة العربية حيث يرى أن اللغة العربية والعلم بها أداة ووسيلة لتفسير القرآن الكريم فلا يستغني مفسر عنها، فمن واجب المفسر أن يوضح معاني الآية القرآنية ودلالاتها التي قد تقتضي الخوض في مباحث اللغة من نحو، وصرف، وبلاغة وغيرها للاستعانة بها لتجلية المعنى المراد من الآيات القرآنية ومعرفة أحكامها ومسائلها، ونظراً لهذه الصلة القوية بين تفسير آيات الأحكام وبين اللغة اهتم المؤلف رحمه الله في تفسيره باللغة العربية، فلا غرابة في عنايته باللغة العربية وهو يفسر القرآن الكريم باللغة الفارسية والتطرق أيضاً إلى دقائق اللغة العربية بغية الوقوف على ملولات ألفاظ القرآن وكلماته، وتراكيبه وإبراز ما في آياته من أحكام، ومسائل وجمال وإعجاز².

كما جمع العلامة النسفي رحمه الله بين المسائل اللغوية ودلالاتها الأصولية فعلى سبيل المثال تحدث عن أوجه صيغة الأمر في القرآن الكريم وضرب أمثلة كثيرة ومنها:

¹ تفسير النسفي 1/141-142.

² ينظر: تفسير النسفي 1/11-16.

قوله : ((وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ))¹، والأمر يدل على الوجوب²، والأمر على سبيل النذب مثل : ((فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا))⁽³⁾، والأمر على سبيل الإرشاد بطريق أوثق مثل : ((فَاسْتَشْهِدُوا))⁽⁵⁾، وفي قوله سبحانه ((وَإِذَا خَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا))⁷، الأمر على سبيل الإباحة⁸.

وأحياناً كان النسفي رحمه الله يرجح ما يرجح أو يضعف ما يضعف على أساس لغوي مثل قوله تعالى : "وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ" ^ط فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا" ⁹، قال النسفي بعد أن ذكر أقوال العلماء في صفة الحجر : "وقال سعيد بن جبير : هو الحجر الذي ذهب بثياب موسى لما قال قومه : إنه آدر ، فأمر الله تعالى موسى أن يحمله .

وقيل : لم يكن حجراً معيناً" .

ثم قال : "والصحيح : أنه كان معيناً فقه عرفه بالآلف واللام"¹⁰.

¹ سورة البقرة: 110.

² تفسير النسفي 1/33.

³ النور: 33.

⁴ تفسير النسفي 2/18.

⁵ النساء: 15.

⁶ تفسير النسفي 1/96.

⁷ المائدة: 2.

⁸ تفسر النسفي 1/180.

⁹ البقرة: 60.

¹⁰ تفسير النسفي 1/15.

وأيضاً عند تفسير قوله: ((وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ))¹، حيث ذكر أقوال العلماء فقال : قيل : "أي احتملوه ، وقيل : انصرفوا به ، وقيل : استحقوه ، وقيل : أقرأوا به ، ثم قال : وقيل : لازموه وهو الأوجه : يقال : بوأته منزلاً فتبوأ أي : الزمته إياه فالتزمه"².

هذه أمثلة من واقع تفسير النسفي رحمه الله باللغة الفارسية تؤكد على مدى عنايته باللغة العربية والاستعانة بها في تفسير القرآن الكريم.

ويمتاز تفسير النسفي رحمه الله عن غيره من التفاسير باللغة الفارسية كونه تفسيراً موجزاً يراعي في ترجمة معاني القرآن الكريم ما يساويه في المقدار من اللغة الفارسية الرائجة في عصره مع إظهار المراد ولطافة التعبير مع تجنب الركاقة في التعبير والإبهام في بيان المراد، مع اختيار طريق موجز في إيراد القصص القرآنية بقدر الضرورة إن كان معنى الآية يتوقف على بيان القصة³.

مصادر النسفي في تفسيره :

النسفي رحمه الله لم يشر إلا إلى اليسير من مصادره التفسيرية ، واتبع في طريقة تأليفه صيغة البناء للمجهول ، وهي قوله : ((قِيلَ كَذَا ، وَقِيلَ كَذَا)) من غير نسبة إلى قائلها ، وهذه الصيغة: تدل على كثرة من قال بهذا القول ، أو تدل على التضعيف والتمريض لهذا القول .

وهذا المسلك الذي سلكه في تفسيره وهو النقل من كتب الأقدمين دون عزو لا غضاضة فيه ، فإن ذلك مسلك درج عليه العلماء الأولون ، وإنما يكون العزو عند الحاجة إلى تعزيز القول المنقول ، حيث إنه قول من يعتد بقوله من العلماء .

أما المصادر التي أشار إليها فهي :

¹ البقرة: 61 .

² تفسير النسفي 16/1.

³ يراجع: تفسير النسفي 55/1، 57.

أولاً : من كتب التفسير :

تفسير جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري ، وهذا التفسير لا غنية لمفسر عنه ، ومنهم العلامة عمر النسفي ، فقد أكثر من النقل عنه خصوصاً التفسير بالمأثور ، وهو مع ذلك لم يشر إليه سوى مرة أو مرتين .

من ذلك عند قوله تعالى : "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"¹ ، الآية ، قال : "واختلفوا في المراد من الآية : قال ابن عباس : هم اليهود الذين حول المدينة ، وقال الربيع بن أنس : هم قادة الأحزاب ، وقال الطبري : هم مشركو أهل الكتاب كلهم"² .

تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي ، وهذا التفسير قد أشار إليه المؤلف كثيراً ، واستشهد به بكثرة ، خصوصاً في المسائل الكلامية ، والغالب أنه يشير إليه عندما ينقل عنه .

مثال ذلك عند قوله سبحانه : "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ"³ ، حيث يقول : "وقال الإمام أبو منصور - رحمه الله - : فيه دليل أن الكتاب ينسخ بالسنة ، فإن جواز السجود لغير الله ثبت بقصة آدم وبقصة يوسف - عليهما السلام - ثم نسخ ذلك بالخبر" .

ثم قال النسفي : "وتكلموا في الحكمة في الأمر بالسجود له ، قيل : هو لبيان فضل العلم واستحقاق العالم خدمة غيره له ، وقال الإمام أبو منصور : امتحنهم بوجه يظهر قدر الطاعة ؛ لأن الخضوع لمن يعلو أمره ، ويجل قدره أمر سهل ، عليه طبع الخلق ، فإذا كان في نفس المأمور بالخضوع أنه دونه في الرتبة أو شكله فيها اشتدت المحنة

¹ البقرة : 6 .

² جامع البيان لابن جرير 252/1 ، وتفسير النسفي 39/1 .

³ البقرة : 34 .

في مثله بالطاعة له والخضوع ، فامتحنهم الله حتى ظهر الخاضع لله ، والمستسلم لحقه ، والمستكبر في نفسه وهو إبليس لعنه الله ، وعلى ذلك كان امتناع المستكبرين الماضين عن اتباع المرسلين¹.

وأحياناً ينقل عنه دون الإشارة إليه مثل قوله "أولاءك على هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ"²، حيث قال : "على هدى : أي رشد ، وقيل : أي بيان وحجة ، وقيل : أي صواب وحق وصدق"³.

الكشف والبيان للثعلبي : وهذا التفسير لبس مطبوعاً، بل مخطوط، ونسخة

مصورة من الأصل الموجود في دار الكتب الأزهرية .

والنسفي رحمه الله نقل عنه الكثير في تفسيره خصوصاً مايتعلق بالمأثور ، ولكن لم يذكره غير مرتين .

وهي عند قوله تعالى : "وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ"⁴، حيث قال : "وقوله : (وبحمدك) رويانا عن ابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنهم - : معناه بأمرك ، وتحقيقه : نحمدك أي : بأمرك المحمود ، مصدر أريد به المفعول كقولهم : هذا ضرب الأمير ، أي : مضروبه ، وقال الثعلبي : قال بعضهم : أي نصلي لك بفاتحة الكتاب"⁵.

والمرة الثانية بعد هذا الموضع بخمسة أسطر .

¹ تفسير النسفي 37/1.

² البقرة: 5.

³ ينظر: جامع البيان لابن جرير الطبري 41/ 1، وتفسير النسفي 19/1.

⁴ البقرة: 30 .

⁵ تفسير الثعلبي : 55/ 1، وتفسير النسفي 46/1.

تفسير الوسيط : وهو لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي، رقد وجدت أنه قد طبع منه الجزء الأول بمصر .

وقد أشار إليه المؤلف عند ذكر خلاف العلماء في سورة الفاتحة هل هي مكية أم مدنية ؟ فقال : " وقال جماعة : أنها مكية ، ودليل ذلك قوله : "وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سُبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي"¹، وهي الفاتحة ، وهي في سورة الحجر وهي مكية .

وروى الواحدي وهو علي بن أحمد المفسر بإسناده عن أبي ميسرة قال : "إن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان إذا برز سمع منادياً يناديه : يا محمد ، فإذا سمع الصوت انطلق هارباً ، فقال له ورقة بن نوفل : إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع مايقول لك ، فلما برز سمع النداء يا محمد ، قال : لبيك ، قال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ثم قال : قل الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين حتى فرغ من فاتحة القرآن . فدل الحديث أن الفاتحة مكية وأنها أول ما نزل ، وأن التسمية ليست بآية منها"².

شفاء الصدور : لأبي بكر محمد بن الحسن النقاش ، وهو مخطوط بجامعة أم القرى ، مركز البحث العلمي برقم (276) تفسير وعلوم القرآن .

ذكره عمر النسفي عند سجود الملائكة لأدم في قوله : ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ))³ الآية ، فقال : "وذكر أبو بكر النقاش في تفسيره الملقب بشفاء الصدور عن

¹ الحجر : 87 .

² وسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي 1/ 111 دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان 1994م، وتفسير النسفي 1/ 187.

³ البقرة: 34 .

بعضهم : أن سجودهم كان مرتين مرة عند نفخ الروح فيه لتلك الآية ، ومرة بعد إنبيائهم بأسمائهم"(1)(2).

ولاشك أن تفسير النسفي باللغة الفارسية يتمتع بمكانة مرموقة وأهمية خاصة بين تفاسير أهل السنة باللغة الفارسية وهو موضع إعجاب وتقدير فائقين من قبل أهل العلم والمهتمين بالدراسات القرآنية حيث يجمع على فوائد ومزايا وحقائق ونكات، بالإضافة أن أسلوبه أدق وأسلس في الترجمة الفارسية لكلمات القرآن الكريم وغريبه وتفسيره بشكل موجز ومختصر لمن أراد الاختصار ورغب في الإيجاز مع دعم تفسيره بأمثلة وشواهد من التفسير بالمأثور، مما يدل على تبحر مؤلفه العلامة النسفي رحمه الله في التفسير، كما أنه أكبر برهان على براعة المؤلف وإمامته وأستاذيته في هذا العلم.

المبحث الثاني: طريقة النسفي في تفسير آيات الأحكام:

كان العلامة عمر النسفي إماماً من أئمة الحنفية ، وفقياً من أعظم فقهاءهم ، ولا أدلّ على ذلك من مؤلفاته الفقهية والتي أشرتُ إليها في المطلب الأول من المبحث الأول لهذا الفصل .

وقد بينت في المبحث الأول من هذا الفصل أن العلامة النسفي رحمه الله اختار منهج الإيجاز والاختصار في تفسيره وبعد ترجمته وشرحه لمعاني الكلمات في الآيات، يفسر الآية تفسيراً مختصراً ويذكر أسباب النزول، والمناسبة بين الآيات والسور، مع ذكر المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، جامعاً بين بين التفسير بالمأثور والرأي الصحيح مع الاهتمام بالقراءات.

¹ ينظر: تفسير النقاش [353هـ] المسمى: (شفاء الصدور) لوحة 65، مخطوطة محفوظة برقم 140 تفسير في دار الكتب المصرية بالقاهرة.

² تفسير النسفي 38/1.

والمسلك الذي سلكه النسفي في عرضه للأحكام الفقهية واستنباط مسائلها وفق الضوابط الاجتهادية للمذهب الحنفي، وقد يفصل القول في المسألة الواحدة فيذكر ما قاله علماء الحنفية من آراء فقهية ، ويشير إلى ما ذكره فيها الإمام أبو حنيفة رحمه الله، وهذه بعض الأمثلة على طريقته في تفسير آيات الأحكام:

تفسير قوله: ((وَالصَّابِئِينَ)) وما يترتب عليه من أحكام:

فمثلاً عند تفسيره لقوله عز ذكره: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"¹.

ذكر النسفي - أقوال المفسرين في تعريف الصائبة ثم قال: "وقال مجاهد: الصائبون بين المجوس واليهود لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم وهو قول الحسن البصري ، وبه أخذ أبو يوسف ، ومحمد، وقالوا : هم يعبدون الكواكب فكانوا كعبداء الأصنام، وقال أبو حنيفة: هم كأهل الكتاب في حل ذبائحهم ونكاح بناتهم ؛ لأنهم يقرأون الكتاب ، ويعظمون الكواكب تعظيم القبلة لتوجههم إليها في صلواتهم"².

وذكر الإمام القرطبي أن العلماء اختلفوا في الصائبين على أقوال فقليل: "هم فرقة من أهل الكتاب ، ولا بأس بذبائح الصائبين لأنهم طائفة من أهل الكتاب . وقال أبو حنيفة : لا بأس بذبائحهم ومناكحة نساؤهم . وقيل : هم قوم يشبه دينهم دين النصاري ، إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب ، يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام . وقال بعض المفسرين : هم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوسية ، لا تؤكل ذبائحهم . ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما : ولا تنكح نساؤهم . وقال الحسن أيضاً وقتادة هم قوم يعبدون الملائكة ، ويصلون إلى القبلة ، ويقرءون الزبور ، ويصلون الخمس ،

(1) سورة البقرة : 62 .

² تفسير النسفي 43/1.

رأهم زياد بن أبي سفيان فأراد وضع الجزية عنهم حين عرف أنهم يعبدون الملائكة .
والذي تحصل من مذهبهم فيما ذكره بعض علمائنا أنهم موحدون معتقدون تأثير
النجوم ، وأنها فعالة ، ولهذا أفتى البعض بكفرهم حين سألوا عنهم" ¹.

أما الإمام ابن كثير فقد قال: "وأظهر الأقوال ، والله أعلم ، قول مجاهد ومتابعيه ،
ووهب بن منبه : أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا
المشركين ، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه ؛
ولهذا كان المشركون ينزولون من أسلم بالصابني ، أي : أنه قد خرج عن سائر أديان
أهل الأرض إذ ذاك، وقال بعض العلماء: الصابنون الذين لم تبلغهم دعوة نبي" ².

أحكام البسملة :

وفي بعض الأحيان يذكر العلامة النسفي إلى جانب المذهب الحنفي آراء الفقهاء في
المذهب الأخرى كالمالكية ، والشافعية ، ثم يقوم بمناقشة المذهب الحنفي ويختار ما
ذهب إليه علماء المذهب الحنفي .

ومثال ذلك عند التسمية ، قال النسفي : ثم التسمية عند مالك آية من رأس كل سورة ،
وعند الشافعي آية من رأس الفاتحة لا غير ، وعند محمد أنها آية نزلت للفصل بين
الصور .

ثم قال : وظاهر مذهب أصحابنا أنها ذكر يبدأ به القراءة تيمناً وليست بآية، وفي
سورة النمل هي ما دون آية ، وقالوا : اللطف في أنها ليست آية تامة في القرآن لا
يكون الجنب والحائض والنفساء ممنوعين عنه عند كل أمر ذي بال الشهادتين لم

¹ الجامع لأحكام القرآن 211/1.

² تفسير القرآن العظيم 154/1.

تجمعاً في القرآن في موضع لنلا تتم آية ، وربما يحتضر الجنب ونحوه فلا يمكنه التكلم بهما عند ختم عمره¹.

وأورد أبو بكر رازي الجصاص في أحكام القرآن ما نصه "اختلف في أنها من فاتحة الكتاب أم لا، فعدها قراء الكوفيين آية منها، ولم يعدها قراء البصريين، وليس عن أصحابنا رواية منصوطة في أنها آية منها، إلا أن شيخنا أبا الحسن الكرخي حكى مذهبهم في ترك الجهر بها وهذا يدل على أنها ليست منها عندهم، لأنها لو كانت آية منها عندهم لجهر بها كما جهر بسائر أي السور"².

وذكر العلامة القرطبي أن العلماء قد اختلفوا في هذا المعنى على أقوال :

"الأول: ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها ؛ وهو قول مالك ،الثاني: أنها آية من كل سورة ؛ وهو قول عبد الله بن المبارك /الثالث: قال الشافعي : هي آية في الفاتحة ؛ وتردد قوله في سائر السور ؛ فمرة قال : هي آية من كل سورة ، ومرة قال : ليست بآية إلا في الفاتحة وحدها . ولا خلاف بينهم في أنها آية من القرآن في سورة النمل"³.

وذكرت مصادر الفقه الحنفي بأن من الأحكام المترتبة على قوله أنه: "يكره للحائض والجنب قراءة البسملة على وجه قراءة القرآن، لأن من ضرورة كونها قرآناً حرمة قراءتها على الحائض والجنب، وليس من ضرورة كونها قرآناً الجهر بها، كالفاتحة في الآخرين"⁴.

¹ تفسير النسفي 4/1، وينظر: أحكام القرآن للجصاص 8/1.

² أحكام القرآن للجصاص 8/1.

³ الجامع لأحكام القرآن 9/1.

⁴ ينظر: المبسوط لشمس الأئمة السرخسي 16/1. دار المعرفة، بيروت، 1993م.

ونقل العلامة النسفي عن الجصاص قوله: "أن العلماء كانوا يقولون بقراءة فيها في الصلاة بعد الاستعاذة قبل فاتحة الكتاب، واختلفوا في تكرارها في كل ركعة وعند افتتاح السورة؛ فروى أبو يوسف عن أبي حنيفة أنه يقرأها في كل ركعة مرة واحدة عند ابتداء قراءة فاتحة الكتاب، ولا يعيدها مع السورة عند أبي حنيفة وأبي يوسف، وقال محمد والحسن بن زياد عن أبي حنيفة: إذا قرأها في أول ركعة عند ابتداء القراءة لم يكن عليه أن يقرأها في تلك الصلاة حتى يسلم، وإن قرأها مع كل سورة فحسن قال الحسن: وإن كان منبوقاً فليس عليه أن يقرأها فيما يقضي؛ لأن الإمام قد قرأها في أول صلاته، وقراءة الإمام له قراءة"¹.

والراجح أن البسمة من القرآن الكريم والقول بعدم كون البسمة من القرآن مرجوح، كما أن القراء أثبتوا البسمة ضمن القراءات المتواترة وهو قول معتمد وخلافه ممنوع، وأن قراءة البسمة في الصلاة على سبيل الاستحباب لا الوجوب دفعا للنزاع والخلاف².

معنى كلمة: (بقرة) في قوله سبحانه: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً":

أحياناً يقوم النسفي بالاستنباط من الآية أحكاماً ما يوافق مذهبه الفقهي من ذلك قوله عز ذكره: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً"³، قال النسفي: "وقال الإمام أبو منصور: دلت الآية أن البقرة كانت ذكراً؛ لأن إثارة الأرض وسقي الحرث من عمل الثيران، وهي حجة لأصحابنا فيمن حلف لا يأكل لحم بقر، أو بقرة أنه يحنث بأكل لحم

¹ تفسير النسفي 4/1، وأحكام القرآن للجصاص 8/1-9.

² أثر القراءات في الفقه الإسلامي للدكتور صبري عبدالرزوف محمد عبد القوي ص: 179، الناشر: أضواء السلف بالرياض 1997م.

³ البقرة: 67.

الثور ؛ لأن الله سمي الثور في هذه الآية بقرة"¹. ونلاحظ هنا أن النسفي رحمه الله يوظف مهارته وذكاءه في الاستنباط.

ونقل القرطبي أقوال المفسرين بأن كلمة البقرة في الآية "اسم للأنثى، والثور اسم للذكر مثل ناقه وجمل وامرأة ورجل. وقيل: البقرة واحد البقر، الأنثى والذكر سواء. وأصله من قولك: بقر بطنه، أي شقه، فالبقرة تشق الأرض بالحرث وتثيره"².

تفسير الإنفاق في قوله عز ذكره: "وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ":

فسر النسفي قوله تعالى: "وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ"³، على النحو الآتي: فالرزق هو : الإعطاء وإن اختلفت وجوهه، فإن الرزق يكون تمليكاً ، قال تعالى: "وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ" أي : ملكناهم ويكون غذاءً : "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا"⁴، أي : غذاؤها ، يكون طعاماً ، قال سبحانه "فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ"⁵، ويكون مالاً ، قال عز وجل : "اللَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ"⁶، أي : المال ، ويكون هبة ، قال جل في علاه : "وَإِذَا خَضَرَ الْقِصْمَةُ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ"⁷. هو : "هبة شيء لغير الورثة تبرعاً ، ويكون إجراء وظيفة كرزق القضاة والجنود ، وكل ذلك راجع إلى الإعطاء"⁸.

¹ تفسير النسفي 93/1.

² الجامع لأحكام القرآن 192/1.

³ سورة البقرة: 3.

⁴ هود : 6 .

⁵ الكهف : 19 .

⁶ الرعد : 25 .

⁷ النساء : 8 .

⁸ ينظر : تفسير النسفي 45/1، الجامع لأحكام القرآن 178/1.

ثم الرزق هو التغذية عندنا¹.

وقوله : "يُنْفَقُونَ" فالإنفاق هو صرف المال إلى الحاجة ، والإنفاق في قوله : "خَشْيَةَ
الْإِنْفَاقِ"²، هو الافتقار³.

وتفسيره في ستة أقاويل :

قال ابن عباس أي : "من الأموال التي أعطيناهم يوتون الزكاة"⁴، كما في
قوله: "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ"⁵، والوعيد لا يكون إلا بترك الفرض ، وقد قرن الله الصلاة بالزكاة في آيات من
كتابه : ((وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ))⁶، ((يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ))⁷،
((أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ))⁸، ((وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ^٢ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ))⁹.

¹ يقصد المؤلف بقوله (عندنا) أهل السنة والجماعة، تفسير النسفي 45/1.

² الإسراء : 100 .

³ تفسير النسفي 46/1.

⁴ ينظر : جامع البيان 81/1 وقد عزاه إلى ابن عباس . وقال ابن عطية : (قال ابن عباس : ينفقون
: يوتون الزكاة احتساباً لها) . : المحرر الوجيز 148/1 ، وينظر : زاد المسير لابن الجوزي
20/1 ، وتفسير ابن أبي حاتم 38/1 .

(⁵) التوبة : 34 . قال ابن كثير في تفسيره 386/2 : (هو المال الذي لا تؤدى زكاته) .

(⁶) البقرة : 43 .

(⁷) المائدة : 55 .

(⁸) الحج : 41 .

(⁹) النساء : 162 .

والنظم بينهما : أن الصلاة حق لله ، وصرف الزكاة إلى الفقير حق عباد الله ،
والواجب مراعاتهما بأمر الله ، ومرجع جميع العبادات إلى هذين ، فالصلاة عبادة
بدنية ، والزكاة عبادة مالية ، وجميع العبادات تنقسم إليهما¹.

والثاني : قول ابن مسعود: "هو الانفاق على الأهل"⁽²⁾، قال سبحانه : ((لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ
مِّن سَعَتِهِ))³ الآية .

والثالث : "قول الضحاك : هو التصدق من أنواع الأموال في الوجوه المختلفة ،
ويتناول ذلك الصّرف إلى كل خير"⁴، قال الله عزوجل : ((أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ
وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ))⁵.

والرابع : قول بعضهم⁶ : إنه قراءة القرآن ، ونظمه إلى الصلاة أنهم يقرأون القرآن
في الصلاة ، قال سبحانه : "تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا

¹ ينظر: تفسير النسفي 46/1 ، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي 41/1 ، دار الكتب العلمية -
لبنان/ بيروت - 1422 هـ - 2001 م.

² ينظر : جامع البيان 81/1 ، والمحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب بين
عطية 148/1 ، دار ابن حزم سنة 2002 م ، ونسبه إلى ابن مسعود وابن عباس أيضاً ، وانظر :
المحرر الوجيز 20/1 ، وعزاه إلى ابن مسعود وحذيفة .

³ الطلاق : 7 .

⁴ ينظر : جامع البيان 81/1 ، قال ابن عطية : (قال الضحاك : هي نفقة كانوا يتقربون بها إلى الله
عز وجل على قدر يسرهم) . ينظر : المحرم الوجيز 148/1 ، وينظر : زاد المسير 20/1 ،
وعزاه إلى المجاهد والضحاك .

⁵ البقرة : 267 .

⁶ ذكر الطبرسي في تفسيره قريباً من هذا حيث قال : (وروى محمد بن مسلم عن الصادق أن
معناه : ومما علمناهم يبتئون) . انظر : مجمع البيان للطبرسي 83/1 . أقول : وهذا القول فيه بعد
؛ إذ لا دليل عليه ولا تشهد له اللغة العربية ولو بوجه ، إنما يكون من تحريف وزيادة هيئة الثقافة
الإيرانية حيث أنهم يقومون بتحريف تفاسير وتراث أهل السنة والجماعة أثناء طباعة ونشرها
وهذا مثال واضح لما فعلوه . وصدور مثل هذا القول أو نقله غير ممكن ومستبعد من عالم أهل
السنة والجماعة مثل العلامة النسفي رحمه الله (من تعليق الباحث).

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ"1، أي : مما أعطيناكم من القرآن يتلون فليس هذه حالة إنفاق المال ، فإنها حالة صلاة الليل .

والخامس : إنه إنفاق الروح²، قال عز ذكره: ((وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) أي : بأرواحكم ((وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ))³، أي : إلى حرمان الحياة الباقية الحاصلة بالشهادة بقوله تعالى : ((بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ))⁴.

والسادس : أي : لا يدخرون عن الله شيئاً مما هو لهم فينفقون نفوسهم في آداب العبودية وينفقون قلوبهم على دوام مشاهدة الربوبية ، فإنفاق أصحاب الشريعة من حيث الأموال وإنفاق أرباب الحقيقة من حيث الأحوال⁵.

والأجمع أن يقال : إنَّ إنفاق الأغنياء من أموالهم لا يدخرونها عن أهل الحاجة ، وإنفاق العابدين من نفوسهم لا يدخرونها عن وظائف الخدمة ، وإنفاق العارفين من قلوبهم لا يدخرونها عن حقائق المراقبة ، وإنفاق المحبين من أرواحهم لا يدخرونها عن مجارى الأفضية .

والأقصر أن يقال : إن إنفاق الأغنياء من النعم وإنفاق الفقراء من الهمم ، فإنفاق الأغنياء إخراج المال من الجيب وإنفاق الفقراء إخراج الأغيار من القلب⁶.

كما ذكر رحمه الله جملة من أحكام الصدقة ومنها:

¹ السجدة : 16 .

² ذكر هذا القول الفخر الرازي في التفسير الكبير 35/2.

³ البقرة : 195 .

⁴ آل عمران : 169 .

⁵ هذا القول في لطائف الإشارات ما يسمى تفسير القشيري لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري 57/1 ، تحقيق إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، الطبعة الثالثة بدون تاريخ ، وقد نقله المؤلف نصاً .

⁶ تفسير النسفي 47/1 ، كل الكلام السابق اقتبسه النسفي من لطائف الإشارات للقشيري 57/1-58 ، وهذا كله من التفسير الإشاري .

- بمان أن الصدقة فعل الخير فيستحب أن يسعى المسلم لأن الموانع كالموت والآفات وغيرها قد تحول بينه وبين التصديق في أي وقت.

- ولا يقبل الله الصدقة من المال الحرام، لأنه طيب لا يقبل إلا طيباً من الصدقات.

- ينبغي أن تكون صدقة التطوع سرا.

- أن لا تتبع الصدقة بالمن والأذى لأنهما يبطلان الصدقة.

- أن يتصدق المؤمن بنية صالحة من غير رياء.

- إن كانت الزكاة فلا يجوز تأخيرها إذا بلغ النصاب وحال عليها الحال.

- أن تكون الصدقة من أجود المال¹.

رد النسفي على من أباح الجمع بين أكثر من أربع زوجات:

لما فسر العلامة النسفي رحمه الله الآية: "فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ"²، رد على من قال بإباحة الجمع بين تسع نسوة الذين قالوا أنه نكر بالواو لا ب"أو" وذلك للجمع.

ورد المؤلف قائلًا ولكننا نرى: "هذا على البذل دون الجمع، في حالة واحدة، أي فأنكحوا مثنى، وأنكحوا ثلاث، بدل مثنى، وأنكحوا رباع، بدل مثنى وثلاث، والدليل على أن المراد هذا لا غيره: أنه لو قيل هذا في الأمر بشيء آخر لم يكن إلا على هذا الوجه، فإنه إذا قيل لقوم: ادخلوا الدار مثنى وثلاث ورباع لم يكن أمراً بدخول تسعة منهم جملة في حالة، بل هو أمر لهم أن يدخلوا اثنين اثنين، ولهم أن يدخلوا بدل ذلك

¹ تفسير النسفي 47/1، والجامع لأحكام القرآن 100/2، وتفسير القرآن العظيم 312/1.

² النساء: 3.

ثلاثة ثلاثة، ولهم أن يدخلوا بدل ذلك أربعة أربعة، كذا في كل موضع وهذا قضية اللغة¹.

واباحة تسع لا تثبت بهذا العدد مثنى وثلاث ورباع كما فهم من سلك سبيل غير سبيل سلف الأمة في المسألة بزعم أن الواو جامعة وأن النبي عليه الصلاة والسلام نكح تسعا وجمع بينهم: "والذي صار إلى هذه الجهالة، وقال هذه المقالة الرافضة وبعض أهل الظاهر؛ فجعلوا مثنى مثل اثنين، وكذلك ثلاث ورباع. وذهب بعض أهل الظاهر أيضا إلى أقبح منها، فقالوا بإباحة الجمع بين ثمان عشرة؛ تمسكا منه بأن العدل في تلك الصيغ يفيد التكرار والواو للجمع؛ فجعل مثنى بمعنى اثنين اثنين وكذلك ثلاث ورباع. وهذا كله جهل باللسان والسنة، ومخالفة لإجماع الأمة، إذ لم يسمع عن أحد من الصحابة ولا التابعين أنه جمع في عصمته أكثر من أربع"².

مضيفا أن ما كان من الجمع بين تلك العدد فهو من خصوصياته عليه الصلاة والسلام لا لأمته³.

المبحث الثالث: منهجه في شرح المفردات المتعلقة بآيات الأحكام:

بما أن علم التفسير هو بيان معنى كلام الله تعالى وكونه من أشرف العلوم، ويزداد أهمية إذا كان يتعلق الأمر ببيان آيات الأحكام لكونها محل استنباط المسائل التي لها علاقة مباشرة بعبادة الناس لربهم وبمعاملاتهم وعلاقة بعضهم ببعض حيث أنهم بحاجة لمعرفة الحلال والحرام، لهذا قد ألف العلماء تفاسير ذات طابع فقهي واهتموا بمفردات الألفاظ وغريبها بغية الوصول إلى المعنى الصحيح ومن ثم تناول الأحكام الفقهية في المسائل التي تتناولها تلك الآيات، وكثيرا ما يحتكمون إلى اللغة لشرح

¹ تفسير النسفي 213/1، والتيسير في علم التفسير للنسفي 115/4، دار الباب للنشر والتوزيع بإسطنبول، عام 2019م. الطبعة الأولى.

² تفسير النسفي 213/1، والتيسير في علم التفسير 115/4، والجامع لأحكام القرآن 96/3.

³ تفسير النسفي 313/1.

المفردات، ومن هؤلاء المفسرين الأجلاء العلامة النسفي رحمه الله مؤلف تفسير النسفي الذي تضمن بالإيجار والاختصار فنوناً مختلفة من علوم القرآن الكريم الخادمة والمساندة لتفسيره من أمثال: من أسباب النزول، والقراءات، والإعراب، والاستشهاد بأشعار العرب على الرغم أنه ألف أساساً باللغة الفارسية، ولكنه أقام تفسيره على أساس من اللغة والنحو، فهو يفسر ألفاظ القرآن الكريم بلغة العرب، فبين معنى الكلمات ومدلولاتها بما قاله أنمة اللغة، وهو يوردها بكثرة حتى لتحسب أنك أمام معجم من معاجم اللغة كمعجم اللغة لابن فارس، والصحاح للجوهري، ويأتي بمعاني هذه المدلولات باللغة الفارسية لغة تفسيره.

ولكي نعرف مزيداً من منهجه في شرح المفردات المتعلقة بآيات الأحكام نأخذ بعض الأمثلة من واقع تفسيره على النحو الآتي:

تفسير البسملة:

يذكر للكلمة أكثر من أصل اشتقاقي إلا أنه يعتمد إلى الترجيح بينهما، وذلك مثل ذلك في "بسم الله الرحمن الرحيم" قال النسفي عند قوله: "بسم الله": واشتقاقه من ما سَمَا يسمو سُمُوّاً، وسمي يسمى سميّاً، أي: علا، فقولهم: اسمُ: بالضم على صيغة الأمر من الواوي منه، ومنه قولهم: اسم: بالكسر بناء على صيغة الأمر اليائي منه كقولهم: إمس، على صيغة الأمر من أمسى يمسي، والأسماء المبنية على صيغة الفعل كثيرة كقولهم: يشكر، ويزيد، وتغلب، ومعنى الاسم من هذا المأخذ أن المسمى يعلو بتسميته، وذاكر الله تعالى تعلو درجته بذكر الله ومدحه.

ومن قال: إن اشتقاقه من "وسم، يسم" فقد أخطأ؛ لأن الفعل منه سَمَ يسمى، وتَسَمَّى يتسمى، وجمع الاسم: الأسماء والأسامي، وتصغيره السُمي، وحرف العلة في آخره، ولو كان من الوسم لم يكن كذلك¹.

¹ تفسير النسفي 9/1.

وتفسيرها :أبتدأ هذا العمل مصاحباً أو مستعيناً بـ "اسم الله" ملتصقاً بالبركة منه ، والله هو المألوه المحبوب المعبود الذي تتوجه إليه القلوب بالمحبة والتعظيم والطاعة "العباد" وهو "الرحمن" المتصف بالرحمة الواسعة ، "الرحيم" الذي يوصل رحمته إلى خلقه تبارك الرحمن جل في علاه¹.

ومن الأحكام التي ذكرها أنه يسن أن يقول العبد باسم الله عند الأكل والشرب، ولبس الثوب، وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند الركوب، وعند كل أمر ذي بال.

كما يجب عليه أن يقول بسم الله والله أكبر عند الذبح والنحر، والإتيان بالبسملة في ابتداء كل سورة أمر متفق عليه، وذلك في جميع سور القرآن، ما عدا سورة التوبة، كما يسن قراءة البسملة سرا للإمام والمنفرد في أول الفاتحة من كل ركعة ، ولا يسن قراءتها بين الفاتحة والسورة مطلقاً عند أبي حنيفة وأبي يوسف ، لأن البسملة ليست من الفاتحة ، وذكرت في أولها للتبرك. وفي قول آخر في المذهب : تجب بداية القراءة بالبسملة في الصلاة ، لأنها آية من الفاتحة . وحكم المقتدي عند الحنفية أنه لا يقرأ لحمل إمامه عنه².

وقد أكد علماء التفسير على ما ذهب إليه العلامة النسفي من أهمية قراءة البسملة واستحبائها وهذا الإمام القرطبي يقول: "ندب الشرع إلى ذكر البسملة في أول كل فعل، كالأكل والشرب والنحر، والجماع والطهارة وركوب البحر، وإلى غير ذلك من الأفعال"، قال الله عز ذكره: ((فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ))³، ((قَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا))⁴. وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "أغلق بابك، واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك، واذكر اسم الله، وخمر إناءك، واذكر اسم الله، وأوك

¹ تفسير النسفي 9/1.

² تفسير النسفي 9/1.

³ الأنعام: 118.

⁴ هود: 41.

سقاءك، واذكر اسم الله". وقال: "لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا"¹. وقال لعمر بن أبي سلمة: "يا غلام! سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك"²، وقال: "إن الشيطان ليستحل الطعام إلا أن يذكر اسم الله عليه"³، وقال: "من لم يذبح، فليذبح باسم الله"⁴. وشكا إليه عثمان بن أبي العاص وجعا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له: "ضع يدك على الذي يألم من جسدك، وقل: بسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر"⁵، "هذا كله ثابت في الصحيح"⁶.

وقال المؤلف: "فقد افتتح الله تعالى كتابه بالبسملة ، وافتتح سليمان عليه السلام كتابه إلى ملكة سبأ بالبسملة"، قال سبحانه: "إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"⁷، كما افتتح النبي نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام كتابه إلى هرقل بالبسملة ، وكان يفتتح خطبه بحمد الله والثناء عليه⁸.

تأصيل وجوه تسمية سورة الفاتحة بسورة الصلاة عنده:

¹ أخرجه البخاري برقم (5165).

² أخرجه البخاري برقم (5376).

³ أخرجه مسلم برقم (2017).

⁴ أخرجه البخاري برقم (985).

⁵ أخرجه مسلم برقم (2202).

⁶ الجامع لأحكام القرآن 1/151-152.

⁷ النمل:30.

⁸ تفسير النسفي 1/9.

يقول النسفي رحمه الله : أما سورة الصلاة ¹: فلحديث: "يقول الله تعالى : قسمت الصلاة بين وبين عبدي نصفين"²، وقد رويناها .

وتسميتها صلاة لوجوه :

أحدها : إن الصلاة هي القراءة ، كما قال سبحانه : ((وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا))³، فمعنى قوله : ((قسمت الصلاة)) أي : قراءة هذه السورة⁴.

والثاني : أن الصلاة هي الثناء⁵، قال تعالى : ((يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ))⁶.

الدعاء أيضاً ، كما قال : "وَصَلِّ عَلَيْهِمْ"⁷، أي : أدع لهم. وهذه وهي الدعاء أيضاً ، قال السورة ثناء ودعاء .

والثالث : أن جمال الصلاة وكمالها بهذه السورة ، فسميت هذه السورة صلاةً كأنها هي كلها تعظيماً لها⁸.

قد ذكر المفسرون بما فيهم العلامة النسفي لسورة الفاتحة أسماءً أخرى حيث أن في كل اسم منها معنى من معانيها، وفائدة من فوائدها، ومن المعروف أن كثرة هذه الأسماء تدل على فضل المسمى وشرفه، وأشهر تلك الأسماء هي:

¹ الإمام القرطبي أشار أيضاً إلى هذا الاسم لسورة الفاتحة في الجامع لأحكام القرآن 111/1.

² أخرجه مسلم برقم (395).

³ الإسراء: 110.

⁴ هذا القول ذكره ابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص: 395، مؤسسة الرسالة 2009م.

⁵ هذا القول ذكره ابن كثير في تفسيره 557/3 حيث يقول: (صلاة الله ثناؤه عليه) وهو ما ذكره المؤلف رحمه الله- غير أن ابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر يقول: (المراد به الاستغفار) . ولا بأس من أن يكون المراد من الصلاة، الثناء عليه مع الاستغفار لعدم التباين بين المعنيين.

⁶ الأحزاب : 56 .

⁷ التوبة : 103 .

⁸ تفسير النسفي 5/1.

فاتحة الكتاب: لحديث: "هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني"¹، وعلق المؤلف قائلا: "وإنما سُمِّيَتْ فاتحة الكتاب لأنه يفتتح بكتابتها في المصاحف، فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتاب، والقراءة، والتعليم، والصلاة وقيل: لأنها أول سورة نزلت، وقيل: لأنها أول سورة كُتِبَتْ في اللوح المحفوظ"².

أم الكتاب وأم القرآن: وأما تسميتها بأم القرآن فلتقدمها، وتأخر ما سواها تبعاً لها، صارت أمًا لأنها أُمُّهُ؛ أي: تَقَدَّمَته، وكذلك قيل لراية الحرب (أُمُّ) لتقدمها، واتباع الجيش لها. وقيل لما مضى على الإنسان من سني عمره: (أُمُّ) لتقدمها، وهي أصل أصل المذكورات في سائر السور³.

القرآن العظيم: لحديث: "هي أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم"⁴، وكتب المؤلف تعليقه على أسباب التسمية بأن: "ذلك لاشتغالها على المعاني التي في القرآن من التحميد والتمجيد، والتسبيح، والتقديس، والتهليل والتكبير، والذكر والثناء، والشكر والدعاء، وجميع ما ذكر من أسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، وما ذكر من ربوبيته وألوهيته كلها داخلة في هذه السورة"⁵.

¹ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 2/ 435 رقم 2321، وابن جرير بسنده إلى أبي هريرة 14/ 59

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير باب ما جاء في فاتحة الكتاب 4/ 1623.

³ تفسير النسفي 6/ 1، والتيسير في علم التفسير 76/ 1، وتفسير النكت والعيون للإمام الماوردي 20/ 1، دار الكتب العلمية بيروت.

⁴ مسند الإمام أحمد 2/ 448 رقم (9787)، أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين - كتاب التفسير - تفسير سورة الفاتحة 2/ 283 رقم (3019) وقال: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

⁵ تفسير النسفي 5/ 1، والتيسير في علم التفسير 77/ 1.

السبع المثاني: وقد ورد تسميتها بذلك في الحديث المذكور في الفقرة السابقة، أما تسميتها سبعة، فلأنها سبع آيات، وقيل: فيها سبعة آداب في آية أدب، وفيه بُعد، وقيل فيها غير ذلك¹.

وأسماء أخرى من أمثال: الوافية: لأنها وافية بما في القرآن من المعاني، وسورة الكنز، والكافية؛ لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها، ولا يكفي عنها غيرها، والأساس؛ لأنها أصل القرآن، وأول سورة فيه، والنور، الحمد، والشكر، والشفاء، والرقية، والشافية².

مثال

قل النفسى: أي: الزكاة في ذلك الموضع

وهو ما يتدبر في سائر الآيات

وقيل:

الماعون: قليل القيمة من آلة البيت كالماء والخبز

وقيل: الماعون الماء والنار والملح.

وقيل: هو الماعون الصغير الملح والكأ.

وقيل: هو المعروف.

وقيل: الماعون إكرام الضيف.

وقيل: هو الطاعة يقال: أعطيت الناقة ماعونها، أي طاعتها وانقيادها.

¹ تفسير النسفي 5/1، والتيسير في علم التفسير للنسفي 77/1-78، والإتقان للسيوطي 1/150.

² ينظر: التيسير في علم التفسير للنسفي 1/الكشاف للزمخشري 1/11، والإتقان للسيوطي 1/150-151.

³ الماعون: 7.

وقيل : الرحي من الماعون¹.

وقد ذكر عامة المفسرين أغلب هذه المعاني فعلى سبيل المثال قال ابن العربي:

وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ: الزَّكَاةُ الَّتِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وقيل: الْمَاعُونَ الْمَالُ. الثَّالِثُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "وَمَا يَتَعَاطَاهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ، الرَّابِعُ هُوَ الْقَدْرُ وَالْتَلُّوْ وَالْفَأْسُ وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ الْخَامِسُ هُوَ الْمَاءُ وَالْكَلَاءُ. السَّادِسُ هُوَ الْمَاءُ وَخَدَهُ، وَأَنَّ الْمَاعُونَ مِنَ الْعَوْنِ كَانَ كُلُّ مَا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ فِي تَفْسِيرِهِ عَوْنًا، وَأَعْظَمُهُ الزَّكَاةُ إِلَى الْمِخْلَابِ، وَعَلَى قَدْرِ الْمَاعُونَ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ يَكُونُ الدَّمُّ فِي مَنْعِهِ، إِلَّا أَنَّ الدَّمَ إِنَّمَا هُوَ عَلَى مَنْعِ الْوَاجِبِ، وَالْعَارِيَّةُ لَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ عَلَى النَّفْصِيلِ؛ بَلْ إِنَّهَا وَاجِبَةٌ عَلَى الْجُمْلَةِ. وَاللَّهُ أَغْلَمُ؛ لِأَنَّ الْوَيْلَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِمَنْ مَنَعَ الْوَاجِبِ، فَأَعْلَمُوهُ وَتَحَقَّقُوهُ"².

وقال القرطبي: الماعون: اسم جامع لمنافع البيت كالفاس والقدر والنار والملح والماء وما أشبه ذلك³.

و قال ابن كثير: وقوله : ((ويمنعون الماعون)) أي : "لا أحسنوا عبادة ربهم ، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به ، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم . فهو لاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى"⁴.

الماعون : "ما يتعاطاه الناس بينهم ، من الفأس والقدر والذلو ، وأشباه ذلك"⁵.

¹ تفسير النسفي 615/2.

² أحكام القرآن لابن العربي 476/3.

³ الجامع لأحكام القرآن 211/16.

⁴ تفسير القرآن العظيم 589/4.

⁵ تفسير القرآن العظيم 589/4.

فمنع الماعون عمل مذموم، كما قال المؤلف: "ما وجب بذله يَأْتُم المرء بمنعه، وما لم يجب بذله فإنه لا يَأْتُم بمنعه لكن يفوته فعل الخير ويحرم من الأجر بتركه المعروف"¹.

عدم قبوله لبعض آراء المذاهب النحوية لضعفها وشنوذها:

وان العلامة المفسر عمر النسفي يردُّ بعض الآراء والمذاهب النحوية ، وذلك لضعفها وشنوذها و مخالفتها للقواعد العربية ، وذلك مثل قوله: ((هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ))²، قال النسفي في إعرابها : يصلح أن يكون منصوباً ومرفوعاً ، ولايحتمل الخفض لعدم الخافض ، فأما النصب فعلى القطع وللقطع وجوه :

أحدها : من قوله : ((ذَلِكَ الْكِتَابُ)) فالكتاب معرفة و "هدى" نكرة .

الثاني : من قوله : ((ذَلِكَ)) وهو معرفة أيضاً .

والثالث : من قوله : ((فِيهِ)) فهو معرفة أيضاً .

ثم قال النسفي : ووصف المعرفة بالنكرة لا يستقيم فنصب قطعاً ، كما في قوله سبحانه : ((هَذَا بَعْثِي شَيْخًا))⁽³⁾⁽⁴⁾.

شرح المفردات عن طريق ما يستشهد به من آيات القرآن الكريم:

قد يختار العلامة النسفي رحمه الله في تفسيره مسلكاً آخر في شرح المفردات القرآنية،

¹ تفسير النسفي 616/2.

² البقرة : 2 .

³ هود: 72.

⁴ تفسير النسفي 9/1.

وكان يرجح ما يرجح أو يضعف ما يضعف عن طريق ما يستشهد به من آيات القرآن الكريم ، فمثال ذلك قوله : ((وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ))¹.

قال : وأما تفسيره هاهنا : فالشهداء جمع شهيد ، كالفقهاء جمع فقيه ومعناه : عند ابن عباس: أعوانكم لأن الشاهد، كالعون للمدعي في استخراج حقه .

وقال مجاهد : أي : أناساً يشهدون لكم إنه مثل القرآن الكريم ، وقيل : أي نصحاءكم وشعراءكم وبلغاءكم، وهم كبراء المشاهد والخطباء في المحافل .

وقال الفراء : يعني ألهمتكم ؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنها تشهد لهم وتشفع لهم ثم قال النسفي : وهو الأشهر ؛ لأن قوله تعالى : "وادعوا" خطاب لكل فيتناول الفصحاء و كل الأعوان ، والشهداء ، فكان الكل مأمورين بأن يكونوا داعين ، فلا يكونوا مدعويين فالأصح إرادة مايعبدون يدل عليه قوله : "من دون الله" ، وهذه صفة الأصنام كما في قوله تعالى : ((أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ))⁽²⁾ ، وقوله : ((أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ))⁽³⁾⁽⁴⁾.

سعيه للتوفيق بين اللغة والقراءات:

بين الإمام ابن الجزري ضابط القراءات المتواترة والشاذة فقال : "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصحَّ سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لايجوز ردُّها ولايحل إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت عن الأئمة السبعة

¹ البقرة : 23 .

² الشورى : 9 .

³ الزمر : 43 .

⁴ تفسير النسفي 1/68-69 .

أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة - سواء كانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم - هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف"¹.

كما قام العلماء بوضع هذه الشروط والمقاييس التي بها يُميزون صحيح القراءات من الشاذ ، قاموا كذلك من القرن الثالث بجهودٍ مشكورة في جمع القراءات الصحيحة والشاذة ، وكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب، كما يقول ابن الجزري ، "أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة 224هـ ، ثم تتابع الأئمة من بعده يؤلفون الكتب في جمع القراءات بحسب ما وصل إليهم وصحّ لديهم"².

أما توجيه القراءات فلقد كان بمثابة الخطوة التالية التي أعقبت جمع القراءات ، وفي هذا الميدان قام أبو علي الفارسي بالاحتجاج للقراءات السبع فألف كتاب الحجة في علل القراءات السبع ، وجاء من بعده تلميذه أبو الفتح بن جني فقام بالاحتجاج للقراءات الشاذة في كتابه "المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"³.

والعلامة النسفي وجه اهتمامه الكبير بالقراءات ، وذلك من خلال تفسيره فما نرى آية وردت فيها قراءة أو قراءات أخرى إلا ونبه وأشار إلى ذلك ، وذكر تلك القراءات في الأعم الأغلب مع ذكر ما يندرج تحتها ويتصل بها من معاني مختصرا لذلك جاء تفسيره رغم إيجازه زاخراً بمباحث علم القراءات لأن للقراءات صلة قوية بشرح المفردات وتفسير الآية ومن ثم بيان الأحكام والمسائل والقراءات المتواترة الصحيحة هي التي تحدد المعنى المراد وتعين المفسر على اختيار الراجح من

¹ النشر في القراءات العشر، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري 9/1 ، ط دار الكتب العلمية بيروت . . .

² ينظر: النشر في القراءات العشر 9/ 33/1 ، 34 .

³ ينظر : النشر في القراءات العشر 9/ 33/1 ، 34 ..

المعاني ومن هذا المنطق المفسر أبوحفص النسفي اهتم بالقراءات وحاول التوفيق بين اللغة والقراءات.

وموقف النسفي من القراءات المتواترة أنه يذكر ما في الآية من قراءة أو قراءات مع بيان معانيها وما يتصل بها من لغة ونحو وغير ذلك .

فمثلاً عند قوله تعالى : ((مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)) بعد أن ذكر - النسفي - القراءات الواردة فيها قال : وتكلم المتأخرون في أولى هذه القراءات :

ف قيل : أولاها : "مالك" بالالف : لأن فيه زيادة حرف ، وبه زيادة ثواب . وبه قال أبو عبيدة والأصمعي والأخفش .

وقيل : لاترجيح بزيادة حرف فقد اختلف الصحابة في " فرهين ، وفارھين وحمية ، وحامية ، ونخرة ، وناخرة " فلم يحتج أحدهم على صاحبه بزيادة حرف .

وقال : قال أبو عبيدة ، وعاصم الجحدري والزجاج وجماعة : ملك : أبلغ وأوفق للقرآن ، قال تعالى : ((فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ))¹، وقال : "الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ"²؛ ولأن المالك قد لا يكون ملكاً ، ولا يكون ملكاً إلا وأن يكون مالكاً ؛ ولأن المالك لا يذكر إلا مضافاً يقال : مالك كذا ، والمالك يذكر غير مضاف يقال : هو الملك ، ومدح الذات بما هو اسمه من غير إضافة أبلغ من مدحه بالإضافة إلى غيره .

ومأخذ الاسم في اللغة من قولهم : ملكت العجين ، وملكيت بالطعن باليمين وملكيت بين الزوجين ، وحاصله الشدة والربط ، والشدة والقوة³.

وكذلك عند تفسيره لقوله سبحانه : "يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ"¹، قال النسفي في تفسيره : "مايخدعون" قرأ أبو عمرو وابن كثير

¹ طه: 114.

² الحشر: 23.

³ تفسير النسفي 1/111.

ونافع : "وما يخادعون" على موافقة الكلمة الأولى "يخادعون الله" ، وقرأ الباقون :
"وما يخدعون" لأن خدع أنفسهم لا يعدوهم².

والنسفي قد يشير إلى ترجيح إحدى القراءتين المتواترتين ، وهذا نادر جداً ، ومثاله :
قوله تعالى : ((ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً^٢ وَإِنَّ مِّنَ
الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ^٣ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ^٤ وَإِنَّ مِنْهَا
لَمَاءٌ يَنْهَبُطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ^٥ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ^٦)).³

يقول النسفي عند قوله تعالى : ((وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ^٦)) : ((قرأ ابن كثير بالياء
على المغايبة رجوعاً إليها من المخاطبة كما في قوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ
وَجَرَيْنَ بِهِم^٤)).⁴

وقرأ الباقون بالتاء على المخاطبة كما في أول الآية ثم قال : ((وهذا أبلغ وعد أي
لا يخفى على الله شيء من أعمالكم فيجازيكم بها⁵)).⁵

عدم إهماله للقراءات الشاذة والاستفادة منها بوجه من الوجوه:

والعلامة النسفي في تفسيره لا يهمل القراءات الشاذة بل يذكرها مع القراءات
المتواترة ويقوم أحياناً بترجيح المتواترة على الشاذة ، مثل قوله تعالى : ((حَتَّمَّ اللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ^٦ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً^٧ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ^٨))⁶، قال
النسفي : ثم اختلف القراء في هذه الكلمة ، فقراءة العامة : بكسر الغين وزيادة الألف
ورفع الآخر ، وقراءة الحسن : بضم الغين مع الألف ، وقراءة أصحاب ابن مسعود :

¹ البقرة: 9.

² تفسير النسفي 11/1.

³ البقرة: 74.

⁴ يونس: 22.

⁵ تفسير النسفي 49/1.

⁶ البقرة: 7.

غُشوة : بضم العين بغير ألف ، وقراءة أبي حيوة : غشاوة بفتح الغين مع الألف ،
وقراءة المفضل : غشاوة بكسر الغين ونصب الآخر .

ثم قال : ويستقيم في اللغة ستة أوجه : غشاوة بالألف مع الغين وضمها وكسرها ،
وغشوة : بغير الألف بفتح الغين وضمها وكسرها ، وأظهرها وأصحها الكسر مع
الألف، قال الشاعر :

"تبعثك إذ عيني علي ها غشاوة - فلما انجلت قطعت نفسي وألومها"¹.

وأحياناً يذكر العلامة أبوحفص النسفي القراءات الواردة في الآية ولايقوم بترجيح
المستعملة على الشاذة ، مثال ذلك قوله : " الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " وقال النسفي : ثم
قراءة العامة : " الحمد لله " على الابتداء واللام بالكسر على الأصل ، وقراءة هارون
بن موسى العتكي الأعور ، ورؤية بن العجاج بنصب الدال على المصدر وهو على
الأمر بطريق الأغراء ، وقرأ الحسن البصري : الحمد لله ، بخفض الدال اتباعاً لكسرة
اللام ، وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة الشامي برفع الدال وضم اللام اتباعاً للدال . فمن
خلال النظر والتأمل في القراءات السابقة رأينا أن القراءة الأولى وهي قراءة العامة
هي المتواترة ، والقراءات الأخرى شاذة ، ومع هذا فالنسفي ، لم يرجح المتواترة"².

وإذا كانت القراءة الشاذة ليست متواترة ولم تثبت قرأنيته ، فإذا أضيف إلى ذلك أنها
ضعيفة المعنى أو ليس لها وجه في اللغة العربية فإن النسفي كان يرفض الاستدلال
بها ، ففي قوله : ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) .

قال النسفي في قوله : "إِيَّاكَ" : أمّا القراءة فقراه العامة بكسر الألف وتشديد الياء ،
وقرأ الفضل الرقاشي بفتح الألف وتشديد الياء ، وقراءة عمر بن فائد "إياك" بكسر
الألف وتخفيف الياء .

¹ تفسير النسفي 18/1.

² تفسير النسفي 7/1.

قال ابن مجاهد : ما أدري ماهي وتشبه أن تكون خطأ أو لغة .

قال النسفي : ووجه الغلط أنهم قالوا : إياك الشمس عينها وكأنه يقول : شمسك نعيد ، واعتقاده كفر ، والقراءة به خطأ، وهي للصلاة مفسدة¹.

هذا هو منهج النسفي بالنسبة للقراءات، لأن معرفة القراءات وتوجيهها من الأدوات المهمة التي تعين المفسر إلى بغيته في تفسير القرآن الكريم.

وهكذا يسلك النسفي في تفسيره وشرحه للمفردات وكلمات القرآن الكريم، مرتكزاً على اللغة والبلاغة والنحو والقراءات ، وبهذا كان أكبر الأثر في بيان ألفاظ القرآن الكريم واستنبط الأحكام منها.

المبحث الرابع: جودة ترتيبه وتبويبه:

لقد أدرك العلامة النسفي أن لجودة الترتيب وحسن التبويب الأثر المهم في مدى استفادة القراء عن تفسيره لهذا عمد إلى وضع مجموعة من القواعد والمعالم التي تعين القارئ وطالب العلم على الاستفادة من تفسيره، ولتكون بمثابة المفاتيح التي يفتح بها أبواب العلوم والمعارف الموثقة في كتابه القيم، وقد اعتنى بحسن ترتيبه وتبويبه تفسيره أحسن العناية، وأودعه من دقائق علم التفسير ما بلغ فيه الغاية ويمكننا الإشارة إلى حسن ترتيبه وتبويبه على الجوانب الآتية:

أولاً: الاهتمام بالمناسبات بين السور والآيات والعناية بالسياق القرآني:

- يذكر العلامة النسفي المناسبات²، بين السور والآيات لأنه من المؤلفون لدى طلاب علم التفسير أن يجد المفسر يكاد ألا يغفل عن ذكر المناسبة بين الآية والتي بعدها، أو

¹ تفسير النسفي 1/22.

² المناسبة في اللغة: المقاربة والمشاكله، ويعرف اصطلاحاً بأنه: علم تعرف به موجه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض، وقولنا: (أجزاء القرآن) شامل للآية مع الآية، والحكم مع الحكم، والسورة مع السورة، والقصة مع القصة، وكل جزء من القرآن مع ما قارنه، الإتقان للسيوطي 139/2.

السورة والتي تليها، لكون هذا المناسبات علم عظيم حظي بعناية المفسرين من أمثال النسفي، مع استحضار السياق القرآني وبالمثال تتضح صورة المسألة فالعلامة النسفي لما انتهى من تفسير البسملة وبدأ بفاتحة الكتاب قال: "وانتظام قوله" الحمد لله "بالتسمية أن الأشياء وجوده بالله وله ملكها وله وجه آخر: بدأت بسم الله بعون الله فالحمد لله، ووجه آخر: بسم الله الموصوف بالرحمة، وهي أجل نعمة، فله الحمد على نعمه جملة" (1). هكذا لا يغفل المناسبات بين الآيات والسور.

ثانيا: بيان أسباب النزول والاستعانة بها في تفسير الآيات:

يبين سبب نزول الآية باختصار وإيجاز لكونه علم جليل؛ يدور عليه قُطب علم التفسير، فالوقوف على سبب النزول، ومعرفته عامل مهم لفهم الآية على فهم الآية "فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب" (2).

وسبب النزول هو: "ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أن مبينة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال، سواء أكانت تلك الحادثة خصومة دبت، أم كانت تلك الحادثة تمنيا من التمنيات ورغبة من الرغبات" (3)، ولكن المؤلف رحمه الله يذكر أسباب النزول موجزا مختصرا ومثال ذلك:

¹ تفسير النسفي 4/1.

² ينظر: الإتيان للسيوطي 108/1، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 339/13.

³ مناهل العرفان للزرقاني 106/1.

نكر في سبب نزول الآية الكريمة: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ))¹، نزلت في مشركي قريش لمنعهم رسول الله عليه الصلاة والسلام عام الحُدَيْبِيَّة من دخول الحرم المكي².

ثالثاً: العناية بغريب القرآن وشرح الكلمات القرآنية:

كما أن من عادة النسفي شرح وتفسير غريب القرآن بعد ذكر المناسبات وأسباب النزول وفضائل السور، وتكمن أهمية علم الغريب القرآني في كونه يتعلّق بشرح ألفاظ القرآن الكريم، فهو يمثل المفتاح لفهم كتاب الله تعالى، ويساعد المفسر على استنباط الأحكام الشرعية منه، كما قال الراغب الأصفهاني في كتابه "المفردات في غريب القرآن": "إن أول ما يَحْتَاج أن يُشْتَغَلَ به من علوم القرآن: العلوم اللفظية. ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فالألفاظ القرآنية هي لب كلام العرب وزيدته وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفرع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم"³، وانطلاقاً من هذه الأهمية قد اعتنى العلامة النسفي بشرح غريب القرآن عناية كبيرة كما نلاحظ - على سبيل المثال - عند تفسيره الآية الكريمة:

((وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ)) ، قال: أي :

¹ سورة البقرة: 114.

² تفسير النسفي 68/1.

³ المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين الراغب الأصفهاني ص: 14. دار القلم، دمشق 1412هـ.

أوحى إليك ، والإنزال في اللغة لمعان¹:

للإرسال من علو إلى أسفل : قال : ((رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ))².

وللإمطار : قال سبحانه: ((فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ))³.

وللإعطاء : قال عز وجل : ((وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ))⁴. وللخلق : قال تعالى : ((وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ))⁵. وللوضع والشرع : قال تعالى : ((وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ))⁶، فهو في حق الميزان وضع وشرع للتقدير به ، كما قال تعالى : ((وَوَضَعَ الْمِيزَانَ))⁷.

ويكون بمعنى الإعلاء : كما قال: ((كَأَنَّهُمْ جَنَّاتٌ أَلْفَرْدَوْسٍ نُزُلًا))⁸، ومنازل الجنة ليست للنزول فيها من علو إلى أسفل ، بل أسفل إلى علو ، قال جل في علاه: ((قُلْ لَكُمْ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى))⁹، وفي الحديث : ((فيقال لقاريء القرآن : اقرأ وارق ((¹⁰.

¹ ينظر هذه المعاني في: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لجمال الدين عبد الرحمن أبي الفرج بن الجوزي ص:127. مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، 1994م.

² المائدة : 11 .

³ الحج : 5 .

⁴ الزمر : 6 .

⁵ الحديد : 25 .

⁶ الحديد : 25 .

⁷ الرحمن: 7 .

⁸ الكهف: 107 .

⁹ طه : 75 .

¹⁰ أخرجه أحمد في مسنده 192/2 ، وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر 161/5 حديث رقم 2915 ، وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه أبو داود في كتاب الترتيل باب استحباب الترتيل في القراءة 153/2 حديث رقم 1464 .

ويكون بمعنى التبوءة : قال: ((وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكًا))¹.

ويكون بمعنى التضييف : قال: ((وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ))²، أي : المضيفين .

ويكون بمعنى مراعاة الشيء على محله ومنزله : كما ورد في الحديث : "أنزلوا الناس منازلهم"³، أي : احترمواهم على أقدارهم .

ويكون بمعنى الوحي : كما قال تعالى في هذه الآية : "بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ" فإن حمل على الإنزال الذي هو من العلو إلى السفلى فمعناه إنزال جبريل لتبليغه كما قال تعالى : "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ"⁴.

والتنزيل للتكرير والتكثير من الإنزال⁵.

ثم معنى "مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ" هو القرآن الذي يتلى والوحي الذي لا يتلى⁶، فالمتلو هو هذه السور والآيات ، وغير المتلو ما بين النبي عليه الصلاة والسلام من أعداد الركعات ، ونُصِبَ الزكوات ، وحدود الجنایات ، قال: "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى"⁷.

¹ المؤمنون : 29 .

² المؤمنون : 29 .

³ أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب (23) في تنزيل الناس منازلهم 173/5 حديث رقم 4842 من طريق ميمون بن أبي شيبه عن عائشة ، وقال أبو داود ميمون لم يدرك عائشة .

⁴ الشعراء : 193 .

⁵ قال الراغب في المفردات ص:15 : (والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة : أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقاً ومرة بعد مرة أخرى ، والإنزال عام مما ذكر فيه التنزيل قوله : (نزل به الروح الأمين) (سورة الشعراء : 193) ، (إنا نحن نزلنا الذكر) (سورة الحجر : 9) ومن الثاني قوله تعالى : (وأنزل جنوداً لم تروها) (سورة التوبة : 29) .

⁶ قال ابن الجوزي في زاد المسير 21/1 : (قال المفسرون : الذي أنزل إليه القرآن ، وقال شيخنا علي ابن عبيد الله : القرآن وغيره مما أوحى إليك) .

⁷ النجم : 3 - 4 .

ثم هذا الإنزال هو من الله تعالى ، وإنما ذكر هاهنا على ما لم يُسم فاعله لما مر أن خطاب الملوك يقع على أربعة أوجه ، وقد تكرر هذه الوجوه كلها في هذه الكلمة ، قال في صيغة الواحد : "وَأْمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ"¹، وقال في صيغة الجمع : "إِنَّا أُنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ"²، وقال في ذكر الاسم : "آمَنْتُ بِمَا أُنزَلَ اللَّهُ"³، وقال فيما لم يسم (فاعله) : "مَا أُنزَلَ إِلَيْكَ"⁴، ثم هاهنا قال : "بِمَا أُنزَلَ إِلَيْكَ" وقال في آية أخرى : "اتَّبِعُوا مَا أُنزَلَ إِلَيْكُمْ"⁵، فأضاف إلى جميع الأمة ؛ لأن المنزل على الرسول تلزم أحكامه جميعهم ، فكان خطابه خطابهم وهو أيضاً شرف لهم وجمع في الكرامة بينه وبينهم . وقوله تعالى : "وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ" يؤمنون بما أنزل من الكتب قبلك على سائر الأنبياء⁶.

رابعاً: جمعه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي :

من محاسن تفسير النسفي باللغة الفارسية جمعه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، ومن يتصفح تفسيره فإن أول ما يلفت نظره في تفسير النسفي أنه تفسير جمع في منهجه بين المأثور والرأي ، فهو يذكر في تفسيره المأثور ، وهو ما روي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وما ورد عن صحابته والتابعين في تفسير القرآن العظيم.

¹ البقرة: 41 .

² النساء : 105 .

³ الشورى : 15 .

⁴ النساء : 60 .

⁵ الأعراف: 3 .

⁶ معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد مسعود البغوي 13/1-14، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع 1417هـ 1997م ، وينظر: زاد المسير لابن الجوزي 21/1.

والعلامة النسفي ينظر هل في القرآن الكريم ، أو في السنة النبوية ، أو في آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين ما يفسر الآية ؟ فإذا وجد في هذه المصادر تفسيراً لها ، اتبعه واكتفى به ، وهذا ما يسمى بـ "التفسير بالمأثور" ، وهو منهج سلكه المفسرون واستحسنوه، لكن إذا لم يجد في السنة تفسيراً لآية ما ، نظر في أقوال الصحابة ، وتفسيرهم مقدم على تفسير غيرهم ؛ لأن تفسيرهم إما أن يكونوا قد أخذوه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كما قال الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه: "كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آياتٍ لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ ، والعملَ بهن"¹ ، وقد يكون تفسيرهم اجتهداً ورأياً ؛ فاجتهدهم مقدم على اجتهد من بعدهم ؛ لأنهم صحبوا رسول الله ، واطلعوا على أحوال نزول آيات القرآن ، كسبب النزول ومكانه ، وعاصروا الواقع الذي نزل فيه القرآن ، وعرفوا أحوال أمته ، ولأنهم أفهم من غيرهم للغة التي نزل بها القرآن ، وأعمق علماً ، وأقلّ تكلفاً ، وأبعد من غيرهم عن الزيغ والزلل ، في علومهم ، وأعمالهم، إذا لم يجد المفسر في أقوال الصحابة ما يفسر به الآية ، فإنه ينظر في تفسير التابعين ؛ الذين تلقوا علومهم عن أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فهم في أحوالهم ، وأقوالهم ، وأعمالهم ، وزمانهم - أيضاً ، بطبيعة الحال - أقرب إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهداهم ، وعلومهم².

وقد فهم العلامة النسفي أهمية الصلة بين آيات كتاب الله بعضها ببعض الآخر ، وبينها وبين حديث رسول الله حين قرر معنى التفسير وجعله مما يجب أن يكون مسموعاً بطرق ثابتة مراعيًا الترتيب المشار إليه في تفسيره للقرآن الكريم مؤكداً

¹ جامع البيان للطبري 80/1.

² ينظر: مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص: 95.

على ذلك بقوله: "أمّا التفسير علم نزول الآية وشأنها وقصتها والأسباب التي نزلت فيها والأقوام الذين أريدوا بها ، ولا يتكلم فيه إلا بالسماع"¹.

والطريقة الثانية: "أن يجتهد المفسر الذي له العلم بالتفسير في استعمال فهمه لتفسير آية من القرآن ، ويكون في اجتهاده ملتزما السبيل الصحيح ومتقيدا بالضوابط والقواعد التفسيرية ؛ وهذا ما يسمى بـ "التفسير بالرأي أو بالاجتهاد".

فالتفسير بالرأي المحمود يلزم أن يرى فيه الاعتماد عما ورد عن الرسول الكريم وصحابته مما يفتح الطريق الصحيح للمفسر ، وأن يكون المفسر عالما باللغة وأساليبها، بصيرا بمقاصد الشريعة ، خبيرا بأساليبها، وخلاف ذلك هو التفسير بالرأي المذموم فهو غير جائز إطلاقا².

ولنضرب مثلا من واقع تفسير النسفي لتوضيح هذا المبدأ التفسيري على النحو الآتي:

كان صنيعه في بيان المراد من الآية: ((غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ))³، قال "فأمّا المغضوب عليهم فهم اليهود ، وأمّا الضالون فهم النصارى ، وهنا قد فسر القرآن بالقرآن ، وحدد هاتين الطائفتين من سورة أخرى وهي المائدة ، فقال : " وقال في حق اليهود ((قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ))⁴، وقال في حق النصارى : ((وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ

¹ تفسير النسفي 3/1، والتيسير في علم التفسير 26/1.

² مناهل العرفان في علوم القرآن 43/2.

³ الفاتحة:7.

⁴ المائدة : 60 .

ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا)) إلى أن قال : "لَيْسَ مَا قَنَمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ"¹.

وقال أيضا : "فَأَمَّا الْمُرَادُ بِهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، فَقَدْ رَوَى عَدِي بْنُ حَاتِمٍ الطَّائِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ هُمُ الْيَهُودُ وَالضَّالُّونَ هُمُ النَّصَارَى ، وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ"⁽²⁾⁽³⁾.

وبعد التفسير المأثور عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، النسفي رحمه الله نقل في تفسيره كثيراً من أقوال الصحابة وآرائهم ، وكان من أبرز الصحابة الذين نقل عنهم النسفي : أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن عباس ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء ، كما كان على رأس التابعين الذين اهتَمَّ النسفي بتلخيص أقوالهم وتوجيه آرائهم : الحسن البصري ، ومجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبیر ، وزيد بن أسلم ، والضحاك بن مزاحم وعكرمة ، وقتادة بن دعامة ، وأبو العالية : رفيع بن مهران ، وغيرهم ، ومقاتل بن سليمان ، ومقاتل بن حبان ، والكلبي ، والسدي ، وابن جريج ، ووهب بن منبه ، وغيرهم من المفسرين رحمهم الله⁴.

وبالمثال من واقع تفسيره تتضح المسألة أكثر فأكثر ، قال النسفي في تفسير الآية :
"وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" حيث قال النسفي : " قال ابن عباس معناه : وإياك نستعين على عبادتك، وقال السدي : إياك نستعين على ما خلقنا له من عبادتك ، وقال ابن عيينة :

¹ المائدة : 77 - 80 .

² أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ، باب سورة الفاتحة 187/5 حديث رقم (2954) وقال أبو عيسى : حسن غريب ، ونصه : عن عدي بن حاتم الطائي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "اليهود مغضوب عليهم ، النصارى ضلال".

³ تفسير النسفي 1/12 ، والتيسير في علم التفسير 1/77-78.

⁴ من يتصفح تفسير النسفي يجد ذلك بكل وضوح وعلى سبيل المثال يراجع تفسير سورة الفاتحة في تفسير النسفي 1/28.

وإياك نستعين على محاربة الشيطان الذي يمنعنا عن عبادتك ،وقال مقاتل:أي بك نستعين في أمورنا بما يصلحنا في ديننا ودنيانا"¹. ثم قال النسفي : "والجامع للأقويل : نسألك أن تعيننا على أداء الحقوق وإقامة الفروض وتحمل المكاره وطلب المصالح"².

مثال آخر تفسيره لقوله: ((الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين))³، "وفي هذه الحروف التي افتتحت بها هذه السورة قريب من ثلاثين قولاً :

قال أبو بكر الصديق"في كل كتاب سر وسر الله تعالى في القرآن هذه الحروف".

وقال علي: إن لكل كتاب صفوة ، وصفوة القرآن حروف التهجي.

وقال عمر: لكل كتاب زينة ، وزينة القرآن التهجي .

قال ابن عباس : هي المكتوم الذي لا يفسر .

وقال الضحاك : عجزت العلماء عن تفسير الحروف المقطعة .

وقال قتادة : إنها أسماء القرآن .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إنها أسماء السور .

وقال مجاهد : إنها فواتح يفتح الله بها كتابه .

وقال سعيد بن المسيب: إنها في ذكر الكوائن والفتن .

وقال أبو العالية : إنها في مدة أقوام وأجال الآخرين"⁴.

¹ تفسير النسفي 17/1، والتيسير في علم التفسير 83/1.

² تفسير النسفي 17/1، والتيسير في علم التفسير 83/1. -.

³ البقرة : 1- 2 .

⁴ تفسير النسفي 18/1، والتيسير في علم التفسير 85-86/1.

من ومن هنا يتضح لنا موقف العلامة المفسر النسفي من التفسير بالرأي، وأنه يجيزه إذا كان هذا الرأي على موافقة الأصول ولم يخالف المعقول.

خامساً: القراءات المتواترة والشاذة من الأدوات المساندة في التفسير عند النسفي:

والعلامة النسفي وجه اهتمامه الكبير بالقراءات، وذلك من خلال تفسيره فما نرى آية وردت فيها قراءة أو قراءات أخرى إلا ونبه وأشار إلى ذلك، وذكر تلك القراءات وكل ما يندرج تحتها ويتصل بها من معاني وأحكام لذلك جاء تفسيره رغم إيجازه زاخراً بمباحث علم القراءات، وموقف النسفي من القراءات المتواترة أنه يذكر ما في الآية من قراءة أو قراءات مع بيان معانيها وما يتصل بها من لغة ونحو وغير ذلك، وقد يجعل إحدى القراءات من مرجحاته التفسيرية كما يتضح في المثال الآتي:

يقول رحمه الله عند تفسير قوله: ((وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ))¹: "قرأ ابن كثير بالياء على المغايبة رجوعاً إليها من المخاطبة كما في قوله: ((حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ))².

وقرأ الباقر بالتاء على المخاطبة كما في أول الآية ثم قال: "وهذا أبلغ وعد أي لا يخفى على الله شيء من أعمالكم فيجازيكم بها"³.

سادساً: اهتمامه بالناسخ والمنسوخ :

كما هو معلوم أنه لا غنى لأي مفسر عن معرفة الناسخ والمنسوخ ، إذ بتمييز الناسخ من المنسوخ يستطيع المفسر أن يسلك المسار الصحيح في تفسير الآيات وفهمها وبيان معانيها واستنباط أحكامها، ونظراً لهذه الأهمية اهتم العلامة النسفي بهذا العلم، وقد يستشهد بالناسخ والمنسوخ لتأكيد أحد أقوال المفسرين في الآية ، مثال ذلك عند

¹ سورة البقرة: 149.

² يونس: 22.

³ تفسير النسفي 62/1.

تفسيره قوله سبحانه : ((وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۚ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ))¹.

ذكر النسفي أقوال المفسرين فقال : "وقيل : هذه الآية مقدمة في المعنى أي : واذكروا إذ وقعت هذه الحادثة فيكم فسألتكم موسى بأن أمرها ، فقال : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وتضربوه ببعضها فيحيا فيخبرهم عن قتله فقلتم له : اتخذنا هزواً إلى آخرها ، والتقديم والتأخير في الأخبار والتلاوة إذا لم يوقع الخل والتناقض جائز ، ألا ترى أن العدة بأربعة أشهر وعشر ناسخة للعدة سنة متاعاً إلى الحول غير إخراج ، ثم الناسخ مقدم في التلاوة والمنسوخ متأخراً"².

سابعاً: اعتماده المعنى اللغوي الوارد بالعربية خلال تفسيره للآيات مع أنه تفسير مؤلف باللغة الفارسية :

يرى العلامة النسفي بأن فهم اللغة العربية وما تحتوي عليها من المفردات والإعراب وتصريف المشتقات ، من الوسائل المهمة للمفسر فلا يمكن للمفسر أن يفسر القرآن وهو لا يتقن اللغة العربية ، ومن هنا فقد أقام تفسيره على أساس من اللغة، فهو يفسر ألفاظ القرآن الكريم بلغة العرب ثم يترجم تلك المعاني إلى اللغة الفارسية، فيبين معنى الكلمات ومدلولاتها بما قاله أنمة اللغة بغية إيضاح اللفظ القرآني و ثم استنباط الأحكام. ثامناً: يذكر النسفي قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على طريقة خير الكلام أعني الإيجاز والاختصار³.

تاسعاً: رغم التزام النسفي الإيجاز والاختصار في تفسيره المسمى بتفسير النسفي، نجده حريصاً على رد شبهات الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة ومعتقداتها في

¹ البقرة : 72 .

² تفسير النسفي 1/83.

³ بنظر: تفسير النسفي 1/469، 490، 560.

مسائل الاعتقاد وقد أبدى تركيزا واضحا في الرد على هذه الفرق ، ومن المزايا البارزة في تفسيره هو استخلاصه المسائل العقيدية من الآيات القرآنية بشكل موجز ، ويرد بها على الطوائف الأخرى كالمعتزلة والجبرية والخوارج وغيرهم¹.

عاشرا: بيان الأحكام والمسائل الفقهية التي تستنبط من آيات الأحكام بأسلوب موجز. هذا هو الترتيب الذي سار عليه العلامة النسفي رحمه الله في تفسيره وقد أكرمه الله تعالى بحظ وافر من العلوم النافعة قد سخرها في خدمة كتابة الله تعالى وتفسيره وبيان معانيه باللغة الفارسية.

المبحث الخامس: مميزات تفسير النسفي وما يؤخذ عليه، ويحتوي هذا البحث على مطلبين:

المطلب الأول: مميزات تفسير النسفي وقيمته العلمية وأنه يشبه تفسير الجلالين.

المطلب الثاني: من أبرز المآخذ عليه أنه تفسير كامل للقرآن الكريم ولكنه مختصر.

¹إراجع تفسير النسفي 312/1، 45/2.

المطلب الأول: مميزات تفسير النسفي وقيمته العلمية وأنه يشبه تفسير الجلالين:

من المعروف أن القيمة العلمية لأي كتاب تعرف من ثناء العلماء على مؤلفه ومدى استفادة الناس مما فيه وإقبالهم عليه، وتداول ذلك الأثر العلمي في أروقة المكتبات، حيث بلغ العلامة النسفي مكانة علمية كبيرة أشاد بها العلماء، وسجلها له المؤلفون من بعده، فوصفوه بسمات عديدة، وذكروه بألقاب مختلفة، من ذلك ما ذكره ابن النجار حيث قال: "كان فقيهاً، فاضلاً، مفسراً، محدثاً، أديباً، متقناً، وقد صنف كتباً في التفسير والحديث والشروط"¹.

وقال عنه عمر رضا كحالة: "كان مفسراً، فقيهاً، محدثاً، متكلماً، أصولياً، مؤرخاً، أديباً، ناظماً، لغوياً، نحوياً"².

وقال عنه الكتبي في تاريخه: "ولعله صنف مائة مصنف، قدم بغداد وحدث بكتاب" تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار" من جمعه، وروى فيه عن عامة مشايخه"³.

وقال عنه السمعاني: "فقيه، فاضل، عارف بالمذهب والأدب، صنف التصانيف في الفقه والحديث، ونظم الجامع الصغير، كان إماماً، فاضلاً، مبرزاً، متقناً، صنف في كل نوع من العلم"⁴.

وقال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء: "كان صاحب فنون، ألف في الحديث والتفسير والشروط، وله نحو من مائة مصنف"⁽⁵⁾.

¹ الجوهر المضية للقرشي 660/2.

² معجم المؤلفين 571/2.

³ طبقات المفسرين للداودي 9/2.

⁴ مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش الكبرى زادة 124/1، ط، دار الباز للنشر والتوزيع.

⁵ سير أعلام النبلاء للذهبي 126/20.

وكتابه تفسير كامل للقرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، باللغة الفارسية وهو متداول في المكتبات بنسخته المطبوعة والمخطوطة¹.

وهو بلا شك كتاب نفيس ومصنف فريد في تفسير القرآن الكريم باللغة الفارسية، وله أهمية خاصة في أوساط الناطقين بالفارسية، وقد ألفه بعبارة موجزة، وألفاظ وكلمات واضحة مع الاهتمام بالأحكام الفقهية ولقي قبولاً لدى المهتمين بالدراسات القرآنية وطلبة العلم لما اشتمل عليه من أحكام، وفوائد ونكات علمية تشد إليها الرعدة² ويعد واحداً من أشهر تفاسير الفارسية من حيث الإيجاز والسهولة.

وأول ما يلفت النظر في تفسير النسفي أنه تفسير جمع في منهجه بين المأثور والرأي، فهو يذكر في تفسيره المأثور، وهو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ورد عن الصحابة والتابعين في تفسير القرآن مع سبب الإسناد اختصاراً وقصداً إلى عدم التطويل.

وهو تفسير له قيمة علمية عظيمة ، وذلك لما فيه من السمات البارزة والمزايا الواضحة والتي من أهمها²:

تفسير مختصر بالمأثور، نعرف هذه الميزة من خلال عنايته بتفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالسنة ، والعناية الكبيرة بالأخبار والقصص ، وأقوال الأئمة من الصحابة والتابعين .

ومع ذلك فهو أيضاً تفسير بالرأي ولا يهمله من حيث اللطائف التفسيرية ، والأسئلة المتوقعة ، والترجيحات المبنية على القواعد اللغوية وغيرها ، فبذلك يكون تفسير النسفي مزيجاً بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي مما يعود على طلاب العلم بالنفع العميم ، والفائدة العظيمة من خلال قرائته وتصفحه.

¹ ينظر: فهرست نسخه هاي خطي فارسي (فهرس المخطوطات الفارسية 12/19).

² ينظر: التفاسير باللغة الفارسية اتجاهاتها 2/737-750، و786/2-790.

ومن مميزاته عنايته الفائقة باللغة والإعراب فهو يذكر الكلمة المراد تفسيرها ويذكر معناها وإطلاقاتها وتصريفها حتى أنك تحتسب أنك أمام معجم من المعاجم القرآنية مثل تفسير الجلالين والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، وهو بذلك قد أصاب الحق ؛ إذ أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، فلا يمكن فهم الآية وإدراك معناها إلا إذا أحاط بالجانب اللغوي والإعرابي لها حتى ولو كان التفسير باللغة الفارسية كما هو حاصل مع تفسير النفسي .

ومن الخصائص البارزة في تفسير النفسي أداءه دورا كبيرا في الدفاع عن حياض أهل السنة والجماعة أمام مطاعن الفرق المنحرفة وافتراءاتهم في عصر الفوضى الفكرية السائدة في بيئة المؤلف آنذاك، أضف إلى ذلك استخلاصه المسائل العقدية من الآيات القرآنية ، ولا غرو في ذلك فالعلامة النفسي متكلم عظيم، يرد بها على الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة كالمعتزلة والجبرية والخوارج وغيرهم .

ومن المميزات التي يوصف بها تفسير النفسي مزجه بين التفسير وبين الوعظ والتوجيه ، فهو بعد تفسيره للآيات يذكر القاريء بطاعة الله واجتناب سخطه مبيناً وعده ووعيده ، كل ذلك بأسلوب مؤثر ، وعبرة صادقة ، وكأنه بذلك يقول : إن القرآن كتاب علم وعمل ، فيجب العمل بما فيه ، والابتعاد عما نهى عنه .

ومن مزايا تفسير النفسي وضوح عبارته ، وحسن أسلوبه ، ويسر تركيبه ، فهو مؤلف بعبارة علمية راقية باللغة الفارسية، وبأسلوب يُمكن أن يقرأ ويستفيد منه كل القراء على اختلاف طبقاتهم في العلم ولهجاتهم في كل من أفغانستان، وإيران وطاجكستان ، فهو محبب إلى النفوس من طلبة العلم والعامّة والوعاظ.

هو تفسير فقهي مختصر يمكن للقارئ من خلاله الوصول إلى المسائل الفقهية دون عناء ومشقة.

ومن مزاياه أيضا عدم تعصب المؤلف للمذهب الفقهي الذي ينتمي إليه حيث لا توجد سلبية التعصب لمذهب فقهي في تفسير النفسي على الرغم من ترجيحه للمذهب

الحنفي إلا أنه يتجنب إخضاع آيات الأحكام لاجتهادات أئمة المذهب الحنفي الذي كان يتبعه وكان يقوم بعرض المسائل الفقهية على كلام الله تعالى وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم، فالتزامه للموضوعية والعدل والتوازن واضح أمام القارئ لتفسيره.

كما أنه يجمع في شرح المفردات وكلمات القرآن وبيان الأحكام الفقهية بين اللغتين العربية والفارسية ويكثر من إيراد المرادفات باللغة العربية.

كما أن الرواج والانتشار لتفسير النسفي وكونه مرجعا من المراجع في تفسير القرآن الكريم باللغة الفارسية ووجوده في رفوف المكتبات واستفادة الناس منه لهو دليل أيضا على القيمة العلمية له.

فلا شك أن لتفسير النسفي قيمة علمية عظيمة ، ومكسبا للمكتبة الإسلامية عامة ، وللمكتبة التفسيرية، أما كونه مختصرا يشبه تفسير الجلالين فهذا يعد نوعا من التميز حيث أن بعض الباحثين يرون أن الإطالة والاستطراد في التفسير يشعر القارئ بالملل ويحجب عنه الوصول إلى هدايات القرآن الكريم، وأن الإيجاز والاختصار في محلها من الأمور المحمودة وأن الإطالة صفة سلبية تقلل من قيمة الكتاب العلمية.

والحاجة قائمة لتفسير النسفي باللغة الفارسية حيث قصد مؤلفه رحمه الله بيان معاني القرآن بعبارة سهلة مختصرة وأسلوب موجز يلبي رغبات محبي المختصرات وهو جدير بأن يكون في كل بيت من الناطقين باللغة الفارسية.

المطلب الثاني: من أبرز المآخذ عليه أنه تفسير كامل للقرآن الكريم ولكنه مختصر: من المعروف أن تفسير النسفي مختصر ابتداءً لا اختصاراً من أصل، والاختصار معناه: تقليل مسائل الكتاب ومباحثه أو تقليل ألفاظه مع استيفاء المسائل والمباحث¹.

¹ الاختصار في التفسير لعلي سعيد العمري ص: 23. كرسى القرآن الكريم وعلومه - جامعة الملك سعود - الرياض.

والتفسير المختصر هو: بيان معاني القرآن الكريم بعبارة وجيزة وألفاظ قليلة¹.

وحد التفسير المختصر ما يبلغ ضعف القرآن الكريم، والمتوسط ما يبلغ ثلاثة أضعافه، وما وراء ذلك فهو مطول "المبسوط"².

وبناء على ما سبق، فإنه يمكن أن يقال في الحد التقريبي للتفسير المختصر: ما اتفق على اعتباره تفسيراً مختصراً كتفسير الجلالين مثلاً، ويلحق به ما كان قريباً منه جداً. وقد ضرب مثلاً بتفسير الجلالين بخصوصه شهرته، ولأن عدداً من أراد وصف تفسير مختصر فإنه يقرنه به، حيث يصفه بأنه على نمط تفسير الجلالين أو على نهجه أو على منواله، أو نحو ذلك³.

وهذا ما توصلت إليه أنه تفسير النسفي يشبه تفسير الجلالين في الاختصار والايجاز، وليس تفسيراً لكلمات القرآن فحسب بل يشمل تفسير جميع آيات القرآن الكريم، وكلمات القرآن الكريم وتراكيبه، وجميع مصادر التفسير وعلومه، وعلى يقتصر على نوع منها أو نوعين كما سبق بيان ذلك في مبحث "جودة تبويب وترتيب تفسير النسفي"، وأنه يقتصر على المعلومات التي لها أثر مباشر بتفسير القرآن الكريم من أمثال:

الاقتصار على أبرز الأقوال التفسيرية الراجعة والمعتمدة.

الاقتصار على الروايات الصحيحة في أسباب النزول واستبعاد الضعيفة.

الطبعة: الأولى 1436هـ.

¹ الاختصار في التفسير للعمرى ص: 23.

² التفاسير المختصرة مناهجها واتجاهاتها للدكتور محمد بن راشد البركة ص: 32، الإصدار الثالث عشر لكرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود.

³ التفاسير المختصرة مناهجها واتجاهاتها للدكتور محمد بن راشد البركة ص: 33.

الاكتفاء ذكر رواية واحدة تجمع أبرز الروايات التفسيرية المتكررة من أقوال الصحابة والتابعين.

الاكتفاء بذكر الترجمة الفارسية للأحاديث النبوية وآثار الصحابة رضي الله عنهم وأقوال التابعين دون ذكر ألفاظها بالعربية.

حذف كل الأسانيد للأحاديث والآثار.

بيان ما ذكر صريحاً من الأحكام والمسائل الفقهية في آيات الأحكام دون الخوص إلى التفاصيل والمناقشات.

الاكتفاء بمذهب فقهي واحد ألا وهو المذهب الحنفي دون التطرق لبيان المذاهب الأخرى.

الاكتفاء بالمعنى اللغوي الراجح دون الخوض في التفاصيل والفرضيات البعيدة¹.

ومع أنه تفسير مهم، ومفيد ونافع إلا أنه لا يخلو من بعض الملحوظات التي نجلها في الآتي:

وجود الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، فالمؤلف رحمه الله نقل في بعض الأحاديث الحديث ولكن دون تثبت من صحة الحديث ، فهو لم يقتصر على ذكر الأحاديث الصحيحة ، بل كان ينكرها وينكر معها الضعيفة والموضوعة دون تحري الدقة في النقل ومثال أورده في تفسيره قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : "فاتحة الكتاب شفاء من كل سم" وفي رواية : "شفاء من كل داء إلا السم ، وهو الموت"² ، بينما : "يرى العلماء أنه لا يحل رواية الحديث الموضوع في أي باب من الأبواب، إلا

¹ ينظر: تفسير النسفي 1/10-26، 1/54-63، 2/54 وما بعدها.

² الرواية الأولى: ذكرها صاحب فيض القدير في 4/418 ونسبها لأبي شيخ في الثواب عن أبي هريرة، والرواية الثانية ذكرها صاحب الفيض أيضاً في نفس الجزء والصفحة ونسبها للبيهقي في الشعب عن عبد الملك بن عمير مرسلأ ، والرواية الأولى رقم الحديث (5826) ، والرواية الثانية برقم (5827) ورمز لكتلتا الروايتين بالضعف .

مقترنا ببيان أنه موضوع مكذوب، سواء في ذلك ما يتعلق بالحلال والحرام، أو الفضائل، أو الترغيب والترهيب أو القصص والتواريخ¹.

خوضه في الإسرائيليات فقد أورد بعض الإسرائيليات إلا أنه لم يكن يعقب عليها بالرد والإيضاح ، وهذا هو منهجه في غالب ما ذكره منها في تفسيره ، والذي يدل على ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله: ((فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ^٢ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ))²، حيث يقول : "وقصته : ما ذكره الكلبي في تفسيره قال : لما نظر إبليس إلى ذلك حسدهما ، وكان أهبط إلى الأرض فاحتال أن يفتنهما فعرض نفسه على كل دابة أن يدخل في صورتها فأبى عليه حتى أتى الحية وكانت أحسن دابة في الجنة خلقا ، وكانت كهينة البعير تمشي على أربع قوائم ليس في الجنة دابة أحسن منها ، فيها من كل لون ، فلم يزل يستدرجها حتى أطاعته ، فدخل بين لحييها ، وقام في رأسها حتى أتى باب الجنة فقام عندها ، فنادى يا آدم ويا حواء فأجابته هي وآدم"³. وهذه القصة أوردها المؤلف ولم يبين ضعفها ، فهي غير صحيحة ومن الإسرائيليات⁴.

وكذلك عند تفسيره قوله تعالى : ((وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ))⁵، أراد النسفي أن يبين : إنجاء بني إسرائيل في البحر وغرق فرعون لما لحق بهم فقال : وقصته : أن قوم فرعون قالوا له : ((أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ))⁶، فأمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل ، فأمرهم أن يخرجوا وأن يستعيروا الحلي من القبط، وأمر أن لا ينادي أحد منهم صاحبه ، وأن يسرجوا في

¹ تفسير النسفي 6/1.

² البقرة : 36 .

³ تفسير النسفي 42/1.

⁴ ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 237/1.

⁵ البقرة : 50 .

⁶ الأعراف: 127.

بيوتهم حتى الصبح ، ومن خرج لطح بابيه بكف من دم ليعلم أنه قد خرج ... إلى قوله : فكان هارون إمام بني إسرائيل يقودهم وموسى على ساقتهم يسوقهم وخرج موسى في ست مائة وعشرين ألف مقاتل لا يعدون فيهم ابن العشرين لصغره ، ولا ابن الستين لكبره ، وتبعهم فرعون على مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف جواد ليس فيها رمكة .. "فهو أورد هذه القصة ولا لم يبين بطلانها" (1) (2).

فتفسير النسفي له قيمة علمية، ومكسب للمكتبة التفسيرية ، لو كان المؤلف رحمه الله صانه عن إيراد الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات.

¹ تفسير النسفي 52/1.

² الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص: 51-52.

الفصل الثالث

الاتجاه الفقهي في تفسير البصائر أو "البصائر اليمينية" لأبي جعفر محمد بن محمود النيسابوري الغزنوي (ت599هـ)

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وبالكتاب:

المطلب الأول: التعريف بمؤلف تفسير البصائر:

هو العلامة المفسر معين الدين أبو جعفر محمد بن محمود بن أبي الحسن بن الحسين المرو رودي النيسابوري حجة الحق الغزنوي، أحد علماء القرن السادس الهجري¹.

الكتب والمصادر التي ترجمت له لا تذكر السنة التي ولد فيها، كما أنها لا تتناول تفاصيل حياته من نشأة، وطلبه للعلم، ورحلات، وشيوخ وتلاميذ.

كل ما ذكروا في حق هذا المفسر وعن شرح حاله ومقامه ومكانته العلمية بتعابير مثل: (الخواجة)، (حجة الحق)، (مفتي الأمة) فقط ولا توجد تفاصيل عن حياة المفسر إلا أن المستفاد من تفسير البصائر اليمينية أنه كان يعيش في بيت العلم والدين ومن أتباع المذهب الشافعي. كان جدّه الخواجة الامام محمد محمود من العلماء المعروفين وصاحب تفسير وقد نقل عنه مراراً في تفسيره².

وهناك قرائن يمكن الاعتماد عليها في تعيين تاريخ ميلاد أبي جعفر محمد النيسابوري الغزنوي على وجه التقريب ومن ذلك ما جاء في بعض المراجع أنه فرغ من تأليف تفسيره "البصائر" سنة 577هـ³.

¹ مقدمة تفسير بصائر يميني 4/1، كشف الظنون 246/1، طبقات المفسرين للأدنه وي-ص280.

² تفسير البصائر 91/1، طبعة هيئة الثقافة الإيرانية، 178/1، 328.

³ كشف الظنون 246/1.

إذا نستطيع أن نقول بأنه من الممكن أن يكون مؤلف تفسير البصائر من مواليد العقد الرابع من القرن السادس الهجري لأنه ذكر في مقدمة البصائر أنه بدأ بتأليف تفسيره بعد ما تجاوز الأربعين من العمر¹. وبناء على هذا نستطيع القول بأن ولادة أبي جعفر النيسابوري الغزنوي ليست متأخرة عن سنة (537هـ) بل قبلها².

وقد توفي أبو جعفر النيسابوري الغزنوي في سنة (599هـ) وفق بعض المصادر³.

ومهما قيل فيما يخص سنة ولادة الغزنوي مؤلف تفسير البصائر، وزمن تأليفه لهذا التفسير وتاريخ وفاته فإن الحقيقة أن أبا جعفر النيسابوري الغزنوي عاش كل حياته أو أغلبها في القرن السادس الهجري.

نشأته :

قد نشأ أبو جعفر الغزنوي في أسرة مرموقة وكان والده أبو القاسم محمود بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي المعروف ببيان الحق المتوفى سنة (553هـ) من أبرز وأشهر علماء عصره، وله العديد من المؤلفات في التفسير، والحديث، والفقه، ومنها: "إيجاز البيان عن معاني القرآن" و"وضح البرهان في مشكلات القرآن"⁴، و"عزو الأقاويل في معاني التنزيل"، و"شوارد الشواهد وقلاند القصائد"، وكان أبو القاسم النيسابوري موقع تقدير وثناء من قبل أهل العلم، ووصفوه بأنه : "كان عالماً، بارعاً، مفسراً، لغوياً، فقيهاً متقنناً، فصيحاً"⁵، وقالوا عنه: "الإمام بيان الحق محمود

¹ تفسير البصائر 5/1.

² التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 215/2.

³ هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي 104/1 - 105، وكالة المعارف الجليّة في مطبعتها البهية إستانبول سنة 1951م.

⁴ مطبوع في مجلدين بتحقيق صوان عدنان داودي.

⁵ معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب للياقوت الحموي 125/19، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ-1993م.

النيسابوري رحمه الله كان من أفراد العالم، لطائفه، غرائب، تصانيفه في أنواع العلوم مشهورة ومقبولة في أطراف الدنيا. حينما سمع أن تفسيراً صنف في بلاد المغرب في خمسين مجلداً، ألف في معنى آية واحدة وهي ((وفي أنفسكم أفلا تبصرون))¹، مائة دفتر: خمسين دفتر في خلق الإنسان، وخمسين دفتر في خلقه².

هكذا تربى أبو جعفر النيسابوري في كنف والد هذا شأنه فبدأ السير في طريق العلم وهو طفل صغير كما ذكر في مقدمة تفسيره البصائر: "وضع قدميه في بادية التعلم منذ ما كان عمره أربع سنوات وانتشغل بطواف كعبة العلم إلى أن بلغ أربعين سنة، فازداد رأس مال عمره ربها في كل وقت وسط المآثر في جريدة الأيام"³.

وقد كان جده لأم أيضاً من العلماء وهو يستشهد بأقواله في تفسيره قائلاً: "السيد الإمام جدي محمد محمود رحمه الله كان يروي .."⁴.

ولا شك أن مؤلف تفسير البصائر قد نشأ وترعرع في أسرة العلم والأدب، كانت تعيش في واحدة من أكبر حواضر العلم آنذاك وهي مدينة "غزنة"⁵، التي تحولت أثناء حكم الأسرة الغزنوية إلى منارة للإشعاع العلمي والحضاري، وعاش أبو جعفر النيسابوري في "غزنة" إلى أن صار أحد فحول أئمتها.

وإذا كانت غزنة معهداً للعلم وقد نسب إليها عدد لا يعد ولا يحصى منهم فإن من يوصف بأنه "كان من فحول أئمة غزنين"⁶.

¹ الذاريات: 2.

² لباب الألباب لمحمد عبد الوهاب القزويني 281/1.

³ تفسير البصائر 5/1.

⁴ تفسير البصائر 91/1.

⁵ غزنة مدينة أفغانية تقع على مسافة (138) كم في الاتجاه الغربي من كابول عاصمة أفغانستان وفيها الآثار والمباني الأثرية، وقد نسب إلى هذه المدينة عدد من العلماء.

⁶ لباب الألباب 181 / 1.

و لا بد وأن يكون قد تبوأ مكانة ممتازة في مضمار العلم وهذا ما يشهد به تفسير البصائر في حق مؤلفه¹.

مصنفاته وآثاره العلمية:

قد ألف العلامة أبو جعفر النيسابوري الغزنوي عددا من الكتب أغلبها باللغة الفارسية على النحو الآتي²:

1- تفسير البصائر أو البصائر اليمينية.

2- قصص الأنبياء.

3- المغازي

4- أمهمات المهمات.

5- رأي آراء أو ترجمة الغرر والسير للثعالبي.

6- معارضة السيف والقلم أو صحيفة الإقبال.

7- ديوان للأشعار وعدد أبياته خمس عشرة ألف بيت.

هذه المؤلفات لم تنحصر في العلوم الشرعية والتفسير وإنما تعدى ذلك إلى الأدب والشعر فهو بالإضافة لكونه مفسرا كان أديبا وشاعرا، وانتشرت مؤلفاته في الأقطار وتلقاه الناس بالقبول.

المطلب الثاني: الوصف الإجمالي لتفسير البصائر:

¹ التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 218/2.

² ينظر: تفسير البصائر 52/1، 115، 169، لباب الألباب 281/1، كشف الظنون 813/1.

البصائر تفسير كامل وكبير للقرآن الكريم ذو طابع فقهي باللغة الفارسية من تأليف أبي جعفر الغزنوي رحمه الله يحتل مكانة مهمة ومرموقة بين التفاسير القرآنية باللغة الفارسية.

توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه:

اتفقت المصادر المتخصصة في أسماء الكتب والمؤلفات وطبقات المفسرين بأن كتاب "تفسير البصائر" من تأليف العلامة أبي جعفر النيسابوري الغزنوي رحمه الله¹.

أسماء تفسير البصائر:

اتفقت المصادر التي ورد ذكر هذا التفسير فيها على أن عنوانه "البصائر" وإن كان هناك خلاف يسير بين بعضها في كامل العنوان، ففي حين ذكر أبو جعفر الغزنوي مؤلف الكتاب في مقدمة تفسيره بأنه سماه "البصائر" نجد أن المصادر الأخرى تذكر الكتاب بعناوين مثل: "تفسير بصائر يميني" أي تفسير البصائر اليمينية، و"البصائر في التفسير"، و"البصائر" و"البصائر في تفسير القرآن" وقد اختير "تفسير بصائر يميني" أي تفسير البصائر اليمينية عنوانا للكتاب حينما تم طبعه ونشره².

أهمية تفسير "البصائر":

قد حظي تفسير البصائر بالرواج والقبول في الأوساط العلمية والمهتمين بالدراسات القرآنية وتفسير آيات الأحكام باللغة الفارسية على مر القرون وتناقلت الكتب اسمها في صفحاتها وصارت نسخة متداولة بين الأيدي، واستفاد منه بعض المفسرين الذين

¹ لباب الألباب 281/1، وكشف الظنون 1076/2، ونيل السانين في طبقات المفسرين ص 131، وطبقات المفسرين للداودي 311/2، وهدية العارفين 403/2.

² تفسير البصائر 5/1، ونيل السانين في طبقات المفسرين ص 131، وكشف الظنون 435/1، ولباب الألباب 281/1، وهدية العارفين 105/2، والتفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها 220/2.

جاءوا بعد مؤلفه وجعلوه مصدرا من مصادرهم فيما ألفوا من التفاسير، فهو تفسير مهم على وجه الخصوص للمتخصصين في آيات الأحكام.

وهو مطبوع في ست مجلدات باهتمام الباحث الإيراني علي رواقى، طبع في طهران من قبل انتشارات هيئة الثقافة الإيرانية (بنياد فرهنگ ایران) عام 1401هـ.

وقد كان الكتاب رغم أهميته وشهرته غير مطبوع حتى عام 1401هـ، إلى أن لفت انتباه بعض المهتمين باللغة الفارسية وآدابها ونظرا لما له من قيمة أدبية من ناحية اللغة وكونه يمثل نموذجا للنثر الفارسي في القرن السادس الهجري يساعد المشتغلين بالدراسات اللغوية والأدبية للوقوف على دقائق وأساليب اللغة الفارسية في مرحلة مهمة من تطور هذه اللغة، فانطلاقا من هذه الأهمية قام أحد الباحثين بتحقيقه وطبعه ونشره¹.

ومع أن المحقق علي رواقى بذل جهده في تحقيق تفسير البصائر وإخراج نصه إلا أن عمله لا يخلو من بعض النقائص والسلبيات تمثلت في أمور ومنها:
كثرة الأخطاء المطبعية.

عدم التدقيق في التصحيحات الموجودة في النسخ المخطوطة والتي غير المعنى المراد للمؤلف بعض المواضع.

إهمال توثيق النصوص الوارد في الكتاب والاكتفاء بترقيم الآيات القرآنية فقط.

عدم كتابة الترجمة للأعلام الوارد في تفسير البصائر.

محاولات التحريف وإضافات في فضائل أهل البيت من قبل المحقق وقد وجدت نقولا محرفة في النسخة المطبوعة من تفسير البصائر وبالمقارنة مع النسخة المخطوطة تبين لي أن المحقق أدخل بعض النقول التي تخدم مذهبه وعقيدته وهذا مثال ما أضافه

¹ تفسير البصائر (تفسير بصائر يميني) طهران، 1980م.

المحقق:

" عدم تعصبه هذا ليس فقط في ذكر آراء المذاهب الأربعة الفقهية ، بل يمكن مشاهدة خصوصية هذه في آرائه الكلامية وعندما يأتي الحديث عن البحوث الكلامية أو المنقولات التاريخية ، ينقلها بصدر واسع ولا يقوم بالتبرير والدفاع ، أو في نقل فضائل أمير المؤمنين يذكر روايات وأخبار ليست بتلك الأهمية والمقدار لدى الآخرين. وأيضاً يذكر فضائل في حق فاطمة الزهراء عليها السلام والحسين بن علي سيد الشهداء والامام المهدي عليه السلام، وقصة المباهلة، وينقل بعض الأحاديث أو روايات عن الرسول في ذم خروج عائشة وإشعال حرب الجمل وخروج طلحة والزبير، ويذكر تنبؤات الرسول حول هذه القضايا وأيضاً حول هروب عثمان في حرب أحد ، و ذم بني أمية"¹. وبعد المقارنة مع النسخة المخطوطة للتفسير تيقنت أن المحقق أدخل هذه الإضافة المشار إليها لكي يخدم عقيدته وميوله المذهبية ولم يلتزم بالأمانة العلمية، ولهذا فإن تفسير البصائر بحاجة لإخراج نصه من النسخة المخطوطة وطباعته من جديد تحت إشراف إحدى دور النشر الثقات.

ولا شك أن تفسير البصائر من التفاسير النافعة وفيه من الفوائد العلمية والفقهية ومؤلفه من أهل الإنصاف والموضوعية في عرض المسائل الفقهية عند تفسيره لآيات الأحكام ولا زال الباحثون في الدراسات القرآنية ينهلون من بحره.

سبب تأليف المؤلف لتفسير البصائر:

قد أشار المؤلف رحمه الله في مقدمة تفسيره أنه كان بصدد تصنيف تفسير لكتاب الله سبحانه وتعالى إلى أن تيسر له ذلك فبدأ بتأليف تفسيره باللغة الفارسية ليكون نفعه

¹ ينظر تفسير البصائر 1/180، 231، 250، 307.

أعم ولأن حاجة الناس إليه أكثر في البلاد التي عاش فيها المؤلف، وقد ضمنه الكثير من الأحكام الفقهية¹.

وبين العلامة أبوجعفر النيسابوري رحمه الله في نهاية المقدمة أن كل قصة يتوقف فهم الآية على معرفتها سيذكرها قبل تفسير الآية تسهيلاً للوصول إلى المعنى المقصود من الآية القرآنية مختتماً مقدمة كتابه بقوله: "إن المقصود من تأليف الكتاب هو اتباع الحق، ونصرة الدين، وتأييد السنة وموافقة الجماعة ولكن إذا وقعت في هفوة وخطأ بسبب تلبيس إبليس المضل وتمويه النفس الأمارة بالسوء بحيث يهجر حق غفلة، أو يقرر باطل سهواً، ثقتي بالله تعالى أن لا يؤاخذني بسببها وينعم علي بحسن العفو والتجاوز، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير"².

وقد أكد رحمه الله بكل وضوح أن السبب من تأليف تفسير البصائر يتلخص في الآتي:

- حاجة الناس من الناطقين باللغة الفارسية إلى معرفة كتاب ربهم وأحكام دينهم وشريعتهم وعباداتهم.
- تسهيل الوصول إلى تفسير آيات الأحكام باللغة الفارسية.
- اتباع الحق ونصرة الدين الإسلامي.
- تأييد السنة النبوية وموافقة أهل السنة والجماعة.
- وما ذكره العلامة الغزنوي رحمه الله كان الناس في أمس الحاجة إليها في البلاد الناطقة باللغة الفارسية.

المبحث الثاني: عنايته بتفسير آيات الأحكام:

¹ تفسير البصائر 3/1-4.

² تفسير البصائر 3/1-4.

من المعروف لدى العلماء أن العلاقة بين التفسير والفقه علاقة قوية فالتفسير تبيان وشرح لكل شيء في كتاب الله، وفي علم الفقه معرفة الحلال الحرام، والحكم على جميع أعمال المكلفين بالأحكام الشرعية، وبه نفع الناس بالفتوى لهم والحكم بينهم وحل مشاكلهم وإصلاح ذات بينهم بالعدل، والقيام بأمور دينهم ودنياهم، التفسير والفقه، لا يستغني عالم عن الجمع بينهما، فهما يكملان بعضهما بعضاً، ولا يكون العالم كاملاً إلا بهما، ومن قصر في شيء منهما فقد فاتته من العلم الكثير؛ لأنهما أصل العلم، وإن الناظر في تراجم أكابر علماء السلف والخلف الراسخين في العلم، يجدهم جامعين بين هذين العلمين، "فالخلفاء الراشدون وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابن عباس وأبو موسى الأشعري وأم المؤمنين عائشة وغيرهم من علماء الصحابة رضي الله عنهم - كانوا علماء بتفسير كتاب الله، وفقهاء، لأن المقصد التشريعي في القرآن الكريم من أهم المقاصد التي نزل من أجلها، وهو أمر أجمعته عليه الأمة فاتخذت من القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع، فكان قطب الرّحى الذي تدور عليه أحكام الشريعة، وينبوع ينباعها، والمأخذ الذي اشتقت منه أصولها وفروعها، وهذا المعنى تؤكد نصوص قرآنية وحديثية كثيرة ومن ذلك" قوله سبحانه: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ"¹، قال المفسرون: معنى كل شيء: "كل حلال وكل حرام"². فالعلم الذي هو قوام جميع الأنام في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام"³.

ومن الأدلة التي ذكرها العلماء في هذا المسألة حديث "يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ"⁴، وقالوا: "وما ذاك إلا أنه أعلم بأحكام الله؛ فالعالم بالقرآن عالم بجُملة الشريعة"¹.

¹ النحل: 89.

² تفسير القرآن العظيم 594/4.

³ الرسالة للإمام الشافعي ص 19، مكتبة الحلبي، تحقيق أحمد شاکر.

⁴ أخرجه مسلم رقمه (673).

وانطلاقاً من هذه العلاقة المتينة بين التفسير والفقه قد اهتم العلامة أبوجعفر الغزنوي باستنباط الأحكام الفقهية من الآيات القرآنية ولما يمر بآية من آيات الأحكام في تفسير البصائر يتعرض لما تشتمل عليه الآية الكريمة من حكم أو أحكام فقهية ومسائل شرعية، حيث أن الله سبحانه قد أنعم عليه بالاطلاع والتبحر في التفسير والفقه ورزقه ملكة الاستنباط وكان من البديهي أن لا يغفل عن الأحكام الفقهية، ويبين الأحكام المستنبطة من آيات الأحكام بوضوح وأمانة ، وهذا ينسجم مع الاتجاه الذي سار عليه في الفقه، وهو مسلك الفقهاء المجتهدين وذلك بعرض المسائل الفقهية على المصدر الأول وهو القرآن الكريم نفسه تعالى وسنة رسوله الكريم².

ولكي نعرف اهتمامه الكبير بالمسائل الفقهية وعنايته بتفسير آيات الأحكام نأخذ أمثلة من واقع تفسيره وأنه كان منصفاً ومعتدلاً، يضرب به المثل في الموضوعية، هذا هو رأيه في الخلافات الفقهية لا يعبأ بترجيح رأي لمذهب آخر غير المذهب الفقهي الذي يسود في بيته وبيئته ودرس كتبه وتعلم مسائله منذ نعومة أظفاره ، وهذا ما فعله العلامة الغزنوي في تفسيره.

مسألة نكاح المسلم العفيف من الزانية المسلمة:

قال تعالى: "الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرَكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ" وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ³ ، فقد رجح المؤلف رأي الحنابلة على قول مذهبه الفقهي وحتى على رأي المذهب الحنفي الذي كان يسود في بيئته في نكاح الزانية قانلاً : "وقد غلم من هذه الآية أنه يجوز نكاح الزانية المقرّة بالزنا وهذا هو مذهب أحمد. وأما تأويل الآية عند أبي حنيفة والشافعي -رحمهما الله- فهو أنه حرم الشرك

¹ الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي 187/4 .

² ينظر مقدمة تفسير البصائر 4/1 .

³ النور: 3 .

والزنا على المسلمين، أو يقولون أنه -أي تحريم- خاص بقوم أو هو منسوخ"¹. قال المفسر ابن كثير "ذهب الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله، إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي ما دامت كذلك حتى تستتاب، فإن تابت صح العقد عليها وإلا فلا وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح، حتى يتوب توبة صحيحة لقوله: وحرّم ذلك على المؤمنين"². وأضاف معقبا على القول السابق: "هذا خبر من الله تعالى بأن الزاني لا يطاق إلا زانية أو مشركة. أي: لا يطاوعه على مراده من الزنى إلا زانية عاصية أو مشركة، لا ترى حرمة ذلك، وكذلك: "الزانية لا ينكحها إلا زان" أي: عاص بزناه" أو مشرك" لا يعتقد تحريمه.. وعن ابن عباس، رضي الله عنهما: "الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة" قال: "ليس هذا بالنكاح، إنما هو الجماع، لا يزني بها إلا زان أو مشرك"³.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: "ومعنى الآية: أن من اتصف بالزنا، من رجل أو امرأة، ولم يتوب من ذلك، أن المقدم على نكاحه، مع تحريم الله لذلك، لا يخلو: إما أن لا يكون ملتزما لحكم الله ورسوله، فذاك لا يكون إلا مشركا، وإما أن يكون ملتزما لحكم الله ورسوله، فأقدم على نكاحه مع علمه بزناه، فإن هذا النكاح زنا، والناكح زان مسافح، فلو كان مؤمنا بالله حقا، لم يقدم على ذلك، وهذا دليل صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك إنكاح الزاني حتى يتوب"⁴.

تعيين مقدار فدية الصيام:

¹ تفسير البصائر 117/2.

² تفسير ابن كثير 198/3.

³ تفسير ابن كثير 198/3.

⁴ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ص 561، مؤسسة الرسالة بيروت، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000 م.

وفي تفسيره للآية: "وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ۖ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ۚ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ"¹، اختار العلامة الغزنوي قول الشافعية في تعيين مقدار الفدية بأنه مدّ من الطعام²، خلافا لقول الحنفية الذي كان يسود في بيئته والذي يرى أنه نصف صاع من الطعام³، يقول المؤلف: "الفدية عبارة عن طعام مسكين واحد، وهي مقدرة بمدّ وهذا الحكم منقول من قاسم وسعيد بن جبير وهذا هو المذهب الشافعي"⁴، وقال الإمام مالك رحمه الله: "مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم عن كل يوم أفطره"⁵. وقال ابن كثير رحمه الله: "وأما الصحيح المقيم الذي يطيق الصيام، فقد كان مخيرا بين الصيام وبين الإطعام، إن شاء صام، وإن شاء أفطر، وأطعم عن كل يوم مسكينا، فإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم، فهو خير"⁶.

تفسير آية "أو لامستم النساء":

قد يفسر العلامة أبو جعفر الغزنوي الآية بما يتفق مع المذهب الحنفي ويكون بناء عليه الحكم المستنبط من الآية لمذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله- ومثاله ما جاء في تفسير الآية: "أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا"⁷، فقد أخذ المؤلف رحمه الله- من كلمة ((لامستم)) في الآية معنى الجماع وقال: "يعني كنتم قد جامعتم . وعند الشافعي لمس النساء ناقض للوضوء"⁸، ولا شك أن ما ذهب إليه المؤلف هو

¹ سورة البقرة: 284 .

² ينظر: أحكام القرآن للجصاص 249/1.

³ ينظر: أحكام القرآن للجصاص 249/1 .

⁴ تفسير البصائر 98/1.

⁵ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 112/2.

⁶ تفسير القرآن العظيم 221/1.

⁷ سورة المائدة : 6 .

⁸ تفسير البصائر 11 / 2 .

عين ما يراه الإمام أبو حنيفة بكون ((اللامسة)) المذكورة في الآية "كناية عن الجماع" وبالتالي رأوا أنه "لا وضوء على من مس امرأة، لشهوة مسها أو لغير شهوة"¹.

قال ابن كثير: "والقول بوجوب الوضوء من المس هو قول الشافعي وأصحابه ومالك والمشهور عن أحمد بن حنبل، رحمهم الله"². واللمس لو كان بشهوة ينقض الوضوء به، وإذا تم بغير شهوة الوضوء لا ينقض به في المذهبين المالكي والحنبلي³.

جزاء قتل صيد البر في حال الإحرام:

قد يتطرق العلامة الغزنوي في تفسيره إلى خلاف المذاهب ويعرض رأيها في الحكم المستنبط من الآية وقد كان تركيزه على المذهبين الشافعي والحنفي أكثر من غيرهما ومن أمثلة ذلك ما جاء في معرض تفسيره للآية: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ" ^٤ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ"⁴، قال : "جزاء الصيد واحد من ثلاثة : ينبح مماثل الصيد في الحرم ، والمماثلة عن الشافعي في الخلقة والهيئة، وعند أبي حنيفة بالسعر. أو يشتري طعامًا بما يساوي قيمة الصيد ويعطيه للمساكين، وعند الشافعي لكل مسكين مدّ، وعند أبي حنيفة نصف صاع من قمح أو صاع من شعير أو يصوم على عدد المساكين حسب اختلاف المذهبين في ذلك"⁵.

¹ أحكام القرآن للجصاص 519/2.

² تفسير القرآن العظيم لابن كثير 315/1.

³ ينظر: مواهب الجليل شرح مختصر خليل لمحمد بن عبد الرحمن المالكي 429/1، دار الرضوان للنشر والتوزيع، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي 251/1، مطبعة السنة المحمدية.

⁴ سورة المائدة : 95 .

⁵ تفسير البصائر 118/1 .

قال ابن كثير رحمه الله : "فإن الواجب عليه أن يقوم المثل من النعم طعاما ، ثم يصوم مكان كل مد يوما"¹.

يحرم على المحرم بحج أو عمرة قتل الصيد فإذا وقع فيه، وفيما يلي أحكامه :

أ: إن كان فعله في حال النسيان أو الجهل أو الإكراه أو النوم ليس عليه شيء.

ب : إن كان فعله متعمدا ولكن مع العذر المبيح لارتكاب المحذور، هنا لا يأتّم ولا فدية عليه.

ج: إن كان قد فعله بدون عذر فهو يأتّم ويجب أن تخرج الفدية، أما الصيد لو كانه له مثل فهذا يخير بين هذه الأمور أن يختار منها واحدا :

1- أن يذبح مثل الصيد، ويوزع لحمه على الفقراء داخل حدود الحرم.

2- يخرج ما يساوي قيمة الصيد ويشتري به طعاما ويوزعه على الفقراء لكل مسكين نصف صاع.

3- أن يصوم بدل إطعام كل مسكين. وفي حال لم يكن للصيد مثل فهو مخير بين الأمرين:

1- أن يخرج طعاما ما يعادل قيمة الصيد المقتول ويوزعه على فقراء الحرم.

2- اختيار الصيام بدل إطعام كل فقير يوما. وهذا عليه العمل في أيامنا من قتل الصيد وهو محرم².

حكم أكل الميتة في حالة المخصصة:

¹ تفسير القرآن العظيم 79/2.

² مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين 205/22-206.

قال الله سبحانه: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَيْنِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۚ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (1)

(، تعرض المؤلف أثناء تفسيره للآية إلى حكم أكل الميتة في حالة المخمصة مبيناً الخلاف بين المذاهب حول الحكم المستفاد من قوله عز وجل: "غير متجانف لإثم" عن أبي حنيفة هي أن لا يأكل أكثر من قدر الحاجة . وعند مالك والشافعي أنه لا رخصة في أكل الميتة- لقاطع الطريق والسارق" (2) . وقال ابن كثير: "أي : فمن احتاج إلى تناول شيء من هذه المحرمات التي ذكرها تعالى لضرورة ألجأته إلى ذلك ، فله تناول ذلك ، والله غفور رحيم له : لأنه تعالى يعلم حاجة عبده المضطر ، وافتقاره إلى ذلك ، فيتجاوز عنه ويغفر له، ولهذا قال الفقهاء : قد يكون تناول الميتة واجبا في بعض الأحيان ، وهو ما إذا خاف على مهجته التلف ولم يجد غيرها ، وقد يكون مندوبا ، و يكون مباحا بحسب الأحوال" (3)، وقال القرطبي: "اختلف العلماء فيها على قولين : أحدهما : أنه يأكل حتى يشبع ويتضلع ، ويتزود إذا خشي الضرورة فيما بين يديه من مفازة وقفر ، وإذا وجد عنها غنى طرحها . قال معناه مالك في موطنه ، وبه قال الشافعي وكثير من العلماء ، والحجة في ذلك أن الضرورة ترفع التحريم فيعود مباحا ومقدار الضرورة إنما هو في حالة عدم القوت إلى حالة وجوده، وقالت طائفة . يأكل بقدر سد الرمق . وفرق أصحاب الشافعي بين حالة المقيم والمسافر فقالوا : المقيم يأكل بقدر ما يسد رمقه ، والمسافر يتضلع ويتزود : فإذا وجد غنى

¹ المائدة: 3.

² تفسير البصائر 155/1.

³ تفسير القرآن العظيم 231/2.

عنها طرحها ، وإن وجد مضطرا أعطاه إياها ولا يأخذ منه عوضا ، فإن الميتة لا يجوز بيعها"¹.

فيجوز لمن كان في حال الاضطرار أن يأكل من الطعام وأن يشرب مما حرم من الأشرية دون السم إن خاف وقوع الضرر والهلاك على نفسه، ولم يحصل غير الطعام والشراب المحرم لدفع الجوع والعطش².

الخلافاً في معنى الإحصان في تفسير كلمة " المحصنات:

وفي تفسير قوله عز وجل : "الْيَوْمَ أَجَلٌ لَّكُمْ الطَّيِّبَاتِ ^١ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ جُلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ جُلٌّ لَهُمْ ^٢ . وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ" ³.

يقول المؤلف متناولا الخلاف الموجود بين الشافعية والحنفية في معنى الإحصان في الآية : " عند الإمام أبي حنيفة المحصنات هنا بمعنى العفاف ، وعند الشافعي بمعنى الحرائر" ⁴، ولم يرجح العلامة الغزنوي-رحمه الله- أحد المعنيين على الآخر في تفسيره ، كما أنه نقل كلمة (المحصنات) نفسها مرتين أثناء ترجمته لمعاني الآية ولم يستخدم أية كلمة فارسية مكانها الأمر الذي يؤكد على عدم ترجيحه لأحد المذهبين على الآخر . وهذا في حين أن المؤلف ترجم كلمة (المحصنات) والتي تكررت أربع مرات في قوله : "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ^١ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ^٢ وَأَجَلٌ لَّكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ^٣ . فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ^٤ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ^٥ . إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ

¹ الجامع لأحكام القرآن 173/2.

² تفسير البصائر 155/1.

³ المائدة : 5 .

⁴ تفسير البصائر 156/1 .

الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ۖ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ۚ وَأَن تَصْنُرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ¹، ترجم كلمة المحصنات في المرة الأولى بالنساء المتزوجات ، وفي المرة الثانية بالنساء الحرائر ، وفي المرة الثالثة بالعفيفات ، وفي المرة الرابعة بالحرائر²، كما ترجمها في سورة النور في قوله: "والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء"³ ، بالنساء التقيات⁴، وفي قوله سبحانه: "إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"⁵، ترجمها وفسرها بالمسلمات العفيفات⁶.

قال ابن كثير رحمه الله: "والمحصنات من المؤمنات" أي: "وأحل لكم نكاح الحرائر العائف من النساء المؤمنات ، وذكر هذا توطئة لما بعده ، وهو قوله: "والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم" فقيل : أراد بالمحصنات : الحرائر دون الإماء ، حكاه ابن جرير عن مجاهد . وإنما قال مجاهد : المحصنات : الحرائر ، فيحتمل أن يكون أراد ما حكاه عنه ، ويحتمل أن يكون أراد بالحررة العفيفة ، كما قاله مجاهد في الرواية الأخرى عنه . وهو قول الجمهور هاهنا ، وهو الأشبه ؛ لنلا يجتمع فيها أن تكون زمية وهي مع ذلك غير عفيفة ، فيفسد حالها بالكلية ، ويتحصل زوجها على ما قيل في المثل : "حشفا وسوء كيلة" والظاهر من الآية أن المراد بالمحصنات :

¹ سورة النساء : 24 - 25 .

² تفسير البصائر 1 / 117 - 118 .-

³ - النور : 4 .

⁴ تفسير البصائر 2 / 235 ..

⁵ - النور : 23 .

⁶ تفسير البصائر 2 / 198 .

العفيفات عن الزنا ، كما قال في الآية الأخرى : "مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ" (1) (2).

هنا اختلف رأي المفسرين : "والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم" أ هي كل امرأة كتابية من عفيفات نساء أهل الكتاب ، أمة وحرّة؟ نقل ابن جرير عن عدد من المفسرين أن المحصنة هي العفيفة . وقل آخر : أن القصد من نساء أهل الكتاب الإسرائيليات، وهذا قول الشافعية . وقول آخر بأنها ذمية غير حربية³.

ونقل أن بن عمر لم يكن يجيز الزواج من امرأة نصرانية قائلا: "لا أعلم شركا أعظم من أن تقول: إن ربها عيسى وقد قال الله عز ذكره :ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمن"⁴. مع ثبوت زاج عدد من الصحابة من النصرانيات وعدم منع ذلك مستدلا بقوله سبحانه: "والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم" حيث قالوا أن هذه الآية مخصصة لآية البقرة : "وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ"⁵.

تحريم نكاح المتعة والرد على من أباحه:

نكاح المتعة: "نكاح المرأة لأجل محدود ثم إخلاء سبيلها بانقضائه"⁶، بأن يطلب الرجل من المرأة ويقول: "متعيني نفسك بكذا من الدراهم مدة كذا، فتقول له: متعتك نفسي، أو يقول لها الرجل: أمتع بك أي لابد في هذا العقد من لفظ التمتع"⁷.

¹ النساء: 25.

² تفسير القرآن العظيم لابن كثير 66/2.

³ تفسير القرآن العظيم لابن كثير 66/2.

⁴ سورة البقرة: 221.

⁵ تفسير القرآن العظيم 67/2.

⁶ الموسوعة الفقهية الكويتية 24/39.

⁷ ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية 24/39.

والقصد من الزواج الاستمرار والدوام ، والزواج المؤقت ، هو زواج المتعة ، كان يجوز في ابتداء الإسلام ثم جاء النسخ وبطلت الإباحة ، وصار هذا الزواج محرماً إلى يوم القيامة فعن علي بن أبي طالب : " نهى رسول الله عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خبير " وفي رواية : " نهى عن متعة النساء يوم خبير وعن لحوم الحمر الإنسية"¹. وعن الربيع بن سبرة الجهني أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال : " يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً"².

قال ابن كثير رحمه الله : " ولا شك أنه كان مشروعاً في ابتداء الإسلام ، ثم نسخ بعد ذلك"³.

وقد استدلل القائلون بإباحة المتعة بما لا يصلح دليلاً ومنه من قوله : " فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة"⁴. وقالوا : " إن في الآية دليلاً على إباحة المتعة ، وقد جعلوا قوله : أجورهن ، قرينة على أن المراد بقوله : استمتعتم ، هو المتعة"⁵.

وقد ردّ أبو جعفر الغزنوي على القائلين بإباحتهم لنكاح المتعة في ثلاثة مواضع من تفسيره ، وذلك في قوله سبحانه : " وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " كِتَابِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ^٥ وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ"⁶ ، يقول المؤلف : " النكاح الصحيح أن يكون فيه المهر ، وأن يكون مؤبداً

¹ رواه البخاري (3979) ومسلم (1407) .

² رواه مسلم (1406) .

³ تفسير القرآن العظيم 227/2 .

⁴ النساء : 24 .

⁵ مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي 5 / 101 - 103 ، دار المعرفة بدون رقم الطبع والتاريخ .

⁶ النساء : 24 .

بحسب الظاهر لأن الحاجة إلى الجماع دائمة ولا يحصل الإحصان إلا بالعقد المؤبد"¹.

وفي تفسيره للآية: "فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مَخَصَّنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ"²، يؤكد المؤلف في رده على القائلين بجواز نكاح المتعة أن كون تأييد العقد بحسب الظاهر هو الفارق بين الإحصان والسفاح ، يقول المؤلف : "الفارق بين النكاح واتخاذ الأخدان هو شرط الشهود، والفارق بين الإحصان والسفاح هو كون العقد مؤبداً بحسب الظاهر"³.

ويؤكد على هذا المعنى في تفسيره للآية الكريمة: "وَالْمُخَصَّنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مَخَصَّنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ"⁴، فيقول : "وقد فهم من: غير مسافحين، أنه لا يصح نكاح المتعة ، كما فهم من: ولا متخذات أخدان، عدم صحة نكاح السر"⁵.

اعتبار المماثلة في القصاص:

قال المؤلف رحمه الله- في أثناء بيان الحكم المستنبط من الآية : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى"⁶: "يعني اعتبار المماثلة في المقتولين"⁷.

¹ تفسير البصائر 121/1 .

² النساء : 25 .

³ تفسير البصائر 123/1 .

⁴ المائدة : 5 .

⁵ تفسير البصائر 173/1 .

⁶ البقرة : 178 .

⁷ تفسير البصائر 38/1 .

قد ذهب غير واحد من المفسرين والفقهاء على مبدأ المقابلة بالمثل، وأن المماثلة في القصاص مسألة تلقائية طبيعية، فيقتص من القاتل، ويفعل به مثل ما فعل، من الضرب بالحجر، أو الحصى، أو الخنق: وهورأي الإمام مالك ونسب إلى الإمام الشافعي أيضاً، ورأية عن الإمام أحمد¹، وأيضاً المفسر العلامة القرطبي بين مسألة المماثلة في القصاص عند تفسير الآية: ((وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ))²، "في هذه الآية دليل على جواز التماثل في القصاص، فمن قتل بحديدة قتل بها، ومن قتل بحجر قتل به، ولا يتعدى قدر الواجب، واتفق علماؤنا على أنه إذا قطع يده ورجله، وفقاً عنه قصد التعذيب، فعل به ذلك"³.

ويرى الإمام القرطبي أن: "من ظلمك فخذ حقه منه بقدر مظمتك، ومن شتمك فرد عليه مثل قوله ، ومن أخذ عرضك فخذ عرضه ، لا تتعدى إلى أبويه ولا إلى ابنه أو قريبه ، وليس لك أن تكذب عليه وإن كذب عليك ، فإن المعصية لا تقابل بالمعصية ، فلو قال لك مثلاً : يا كافر ، جاز لك أن تقول له : أنت الكافر ، وإن قال لك : يا زان ، فقصاصك أن تقول له: يا كذاب يا شاهد زور ، ولو قلت له يا زان ، كنت كاذباً وأثمت في الكذب ، وإن مطلق وهو غني دون عذر فقال : يا ظالم ، يا آكل أموال الناس"⁴، فيُفْعَلُ بالجاني بمثل ما فعل بالمجني عليه، إلا إذا كان الفعل محرماً في نفسه⁵.

أما إذا كان القتل بفعل محرم، فكيف يكون القصاص مثلاً إذا قتله بسِخْرِ، يقتص منه بالسيف؛ لأن السحر حرام وإذا قتله بتجرع الخمر فالصحيح عندهم أنه يقتل بالسيف،

¹¹ يراجع: أحكام القرآن للخصاص 160/1، والجامع لأحكام القرآن 202/10.

² النحل: 126.

³ الجامع لأحكام القرآن 202/10.

⁴ الجامع لأحكام القرآن 214/10.

⁵ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل 362/9.

ورأى عندهم أنه يسقى مانعا مباح كخل مثلاً¹. فهذا أرى أن رأي الحنفية أقوى كما قال الجصاص رحمه الله: "إن المراد بالقصاص إتلاف نفسه -أي القاتل- بأيسر الوجوه وهو السيف"². فالعلة هي إذا إيقاع القتل بأي أداة تزهق روح الجاني بأيسر ما يمكن من الألم والعذاب، "والحكم يدور مع علته وجودا وعدما فمتى وجدت العلة؛ نشبت بها الحكم"، فإذا زالت العلة؛ زال الحكم بزوالها وانتهى بانتهاؤها³.

هكذا رأينا أن العلامة الغزنوي رحمه الله قد اهتم اهتماما بالغاً بتفسير آيات الأحكام، وكان من منهجه الإنصاف والموضوعية دون تجريح المخالف أو التحامل عليه.

المبحث الثالث: طريقته في تفسير آيات الأحكام:

لا يكاد يمر مؤلف تفسير البصائر العلامة أبوجعفر الغزنوي - رحمه الله - بآية من آيات الأحكام إلا ويتعرض لما تشتمل عليه الآية الكريمة من حكم أو أحكام فقهية، وقد دأب على الاختصار بذكر المذهبين الشافعي والحنفي فيما يتعلق بالمسائل الفقهية وعدم التطرق إلى آراء بقية المذاهب.

ويراعي الغزنوي العدل والتوازن فيعرض رأي كل مذهب من المذهبين دون أدنى تعصب أو تحيز إلى واحد منهما وقد التزم الدعاء للإمام أبي حنيفة برحمه الله وللإمام الشافعي برضى الله عنه أو عليه الرضوان كلما ذكر اسم الإمامين. ولعل هذا الموقف الحيادي غير المتعصب، والتوازن الدقيق في عرض آراء المذهبين، هو السبب وراء نسبة الرجل في بعض الكتب إلى المذهب الشافعي⁴، وفي بعضها الآخر إلى المذهب

¹ ينظر: البناية شرح الهداية 87/13، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، 222/6، ومغنى المحتاج للخطيب الشربيني 45/4.

² أحكام القرآن 199/1.

³ الحكم يدور مع علته وجودا وعدما، قاعدة أصولية ذكرها د. محمد صدقي البورنوي في: موسوعة القواعد الفقهية، 195/5، مكتبة التوبة- الرياض، ودار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1421هـ، 2000م.

⁴ ينظر: هدية العارفين 105/2، ومعجم المفسرين 632/2.

الحنفي¹، ومما يصعب معرفة المذهب الفقهي الذي ينتمي إليه أبو جعفر النيسابوري الغزنوي عدم ترجيحه لرأي مذهب على آخر مما يجعل القارئ في حيرة من الأمر حول المذهب الذي يؤيده أبو جعفر. وقد حاولت التعرف على مذهبه الفقهي من خلال البحث في المواضع تفسيره لآيات الأحكام ، إلا أنني وجدت أنه لم يلتزم مذهباً واحداً وإنما كان متنقلاً بين المذهبين ولكن توصلت إلى نتيجة أنه ينتمي إلى مذهب الإمام الشافعي رحمه الله لكونه يذكر رأي الشافعية أولاً أو في أحيان يكتفي بذكر هذا المذهب فقط.

خلافاً لكثير من المفسرين الذين كتبوا تفاسيرهم باللغة الفارسية، لا يلتزم أبو جعفر النيسابوري الغزنوي بترجمة معاني الآيات قبل الخوض في تفسيرها، وإنما يخلط بين الترجمة والتفسير في كثير من الأحيان وقد يذكر ترجمة للآية هي الأقرب إلى التفسير، وقد يقول : معنى الآية ، ثم يكتفي بإيراد معنى موجز وقد يطيل في شرح المعنى حسب ما يقتضي المقام في تفسير آيات الأحكام².

وقد دأب المؤلف على تفسير كل آية قرآنية على حدة ، وربما يقسم الآية الواحدة إلى عدة مقاطع أو جمل فيقوم بتفسير كل مقطع وجملة³. ومثلما ذكر المؤلف في المقدمة أنه يذكر القصة المتعلقة بالآية -إذا وجدت- قبل الدخول في تفسيرها⁴، كما في

¹ ينظر : طبقات المفسرين للأدنه وي ص 280 .

² ينظر على سبيل المثال : تفسير البصائر 1 / 302 تفسير قوله تعالى (أيود أحدكم أن تكون له جنة) سورة البقرة : 266 ، وص 303 تفسير قوله تعالى : (يؤتي الحكمة من يشاء ..) سورة البقرة : 269 .

³ ينظر مثلاً : تفسير البصائر 1/ 260 ، و 261 ، و 264 ، و 265 .

⁴ ينظر مثلاً : تفسير البصائر 61/1 قصة موسى عليه السلام وفرعون ذكرها بالتفصيل قبل تفسير قوله تعالى : (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ..) البقرة : 40 .

الغالب يورد سبب النزول قبل الترجمة والتفسير¹، وقد يذكره في خلال تفسيره للآية².

ومن السمات البارزة لطريقة أبي جعفر النيسابوري الغزنوي في تفسير الآيات القرآنية في كتابه البصائر عقده فصولاً خاصة لبيان بعض المسائل التي تطرقت إليها الآيات الكريمة مثل الأحكام الفقهية وغيرها³، وقد يكون الفصل موجزاً لا يتجاوز أسطرًا بحسب مقتضى الحال⁴، وقد يكون مطولاً مفصلاً يتجاوز عشرات الصفحات مثلما فعل المؤلف في تفسيره للآية: "وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ"⁵، فقد نقل فصلاً كاملاً من كتابه "المغازي" وهو ما يتعلق بمعجزات النبي عليه الصلاة والسلام، وقسم الفصل المذكور إلى ثلاثة أقسام ثم جزأ كل قسم إلى عدة فصول استغرقت مجموعها ثلاثاً وستين صفحة من الكتاب وأشار إلى أن المعجزات والكرامات لا تثبت بها أحكام فقهية خلافاً لمن يدعي ذلك⁶.

ومما يلفت النظر في طريقة المؤلف لتفسير آيات الأحكام طرحه للأسئلة والأجوبة في بعض المواضع من تفسير لمزيد التوضيح والبيان حول مسائل محددة في ظاهرها إشكال أو غموض⁷.

هذا وفيما يخص أسلوب المؤلف تجدر الإشارة إلى أنه كتب تفسيره بلغة فارسية درية سلسلة رصينة بعيدة عن التقعر والتعقد اللفظي وقد لاحظت أنه أكثر من استخدام

¹ ينظر مثلاً: تفسير البصائر 258/1، و259 و267.

² ينظر مثلاً: تفسير البصائر 273/1.

³ ينظر مثلاً: تفسير البصائر 20/1، و40، و52، و205.

⁴ ينظر مثلاً: تفسير البصائر 59/1.

⁵ سورة البقرة: 99.

⁶ ينظر: تفسير البصائر 115-178/1.

⁷ ينظر مثلاً: تفسير البصائر 33/1، و37، و257.

المفردات العربية الفارسية بالمقارنة مع بعض من سبقه من المفسرين الذين كتبوا بالفارسية واطلعت على تفاسيرهم كالأسفراييني، والسور آبادي والنسفي .

التفسير بالمأثور يسهل استنباط الأحكام الفقهية برأي المؤلف رحمه الله :

يرى العلامة الغزنوي رحمه الله أن التفسير بالمأثور سبيل مهم للوصول إلى الأحكام الفقهية لهذا لم يغفل التفسير النقلي في كتابه البصائر ، وقد كان اعتماده على النصوص القرآنية في تفسير آيات الأحكام أبرز ما يمثل هذا الجانب في تفسيره البصائر ، بالإضافة إلى إيراد الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين في تفسير الآيات القرآنية، لأن ما أجمل وأطلق في مكان بين وقيد في مكان آخر، وضرب مثلا لذلك في تفسير الآية:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحْلِلْتُ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ"¹، فقله سبحانه: "إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ" فسر بالآية من السورة وهي: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمُتَرَيِّبَةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَُمْ فِسْقٌ"⁽²⁾.(3)، وإن كان التفسير الفقهي نوعا من أنواع بذل الجهد في الاجتهاد لشرح الشريعة وأحكامها، إلا أن الهدف منه فهم النصوص القرآنية ومعرفة المراد منها وكونها أدلة على الحكم والأحكام في شتى صورها ضمن أصول وضوابط وقواعد تفسيرية تحمي المفسر المجتهد من الوقوع في الخطأ والزلل، وبناء عليه فإن المؤلف رحمه الله أعطى الأولوية للتفسير بالمأثور في أثناء تفسيره لآيات الأحكام.. كما أنه رحمه الله يفسر آيات الأحكام بالأحاديث النبوية و لم يهمل هذا الجانب وطريقته في إيراد الأحاديث غالباً أنه يذكر ترجمة الأحاديث بالفارسية مع حذف الإسناد والاكتفاء

¹ المائدة:1.

² المائدة:3.

³ تفسير البصائر 93/2.

بعزوها إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة في البصائر ما ورد في تفسير قوله: "وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُنَبِّئُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ"¹، تحدث المؤلف عن (آل) في اللغة العربية بثلاثة معاني: أولاً : آل بمعنى العيال من الزوجة و أولاد وفي الخبر : ((ما شبع آل النبي صلى الله عليه وسلم من خبز بر مآدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله))²، ثانياً : آل بمعنى الأقارب وقد جاء في الخبر أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال :إنها "أي الصدقة لا تحل لآل محمد"³، والمراد بنو هاشم .

ثالثاً: آل بمعنى من يتبعك في الدين، قال عليه الصلاة والسلام: "كل تقى نقى فهو آلي" (4) (5).

هذا وقد نقل صاحب البصائر أقوال ترجمان القرآن في تفسيره أكثر من غيره من الصحابة⁶، كما أورد أقوال مفسرين من التابعين من أمثال: الحسن البصري، وأبي العالية، وقتادة وغيرهم⁷.

عناية الغزنوي باستنباط النكت التفسيرية ومشكلات القرآن لتسهيل استنباط الحكم الفقهي:

¹ سورة البقرة: 49.

² متفق عليه من حديث عائشة (رضي الله عنها) البخاري كتاب الإيمان والنذور 230/7 و2281/4 ومسلم كتاب الزهد والرفائق حديث الرقم (297).

³ أخرجه مسلم بلفظ: ((إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس)) كتاب الزكاة ، باب ترك استعمال آل النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة 753/2 .

⁴ لم أجده مع طول البحث ولكن وجدت لفظاً قريباً منه: "أفضلُ الناس كلُّ مخموم القلب ، صدوق اللسان ، قالوا ، صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب ؟ قال النقي النقي ، لا إثم فيه ، ولا بغى ، ولا غل ، ولا حسد " صحيح سنن ابن ماجه لمحمد ناصر الدين الألباني رقمه (3416).

⁵ تفسير البصائر 75/1 .

⁶ ينظر مثلاً : تفسير البصائر 12/1 ، 15 ، 28 .

⁷ ينظر مثلاً : تفسير البصائر 1 / 97 ، و12 ، 224 .

ومن أبرز ما يلفت نظر الباحث في تفسير البصائر عناية العلامة الغزنوي رحمه الله تعالى- باستنباط بعض الدقائق والنكت التفسيرية من الآيات القرآنية مما يدل على براعة أبي جعفر وذهنه الثاقب لتسهيل استنباط الحكم الفقهي ومن أمثلة هذه الدقائق والنكت التفسيرية ما استنبطه مؤلف تفسير البصائر من قوله: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"¹، قال أبو جعفر: "هذه الآيات دليل على فضيلة العلم على العبادة، لأن سابقة العبادة كانت للملائكة وكان إبليس يحظى منها بحظ أوفر ولكن علّم العلم كان بيد آدم فصار مسجوداً له، والآيات دليل-أيضاً- على فضل القول الذي يقول إن الكلام كان معجزة أول الأنبياء وهو آدم آخرهم وهو محمد عليهم السلام"².

وعند تفسير قول الله عز وجل: "الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ" أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ"³، ينبّه العلامة الغزنوي إلى خطورة انحراف العلماء عن جادة الصواب، وانشغالهم بالجاه والدنيا، وتفرقهم، وطعن بعضهم في بعض وأثر كل ذلك على عامة الناس والحكام، قائلاً: "إن ما يصدر من العلماء من أعمال سيئة هو أسوأ أثراً على أمور الدين مما يفعله غير العلماء، لأن الآخرين يقتدون بهم في مسائل الشريعة وعندما يرى عامة الناس سوء عمل العلماء تضعف العقيدة في نفوسهم، وبما أنهم يرون السلف في سيرة العلماء قد يسيئون الظن بهم. وعندما يسوء عمل العلماء لا يمتنع الحكام عن الظلم ولا يبالون بشكاوى الناس، وكما قال العقلاء فإن انحراف العلماء بمثابة أن يتحول القائد إلى قاطع طريق، إن أخبار الماضين وقصصهم تشهد بأن شريعة لم تهدم إلا بعد أن اختلفت أفعال علمائها مع أقوالهم بسبب هوى النفس، وحب الجاه. إن ما تم

¹ سورة البقرة: 34.

² تفسير البصائر 57/1.

³ سورة البقرة: 27.

ذكره بمثابة بيت للشر له مفتاح واحد ، لا يمكن الدخول إلى البيت والوقوف على ما فيه إلا بالحصول على هذا المفتاح وهو الوقعة والطعن من قبل أهل العلم في بعضهم البعض . وبما أن الله سبحانه وتعالى لا ينسخ هذه الشريعة ولا يظفر الأعداء عليها ، الأمل به كبير أن يرفع هذه الآفة من بين أهل الزمان ويعصم دينهم من هذه الوصمة"¹.

اهتمام المؤلف بمباحث علوم القرآن التي تخدم التفسير الفقهي:

العلامة أبو جعفر الغزنوي مؤلف تفسير البصائر يرى أن معرفة مباحث علوم القرآن وتوظيفها في خدمة التفسير الفقهي أمر في غاية الأهمية لمن يفسر آيات الأحكام لهذا اهتم بهذا الجانب ولعل أسباب النزول هي أكثر مباحث علوم القرآن دورانا في تفسير البصائر²، يأتي بعدها موضوع الناسخ والمنسوخ حيث يذكر المؤلف من الآيات ما يرى أنها منسوخة بآيات أخرى³، وقد أكد أبو جعفر على جواز النسخ في الإسلام منتقداً موقف اليهود من النسخ حيث يزعمون أنه البدأ⁴.

كما يشير أيضا إلى اختلاف القراءات، وإذا ذكره يكتفي ببيان وجه الاختلاف وتوجيه معنى كل قراءة وأثره فيما يترتب على بيان المعنى والتفسير، ومثال ذلك ما ذكره عند الترجمة التفسيرية للآية :

"وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ^٥ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ^٦ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ"⁵، تطرق المؤلف إلى قراءتي التشديد والتخفيف في الطاء وقال: "ابتعدوا عن النساء في أيام المحيض ولا تجامعوهن حتى يخرجن من الحيض

¹ تفسير البصائر 1 / 49 - 50 .

² ينظر على سبيل المثال : تفسير البصائر 35/1 ، و 235 ، 239 ، 241 .

³ ينظر على سبيل المثال : تفسير البصائر 106/1 ، و 236 .

⁴ ينظر : تفسير البصائر 106/1 .

⁵ سورة البقرة : 222 .

، وهذا التفسير مبني على عدم تشديد الطاء أي يطهّر بالتفسير كالاتي: لا تجامعوهن حتى يغتسلن ويمضي عليهن وقت صلاة كامل ويمكن بعد ذلك الاقتراب منهن¹.

كما يتعرض رحمه الله للمناسبات بين الآيات ومن ذلك ما جاء في تفسير الآية: "مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ"²، قال أبو جعفر: "كان في الآيات السابقة أمر بجهاد الكفار وقد غلم من قصة طالوت وجالوت أن القلة لا تمنع النصر ، وأن الكثرة لا توجب الظفر فالله ينصر من يشاء ، ثم ذكر على إثره دلائل التوحيد ووجوب البعث لأجل الجزاء ليعلموا أنه لا يبقى معروف دون ثواب ، ولن يكون منكر بدون حساب ، ثم عاد الغرض الأول وهو التحريض على القتال فقال: مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله لنصرة الدين وقهر أعداءه"³.

أمثلة تطبيقية من تفسير آيات الأحكام للعلامة الغزنوي في تفسير البصائر:

تفسير كلمة "القرء":

يطلق علماء اللغة القرء على كل من الطهر والخيض ، وأنها من المصطلحات المشتركة يراد به الطهر والحيض ويشتركان في هذا المسمى⁴.

كما أن الفقهاء قد اتفقوا على وجوب أن تعدد المطلقة ومن في حكمها من ذوات الأقراء ثلاثة قروء بدلالة الآية الكريمة "وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ"⁵، في كل من النكاح الصحيح والنكاح الفاسد والوطء بشبهة، قال ابن قدامة: "إنَّ

¹ تفسير البصائر 267/1 .

² سورة البقرة : 261 .

³ تفسير البصائر 299/1-.

⁴ المصباح المنير للفيومي 53/2، والموسوعة الفقهية الكويتية 32/27.

⁵ سورة البقرة: 228.

عِدَّة الْمُطَلَّقة إِذَا كَانَتْ حُرَّةً وَهِيَ مِنْ ذَوَاتِ الْأَقْرَاءِ ثَلَاثَةُ قُرُوءٍ بِلَا خِلَافٍ أَهْلُ الْعِلْمِ¹.

وقد فسر العلامة أبو جعفر رحمه الله "القرء" بالطهر²، في قوله: "وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ"³، كما هو مذهب الإمام الشافعي⁴، خلافاً لمذهب الإمام أبي حنيفة حيث يرى أن المراد بالقرء الحيض⁵، قال المفسر أبو الفداء: "وقد اختلف السلف والخلف والأئمة في المراد بالأقراء ما هو؟ على قولين: أحدهما: أن المراد بها: طهار، وهو مذهب مالك، والشافعي. والقول الثاني: أن المراد بالأقراء: الحيض، فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة، زاد آخرون: وتغتسل متها أقل وقت تصدق فيه المرأة في انقضاء عدتها ثلاثة وثلاثون يوماً ولحظة.. وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه، وأصح الروايتين عن الإمام أحمد بن حنبل"⁶، وقال القرطبي رحمه الله: "واختلف العلماء في الأقراء، فقال أهل الكوفة: هي الحيض، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وأبي موسى ومجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة والسدي. وقال أهل الحجاز: هي الأطهار، وهو قول عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت والزهري والشافعي. فمن جعل القرء اسماً للحيض سماه بذلك، لاجتماع الدم في الرحم، ومن جعله اسماً للطهر فلاجتماعه في البدن، والذي يحقق لك هذا الأصل في القرء الوقت"⁷.

¹ ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية 33/27.

² ينظر: تفسير البصائر 270/1.

³ سورة البقرة: 228.

⁴ ينظر: أحكام القرآن للإمام الشافعي 242/1-244 ط دار الكتب العلمية، بيروت 1400 هـ 1980 م.

⁵ ينظر: أحكام القرآن للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص 496/1 وما بعد.

⁶ تفسير القرآن العظيم 459/1.

⁷ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 65/3-66.

هذا حاصل ما يقال في المطلقة إذا كانت من ذوات الحيض فتعتد بثلاثة أطهار، وبناء على ذلك: إذا كنت حائلاً، أي: غير حامل ويجري معها دم الحيض ولم تكن آيسة ولا صغيرة ولا انقطع دمها فإنها تعتد بالطهر على أصح الوجهين والقولين عند العلماء رحمهم الله¹.

تفسير "حاضري المسجد الحرام:

قد أخذ أبو جعفر الغزنوي رحمه الله برأي المذهب الحنفي في تفسير: ((حاضري المسجد الحرام))²، في قوله سبحانه: "ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ" وحددهم بالذين أهلهم من كان دون هذه المواقيت³، أي إلى جهة مكة بخلاف مذهب الإمام الشافعي الذي يفسر حاضري المسجد الحرام بأنهم ممن هم داخل الحرم أو من كان على مسافة لا يجوز قصر الصلاة فيها من الحرم⁴.

قال أبو بكر الجصاص رحمه الله: "اختلف الناس في ذلك على أربعة أوجه فقال عطاء ومكحول من دون المواقيت إلى مكة وهو قول أصحابنا إلا أن أصحابنا يقولون أهل المواقيت بمنزلة دونها وقال ابن عباس ومجاهد هم أهل الحرم وقال الحسن وطاوس ونافع وعبد الرحمن الأغر ج هم أهل مكة وهو قول مالك بن أنس وقال الشافعي هم من كان أهلهم دون ليلتين وهو حينئذ أقرب المواقيت وما كان وراء فعليهم المنفعة قال أبو بكر لما كان أهل المواقيت فمن دونها إلى مكة لهم أن يدخلوها بغير إخراج وجب أن يكونوا بمنزلة أهل مكة ألا ترى أن من خرج من مكة فما لم يجاوز الميقات فله الرجوع ودخلها بغير إخراج وكان تصرفهم في الميقات فما دونه بمنزلة تصرفهم في مكة فوجب أن يكونوا بمنزلة أهل مكة في حكم المنفعة ويدل على أن الحرم وما

¹ ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية 35/27.

² سورة البقرة: 196.

³ ينظر: تفسير البصائر 246/1.

⁴ تفسير الكشاف للزمخشري 242/1، وأحكام القرآن للشافعي 115/1.

قرب منه أهل من حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ"¹، وقال ابن كثير: "مذهب الشافعي أنهم أهل الحرم ، ومن كان منه على مسافة لا تقصر منها الصلاة ؛ لأن من كان كذلك يعد حاضرا لا مسافرا"²، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: "بأن كان عند مسافة قصر فأكثر، أو بعيدا عنه عرفات، فهذا الذي يجب عليه الهدى، لحصول النسكين له في سفر واحد، وأما من كان أهله من حاضري المسجد الحرام، فليس عليه هدي لعدم الموجب لذلك"³.

تفسير "الإحصار":

الإحصارُ في اللغة: يأتي بمعنى المنع والحبس⁴.

واصطلاحاً: الإحصار هو مَنْعُ من أحرم ونوى الحج والعمرة ومنع من إتمامهما وأداء أركانهما⁵.

هنا أبو جعفر الغزنوي رحمه الله قد خالف المذهب الشافعي في تفسير "الإحصار" في قوله سبحانه: "إِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ"⁶، وذهب في تفسير الإحصار بما يوافق المذهب الحنفي⁷، الذي يرى أن يحبس من دخول مكة بعد إحرامه لأي سبب

¹ احكام القرآن 37/1.

² تفسير القرآن العظيم لابن كثير 30/2.

³ تيسر الكريم الرحمن 73/1.

⁴ المعجم الوسيط 26 / 1.

⁵ الموسوعة الفقهية الكويتية 26/4.

⁶ سورة البقرة : 196 .

⁷ ينظر : تفسير البصائر 245/1 .

من الأسباب فهو المحصر سواء من العدو أو المرض أو نحو ذلك¹، خلافاً لمذهب الإمام الشافعي الذي يذهب بالقول إن المراد بالحصر في الآية حصر العدو فقط².

ذكر ابن كثير: "أن العلماء اختلفوا هل يختص الحصر بالعدو ، فلا يتحلل إلا من حصره عدو ، لا مرض ولا غيره ؟ على قولين : لا حصر إلا حصر العدو ، فأما من أصابه مرض أو وجع أو ضلال فليس عليه شيء ، إنما قال الله تعالى : فإذا أمتم، فليس الأمن حصراً، والقول الثاني : أن الحصر أعم من أن يكون بعدو أو مرض أو ضلال وهو التوهان عن الطريق أو نحو ذلك"³، ويؤيد ذلك ما قاله الثوري: "الإحصار من كل شيء آذاه"⁴.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: "فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ أَي: منعتم من الوصول إلى البيت لتكميلهما بمرض، أو ضلالة، أو عدو، ونحو ذلك من أنواع الحصر، الذي هو المنع فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ أَي: فاذبحوا ما استيسر من الهدى، وهو سبع بدنة، أو سبع بقرة، أو شاة يذبحها المحصر، ويخلق ويحل من إحرامه بسبب الحصر"⁵.

فلفظ الإحصار عامٌ يدخل فيه العدو والمرضى وذهاب النفقة ونحوه لأن المعنى الذي لأجله ثبت حق التحلل للمُحصَر بالعدو؛ موجودٌ كذلك في المرضى وغيره من الأعداء⁶.

مدة الإيلاء:

¹ ينظر : أحكام القرآن للجصاص 368/1 ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 248/1 .

² ينظر: أحكام القرآن للإمام الشافعي 130/1-131، دار الكتاب العربي بيروت 2006م ، والجامع لأحكام القرآن 248/1 .

³ تفسير القرآن العظيم لابن كثير 37/2.

⁴ تفسير القرآن العظيم 37/2.

⁵ تيسر الكريم الرحمن 73/1.

⁶ ينظر: الموسوعة الفقهية 25/4.

الإيلاء لغة: اليمين أو الخلف، يقال: آلى، أي: حلف¹.

والإيلاء اصطلاحاً: هو أن يحلف الرجل بالله تعالى ألا يطأ زوجته مدة تزيد على أربعة أشهر قاصداً إلحاق الضرر بها². وقيل: الإيلاء هو أن يحلف أن يمتنع عن وطء زوجته على الإطلاق أو مدة أربعة أشهر أو أكثر³.

وفي مسألة الإيلاء وافق أبو جعفر المذهب الشافعي فقد بين في معرض تفسيره لقوله سبحانه: "الَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ^٤ فَإِنْ فَأَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"⁴، أن مدة الإيلاء أربعة أشهر فأكثر وإذا انقضت هذه الشهور الأربعة ولم يجامع المولي زوجته ولم يعدها بذلك باللسان في حالة وجود مانع فإن المرأة تطالبه بالوطيء أو الطلاق وإذا امتنع يقوم حاكم المسلمين بتطليقها بتطبيق واحدة بدون توقف⁵. وهذا هو مذهب الشافعية⁶، خلافاً للحنيفة الذين يرون أن بمضي أربعة أشهر تبين المرأة بتطبيق واحدة⁷.

من المعروف أن مدة الإيلاء تكون أكثر من أربعة أشهر، وهذا قول جمهور العلماء، وإن كان حلف على مدة أربعة أشهر أو أقل فلا يكون هو مولياً⁸. ومدة الإيلاء إذا انقضت، فإن القاضي يخير المولي بين أمرين: إما أن يأتي زوجته، وإما أن يطلقها، وهذا قول جمهور العلماء، فإذا أتى الرجل زوجته وجبت عليه كفارة اليمين هي أن يطعم عشرة من المساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة والإطعام يكون من أوسط ما

¹ المعجم الوسيط 32/1.

² منهاج المسلم لأبي الجزائري ص 327.

³ الموسوعة الفقهية 12/5.

⁴ سورة البقرة : 226 و 227 .

⁵ ينظر: تفسير البصائر 269/1 و 270 .

⁶ ينظر : أحكام القرآن للإمام الشافعي 231/1 - 233 ، وتفسير الكشاف للزمخشري 269/1 .

⁷ ينظر : أحكام القرآن للجصاص 491/1 ، وتفسير الكشاف للزمخشري 269/1 .

⁸ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 108/3، والمغني لابن قدامة 8/11.

يطعم أهله، فإن لم يتمكن من فعل ما نكر يصوم ثلاثة أيام، وأما إذا رفض الرجل أن يأتي زوجته فإن القاضي يأمره بأن يطلقها تطليقةً واحدةً، فإذا طلقها فإنه يكون طلاقاً رجعيًا، إلا أن تكون هذه هي الطلقة الثالثة، فتكون المرأة قد بانت من زوجها، ولا تحل لبعضهما حتى تنكح المرأة المطلقة زوجًا غيره¹. قال الشوكاني: "ذهب الجمهور إلى أن الطلاق الواقع من الزوج في الإيلاء يكون رجعيًا"².

إذا رفض المولي أن يأتي زوجته، ورفض أن يطلقها، طلق عليه القاضي طلاقاً واحدةً رجعيةً؛ دفعًا للضرر الواقع بالزوجة³.

وذكر الإمام القرطبي: "قال مالك وأصحابه وأبو حنيفة وأصحابه والأوزاعي والنخعي وغيرهم: المدخول بها وغير المدخول بها سواء في لزوم الإيلاء فيهما. وقال الزهري وعطاء والثوري: لا إيلاء إلا بعد الدخول. وقال مالك: ولا إيلاء من صغيرة لم تبلغ، فإن آلى منها فبلغت لزم الإيلاء من يوم بلوغها"⁴.

أقل مدة الحيض وأكثرها:

الحيض في اللغة: السَّيْلَانُ، وقولهم حاض السَّيْلُ، إذا فاض⁵.

والحيض اصطلاحًا: "دمٌ طبيعيٌّ يُرخيه الرَّجْمُ عنْزَ فرجِ المرأةِ البالغةِ، يُصَيِّبُها في أيام معلومة"⁶.

صفة دم الحيض: ثخينٌ ليس بالرقيق، مُنتِنٌ كريه الرائحة، غير متجمد¹.

¹ ينظر: فتح الباري 337/9، والمغني 38/11،

² نيل الأوطار 48/7.

³ المغني لابن قدامة 9/11.

⁴ الجامع لأحكام القرآن 36/2.

⁵ المصباح المنير 45/1.

⁶ الموسوعة الفقهية 8/11.

قد تبين لي من خلال دراستي لتفسير البصائر ، أن أبا جعفر الغزنوي -رحمه الله- لم يتقيد في تفسيره لأيات الأحكام بمذهب فقهي واحد وإنما يجتهد في اختيار قول لأحد المذهبين الشافعي أو الحنفي إذا أطلق القول في تفسير الآية دون ذكر المذهب . كما أنه يعرض رأي كل مذهب من المذهبين في كثير من المسائل دون تفضيل رأي على الآخر ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسير قوله جل في علاه: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ"²، قال أبو جعفر النيسابوري الغزنوي : "والحيض دم تراه البالغة لمدة يوم أو أكثر ، وأكثر مدته خمسة عشر يوماً على مذهب الإمام الشافعي وفي مذهب الإمام أبي حنيفة أقل مدتها ثلاث أيام وأكثرها عشرة أيام"³. فهو رحمه الله اكتفى بذكر القولين دون ترجيح تاركا الأمر للقارئ بأيهما يأخذ ويعمل.

واختلف العلماء في أقل مدة الحيض وأكثرها:

فقال أبو حنيفة رحمه الله : أقله: ثلاثة أيام ولياليهن، وأكثره: عشرة أيام⁴.

وقال مالك رحمه الله: أقل الحيض لا حد له ، حتى لو رأت المرأة دفعة كانت هذه من الحيض وأكثر الحيض عنده خمسة عشر يوماً⁵.

وقال الشافعي وأحمد رحمهما الله: أقله: يوماً وليلة، وروي عنهما: يوم، وأكثره: خمسة عشر يوماً⁶.

¹ الموسوعة الفقهية 8/11.

² سورة البقرة : 222 .

³ تفسير البصائر 267/1 .

⁴ حاشية ابن عابدين 296/1.

⁵ حاشية الدسوقي 168/1.

⁶ نهاية المحتاج 325/1، وشرح منتهى الإرادات 227/1.

هذا وجدير بالذكر أن أبا جعفر النيسابوري الغزنوي يعقد فصولاً مستقلة لبيان بعض الأحكام الفقهية يتناولها بشيء من البسط والتفصيل ومن أمثلة هذه الفصول ، الفصل الذي عقده أثناء تفسيره لقوله سبحانه: "رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا"¹، فقد تحدث في الفصل المذكور عن أحكام الحج ومناسكه وفرائضه وأركانه، وواجباته، وسننه، ومستحباته، على سبيل التفصيل والاستفاضة كما أشار إلى مبطلات الحج ومحظوراتها².

المبحث الرابع: مسلكه في ترجيح الأقوال التفسيرية عند اختلاف المفسرين:

من المعروف أنه لا يوجد تعارض حقيقي بين الآيات القرآنية ولكن نقصد هنا ما يُوهِمُ التَّعَارُضَ بَيْنَ الآيَاتِ في فهم البشر، والآيات القرآنية منزلة عن التعارض كما بين الله سبحانه: "وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"³، ربما وقع في نظر المجتهد ما يفهم أنه تعارض ولكنه ليس تعارضاً حقيقياً، هنا لا بد من العمل لإزالته، وقد يكون الإشكال في المعنى في الظاهر وعرف واتضح أن في الأمر التقديم والتأخير، أم كان من باب العام والخاص، والمجمل والمبين، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، وإن كان الأمر كذلك فإن التفسير الصحيح بالمأثور الذي ثبت بنصوص قطعية لا يمكن أن يقع التعارض بينه وبين التفسير بالرأي، لأن التفسير بالرأي لو كان مستنده النص القطعي سواء كان عقلياً أو نقلياً فلا يتعارض أيضاً مع التفسير بالمأثور لأن القطعيين لا يتعارضان فهنا يمكن الجمع بينهما فيقدم الأقوى والأرجح، وأما إن كان التفسير بالرأي مستنده ظنياً بحيث لا يصاحبه دليل قاطع ففي

¹ سورة البقرة : 128 .

² تفسير البصائر 206/1 - 208 .

³ النساء: 82.

هذه الحالة يقدم المأثور القطعي على الرأي المبني على الظن لأن اليقين يرجح على الظن ويسقط ما ثبت بالظن بما ثبت بيقين.

أما إذا كان التفسير بالمأثور غير قطعي مع ما يصاحبه من دليل مثلاً يكون خبر آحاد يعارضه التفسير بالرأي وهنا لو كانت المسألة لا مجال للرأي فيها فيعتمد التفسير بالمأثور ويلغي ما ثبت بالرأي.

وأيضاً إن كان التفسير بالرأي يمكن الجمع بينه وبين المأثور قام المفسر بالتوفيق بينهما وإن لم يكن كذلك قدم المأثور عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وما ورد عن صحابته لكونهم عاينوا الوحي ويستبعد أن يفسروا القرآن من غير دليل صحيح واضح.

أما ما نقل من التفسير بالمأثور عن التابعين فإن كان هذا التفسير قد نقل عن أهل الكتاب فهنا نقدم التفسير بالرأي عليه وأما ما لم ينقل عن أهل الكتاب نرجع عند التعارض إلى ما هو ثابت بالسمع فما يؤيده السمع حملنا القول عليه وبيننا على ذلك وإن لم يوجد مرجح من السمع ولا من غيره من الأمور المرجحة هنا يأخذ حكم المجمل قبل التفصيل والمبهم قبل البيان ويلجأ المفسر إلى المرجحات الأخرى¹.

وقانون الترجيح عند الاحتمال كما ذكر علماء علوم القرآن الكريم هو:

في الألفاظ المحتملة بين معنيين أو أكثر لا ينبغي لغير أهل الاجتهاد الترجيح بينها بل عليهم أن يبحثوا عن الدلائل بدلاً من الاعتماد على مجرد الرأي.

لو كان أحد المعاني أكثر وضوحاً يجب حمل التفسير عليه إلا إن كان يقوم دليل آخر على أن المقصود غير هذا المعنى.

¹ اراجع الإتقان للسيوطي 3/95-97، ومناهل العرفان للزرقاني 2/51-53.

وفي حال التساوي والاستعمال في هذين التفسيرين حقيقة وفي أحدهما عرفية أو لغوية وفي الآخر حقيقة شرعية هنا يجب الحمل على الحقيقة الشرعية إلا أن يكون هناك دليل مرجح للحقيقة العرفية أو اللغوية كما في الآية الكريمة: "وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ"¹، وحصل التعارض بين حقيقة عرفية ولغوية فالأولوية للحمل على العرفية.

ويقول الإمام السيوطي: "إن اتفاقاً في ذلك أيضاً فإن تنافى اجتماعهما ولم يكن إرادتهما باللفظ الواحد كالقرء للحيض والطهر اجتهد في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه فما ظنه فهو مراد الله تعالى في حقه وإن لم يظهر له شيء فهل يتخير أو يأخذ بالأغظ أو بالأخف أقوال وإن لم يتنافيا وجب الحمل عليهما عند المحققين ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة إلا إن دل دليل على إرادة أحدهما"².

والعلامة أبو جعفر الغزنوي رحمه الله سار على هذه الأصول والمبادئ بالإضافة مسلك الترجيح وفق مذهبه الفقهي أحيانا فإذا تعارضت البيّنات، وأمكن الجمع بينهما جمع، وإذا لم يمكن الجمع يصار إلى الترجيح³.

وعلى سبيل المثال: وقد فسر العلامة أبو جعفر "القرء" بالطهر⁴، في قوله سبحانه: "وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ"⁵، كما هو مذهب الإمام الشافعي⁶، خلافاً

¹ التوبة: 103.

² الإتيان 94/3.

³ ينظر: تفسير البصائر 270/1.

⁴ ينظر: تفسير البصائر 270/1.

⁵ سورة البقرة: 228.

⁶ ينظر: أحكام القرآن للإمام الشافعي 242/1-244.

لرأي الحنفية فهم يرون المقصود بالقرء الحيض فلا تنتهي العدة حتى تكمل المرأة المطلقة الحيضة الأخيرة وهي الثالثة¹.

وفي مسألة الإيلاء أيضا وافق أبو جعفر المذهب الشافعي فقد بين في معرض تفسيره للآية : "لَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۚ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ، وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"²، أن مدة الإيلاء أكثر من أربعة شهور وإذا انقضت أربعة شهور ولم يجامع المولي زوجته ولم يعدها بذلك باللسان في حالة وجود مانع فإن المرأة تطالبه بالوطيء أو الطلاق وإذا امتنع يقوم حاكم المسلمين بتطليقها تطليقة واحدة بدون توقف³. وهذا هو رأي الشافعية⁴، خلافاً لقول الحنفية الذين يرون أن بانقضاء أربعة شهور تبين هذه المرأة بتطليقة باننة واحدة⁵.

مثاله دفعه لتعارض المطلق والمقيد:

يقول رحمه في تفسير الآية: "وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ"⁶. هذا أمر الله لمن لا يجدون نكاحا من عباده بالتعفف عن الوقوع في الحرام ، كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : "يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"⁷.

¹ ينظر : أحكام القرآن للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص 496/1 وما بعدها .

² سورة البقرة : 226 و 227 .

³ ينظر: تفسير البصائر 269/1 و 270 .

⁴ ينظر : أحكام القرآن للإمام الشافعي 231/1/1 - 233 ، وتفسير الكشاف للزمخشري 269/1 .

⁵ ينظر : أحكام القرآن للجصاص 491/1 ، وتفسير الكشاف للزمخشري 269/1 .

⁶ النور:33.

⁷ رواه البخاري في كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم 5 / 1950 (4779)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تأقت نفسه إليه ووجد مؤنة، واشتغال من عجز عن المؤنة بالصوم 2 / 1018 (1400).

والآية التي وردت مطلقة في سورة النور، وأما التي وردت في النساء أخص مما ورد في النور، وهي قوله: "وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ" ، إلى قوله سبحانه: " ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ " وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ"¹، أي لو صبرتم عن الزواج بالإماء فهو خير، لأن ما تستقبلون من الولد يكون من الرقيق².

وقال بعض المفسرين: "معناه طلب أن يكون عفيفا ؛ فأمر الله تعالى بهذه الآية كل من تعذر عليه النكاح ولا يجده بأي وجه تعذر أن يستعفف. ثم لما كان أغلب الموانع على النكاح عدم المال وعد بالإغناء من فضله؛ فيرزقه ما يتزوج به، أو يجد امرأة ترضى باليسير من الصداق ، أو تزول عنه شهوة النساء، النكاح هاهنا ما تنكح به المرأة من المهر والنفقة؛ كاللحاف اسم لما يلتحف به . واللباس اسم لما يلبس؛ فعلى هذا لا حنف في الآية ، قاله جماعة من المفسرين ؛ وحملهم على هذا قوله: حتى يغنيهم الله من فضله فظنوا أن المأمور بالاستعفاف إنما هو من عدم المال الذي يتزوج به . وفي هذا القول تخصيص المأمورين بالاستعفاف؛ وذلك ضعيف، بل الأمر بالاستعفاف متوجه لكل من تعذر عليه النكاح بأي وجه تعذر"³.

مثال تخصيصه للعام في تحريم لجمع بين المرأة وعمتها:

قال رحمه الله في تفسير الآية "وَأَجَلَ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ"⁴، قد أفاد نكاح غير المحرمات المذكورات في آية التحريم "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ

¹ النساء: 25.

² تفسير البصائر 198/2.

³ الجامع لأحكام القرآن 354/4.

⁴ - النساء : 24 .

فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَانِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا¹.

وعمة المرأة وخالتها ليستا من المذكورات فيباح الزواج بهن وجمعهن مع بنت أخيها أو أختها، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: "لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها"².

فهم من هذا أن النصوص القرآنية حرمت الزواج من أصناف محددة من النساء وأحلت ما عداهن ومن هؤلاء عمة المرأة وخالتها لكن السنة النبوية خصصت عموم هذا الحل وقصرته على ما عدا عمة المرأة وخالتها³.

نسخ ما كان محرماً من الفرار يوم الزحف لو كان جنود العدو عشرة أضعاف من المسلمين أو أقل من ذلك:

قال في تفسير الآية: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَنْبَارَ، وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدِ ذُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ^٤ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"⁴، إن التولي يوم الزحف حرام على المسلمين في دين الله عز وجل ، وهو كبيرة من الكبائر كما وهو ما جاء في الحديث النبوي: "اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وما هن يا رسول الله؟، قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف،

١ - سورة النساء من الآية 23 .

٢ - أخرجه مسلم في كتاب النكاح : باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها برقم (21518) والنسائي في كتاب النكاح : باب الجمع بين المرأة وعمتها برقم (3240) وابن ماجه في كتاب النكاح : باب لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها برقم (1919) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٣ تفسير البصائر 2، 146.

٤ الأنفال: 15-16.

وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات"¹. ولكن إذا زاد العدو على الضعف فيجوز الثبات، ويباح الفرار لقوله: "الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا" فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ"². فإذا التقت مجموعة من المسلمين فريقا بقدر ضعف مجموعة المسلمين من الكفار، فيجب عليهم الثبات ويحرم الفرار؛ ومن هرب من اثنين فهو خالف أمر الله وارتكب المعصية، ومن هرب من ثلاثة فهو ليس بهارب ولا فار يوم الزحف، ولا يدخل تحت حكم الفرار يوم الزحف، والصبر أحسن في كل الأحوال³.

وَعَنِ تَرْجَمَانَ الْقُرْآنِ قَالَ: "لَمَّا نَزَلَتْ: إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، حِينَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَفِرَّ وَاحِدٌ مِنْ عَشْرَةٍ، فَجَاءَ التَّخْفِيفُ، فَقَالَ: الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ، قَالَ: فَلَمَّا خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الْعِدَّةِ نَقَصَ مِنَ الصَّبْرِ بِقَدْرِ مَا خُفِّفَ عَنْهُمْ"⁴. وأيضا عنه قال: "لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين، ومائة ألفا، فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الأخرى فقال: الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا، فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدو لهم لم ينبغ لهم أن يفروا من عدوهم، وإذا كانوا دون ذلك، لم يجب عليهم قتالهم، وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم"⁵.

مثال بيان المجمل:

¹ أخرجه البخاري (2766) واللفظ له، ومسلم (89).

² الأنفال: 66.

³ تفسير البصائر 2/342.

⁴ رواه البخاري رقمه (4653).

⁵ ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 2/182.

وفي تفسير الآية: "وَأَثَرُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ"¹، ذهب بأن الأمر في الزكاة التي فرضت، يوم حصاده وتقديره بالكيل، ولكن قول النبي عليه الصلاة والسلام بيان لهذا الإجمال: "فيما سقت السماء العشر"²، فوجب المسلم الالتزام بالعمل بالمجمل الذي تم بيانه لأن نبينا قد بين لنا جميع الأحكام بأصولها وفروعها مع ما يلزم من تفاصيل حتى ترك أمته على شرع بيضاء نقي ليله كنهاره، ولم يترك ما كانت الأمة بحاجة لبيانها سواء بقوله أو فعله أو الأفعال والأقوال معاً³.

فسر الآية "أو لامستم النساء" بالجماع:

قد يفسر العلامة أبو جعفر الغزنوي الآية بما يتفق مع المذهب الحنفي ويكون بناء عليه الحكم المستنبط من الآية لمذهب الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- وضرب مثلاً لذلك لما فسر: "أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا"⁴، فقد أخذ المؤلف من كلمة (لامستم) في الآية معنى الجماع وقال: "يعني كنتم قد جامعتم، وعند الشافعي لمس النساء ناقض للوضوء"⁵، ولا شك أن ما ذهب إليه المؤلف هو عين ما يراه الإمام أبو حنيفة بكون (الملامسة) المذكورة في الآية "كناية عن الجماع" وبالتالي رأوا أنه "لا وضوء على من مس امرأة، لشهوة مسها أو لغير شهوة"⁶.

قال ابن كثير رحمه الله: "والقول بوجوب الوضوء من المس هو قول الشافعي وأصحابه ومالك والمشهور عن أحمد بن حنبل، رحمهم الله"⁷. فإن كان للمس

¹ الأنعام: 141.

² رواه البخاري في كتاب الزكاة باب العشر فيما يسقي من ماء السماء ج ٢ ص ١٢٦ رقم (١٤٨٣).

³ تفسير البصائر 48/2.

⁴ سورة المائدة : 6 .

⁵ تفسير البصائر 11 / 2.

⁶ أحكام القرآن للجصاص 519/2.

⁷ تفسير القرآن العظيم لابن كثير 315/1.

بشهوة فهو ينقض الوضوء، وإن كان بغير شهوة لا ينقض الوضوء عند المالكية والحنابلة¹

مسألة نكاح المسلم العفيف من المسلمة الزانية:

ففي تفسير الآية: "الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرَكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ" ² وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ²، فقد رجح المؤلف قول الحنابلة على رأي مذهبه الفقهي وحتى على رأي المذهب الحنفي الذي كان يسود في بيئته في نكاح الزانية قائلًا: "وقد عُلم من هذه الآية أنه يجوز نكاح الزانية المقرّة بالزنا وهذا هو مذهب أحمد. وأما تأويل الآية عند أبي حنيفة والشافعي -رحمهما الله- فهو أنه حرم الشرك والزنا على المسلمين، أو يقولون أنه -أي تحريم- خاص بقوم أو هو منسوخ"³. قال العلامة أبو الفداء: "ذهب الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله، إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي ما دامت كذلك حتى تستتاب، فإن تابت صح العقد عليها وإلا فلا وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح، حتى يتوب توبة صحيحة لقوله: وحرم ذلك على المؤمنين"⁴. وأضاف معقبا على القول السابق: "هذا خبر من الله تعالى بأن الزاني لا يطأ إلا زانية أو مشركة. أي: لا يطاوعه على مراده من الزنى إلا زانية عاصية أو مشركة، لا ترى حرمة ذلك، وكذلك: ((الزانية لا ينكحها إلا زان)) أي: عاص بزناه، ((أو مشرك)) لا يعتقد تحريمه.. وعن ابن عباس، رضي الله عنهما: ((الزاني لا ينكح إلا

¹ ينظر: مواهب الجليل شرح مختصر خليل لمحمد بن عبد الرحمن المالكي 429/1، دار الرضوان للنشر والتوزيع، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي 251/1، مطبعة السنة المحمدية.

² سورة النور: 3.

³ تفسير البصائر 117/2.

⁴ تفسير ابن كثير 198/3.

زانية أو مشركة)) قال : ليس هذا بالنكاح ، إنما هو الجماع ، لا يزني بها إلا زان أو مشرك¹.

وقال العلامة المفسر الشيخ عبد الرحمن السعدي: "ومعنى الآية: أن من اتصف بالزنا ، من رجل أو امرأة ، ولم يتب من ذلك ، أن المقدم على نكاحه ، مع تحريم الله لذلك ، لا يخلو: إما أن لا يكون ملتزماً لحكم الله ورسوله، فذاك لا يكون إلا مشركاً، وإما أن يكون ملتزماً لحكم الله ورسوله، فأقدم على نكاحه مع علمه بزناه، فإن هذا النكاح زنا ، والناكح زان مسافح ، فلو كان مؤمناً بالله حقاً ، لم يقدم على ذلك، وهذا دليل صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك إنكاح الزاني حتى يتوب"².

تفسير " الإحصار ":

الإحصار هو مَنْعُ الْمُخْرَمِ مِنْ إِتِمَامِ أَرْكَانِ الْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ³.

هنا أبو جعفر الغزنوي رحمه الله قد خالف المذهب الشافعي في تفسير "الإحصار" في قوله جل في علاه : "إِنْ أَخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ"⁴، وذهب في تفسير الإحصار بما يوافق المذهب الحنفي⁵، الذي يرى أن الذي أحصر يصبح من دخول مكة المكرمة بعد أن أحرم وأحضر بسبب المرض أو منع العدو أو نحو ذلك⁶، خلافاً لمذهب الإمام الشافعي الذي يذهب بالقول إن المراد بالحصار في الآية حصر العدو فقط⁷.

¹ تفسير ابن كثير 198/3.

² تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 561.

³ الموسوعة الفقهية الكويتية 26/4.

⁴ سورة البقرة : 196 .

⁵ ينظر : تفسير البصائر 245/1 .

⁶ ينظر : أحكام القرآن للجصاص 368/1 ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 248/1 .

⁷ ينظر: أحكام القرآن للإمام الشافعي 130/1-131، والجامع لأحكام القرآن 248/1.

ذكر ابن كثير: "أن العلماء اختلفوا هل يختص الحصر بالعدو ، فلا يتحلل إلا من حصره عدو ، لا مرض ولا غيره ؟ على قولين: لا حصر إلا حصر العدو، فأما من أصابه مرض أو وجع أو ضلال فليس عليه شيء ، إنما قال الله تعالى: فإذا أمنتُم، فليس الأمن حصراً، والقول الثاني : أن الحصر أعم من أن يكون بعدو أو مرض أو ضلال وهو التوهان عن الطريق أو نحو ذلك"¹، ويؤيد ذلك ما قاله الثوري: "الإحصار من كل شيء آذاه"².

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: "فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ، أي: منعتُم من الوصول إلى البيت لتكميلهما، بمرض، أو ضلالة، أو عدو، ونحو ذلك من أنواع الحصر، الذي هو المنع، فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَذْيِ، أي: فاذبحوا ما استيسر من الهدي، وهو سبع بدنة، أو سبع بقرة، أو شاة يذبحها المحصر، ويحلق ويحل من إحرامه بسبب الحصر"³.

فلفظ الإحصار عامٌ يدخل فيه العدو والمرضُ وذهاب النفقة ونحوه لأن المعنى الذي لأجله ثبتَ حقُّ التحللِ للمُحَصِّرِ بالعدو؛ موجودٌ كذلك في المرض وغيره من الأعذار⁴.

تعيين مقدار فدية الصيام:

وفي تفسيره للآية: "وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ۚ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ"⁵، اختار العلامة الغزنوي - رحمه الله - مذهب الشافعية في تعيين مقدار الفدية بأنه مد من الطعام⁶، خلافا لمذهب

¹ تفسير القرآن العظيم لابن كثير 37/2.

² تفسير القرآن العظيم 37/2.

³ تيسر الكريم الرحمن 73/1.

⁴ ينظر: الموسوعة الفقهية 25/4.

⁵ سورة البقرة: 284.

⁶ نظر: أحكام القرآن للجصاص 249/1 .

الحنفية الذي كان يسود في بيئته والذي يرى أنه نصف صاع من الطعام¹ ، يقول المؤلف : "الفدية عبارة عن طعام مسكين واحد ، وهي مقدرة بمدّ وهذا الحكم منقول من قاسم وسعيد بن جبير وهذا هو المذهب الشافعي"²، وقال الإمام مالك رحمه الله: "مد بمد الرسول عليه الصلاة والسلام عن كل يوم أفطره"³. وقال العلامة ابن كثير: "وأما الصحيح المقيم الذي يطبق الصيام، فقد كان مخيرا بين الصيام وبين الإطعام ، إن شاء صام ، وإن شاء أفطر ، وأطعم عن كل يوم مسكينا ، فإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم ، فهو خير"⁴.

المبحث الخامس: اهتمامه بنوازل عصره من خلال تفسيره لآيات الأحكام:

الفقه بمعنى إدراك الشيء والعلم به، وقد جاء لفظ الفقه بمعنى العلم في قوله سبحانه: "فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"⁵، أي: ليكونوا علماء به⁶.

وكان الفقه في العصر الأول من السلف يطلق ويفهم منه ما هو أعم من هذه الأحكام العملية أو العلم بالأمور العقديّة؛ ولهذا عرّفه أبو حنيفة⁷، بأنه: "معرفة النفس ما لها وما عليها"¹.

¹ ينظر : أحكام القرآن للجصاص 249/1 .

² تفسير البصائر 98/1.

³ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 112/2.

⁴ تفسير القرآن العظيم 221/1.

⁵ التوبة: 122.

⁶ لسان العرب 305/10.

⁷ الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي، أحد أئمة الإسلام، والسادة الأعلام، وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة، ولد في حياة صغار الصحابة سنة 80 هـ، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة، وإليه كان المنتهى في الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه. توفي سنة 150 هـ رحمه الله-. طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، ص 86، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1990 م، و سير أعلام النبلاء، للذهبي، 11 / 474.

ثم تميز هذا الفقه بمعنى اصطلاحى جديد بعد الصدر الأول، حيث اختص علم الفقه باستنباط الأحكام العملية من الأدلة التفصيلية، وعرف الإمام الشافعى -رحمه الله-²، وأصحابه الفقه بتعريف اشتهر وذاع، وهو: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية"³، وموضوع علم الفقه هو أفعال المكلفين من حيث الحكم عليها، سواء أكانت الأحكام قطعية أم ظنية⁴.

ويرى الزركشى⁵، أن الفقه : "معرفة أحكام الحوادث نصاً واستنباطاً"⁶.

والمقصود من النوازل: "الوقائع والمسائل المستجدة والحادثة، المشهورة بلسان العصر باسم: النظريات والظواهر"⁷، وقيل: "النوازل أو الوقائع أو العمليات هي المسائل أو المستجدات الطارئة على المجتمع؛ بسبب توسع الأعمال، وتغعد

¹ المنشور في القواعد الفقهية، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشى 68/1، تحقيق: د. تيسير فائق أحمد محمود، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، ط 2، 1405 هـ.

² أبو عبد الله، الشافعى، محمد بن إدريس بن شافع، القرشى المطلبى المكي، صاحب المذهب الفقهى المتبع، الإمام العلم حبر الأمة، من مصنفاته: كتاب الأم، والرسالة، ولد سنة 150 هـ، وتوفي أول شعبان سنة 204 هـ بمصر. طبقات الفقهاء، للشيرازي، ص 71، سير أعلام النبلاء، للذهبي، 5/10.

³ نهاية السؤل شرح منهاج الأصول، لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي، 1/ 22، مصورة عالم الكتب عن جمعية نشر الكتب العربية، القاهرة، 1343 هـ.

⁴ مفهوم الفقه الإسلامى، لنظام الدين عبد الحميد، ص 13 - 15، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1404 هـ - 1984 م.

⁵ أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشى الشافعى، الإمام العلامة الفقيه الأصولى، التركى الأصل، المصرى مولداً و وفاة، له تصانيف كثيرة منها: لقطه العجلان، والبحر المحيط، والمنثور، والديباج على المنهاج، ولد سنة 745 هـ، وتوفي سنة 794 هـ طبقات الشافعية، لأبى بكر بن محمد بن أحمد بن عمر ابن قاضى شعبة ص 198، طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ط 1، 1399، (3/ 227)، وشذرات الذهب، لابن العماد، 6/ 334.

⁶ المنشور في القواعد الفقهية، للزركشى، 1/ 69.

⁷ فقه النوازل، د. بكر بن عبد الله أبو زيد، 1/ 9، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1423 هـ.

المعاملات، والتي لا يوجد نص تشريعي مباشر أو اجتهاد فقهي سابق سيطبق عليها"¹.

وانطلاقاً من الأهمية البالغة لفقه النوازل في كل عصر ومصر اهتم العلامة أبو جعفر الغزنوي بنوازل عصره في تفسيره لآيات الأحكام لأن للتفسير الفقهي صلة مباشرة بفقه النوازل، وهنا نذكر بعض الأمثلة من واقع تفسيره على النحو الآتي:

إمساك النساء التي يأتين الفاحشة في بيوت أهلا حتى يتوفاهن الله أو يجعل الله لهن مخرجاً وسبيلاً:

قال الله سبحانه: "فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا"²، ذكر رحمه المؤلف أن "أو" هَاهُنَا يُخْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ عَاطِفَةً عَلَى (يَتَوَفَّاهُنَّ) فَيَكُونُ الْإِمْسَاكُ الْمَأْمُورُ بِهِ مُعَيَّنًا بِإِخْدَى غَايَتَيْنِ: الْمَوْتُ أَوْ جَعْلُ السَّبِيلِ، وَجَعْلُ السَّبِيلِ إمَّا مَشْرُوعِيَّةَ الْحَدِّ وَإِمَّا نَفْسَ الْحَدِّ وَعَلَى كِلَا التَّقْدِيرَيْنِ فَتُسَمِّيَّتُهُ فِيهِ تَجُوزُ، وَلَا يُلْزَمُ ارْتِفَاعُ الْأَمْرِ بِهِ وَيُخْتَمَلُ أَنْ لَا تَكُونَ " أَوْ " عَاطِفَةً بَلْ تَكُونُ بِمَعْنَى "إِلَّا أَنْ" وَتَكُونُ اسْتِثْنَاءً مِنَ الْأَمْرِ بِإِمْسَاكِهِنَّ، كَأَنَّهُ قَالَ أَمْسِكُوهُنَّ فِي كُلِّ حَالٍ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا فَلَا نَكُونُ مَأْمُورِينَ بِذَلِكَ. وَهَذَا أَحْسَنُ الْمَعْنَيْنِ، بِمَعْنَى أَنْ يَوْجِدَ سَبِيلٌ مَشْرُوعٌ وَمَبَاحٌ أَيَا كَانَ ذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ اجْتِهَادٌ فِي فَهْمِ هَذِهِ النَّازِلَةِ، وَلَيْسَ بِنَسْخٍ أَيْضًا، لِأَنَّ النَّسْخَ شَرْطُهُ أَنْ لَا يُبَيِّنَ غَايَتَهُ فِي الْأَوَّلِ لَا مُعَيَّنَةً وَلَا مُبْهَمَةً، لَكِنَّهُ يُشْبِهُ النَّسْخَ مِنْ جِهَةٍ أَنَّ غَايَتَهُ لَمْ تَكُنْ مَعْلُومَةً³.

في قوله عز ذكره: "وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ" هل الخطاب للأحرار فقط أم يدخل فيه العبيد أيضاً؟

¹ سبل الاستفادة من النوازل والفتاوي والعمل الفقهي، د. وهبة الزحيلي، ص 9، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط 1، 1421 هـ - 2001 م.

² النساء: 15.

³ تفسير البصائر 67/2.

عند تفسيره لقوله جل في علاه: "وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ"¹، نكر قول البعض أن "من" إشارة إلى المسلمين الأحرار، لأنهم الذين يتدأثون غالبًا والرقيق لا يتدأثن غالبًا، والصحيح خلافه فلا يلزم من كون المدأينة بين الأحرار في الغالب أن يختص الخطاب بهم لأنه عام لأن المخاطب اسم مبهم لا عموم له لكنه نعت بالذين آمنوا ولا يلزم من نعتهم بالعام أن يكون عامًا بل هو باق على إطلاقه فتكون جملة "على الأحرار" تقييدًا لا تخصيصًا بل أقول إنه ليس تقييدًا أيضًا بل لبيان المخاطب من هو وكذلك يصرف بأي قرينة اتفق ولا يسمى تخصيصًا كما تقول "هذا" مشيرًا إلى شخص فيعرف بالإشارة أنه المراد بقولك "هذا" ولا يسمى تخصيصًا ولا تقييدًا. وليس هذا من باب ما ينظر فيه إلى باب مدلول اللفظ حتى يدعى تغميم النكرة بعموم صفتها؛ لأن ذلك فيما يكون الحكم فيه شرطًا بمقتضاه، وهذا الحكم منوط بالمقصود بالنداء وهو أمر لا دلالة للفظ عليه بل لما تدل القران عليه، فامتنع دعوى العموم فيه².

زكاة مال اليتيم هل تدخل في قوله تعالى: (وَأَتُوا الزَّكَاةَ):

لما فسر المؤلف رحمه الله قوله تعالى: (وَأَتُوا الزَّكَاةَ)³، قال:

تجب الزكاة في مال اليتيم ويخرجها وليه، ويأثم الولي إذا لم يخرجها وقال به عمر بن الخطاب، والقول الثاني أن الزكاة لا تجب في مال اليتيم وهذا القول لا يوجد له دليل من كتاب ولا سنة ولا قياس ولا قول صحابي ويتمسك القائلون به "رفع القلم" عن أداء زكاة مال اليتيم، ولا دليل فيه، ولنا في التزجيج عاصد غير قول الصحابي وهو حديث "أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس فقال في خطبته ألا من ولي

¹ البقرة: 282.

² تفسير البصائر 1/325.

³ البقرة: 43.

يَتِيماً لَهُ مَالٌ فَلْيَتَّجِزْ فِيهِ وَلَا يَتْرُكْهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الصَّدَقَةُ" (1) وَهَذَا كُلُّهُ وَأَمَثَالُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّظَرَ فِي الزَّكَاةِ إِلَى الْمَالِ لَا إِلَى الْمَالِكِ وَهُوَ يَقْتَضِي دُخُولَ الصَّبِيِّ لِأَنَّ مَالَهُ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ الْأَمْوَالِ، قَدْ قَالَ فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صَدَقَةَ الْفِطْرِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَفِيهِ عَلَى كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ نَعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْفَرِيضَةِ الْمُقَدَّرَةِ أَوْ الْوَاجِبَةِ وَلَا يَخْتَصُّ الْوُجُوبُ بِالْبَالِغِ كَمَا بَيَّنَّاهُ فَكَمَا أَنَّ فَرِيضَةَ صَدَقَةِ الْفِطْرِ عَلَى كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ بِنَصِّ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ كَذَلِكَ صَدَقَةُ الْمَالِ وَإِقْلِيمُ الْيَمَنِ وَاسِعٌ وَكَذَا غَيْرُهُ مِنَ الْجِهَاتِ الَّتِي كَانَتْ السُّعَاءُ تَسِيرُ إِلَيْهَا وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهَا صِغَارٌ لَهُمْ أَمْوَالٌ وَلَمْ يَسْتَنْتِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَا فَضَّلَ بَيْنَ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ فَيَدُلُّ عَلَى الْعُمُومِ، فَإِلَيْتَاءُ هُوَ الْفِعْلُ وَالزَّكَاةُ مَفْعُولَةٌ وَهِيَ الصَّدَقَةُ فَالزَّكَاةُ الْوَاجِبَةُ الْمَقْصُودَةُ لَيْسَتْ هِيَ فِعْلٌ الْمُتَصَدِّقُ بَلْ مَا يَحْصُلُ².

هل يعتمد على الحساب الفلكي في إثبات شهر رمضان؟

قال المؤلف عند تفسيره للآية الكريمة: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ"³، قال: "إِنَّ الْحِسَابَ إِنَّمَا يَقْتَضِي الْإِمْكَانَ وَمُجَرَّدُ الْإِمْكَانِ لَا يَجِبُ أَنْ يُرْتَّبَ عَلَيْهِ الْحُكْمُ وَتَرْتِيبُ الْحُكْمِ لِلشَّارِعِ وَقَدْ رَتَّبَهُ عَلَى الرُّؤْيَةِ وَلَمْ تَخْرُجْ عَنْهُ إِلَّا إِذَا كَمُلَتْ الْعِدَّةُ لِأَنَّ الرُّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: "إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَقْذَرُوا لَهُ"⁴، وَأَنَّ السَّبَبَ نَفْسُ الرُّؤْيَةِ أَوْ إِكْمَالُ الْعِدَّةِ وَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ لَيْسَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْحِسَابُ مَخْكُومًا عَلَيْهِ بِالْبُطْلَانِ وَقَدْ يَكُونُ فِي نَفْسِهِ بِحَيْثُ تَنْتَهِي مُقَدَّمَاتُهُ إِلَى الْقَطْعِ وَقَدْ لَا تَنْتَهِي"⁵، فَهُوَ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَجُوزُ الْاعْتِمَادُ

¹ رواه الترمذي (641).

² تفسير البصائر 1/121-122.

³ البقرة: 189.

⁴ أخرجه البخاري برقم (1900)، ومسلم برقم (1080).

⁵ تفسير البصائر 1/223.

الكلي على الحساب الفكي في إثبات الشهر ولكنه يشير أن الحساب الفلكي يستفاد منه كقرينة وعامل مساعد في رؤية هلال رمضان وغيره من الشهور الهجرية.

مسألة البيع حول مساجد الجوامع بعد الأذان الأول لصلاة الجمعة:

يرى المفسرون أن السَّغْيَ إلى الْجُمُعَةِ وَهُوَ التَّأَهُّبُ لَهَا وَالِاشْتِغَالُ بِأَسْبَابِهَا وَالْمَشْيُ وَاجِبٌ عَلَى الْفُورِ وَجُوبًا مُضَيِّقًا وَلَيْسَ عَلَى التَّوَسُّعِ كَغَيْرِهَا مِنَ الصَّلَوَاتِ لِقَوْلِهِ سبحانه: (فَاسْعَوْا)¹، وَالْمَعْنَى فِيهِ تَغْظِيمُ الْجُمُعَةِ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الصَّلَوَاتِ فَخُصَّتْ بِوُجُوبِ السَّغْيِ إِلَيْهَا مِنْ أَوَّلِ الْوَقْتِ قَصْدًا، وَغَيْرُهَا مِنَ الصَّلَوَاتِ وَإِنْ قِيلَ بِوُجُوبِ الْجَمَاعَةِ وَإِثْنَانِ الْمَسْجِدِ فَإِنَّمَا تَجِبُ وَجُوبًا مُوسَّعًا وَهُوَ وَجُوبُ الْوَسَائِلِ لَا وَجُوبُ الْمَقَاصِدِ بِخِلَافِ السَّغْيِ إِلَى الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ وَجُوبُ الْمَقَاصِدِ، قَوْلُهُ: "وَذَرُوا الْبَيْعَ"²، أَيْ الْمَقُوتَ لِلْسَّغْيِ وَلَا نَقُولُ الْمَقُوتَ لِلْجُمُعَةِ، وَإِنَّمَا قَالُوا هَذَا لِأَنَّهُمْ لَوْ قَالُوا: السَّغْيُ غَيْرُ وَاجِبٍ لَعَيْنِيهِ بَلْ الْمَقْصُودُ عَدَمُ تَقْوِيَةِ الْجُمُعَةِ لَكَانَ هَذَا اسْتِنْبَاطُ أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْبَيْعِ لِتَقْوِيَةِ السَّغْيِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ اقْتِرَانُ الْكَلَامِ وَأَيْضًا فَإِنَّهُ لَا يَنْطِلُ النَّصُّ وَلَكِنْ يُخَصِّصُهُ وَهُوَ أَسْهَلُ مِنَ الْأَوَّلِ يَجُوزُ عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ، فَهُوَ يَرَى أَنَّهُ بِنَاءٌ عَلَى هَذَا فَإِنَّ الْبَيْعَ فِي الْجَامِعِ لَا يَحْرُمُ وَكَذَا فِي الطَّرِيقِ وَأَنَّ الْبَيْعَ فِي بَيْتِهِ حَرَامٌ بَلْ الْجُلُوسُ وَعَدَمُ الْإِشْتِغَالِ بِشَيْءٍ حَرَامٌ لِأَنَ السَّغْيِ عَلَى الْفُورِ³.

من كان مشغولاً بفعل الخيرات وحبسه حابس عن ذلك يكتب له الأجر إلى حين رفع المانع:

عند تفسيره لقوله سبحانه: "قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ"⁴، ذكر محبة ورغبة النبي عليه الصلاة والسلام لَأَن يَتَوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ لِأَنَّهَا قِبْلَةُ نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ

¹ الجمعة:9.

² الجمعة:9.

³ تفسير البصائر 142/6.

⁴ البقرة:144.

عليه الصلاة والسلام، وَلَإِنَّ الْعَرَبَ يُعَظِّمُونَهَا فَيُزَجِّي إِسْلَامُهُمْ بِهَا وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَإِنَّ الصَّلَاةَ إِلَيْهَا أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَيَتَّبِعِي الْحِرْصُ عَلَى أَدَاءِ الْعِبَادَاتِ عَلَى أَتْلَغِ وَجْهِهِ الْكَمَالِ والسبب الآخر أنها ناسخة لبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالتَّاسِيخُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَنْسُوخِ وصلاة النبي محمد عليه الصلاة والسلام من معه من مهاجري مكة صَلَاتُهُمْ مِثْلَ صَلَاتِهِمْ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَيَخْصُلُ لَهُمُ الْأَجْرُ الَّذِي كَانَ يَخْصُلُ بِمَكَّةَ لِأَنَّهُمْ أَخْرَجُوا مِنْهَا كَرْهًا فَيَسْتَمِرُّ لَهُمْ ذَلِكَ الْأَجْرُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مَا كَانَ يَفْعَلُ صَاحِبًا مُقِيمًا"¹.

وَهَكَذَا كُلُّ فِعْلٍ خَيْرٍ مَنَعَ صَاحِبَهُ وَحَبَسَهُ حَابِسٌ يَكْتُبُ لَهُ الْأَجْرَ عَمَلًا بِهَذَا الْحَدِيثِ².

وبعد التأمل في منهج العلامة الغزنوي رحمه الله نجد أنه يسلك منهج فقهاء مذهبه الفقهي المتعارف في التعامل مع فقه النوازل، حيث أن الأمثلة التي ضربناها هي مظانها أيضا مصادر فقه النوازل لدى مذهب الإمام الشافعي رحمه الله من أمثال: فتاوى ابن الصلاح، وفتاوى النووي، والسبكي، وابن حجر المكي الهيثمي، فهي أحكام شرعية نفعت الأجيال السابقة وتنفع الأجيال اللاحقة.

المبحث السادس: ما تميز به تفسير البصائر وإبراز قيمته العلمية:

نظرا لما يتمتع به تفسير البصائر من مكانة علمية وأهمية بين التفاسير باللغة الفارسية كان موضع إعجاب وتقدير فائقين من قبل أهل العلم، فهو من أسلس وأدق التفاسير باللغة الفارسية، فيه من الفوائد والمزايا وحقائق ونكات تفسيرية، وقد كتب الله تعالى لتفسير البصائر الرواج والقبول في أوساط العامة والخاصة من الناطقين بالفارسية، فقد انتشرت نسخه في المدن والأصوار واحتضنتها المكتبات، فهو من التفاسير النافعة وفيه من الفوائد العلمية والفقهية ومولفه من أهل الإنصاف

¹ أخرجه البخاري رقمه (2996).

² تفسير البصائر: 1/416-417.

والموضوعية في عرض المسائل الفقهية عند تفسيره لآيات الأحكام ولا يزال الباحثون في الدراسات القرآنية ينهلون من بحره، كتبه بلغة فارسية درية سلسلة رصينة بعيدة عن التعر والتعقد اللفظي فشرع في المقصود وفسر الآيات بالقول وشرح معانيها واستنبط أحكامها ضمن كتابه المؤلف في علم التفسير باللغة الفارسية، وقد كتب له القبول في أوساط الناطقين باللغة الفارسية، فهو بلا شك كتاب مهم في باب، لم يؤلف أحد من المفسرين على منواله في عصره، لأن مؤلفه كان فقيهاً، وعالماً باللغة والنحو والعلوم التي يحتاجها المفسر فهو بحق تفسير البصائر فكان اسماً يوافق مسماه، وأهم مميزات تفسير البصائر ما يلي:

- أسلوبه في تفسير القرآن بالقرآن واعتماده على ذلك في الاحتجاج والبيان، وتفسيره القرآن بالأحاديث النبوية، واستشهاده بآثار الصحابة رضي الله عنهم يزيد من قيمته العلمية، فهو تفسير بالمأثور بحق إلى جانب كونه تفسيراً بالرأي المحمود.

- عنايته واهتمامه الواضح بالجانب الفقهي وبيانه للأحكام الفقهية والمسائل الشرعية، وقد اهتم باستنباط الأحكام من الآيات ولا يمر بآية من تلك الآيات في تفسير البصائر إلا ويتعرض لما تشتمل عليه الآية الكريمة من حكم أو أحكام فقهية ومسائل شرعية، حيث أن الله سبحانه قد أنعم عليه بالاطلاع والتبحر في التفسير والفقه ورزقه ملكة الاستنباط وكان من البديهي أن لا يغفل عن الأحكام الفقهية، ويبين الأحكام المستنبطة من آيات الأحكام بوضوح وأمانة، وهذا ينسجم مع الاتجاه الذي سار عليه في الفقه، وهو مسلك الفقهاء المجتهدين وذلك بعرض المسائل الفقهية على كتاب الله نفسه وسنة نبيه الأمين.

- من السمات البارزة لطريقة أبي جعفر النيسابوري الغزنوي في تفسير الآيات القرآنية في كتابه البصائر عقده فصولاً خاصة لبيان بعض المسائل التي تطرقت إليها الآيات الكريمة مثل الأحكام الفقهية غيرها.

- بين مؤلف تفسير البصائر الناسخ والمنسوخ لما لبيانهما من تبیین الحكم الشرعي وتميز ما عليه العمل من الذي نسخ.

- كون العلامة الغزنوي شافعي المذهب وفي أحيان كثيرة يرجح مذهبه الفقهي ولكنه لا يتعصب وقد يخالف مذهبه الفقهي ويرجح غيره إن كان يصاحب القول الراجح دليل قوي.

- يتميز كذلك بالنقول الرائعة والأقوال الجامعة المانعة

- كثرة ما ينقله من آثار أو أقوال في التفسير أو اللغة.

- كثرة ما فيه من أقوال تفسيرية وفوائد ونكات.

- ولا شك أن أسباب النزول هي أكثر مباحث علوم القرآن دوراناً في تفسير البصائر، يأتي بعدها موضوع الناسخ والمنسوخ حيث يذكر المؤلف من الآيات ما يرى أنها منسوخة بآيات أخرى، وقد أكد أبو جعفر على جواز النسخ في الإسلام منتقداً موقف اليهود من النسخ حيث يزعمون أنه البدأ.

- إذا كان التعصب لأقوال وآراء عالم أو مذهب فقهي بعينه، من السلبيات الملفتة للنظر في بعض كتب التفسير الفقهي، فإن من أبرز الجوانب الإيجابية في التفاسير المؤلفة باللغة الفارسية عموماً وفي تفسير البصائر على وجه الخصوص أن مؤلفه لم يتعصب للمذهب الفقهي الذي ينتمي إليه ولم يحاول إخضاع آيات الأحكام في القرآن الكريم إلى اجتهادات المذهب الذي يتبعه.

لهذا كله حظي تفسير البصائر بالرواج والقبول في الأوساط العلمية والمهتمين بالدراسات القرآنية وتفسير آيات الأحكام باللغة الفارسية على مر القرون وتناقلت الكتب اسمها في صفحاتها وصارت نسخة متداولة بين الأيدي، واستفاد منه بعض المفسرين الذين جاءوا بعد مؤلفه وجعلوه مصدراً من مصادرهم فيما ألفوا من التفاسير، فهو تفسير مهم على وجه الخصوص للمتخصصين في آيات الأحكام.

مع كل هذه المميزات لتفسير البصائر إلا أنه لا يخلو من بعض الملاحظات ومنها على سبيل المثال:

أن مؤلف التفسير أبا جعفر النيسابوري الغزنوي مغرم بإيراد القصص والروايات الإسرائيلية في تفسيره دون تمحيص وتعقيب، وقد جاء تفسير البصائر متضمناً لقدر كبير من الإسرائيليات.

ولعل السبب في شغف أبي جعفر بالإسرائيليات يعود إلى ميله إلى القصص عموماً، وإلى كونه ألف كتاباً مستقلاً في قصص الأنبياء¹.

ومن أمثلة الإسرائيليات الواردة في تفسير البصائر قصة موسى عليه السلام منذ الولادة وما جرى له مع فرعون وبني إسرائيل وهذه القصة وإن كانت تحمل في طياتها حقائق أخبر بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلا أنها كذلك تشتمل على أمور غير ثابتة بالنقل الصحيح فلا يمكن الاعتماد عليها. ذكر أبو جعفر هذه القصة قبل الدخول في تفسير قوله سبحانه: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَازْهَبُوا"² وقد استغرقت تفاصيل القصة عشر صفحات من الكتاب³.

ومما تضمنه تفسير البصائر من الإسرائيليات قصة عاميل وبقرة بني إسرائيل وقد أوردها أبو جعفر بطولها وتفصيلها في معرض تفسيره لقوله عز ذكره: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً"⁴ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا"⁵.

¹ تفسير البصائر : 52/1

² سورة البقرة : 40 .

³ ينظر : تفسير البصائر 1 / 61 - 70 .

⁴ سورة البقرة : 67 .

⁵ ينظر : تفسير البصائر 1 / 89 - 91 .

ومن الإسرائيليات التي توسع صاحب البصائر في ذكرها وخصص لها فصلاً مستقلاً القصص المتعلقة بمعجزات عيسى عليه السلام وقد خلط أبو جعفر -غفر الله له- في سرده لمعجزات عيسى عليه السلام الصحيح بالسقيم فنذكر المعجزات الثابتة ومعجزات أخرى لم يقدم على ثبوتها أي دليل كما أنه أورد قصصاً تفصيلية حول كل معجزة لم يرد في الكتاب والسنة ما يدل على صحتها وهي أشبه بما ينسجه خيال القصاص لجلب انتباه القارئ أو المستمع. وقد ذكر أبو جعفر هذه القصص في أثناء تفسيره للآية: "فَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ"^{1 2}، وقد نبه العلماء على أن قصة معجزات موسى عليه السلام تحتوي على الإسرائيليات وروايات غير ثابتة³.

وقد كانت قصة طالوت وجالوت من الإسرائيليات المشهورة التي أدخلها أبو جعفر النيسابوري الغزنوي في تفسيره وذلك في معرض تفسير قوله عز وجل: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ ائْتِنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"⁴ إلى قوله: "فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ"⁵ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين"⁶ أورد أبو جعفر قصة طالوت وجالوت بالتفصيل دون ذكر المصدر الذي نقل عنه وبطريقة تدل على أنه اعتبرها صحيحة ومقبولة⁶.

¹ سورة البقرة : 87 .

² ينظر : تفسير البصائر 103/1 - 108 .

³ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبي شهبة ص: 171، الطبعة الرابعة مكتبة السنة.

⁴ سورة البقرة : 246 .

⁵ سورة البقرة : 251

⁶ ينظر : تفسير البصائر 281/1 - 287 .

وعلماء التفسير مثل ابن كثير قد أعرضوا عن ذكره، ونبهوا إلى أنه من الإسرائيليات، فقال في قوله سبحانه: "وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ": "ذكروا في الإسرائيليات أنه قتله بمقلاع كان في يده رماه به، فأصابه، فقتله، وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته، ويشاطره نعمته، ويشركه في أمره، فوفى له ثم آل الملك إلى داود عليه السلام مع ما منحه الله من النبوة العظيمة، ولهذا قال تعالى: وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ، الذي كان بيد طالوت، الْحِكْمَةَ، أي: النبوة بعد شمويل، وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ، من العلم الذي اختصه به عليه الصلاة والسلام"¹.

هذا وتجدر الإشارة بأنني أثناء بحثي في تفسير البصائر لم أقف على أي تعقيب، أورد المؤلف على أية رواية إسرائيلية ذكرها في كتابه الأمر الذي يوجب على القارئ توخي الحذر والانتباه تجاه ما يقرأه من الإسرائيليات في هذا التفسير.

ومن هنا أنا أقترح لو أن أحد طلاب مرحلة الدكتوراه من الناطقين باللغة الفارسية بجامعةتنا الموقرة يختار عنوان رسالته: "الدخيل في تفسير البصائر لأبي جعفر النيسابوري الغزنوي" ويخدم هذا التفسير وبذلك يكون ميز الصحيح من السقيم في هذا الجانب.

¹ ينظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبي شهبه ص: 171.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، وأصلي وأسلم على رسوله محمد الذي بعثه الله بالحق بشيراً ونذيراً ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فأهم ما توصلت إليه من خلال بحثي من نتائج ما يلي:

1— والاتجاه الفقهي هو التوجه نحو تفسير مسائل الفقه وتقريرها وبسط معالمها ويسلك كل مفسر سبيلاً خاصاً لتناول تفسير آيات الأحكام.

2— التفسير الفقهي هو تفسير له صلة بالأحكام الشرعية العملية في القرآن الكريم، وهو تارة يسمى آيات الأحكام ، وتارة فقه الكتاب.

3— لا شك أن اللغة الفارسية كانت محل اهتمام المفسرين من المسلمين منذ وقت مبكر في التاريخ الإسلامي وهناك احتمال بأن يكون قد ترجم شيء من القرآن الكريم إلى الفارسية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

4— ترجمة سورة الفاتحة من قبل سلمان الفارسي ، بعد وفاة نبي الإسلام فليس بأمر مستبعد في ضوء القرائن والمعطيات التاريخية ، بل يمكن القول بأن يكون سلمان الفارسي رضي الله عنه قد بادر إلى ترجمة معاني سورة الفاتحة إلى لغته الأم.

5— لا يتصور نشر الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة في البلدان الناطقة بالفارسية بمنأى عن القرآن الكريم الذي هو المصدر الأول في كافة الأحكام الشرعية ، فقد كان القرآن الكريم أول كتاب حملته المسلمون الفاتحون إلى بلاد فارس وخراسان.

6— لا شك أن من الآثار الإيجابية للتفسير الفقهي باللغة الفارسية حرص المؤلفين على تدعيم الاجتهاد الفقهي عن طريق الاستدلال والاحتجاج للفروع بما يراه المفسر من براهين ، مع تحفيزه على تتبع جزئيات الأحكام ودقائق المسائل.

7- لا شك أن التفاسير الفقهية باللغة الفارسية قد ساهمت في إثراء المكتبة التفسيرية بالفارسية وكانت من المصادر المهمة لطلبة العلم والباحثين والدارسين في مجال الدراسات القرآنية ، واستفادت منها الشعوب الناطقة باللغة الفارسية.

8- التفسير الفقهي الفارسي وسيلة لتبليغ القرآن الكريم إلى غير الناطقين بالعربية.

9- يرى المفسر الإسفراييني وجوب إيصال الدين والشرعية ومعاني الوحي الإلهي إلى الذين لا يعرفون العربية ، ولن يتم ذلك إلا بترجمة أوامر الله سبحانه وتعالى إلى لغة هم يعرفونها . . ولذلك أشفق عليهم علماء الديانة و بادروا ببيان العقائد وإثبات أحكام العبادات بالفارسية، ليهتدوا إليها.

10- تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم (تفسير الإسفراييني) تأليف عماد الدين أبي المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني المتوفى سنة ١٠٤٧هـ. وهو تفسير كامل للقرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، وقد طبع تفسير تاج التراجم ويقع في خمس مجلدات، بتحقيق الباحثين علي أكبر الخراساني ونجيب مائل الهروي عام ١٩٩٥م.

11- أكد شاهفور الإسفراييني مؤلف تاج التراجم أن تفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى سائر اللغات من مستلزمات الرسالة النبوية وشمولها وعالميتها وواجب الإنذار والتبليغ يقتضي إيصال معاني القرآن الكريم إلى البشرية جمعاء.

12- يقول المفسر الأسفراييني بأن ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره من وسائل حفظه في مواجهة من يحاول تحريف كلام الله عز وجل من الفرق الضالة والمذاهب الباطلة.

13- تفسير ((تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم)) من المصادر التفسيرية المهمة المعتمدة خاصة في تفسير آيات الأحكام ولا زال العلماء والباحثون قديماً وحديثاً ينهلون من بحره ، بل هو من أهم التفاسير باللغة الفارسية.

14- وقد شهد الباحثون في الدراسات القرآنية باللغة الفارسية بكثرة الفوائد والاستنباطات والدرر المودعة في تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم مما يجدر بكل باحث وطالب علم يعرف اللغة الفارسية الاطلاع عليها والاستفادة منها.

15- كانت الأحكام الفقهية المستنبطة من القرآن الكريم موضع عناية واهتمام من قبل الإسفراييني في تفسير تاج التراجم وقد تناول رحمه الله تفسير آيات الأحكام وتطرق إلى المسائل الفقهية المتعلقة بها إما على وجه التفصيل أو الإيجاز والاختصار حسب مقتضى الحال.

16- يري المفسر الأسفراييني أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من أول كل سورة كتبت في بدايتها، كما أنها آية من فاتحة الكتاب، ويجب قراءتها مع بقية آيات الفاتحة في كل ركعة من الصلاة ، هذا هو مذهب الإمام الشافعي ويجب قراءتها جهراً كما تقرأ الفاتحة.

17- ذكر المفسر الأسفراييني أن السنة النبوية تفسر القرآن وتخصص عامه وضرب مثلاً لذلك مشروعية قصر الصلاة في حال الأمن مع أن السياق القرآني يدل على جوازه في حال الخوف .

18- يري الأسفراييني أن سجدة الملائكة لآدم كانت بمعنى التحية وليست بمعنى وضع الوجه على الأرض، لأنه لا يجوز وضع الوجه على الأرض إلا لله.

19- تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار تفسير كبير وموسوعي جامع للقرآن الكريم باللغة الفارسية يبدأ بفاتحة الكتاب وينتهي بسورة الناس، ويعد من أهم التفاسير

الفارسية المتداولة لأهل السنة والجماعة ألفه رشيد الدين أبو الفضل المييدي اليزدي، شرحاً وبسطاً بتفسير شيخ الإسلام عبد الأنصاري الهروي.

20— يُعد كشف الأسرار وعدة الأبرار واحداً من أشهر التفاسير ذي الاتجاه الفقهي باللغة الفارسية، وهو متداول من قديم الأيام في الأوساط العلمية ويظهر ذلك من انتشار نسخه المخطوطة في كثير من مكتبات العالم، وكونه مصدراً لبعض المفسرين ممن ألفوا تفاسيرهم باللغة الفارسية كالواعظ الكاشفي الهروي في تفسيريه جواهر التفسير، والمواهب العلية، ومعين الدين الفراهي في تفسيريه حدائق الحقائق، وأسرار الفاتحة.

21— مؤلف كشف الأسرة وعدة الأبرار كان أكثر اهتماماً بهذا اللون من التفسير من بين جميع من ألفوا تفاسيرهم باللغة الفارسية، فقد توسع الرجل في تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالحديث وأقوال الصحابة والتابعين.

22— كشف الأسرار وعدة الأبرار من التفاسير التي توسع مؤلفها في تفسير آيات الأحكام ومن سمات هذا التوسع الفقهي أن المييدي رحمه الله خصص فصلاً خاصة للمسائل الفقهية المستنبطة من الآيات القرآنية.

23— يرى العلامة المييدي وجوب الإقرار بالشهادتين لرجوع المرتد عن رده إلى نور الإسلام، وأن يقر بما أنكره وأن يتوب إلى الله فتصح حينئذ توبته، فعلى سبيل من أنكر فريضة من الفرائض فيرجع عما قال قولاً وعملاً.

24— مع أن العلامة المييدي ينتمي إلى المذهب الشافعي ولكنه أفتى بجواز قراءة القرآن في الصلاة بالفارسية لمن يعجز عن القراءة بالعربية موافقاً للقول الذي يراه أئمة المذهب الحنفي.

25— لا شك أن هذا الرواج والانتشار الكبير لتفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار يدل على تأثير المجتمعات والأجيال المتعاقبة به، الذي أزال حاجز اللغة من أمام

الناطقين بالفارسية ومكنهم من الوقوف على الهدايات القرآنية بصورة مباشرة فساهم بذلك في الحفاظ على دينهم الإسلامي الحنيف عقيدة، وشريعة، وأخلاقا بالرغم من وجود عواصف تيارات الانحراف كالاعتزال والرفض في عصر المؤلف رحمه الله.

26— تفسير النسفي، تفسير كامل للقرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، باللغة الفارسية ألفه العلامة المفسر نجم الدين أبوحفص عمر النسفي المتوفى سنة 537هـ.

27— من الأشياء التي تلفت نظر القاريء لتفسير النسفي وتجذب اهتمامه هو حرص المؤلف على الربط بين السورة وسابقتها ، وكذلك بعض الآيات التي قبلها.

28— طريقة النسفي رحمه الله في تفسيره فهي الترجمة الفارسية لمعاني الآيات، ثم ذكر ما تدل عليه الآيات، ثم اختيار القول الذي يراه راجحا وأنه أصح الأقوال التفسيرية وبتعبير مختصر وجيز، مع كونه موجزا ومختصرا إلا أنه يشمل شرح الألفاظ الغريبة، ثم شرح المعنى الإجمالي للآية وذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وقصص القرآن.

29— المسلك الذي سلكه النسفي في عرضه للأحكام الفقهية واستنباط مسائلها وفق الضوابط الاجتهادية للمذهب الحنفي، وقد يفصل القول في المسألة الواحدة فيذكر ما قاله علماء الحنفية من آراء فقهية ، ويشير إلى ما ذكره فيها الإمام أبو حنيفة رحمه الله.

30— لقد أدرك العلامة النسفي أن لجودة الترتيب وحسن التبويب الأثر المهم في مدى استفادة القراء عن تفسيره لهذا عمد إلى وضع مجموعة من القواعد والمعالم التي تعين القارئ وطالب العلم على الاستفادة من تفسيره.

31— البصائر تفسير كامل وكبير للقرآن الكريم نو طابع فقهي باللغة الفارسية من تأليف أبي جعفر الغزنوي رحمه الله يحتل مكانة مهمة ومرموقة بين التفسيرات القرآنية باللغة الفارسية.

32— قد حظي تفسير البصائر بالرواج والقبول في الأوساط العلمية والمهتمين بالدراسات القرآنية وتفسير آيات الأحكام باللغة الفارسية على مر القرون وتناقلت الكتب اسمها في صفحاتها وصارت نسخة متداولة بين الأيدي، واستفاد منه بعض المفسرين الذين جاءوا بعد مؤلفه وجعلوه مصدرا من مصادرهم فيما ألفوا من التفسير، فهو تفسير مهم على وجه الخصوص للمتخصصين في آيات الأحكام.

33— قال العلامة أبوجعفر النيسابوري رحمه الله : إن المقصود من تأليف الكتاب هو اتباع الحق ، ونصرة الدين، وتأييد السنة وموافقة الجماعة ولكن إذا وقعت في هفوة وخطأ بسبب تلبس إبليس المذل وتمويه النفس الأمارة بالسوء بحيث يهجر حق غفلة، أو يقرر باطل سهوا، ثقتي بالله تعالى أن لا يؤخذني بسببها وينعم علي بحسن العفو والتجاوز، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

34— لا يكاد يمر مؤلف تفسير البصائر العلامة أبوجعفر الغزنوي - رحمه الله - بآية من آيات الأحكام إلا ويتعرض لما تشتمل عليه الآية الكريمة من حكم أو أحكام فقهية، وقد دأب على الاقتصار بذكر المذهبين الشافعي والحنفي فيما يتعلق بالمسائل الفقهية وعدم التطرق إلى آراء بقية المذاهب.

35— يراعي الغزنوي العدل والتوازن فيعرض رأي كل مذهب من المذهبين دون أدنى تعصب أو تحيز إلى واحد منهما وقد التزم الدعاء للإمام أبي حنيفة بـ رحمه الله وللإمام الشافعي برضي الله عنه أو عليه الرضوان كلما ذكر اسم الإمامين.

36— يرى العلامة الغزنوي رحمه الله أن التفسير بالمأثور سبيل مهم للوصول إلى الأحكام الفقهية لهذا لم يغفل التفسير النقلي في كتابه البصائر ، وقد كان اعتماده على

النصوص القرآنية في تفسير آيات الأحكام أبرز ما يمثل هذا الجانب في تفسيره البصائر.

37- العلامة أبو جعفر الغزنوي مؤلف تفسير البصائر يرى أن معرفة مباحث علوم القرآن وتوظيفها في خدمة التفسير الفقهي أمر في غاية الأهمية لمن يفسر آيات الأحكام لهذا اهتم بهذا الجانب ولعل أسباب النزول هي أكثر مباحث علوم القرآن دورانا في تفسير البصائر.

التوصيات

وفي ختام هذه الجولة العلمية قد تبين لي أن الحاجة قائمة إلى عدد من التوصيات العلمية علي النحو الآتي:

1- المكتبة التفسيرية باللغة الفارسية لأهل السنة والجماعة بحاجة لمزيد من القيام بالتعريف والكشف عن كنوزها من قبل الباحثين حيث أن العديد من الأوساط العلمية لاتعرف عن هذه التفاسير ولا ما فيها من العلم النافع الذي يخدم الدراسات القرآنية.

2- من واجبي كباحث في التفسير وعلوم القرآن الكريم أطالب الباحثين والدارسين الناطقين بالفارسية أن يهتموا بالتراث التفسيري الفارسي قياماً بواجب المحافظة علي تفاسيرهم من التبديل والتحريف من قبل أهل الأهواء والفرق التي تفسر كتاب الله في ضوء عقيدتهم الباطلة.

3- ومن واجبي أيضاً أن أسجل ملاحظتي أن بعض الناشرين في الدول الناطقة بالفارسية قد أدخلت في هذه التفاسير مالميس منها زقد وجدت أمثلة أثناء بحثي وقد دونتها كملحوظة علمية ولكي أنبه علي عدم الإلتزام بالأمان العلمية من قبل الناشرين.

4- كما أدعو قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم بكلية أصول الدين بالجامعة العالمية بإسلام آباد برعاية الأبحاث والدراسات التي تخدم القرآن الكريم بشتى اللغات وفتح المجال لتلك الدراسات المهمة بالتراث القرآني.

5- كما أطالب المراكز العلمية والأكاديمية بالتعاون والتنسيق فيما بينها في رصد المستجدات في تفسير كتاب الله خاصة والدراسات القرآنية عامة وعقد ندوات ومؤتمرات علمية في هذا المجال لتبادل الخبرات فيما يخدم علوم القرآن الكريم.

6- كما أقترح لو أن أحد طلاب مرحلة الدكتوراه من الناطقين باللغة الفارسية بجامعةنا الموقرة يختار عنوان رسالته : "الدخيل في تفسير البصائر لأبي جعفر

النيسابوري الغزنوي" ويخدم هذا التفسير وبذلك يكون ميز الصحيح من السقيم في هذا الجانب.

الفهارس

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة

170	7	صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ	1
170	7	غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ	2

سورة البقرة

36	96	وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ	3
50	151	إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا	4
75	114	أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا	5
75	148	وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا	6
77	184	وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٍ	7
78	288	وَالْمُطَلَقَاتِ يَتَرَبِّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ	8
79	196	فَإِنْ أَخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ	9
79	178	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ	10

106	36	11	فَازَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا
106	38	12	قُلْنَا امْطُتُوا مِنْهَا جَمِيعًا
106	251	13	فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
107	40	14	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ
109	67	15	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
110	87	16	أَفْكُلُمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ
111	246	17	أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
111	251	18	فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
112	50	19	وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ
152	184	20	وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ
157	34	21	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
158	183	22	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ
159	93	23	سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
159	184	24	فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ
163	227	25	وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

		عَلِيمٌ	
164	226	لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَانِهِمْ	26
170	195	وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	27
175	2	هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ	28
176	53	وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ	29
185	188	وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ	30
185	177	وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ	31
188	43	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ	32
188	43	لَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ	33
189	185	شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ	34
191	180	كُتِبَ عَلَيْكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ	35
217	36	قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ	36
217	67	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ	37
217	102	وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ	38

39	أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ	246	218
----	---	-----	-----

41	وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ سَوْرَةٌ آل عمران	97	163
42	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ	102	250
43	هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ	7	258
44	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ	81	262
45	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا	85	270
46	بَلْ أَخْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ	169	365
40	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ	222	223

سورة النساء

46	يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ	11	70
47	فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ	24	90
48	وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ	83	155
49	وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ	101	156

170	36	وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ	50
175	36	لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ	51
184	16	وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيهَا مِنْكُمْ فَأَذَوْهُمَا	52
190	8	مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ	53
191	81		54
192	3	فَاتَّخِذُوا مَا طَرَفْتُمْ لِنَفْسِكُمْ	55
	87		56
216	69		57
		وَسِيبِ	58
273	6	وَابْتَغُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ	59

سورة المائدة

5	15	قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَكِتَابٌ مُبِينٌ	60
63	3	وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَمْ فِسْقٌ	61
68	6	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ	62
78	6	أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً	63

79	3	وَأَن تَسْتَغْفِرُوا بِالْأَزْلَامِ	64
82	33	إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	65
165	95	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصِّدِّيقَ	66
165	95	وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُم مُّتَعَمِّدًا	67
170	60	قُلْ هَلْ أَنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ	68
170	77	وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا	69
170	1	أَوْفُوا بِالْعُقُودِ	70
171	2	وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ	71
339	60	مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ	72
339	77	لَنَبْشَرَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنفُسَهُمْ	73

سورة الأنعام

137	19	وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ	74
138	75	وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ	75
177	7	فَلَمَسُوهُ بَأْيَدِهِمْ	76

191	107	وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا	77
191	125	فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ	78
215	153	وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ	79
249	1	وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ	80
371	118	فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ	81
463	121	وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ	82

سورة الأعراف

191	199	خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ	83
193	89	رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ	84
213	143	وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا	85
214	40	حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ	86
250	127	أَنذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ	87

سورة الأنفال

171	1	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ	88
171	41	وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ	89
176	41	وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ	90
176	34	إِنَّ أَوْلِيَاءُوهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ	91
250	37	وَيَجْعَلِ الْخَبِيثَ	92
251	37	فِيرْكَمِهِ جَمِيعًا	93
252	15	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا	94

سورة التوبة

37	29	حَتَّى يَغْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ	95
48	6	وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ	96
191	73	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ	97
191	5	فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ	98
207	32	يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ	99
259	37	إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ	100

373	103	وَصَلِّ عَلَيْهِمْ	101
-----	-----	--------------------	-----

سورة يونس			
-----------	--	--	--

174	64	لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ	102
190	108	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ	103
251	81	إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ	104
346	299	أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ	105
382	22	حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ	106

سورة هود			
----------	--	--	--

371	334	قَالَ ارْكَبُوا فِيهَا	107
378	339	هَذَا بَعْثِي شَيْخًا	108

سورة يوسف			
-----------	--	--	--

206	2	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا	109
-----	---	--	-----

سورة الرعد			
------------	--	--	--

176	39	يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ	110
-----	----	---	-----

سورة إبراهيم			
--------------	--	--	--

46	4	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ	111
----	---	--	-----

سورة الحجر			
------------	--	--	--

355	87	وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي	112
-----	----	--	-----

سورة النحل			
------------	--	--	--

46	44	بِالْبَيِّنَاتِ وَالزَّبْرِ	113
200	64	وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ	114

		لَهُمْ	
258	90	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ	115
337	44	لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ	116
436	126	وَأِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا	117

سورة الإسراء

74	26	وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ	118
184	24	وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ	119
189	106	وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ	120
258	16	وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً	121
338	111	وَقَلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ	122
373	110	وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ	123

سورة الكهف

249	104	الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	124
-----	-----	---	-----

251	94	125	إِنَّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ
266	22	126	سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ

سورة مريم

247	59	127	فَخَلَفَ مِنْ بَغْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ
-----	----	-----	---

سورة الأنبياء

	107	128	مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
	103	129	أَيُخْزِنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ
	112	130	قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ
	22	131	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا

سورة الحج

249	1	132	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم
-----	---	-----	---

سورة المؤمنون

133	وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْزَاجِهِمْ حَافِظُونَ	5	315
-----	---	---	-----

سورة النور

134	الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً	3	424
135	وَلَيْسَتْغَفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا	33	68
136	الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا	2	185
137	فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا	33	351

سورة الشعراء

138	بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ	195	302
-----	------------------------------	-----	-----

سورة النمل

337	44	بِالْبَيِّنَاتِ وَالزَّبِيرِ ۖ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ	139
175	87	وَيَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ	140
372	30	إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ	141
سورة الروم			

251	41	ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	142
-----	----	--	-----

سورة الأحزاب			
--------------	--	--	--

299	49	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَكَتَّمُ الْمُؤْمِنَاتِ	143
373	54	يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ	144

سورة سبأ			
----------	--	--	--

138	2	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ	145
192	46	قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ	146

338	13	اغْمَلُوا آلَ دَاوُودَ	147
-----	----	------------------------	-----

سورة يس			
---------	--	--	--

31	70	لَيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ	148
----	----	--	-----

سورة الصافات			
--------------	--	--	--

108	79	إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ	149
-----	----	--	-----

سورة الزمر			
------------	--	--	--

379	43	أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ	150
389	6	وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ	151

سورة فصلت			
-----------	--	--	--

233	26	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ	152
-----	----	--	-----

سورة الشورى

379	9	أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ	153
-----	---	--	-----

سورة الزخرف

206	3	إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا	154
251	19	وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ	155

سورة الدخان

189	3	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ	156
-----	---	---	-----

سورة محمد

342	32	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَانَ	157
258	4	فَأَمَّا مَنْ بَغَىٰ وَإِمَّا فِدَاءً	158

سورة الفتح

307	27	لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ	159
322	29	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ	160

سورة الحجرات

250	3	أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِيَتَّقُوا	161
-----	---	--	-----

سورة الزاريات

371	2	وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ	162
-----	---	--	-----

سورة النجم

251	27	لَيَسْمُوتَنَّ الْمَلَائِكَةُ	163
-----	----	-------------------------------	-----

سورة الحديد			
-------------	--	--	--

251	28	وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ	164
-----	----	------------------------------------	-----

سورة المجادلة			
---------------	--	--	--

145	11	يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ	165
-----	----	---	-----

سورة الطلاق			
-------------	--	--	--

261	1	لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ	166
293	4	وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ	167
293	7	وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ	168

سورة التحريم			
--------------	--	--	--

291	2	قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ	169
-----	---	--	-----

سورة مدثر			
-----------	--	--	--

25	4	فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ	170
----	---	-------------------------	-----

سورة المزمل			
-------------	--	--	--

302	20	فَافْرَعُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ	171
-----	----	---	-----

سورة القيامة			
--------------	--	--	--

189	75	فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ	172
213	20	وَجُودٍ يُؤْمِنُ بِمَا تَأْتِيهِ نَاصِرَةٌ	173

سورة القدر			
------------	--	--	--

189	1	نَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ	174
-----	---	--	-----

سورة الفيل

175	بِحَجَّارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ	4	35
-----	----------------------------	---	----

سورة الماعون

176	فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ	2	313
177	وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ	3	313

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

1	أرواحهم في أجواف طير	255
2	إذا حلفت على يمين	290
3	إذا قمت إلى الصلاة	206
4	استأذن سلمان الفارسي	32
5	أصحابي كالنجوم	264
6	اطلبوا الخير	114

294	اغتدي في بيت	7
371	أغلق بابك	8
472	ألا من ولي يتيمًا	9
70	الحقوا الفرائض بأهلها	10
294	أمرت بريرة	11
274	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء	12
390	أنزلوا الناس منازلهم	13
66	أن الله يمنح ثوابه	14
252	إن في الصلاة لشغلاً	15
341	إن لكل كتاب صفوة	16
417	إنها (أي الصدقة) لا تحل	17
114	إنه يرقق القلب	18
114	إن هذه الصلاة لا يصلح فيها	19
371	إن الشيطان ليستحل	20
342	أي سماء تظلني	21
46	بلغوا عني ولو آية	22
254	تفضل صلاة الجمع	23

186	جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم	24
264	حب الدنيا رأس	25
230	خيركم من تعلم القرآن	26
298	رَفَعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ	27
252	سنل أي الأعمال أفضل	28
408	شفاء من كل داء	29
115	شراركم عزابكم	30
115	صلاة الجماعة تفضل	31
372	ضع يدك	32
252	صلاة الجماعة تفضل	33
297	طَلَّقْتُ امْرَأَتِي وَهِيَ حَائِضٌ	34
114	عليك بالعدس	35
263	عليكم بالعدس	36
264	عليكم بلباس الصوف	37
274	العهد الذي بيننا وبينهم	38
408	فاتحة الكتاب شفاء	39
254	فضل صلاة الرجل	40

114	فضل القرآن على سائر الكلام	41
380	فيقال لقارئ القرآن	42
174	قسمت الصلاة	43
259	بالقرآن لا تسافروا	44
461	لا تتكح المرأة على عمتها	45
80	لا يقتل المسلم بكافر	46
98	لا ينظر الله إلى رجل	47
341	لكل كتاب زينة	48
	لولاك لما خلقت ليس على المسلم في عبده	49
65	ليس منا من لم يؤمن بكرتنا	50
174	ما زال جبريل يوصيني	51
174	المبشرات هي الرؤية	52
98	ملعون من أتى امرأة في الدبر	53
	من تمتع مرة كانت درجته	54
255	من حلف على يمين	55
342	من قال في القرآن برأيه	56
372	من لم يذبح	57

373	هي أم القرآن	58
38	ويحك يا عبود	59
91	يا أيها الناس إني قد كنت أذنت	60
254	يا رسول الله أي ذنب أعظم	61
371	يا غلام! سم الله	62
255	يعطى الشهيد خمس خصال	63
174	يقول الله عز وجل	64
423	يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ	65
94	ويل للأعقاب من النار	66

فهرس الأعلام

469	أبو حنيفة النعمان بن ثابت	1
122	أبو قاسم الفردوسي	2
241	إسحاق بن إبراهيم	3
241	أحمد بن عبد الحليم	4
237	إيرج أفشار	5
219	جعفر بن محمد	6
73	حسين بن علي البيهقي	7
183	شمس الأنعة السرخسي	8
241	عبد الأول بن عيسى	9
241	عبد الجليل بن منصور	10
546	عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله	11
546	عبد العزيز الدهلوي	12
106	عماد الدين أبو الفداء	13
49	القاسم بن فيره	14
39	قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهي	15
122	محمد بن أحمد الدقيقي	16

151	محمد بن إدريس	17
535	محمد بن جرير	18
201	محمد بخيت بن حسين المطيعي	19
240	محمد الجارودي	20
235	هو محمد بن عبد الله الأزدي	21
240	محمد بن مسو	22
201	مصطفى صبري عابدين	23
44	موسى بن سيار	24
543	يحيى بن شرف النووي	25
240	يحيى بن عمار بن يحيى الشيباني	26
192	يوسف بن عبد الله القرطبي	27

فهرس المصادر والمراجع

- 1- اتجاهات التجديد في التفسير في مصر، في القرن العشرين لمحمد إبراهيم شريف، دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى 1981م.
- 2- الاتجاهات في التفسير في القرن الرابع عشر هجري للدكتور فهد الرومي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ، 1998م.
- 3- الاتجاه الفقهي في التفسير ونشأته وتطوره، للدكتور عبد الرزاق هرماس، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، الطبعة الأولى 1418هـ.
- 4- الإتيان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف سنة النشر: 1426هـ.
- 5- أثر القراءات في الفقه الإسلامي للدكتور صبري عبدالرؤوف محمد عبد القوي، أعضاء السلف بالرياض، الطبعة الأولى 1997م.

- 6- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لشمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، 1411هـ، 11991م.
- 7- أحكام القرآن للإمام محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة السادسة 2006م.
- 8- أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الخامسة 1405هـ.
- 9- أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة الثالثة، 1424هـ.
- 10- الإحكام في أصول الأحكام لأبي الحسن سيد الدين الأمدي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية 1404 هـ.
- 11- الاختصار في التفسير لعلي سعيد العمري، كرسى القرآن الكريم وعلومه - جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى 1436هـ.
- 12- الاستنباط عند المفسرين للدكتور محمد عمر بازمول، جامعة أم القرى مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1432هـ.
- 13- أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثالثة، 1415هـ-1994م.
- 14- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة، مكتبة السنة، مصر، الطبعة الرابعة 2010م.

- 15- أصول السرخسي ل محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، دار الكتاب بالعربي، بيروت الطبعة الأولى 1372هـ.
- 16- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، 2002م.
- 17- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثالثة، 1411هـ - 1991م .
- 18- الإمام الدهلوي لأبي الحسن الندوي، طبع دار القلم ،الكويت الطبعة الأولى 1405هـ، 1985م.
- 19- الأم للإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: دار المعرفة - بيروت: بدون طبعة، سنة النشر: 1410هـ.
- 20- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي، مطبعة السنة المحمدية بمصر بدون رقم الطبع وتاريخ النشر.
- 21- الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف لأحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ الشاه ولي الله الدهلوي (المتوفى: 1176هـ) المحقق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: دار النفائس - بيروت الطبعة الثانية، 1404هـ.
- 22- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لأسماعيل محمد أمين البغدادي ، دار إحياء التراث العربي بيروت، 2010م.
- 23- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية ،بيروت، الطبعة الثانية - 1422 هـ - 2001 م.

- 24-البحر المحيط في أصول الفقه لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، دار الكتبي الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م .
- 25-البداية والنهاية لأبي الفداء ابن كثير، دار أبي حيان القاهرة 1996م .
- 26-بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية بيروت، 1406هـ-1986م.
- 27-بدائع الفوائد لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان الطبعة الثالثة 2010م.
- 28-تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، طبع دار سويدان بيروت الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
- 29-تاريخ الأدب الفارسي رضا زاده شفق طبع هيئة الثقافة الإيرانية، طهران الطبعة الأولى بدون تاريخ.
- 30- تاريخ أدبيات إيران (فارسي) د.صفا، طبع في طهران، بدون تاريخ.
- 31-تاريخ بخاري لأبي بكر محمد بن جعفر النرخشي المتوفى سنة 348هـ، ترجمة أمين عبدالمجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي ط 74 ط دار المعارف مصر 1968م .
- 32-تاريخ نظم ونثر در إيران ودر زبان فارسي (تاريخ النظم والنثر في إيران وفي اللغة الفارسية) د. سعيد نفيسي، طهران.
- 33-تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ) المحقق: الدكتور بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م .

34- البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1376 هـ - 1957 م.

35- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ط دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.

36- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة لشاهفور الإسفراييني، دار ابن حزم بدون تاريخ النشر.

37- تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم الإسفراييني، تحقيق علي أكبر الخراساني ونجيب مانل هروي، الطبعة الأولى 1995 م.

38- التبيان في إيمان القرآن لابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الله البطاطي، مجمع الفقه الإسلامي بجهة .

39- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق لجمال الدين الزيلعي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

40- تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لعلي بن الحسن ابن عساكر، القدسي، دمشق الطبعة الثانية 1992 م.

41- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393 هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: 1984 هـ بدون رقم الطبع.

42-تحرير النرد والشطرنج والملاهي ويليه بحث خاص في الأغاني والمعازف للأجري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، السعودية، 1402هـ-1982م.

43-تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي للشيخ علاء الدين أبي الحسن علي بن إبراهيم المعروف بـ"أبناؤنا"، وما بعدها، الدار الأثرية، عمان - الأردن ، الطبعة الأولى.

44-تذكرة أسماة لـ"مس الدين الذهبي" بحياة الدار العربية بـ"بيروت" بدون تاريخ.

45-ترجمه سريرة للدعوة نبليغ للشيخ مصطفى صبر، دار السلفية للتحقيق والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م.

46-تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1406هـ.

47-تفاسير آيات الأحكام ومناهجها للدكتور علي العبيد، دار التدمرية بالرياض 2010م.

48-التفاسير المختصرة مناهجها واتجاهاتها للدكتور محمد بن راشد البركة، الإصدار الثالث عشر لكرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود 1419هـ.

49-التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها للدكتور فضل الهادي وزين: نال بها درجة الدكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام 1429هـ.

- 50- تفسير البصائر لأبي جعفر الغزنوي ((تفسير بصائر يميني)) طبع هيئة الثقافة الإيرانية بدون تاريخ الطبعة الأولى.
- 51- تفسير النسفي لأبي حفص نجم الدين عمر النسفي ((انتشارات فرهنك)) في عام 1353 هـ ش الطبعة الأولى.
- 52- التفسير الصافي لملا فتح الله الكاشاني، مكتبة الصدر، طهران 1416 هـ.
- 53- تفسير منهج الصادقين في إلزام المخالفين لملا فتح الله الكاشاني، مكتبة الصدر طهران بدون تاريخ،
- 54- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، طبعة دار الحديث المصرية، الطبعة الأولى بدون تاريخ.
- 55- تفسير الجامع (تفسير جامع) فارسي لإبراهيم بروجردي، طبع طهران 1382 هـ، بدون اسم دار النشر.
- 56- تفسير شاهي (فارسي) تأليف أبي الفتح الحسيني الجرجاني ت 1976 م ط انتشارات نويد، بطهران . د. ت.
- 57- تفسير شريف اللاهيجي (فارسي) لبهاء الدين محمد بن شريف اللاهيجي، طبع طهران 1347 هـ بدون دار نشر.
- 58- تفسير النقاش ت 351 هـ) المسمى: (شفاء الصدور) لوحة 65، مخطوطة محفوظة برقم 140 تفسير في دار الكتب المصرية بالقاهرة.
- 59- تفسير جلاء الأذهان المعروف بتفسير كارز (فارسي) تأليف أبي المحاسن الجرجاني ط إيران 1378 هـ ق 1337 هـ ش . بتصحيح وتعليق مبصر جلال الدين حسيني أرموي . بدون دار نشر.

- 60- التفسير الفقهي والنشأة للدكتور مولاي عمر بن حمادة، مركز التفسير للدراسات القرآنية الرياض المملكة العربية السعودية .
- 61- تفسير نمونه فارسي، تأليف لجنة أشرف عليها مكارم الشيرازي دار الكتاب الإسلامية طهران، الطبعة الخامسة عشر 1376 هـ ش.
- 62- تفسير شاهي (فارسي) لأبي الفتح الحسيني الجرجاني، انتشارات نويد، طهران بدون طبع وتاريخ.
- 63- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1990م.
- 64- تفسير النكت والعيون للإمام الماوردي، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية بدون تاريخ.
- 65- التوقيف على مهمات التعاريف لعبد الرؤوف المناوي، عالم الكتب ط 1 - 1410هـ.
- 66- التيسير في علم التفسير للنسفي، دار الباب للنشر والتوزيع بإسطنبول، عام 2019م. الطبعة الأولى.
- 67- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة بيروت، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م.
- 68- جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ، تحقيق: أبي الأشبال الزهير، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1414 هـ - 1994م.

- 69-الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مؤسسة الرسالة، بيروت 2006م.
- 70-جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ط شركة مصطفى البابي الحلبي - مصر 1388 - 1968م.
- 71-جامع العلوم والحكم لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، دار المعرفة بيروت 1408هـ .
- 72-الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار العاصمة بالرياض، الطبعة الثانية 1999م.
- 73-جواهر التفسير للواعظ الكاشفي ورقة: 45،المخطوطة المحفوظة برقم 69،228، في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة.
- 74-الجواهر المضية في طبقات الحنفية لأبي محمد عبد القادر القرشي ، دار مير محمد كتب خانه كراتشي ، وتاج التراجم لابن قطلوبغا السوداني ، دار القلم - دمشق الطبعة: الأولى، 1413 هـ -1992م.
- 75-الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير للدكتور عدنان زرزور، ط مؤسسة الرسالة بيروت بدون تاريخ.
- 76-الحاوي الكبير لأبي الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت،1999م.
- 77-حاشية ابن العابدين لمحمد أمين بن عابدين الحنفي ، دار الفكر بيروت،الطبعة الثالثة 1992م.
- 78-حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني لعلي الصعيدي العدوي، دار الفكر، بيروت، 1994م.

79-حاشيتا قليوبي وعميرة لأحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة، دار الفكر بيروت، 1995م.

80-حجة الله على خليفته في بيان حقيقة القرآن وحكم كتابته وترجمته تأليف الشيخ محمد بخيت المطيعي ، ط جمعية الأزهر العلمية مصر 1350 هـ / 1932 م .

81-دراسات في تاريخ الشرق الإسلامي د. علي بن صالح المحيميد، الرياض 1414 هـ -1993م.

82-الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي، دار المعرفة بيروت، 2009م.

83-درسايه قرآن (فارسي) أي في ظلال القرآن محمد صديق راشد سلجوقي طبع شوراي ثقافتي جهاد أفغانستان(المجلس الثقافي لأرشفيد الجهاد الأفغاني) في إسلام آباد. 1366 هـ ش.

84-دور ترجمة معاني القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام للدكتور إبراهيم اللحيدان بحث مقدم في ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل عام 1422 هـ.

85-ذو الكلام للشيخ الأنصاري دراسة وتحقيق عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، ط مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة 1416 هـ - 1995 هـ.

86-الذيل على طبقات الحنابلة لزين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى 1425 هـ.

87-الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي، مكتبة الحلبي، مصر 1358 هـ ، 1940 م.

- 88-رسالة الرد على الرافضة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1413هـ، 1992م.
- 89-روض الجنان وروح الجنان لأبي الفتوح حسين بن علي الخزاعي الرازي الشيعي المتوفي سنة 584هـ مطبوع في إيران ويقع في عشرين مجلداً.
- 90-روضة الطالبين وعمدة المفتين لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان 1412هـ- 1991م.
- 91-سبل الاستفادة من النوازل والفتاوى والعمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة، د. وهبة الزحيلي، دار المكتبي للطباعة دمشق الطبعة الأولى 1412هـ.
- 92-سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف 2006م النشر والتوزيع، دمشق، ط 1، 1421 هـ - 2001 م.
- 93-سير أعلام النبلاء للذهبي، ط مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية 1402هـ، 1982م.
- 94-شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن عماد الحنبلي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى 1986م.
- 95-الشرح الممتع على زاد المستقنع لمحمد بن صالح بن عثيمين. دار ابن الجوزي بالرياض، الطبعة الأولى 1422هـ.
- 96-شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي، تحقيق نور الدين عشر دار السلام للنشر والتوزيع ، بالرياض الطبعة الأولى 2014 م.
- 97-شرح الكوكب المنير لأبي البقاء حمد بن النجار الحنبلي ، مكتبة العبيكان بالرياض الطبعة الأولى، 1418هـ- 1997م.

98-شرح تنقيح الفصول لشهاب الدين القرافي دار الفكر بيروت، الطبعة الثالثة، 1424هـ-2004م.

99-صحيح البخاري المسمى بـ «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل البخاري، طبع المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، إسطنبول - تركيا.

100-طبقات المفسرين لشمس الدين الداودي. دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى 2012م.

101-طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م.

102-طبقات الشافعية لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي الشافعي ، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية بيروت، 2002م.

103-طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي 326/1. المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر.

104-طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1990م.

105-طبقات الصوفية لشيخ الإسلام الأنصاري الهروي (فارسي)، ط انتشارات توس - إيران 1362 هـ ش.ر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1413هـ.

106-طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية لأبي حفص النسفي، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، بدون تاريخ.

- 107-ظهر الإسلام لأحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة الطبعة الأولى بدون تاريخ.
- 108-عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى لأبى بن العربى، دار الكتب العلمىة بىروت، الطبعة الأولى 2011م.
- 109-العبر فى خبر من غبر لشمس الدين الذهبى، ولىه ذىول العبر ت: زغلول، دار الكتب العلمىة بىروت، 2006م.
- 110-علماء نجد خلال ثمانىة قرون، لعبد الله بن عبد الرحمن آل بسام، مكتبة المعارف بالمدينة المنورة الطبعة الأولى 1409هـ.
- 111-علم التفسىر كىف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر للدكتور عبد النعم النمر، ط دار الكتب الإسلامىة بىروت، 1405 هـ -1985م.
- 112-الغناىة شرح الهداىة لمحمد البابر تى، مطبعة المىمنىة بمصر سنة 1306هـ.
- 113-غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين القمى، شركة مصطفى البابى الحلبي بمصر الطبعة الأولى 1384هـ.
- 114-فتوح البلدان لأحمد بن بىحى بن جابر بن داود البلاذرى ، دار ومكتبة الهلال- بىروت الطبعة الأولى 1988م.
- 115-الفروع وتصحىح الفروع لشمس الدين ابن مفلح ،مؤسسة الرسالة بىروت، الطبعة، الأولى 1424 هـ - 2003 م
- 116-فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمىة والإفتاء بالمملكة العربىة السعودىة، دار المؤىد للنشر والتوزىع الرىاض 2010م.

- 117- الفتاوى السعدية لأبي عبد الله عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، مكتبة المعارف بالمدينة المنورة 1402هـ.
- 118-فتح العزيز أو التفسير العزيزي للعلامة عبد العزيز الدهلوي، مطبوع في مدينة لکنهو بالهند سنة 1268هـ.
- 119-فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث للعراقي ، لشمس الدين السخاوي ، مكتبة السنة مصر الطبعة الأولى 1424هـ - 2003 م ،
- 120-فتح الرحمن في ترجمة القرآن (ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية) لشاه ولي الله الدهلوي ، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- 121-فتح الباري للحافظ بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث القاهرة.
- 122-فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ.
- 123-الفروسيـة لابن قيم الجوزية تحقيق مشهور بن حسن سلمان، دار الأندلس - السعودية ، حائل الطبعة: الأولى، 1414 ، 1993م.
- 124-فقه النوازل قضايا فقهية معاصرة لبكر أبو زيد، مؤسسة الرسالة 1407هـ.
- 125-فقه النوازل وفقه الواقع مقارنة الضوابط والشروط لعبد المجيد قاسم.
- 126-فقه النوازل لمحمد حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي بالرياض .
- 127-الفهرست لمحمد بن إسحاق بن النديم ص 19، مطبعة الرحمانية للطباعة، القاهرة.

128-الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ، ط مؤسسة آل البيت عمان ، الأردن 1989م .

129-فهرست نسخه هاي خطي فارسي (فهرس المخطوطات الفارسية) مطبوع بايران ، فهرست نسخه هاي خطي كتابخانه كنج بخش (فهرس مخطوطات مكتبة كنج بخش) باسلام آباد، باكستان.

130-فهرست تفسير كشف الأسرار وعدة الابرار (فارسي) إعداد الدكتور محمد جواد شريعت ، ط مؤسسة انتشارات أمير كبير طهران 1363هـ ش .

131-الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات اللكنوي ، طبع مطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر - لصاحبها محمد إسماعيل الطبعة الأولى سنة 1324هـ.

134-فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين، لمكتبة التجارية الكبرى ، مصر، الطبعة الأولى 1356هـ.

135-قصص قرآن مجيد بركرفته از تفسير أبو بكر عتيق نيشابوري سور آبادي ((قصص القرآن المجيد المأخوذة من تفسير أبي بكر عتيق النيسابوري المعروف بسور آبادي)) ، باهتمام د. يحيى مهدي وقد طبع من قبل جامعة طهران في عام 1347 هـ ش ،

136-قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية للدكتور حسين الحربي ، طبع دار القاسم بالرياض 1417هـ - 1996م.

137-القوانين الفقهية لمحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الغرناطي ص65، دار الكتب العلمية بيروت، 1427هـ.

138-الكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر القرطبي، مكتبة الرياض الحديثة، 1990م.

139-الكامل لعلي الجزري ابن الأثير، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية، 2000م.

140-الكبائر لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. مكتبة الفرقان، الإمارات، 1424هـ- 2003م.

141-كشف القناع عن متن الإقناع لمنصور بن يونس البهوتي، دار الكتب العلمية بيروت، 2010م.

142-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري دار المصحف - القاهرة 1977م .

143-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة 268/1، دار إحياء التراث العربي بيروت، 2006.

144-كشف الأسرار وعدة الأبرار لرشيد الدين الميبدي، طبع هيئة الثقافة الإيرانية، طهران.

145-اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطي ، دار المعرفة بيروت، 2009م.

146-لا إكراه في الدين لمحمد الطويل ص 49 دار طويق ، الرياض 414هـ ،

147-لطائف الإشارات ما يسمى تفسير القشيري لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، الطبعة الثالثة بدون تاريخ.

- 148-لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور ، دار صادر بيروت، 1414هـ
- 149-لماذا أسلمنا، ترجمة حازم عوض، الناشر وكالة الصحافة الفرنسية 2017م .
- 150- مباحث في علوم القرآن لشيخنا مناع القطان، ط مكتبة المعارف بالرياض 1417هـ، 1996م .
- 151-المبسوط لشمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة، بيروت، 1993م.
- 152-المتعة الزواج المؤقت عند الشيعة -حالة إيران 1978 - 1982 م ، تأليف الدكتورة شهلا حائري (وهي حفيدة حائري أحد آيات الكبار للشيعة ومرجع معروف من مراجعهم) ط شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت 1996م .
- 153-مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ، دار المعرفة بدون رقم الطبع والتأريخ.
- 154-مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ بن باز ،الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، أشرف على طبعه محمد بن سعد الشويعر.
- 155-المجموع شرح المذهب لأبي زكريا النووي ، طبع دار الفكر بيروت لبنان بدون تاريخ.
- 156-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب بين عطية، دار ابن حزم سنة 2002م.
- 157-مجلة ((يغما)) (الفارسية) الإيرانية العدد 7 ص 312 سنة 1430هـ ش، (1960م). والعدد 4 ص 190 سنة 1346هـ ش (1966م) .

158-المحلى بالآثار لأبي محمد علي بن حزم، دار الفكر بيروت، بدون الطبع والتاريخ.

159-مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

160-المذهبية الفقهية وأثرها في تفسير آيات الأحكام قديماً وحديثاً، بحث مقدم منشور في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة للدكتور عبد الرزاق هرماس، العدد 46، سنة 1321 هـ ص 58 - 59.

161-مسألة ترجمة القرآن تأليف الشيخ مصطفى ، ط المطبعة السلفية بالقاهرة 1351 هـ .

162-مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) لأبي محمد عبد الله الدارمي ، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1412 هـ.

163-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ل أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، المكتبة العلمية بيروت، 2010م.

164-معجم المؤلفين، لعمر رضا كخالة، دار الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1993م.

165-معجم البلدان لأبي عبد الله ياقوت الحموي ، دار صادر بيروت لبنان بدون تاريخ النشر.

166-معجم الدراسات القرآنية تأليف د. ابتسام مرهون الصفار، طبع الكتاب بمساعدة جامعة بغداد ،العراق 1984م .

- 167-معجم المفسرين "من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر" لعادل نويهض ،
مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد. مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف
والترجمة والنشر، بيروت ،لبنان، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م.
- 168-معجم مؤلفي الشيعة لعللي الفضلي النجفي ص 185 طبع وزارة الإرشاد في
إيران 1405هـ .
- 169-المغني لأبي الموفق ابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة 1968م.
- 170-مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة لأبي العباس بن العريف ،دار الغرب
الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 1993م.
- 171-مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش الكبرى زادة ط ، دار الباز للنشر
والتوزيع .
- 172-المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة لشمس
الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي- دار الكتاب العربي،
بيروت، الأولى، 1405 هـ - 1985م.
- 173-المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين الراغب الأصفهاني، دار القلم،
دمشق 1412هـ.
- 174-معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد مسعود البغوي، حققه وخرج
أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش،دار
طيبة للنشر والتوزيع 1417هـ-1997م.
- 175-مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاوي ، طبع المكتبة العصرية بيروت .

- 176-المنتخب في السياق لتاريخ نيسابور لعبد الغافر الفارسي، الناشر، جماعة من المدرسين في قم سنة 1403هـ.
- 177-منهاج المسلم لأبكر الجزائري، دار السلام للطباعة والنشر 2004م .
- 178-المدارس النظامية وآثارها العلمية والاجتماعية للدكتور نور الله كسائي ، انتشارات أمير كبير طهران 1363هـ.ش.
- 179-موسوعة القواعد الفقهية للدكتور محمد صدقي البورنو مكتبة التوبة- الرياض، ودار ابن حزم ، بيروت، ط 1، 1421هـ، 2000م.
- 180-معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب للياقوت الحموي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ-1993م.
- 181-مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش الكبرى زادة، ط دار الباز للنشر والتوزيع.
- مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت 1438هـ.
- 182-الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي ،ط دار ابن عفان الخبر 1417هـ - 1997م .
- 183-المنثور في القواعد الفقهية، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، حقيق: د. تيسير فائق أحمد محمود، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، ط 2، 1405 هـ
- 184-مفهوم الفقه الإسلامي، لنظام الدين عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1404 هـ -1984 م.

185-مواهب الجليل شرح مختصر خليل لمحمد بن عبد الرحمن المالكي، دار
الرضوان للنشر والتوزيع.

186-المواهب العلية في تفسير القرآن للمواعظ الكاشفي، هيئة الثقافة الإيرانية.

187- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ، طبع مكتبة الشروق الدولية، 2005م،

188-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي
الفيومي ، المكتبة العلمية بيروت، 2010م.

189-مناجات خواجه عبدا الله أنصاري (فارسي) تعليق وتحشية على أصغر بشير
ط كابل ، أفغانستان 1355 هـ.ش.

190-المصنف في الأحاديث والآثار للإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة
المتوفى سنة 235هـ ط دار السلفية بومباي- الهند 1981م.

191-ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
عثمان الذهبي ، ط دار الكتب العلمية بيروت 1416هـ، 1995م.

192-النفحة القدسية في أحكام قراءة القرآن وكتابته بالفارسية من المخطوطة الرقم
3232 / 12 ، مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة .

193-نفحات الأنس من حضرات القدس لعبد الرحمن الجامي (فارسي) تصحيح
مهدي توحيد بور ط انتشارات كتابفروشي محمودي تهران 1338 هـ ش .

194-النهاية على حاشية الهداية لعمر بن أحمد عبيد الله تاج الشريعة ، حاشية الرقم
(1) طبع دلهي 1915 م .

195-ناسخ القرآن ومنسوخه لابن الجوزي، تحقيق حسين سليم، طبعة دار الثقافة
العربية.

- 196-نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لجمال الدين عبد الرحمن أبي الفرج بن الجوزي. مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، 1994م.
- 197-النشر في القراءات العشر، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري ، ط دار الكتب العلمية بيروت .
- 198-نيل السانرين في طبقات المفسرين لمحمد طاهر البنجيري، مكتبة اليمان، باكستان 1421هـ-2000.
- 199-نيل الأوطار لمحمد بن علي الشوكاني، دار الحديث بمصر 1413هـ - 1993م.
- 200-نهاية السؤل شرح منهاج الأصول، لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي، مصورة عالم الكتب عن جمعية نشر الكتب العربية، القاهرة، 1343 هـ.
- 201-وجوه القرآن لأبي عبد الرحمن النيسابوري ص 1 -2، تحقيق فضل الرحمن عبد العليم الأفغاني، رسالة الماجستير بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1404هـ- 1984م.
- 202-وسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 1994م.
- 203-الوشية في نقد عقائد الشيعة لموسى الجار الله ، طبع سهيل أكاديمي لاهور باكستان 1369هـ.
- 204-هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي ، وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية إستانبول سنة 1951م.

205- الهداية للميرغيناني، ط مصطفى البابي الحلبي ، وبدائع الصنائع 112/1 ط دار الكتاب العربي.

206- الهداية شرح بداية المبتدي لعلّي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان 2010م.

207- الهيئة العالمية للقرآن الكريم ضرورة الدعوة والتبليغ تأليف الدكتور حسن المعاييرجي، مقدمة الدكتور القرضاوي للكتاب ، الدوحة 1999م بدون دار نشر.

فهرس المحتويات

5.....	المقدمة
7.....	التعريف بالموضوع:
8.....	أهمية الموضوع:
9.....	أسباب اختيار الموضوع:
11.....	مشكلة البحث:
11.....	الدراسات السابقة:
12.....	أهداف البحث:
13.....	منهج البحث وخطواته:
21.....	التمهيد:
21.....	المطلب الأول: تعريف الاتجاه الفقهي في التفسير:
22.....	المطلب الثاني: التعريف بمصطلحات البحث مثل: تفسير آيات الأحكام، والتفسير الفقهي:
22.....	تعريف التفسير الفقهي:
26.....	الباب الأول
26.....	تاريخ الترجمة الفارسية لمعاني القرآن الكريم ونشأة التفسير الفقهي باللغة الفارسية وأثرهما في الإسهام في النهضة العلمية.
26.....	الفصل الأول: تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية
26.....	المبحث الأول: تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية:
36.....	المبحث الثاني: حكم ترجمة معاني القرآن الكريم إلى غير العربية:
44.....	الفصل الثاني
44.....	نشأة التفسير الفقهي باللغة الفارسية ويحتوي على مبحثين:
44.....	المبحث الأول: نشأة التفسير الفقهي باللغة الفارسية وتطوره:
61.....	الفصل الثالث

إسهام التفسير الفقهي في النهضة التفسيرية في بيئة الناطقين بالفارسية ومميزاته	61
المبحث الأول: دور التفسير الفقهي في توجيه المفسر نحو التأليف المبسوط في اللغة الفارسية:	61
عدم التعصب للمذاهب الفقهية:	64
المبحث الثاني: أثر التفاسير الفقهية الفارسية في المجتمعات الإسلامية الناطقة باللغة الفارسية وأهميتها في الأوساط العلمية:	68
المبحث الثالث: إسهام التفسير الفقهي باللغة الفارسية في النهضة العلمية لتفاسير آيات الأحكام:	72
المبحث الرابع: مميزات التفسير الفقهي باللغة الفارسية وقيّمته العلمية:	83
المبحث الخامس: أبرز المآخذ على التفسير الفقهي باللغة الفارسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين:	86
الباب الثاني	98
الاتجاه الفقهي في التفاسير باللغة الفارسية في القرن الخامس الهجري، تفسير تاج التراجم للأسفراييني نموذجاً.	98
التمهيد: نبذة عن القرنين الخامس والسادس الهجريين والوضع السياسي والعلمي والتفسيري فيهما:	98
الفصل الأول: التعريف بتفسير تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم واهتمامه بتفسير آيات الأحكام	112
المبحث الأول: الوصف الإجمالي لتفسير تاج التراجم وأهميته:	112
المبحث الثالث : اهتمام الإسفراييني بتفسير آيات الأحكام:	122
المبحث الرابع: قوة استنباط الإسفراييني من آيات الأحكام:	127
المبحث الخامس: أسباب عدم خوضه بتفاصيل المسألة واكتفائه بمذهب الإمام الشافعي:	134
المبحث السادس: أسباب عدم التزامه بذكر النصوص وأقوال الصحابة والتابعين باللغة العربية بل يكتفي بإيراده ترجمتها الفارسية:	140
الفصل الثاني	148
الاتجاه الفقهي في تفسير تاج التراجم للأسفراييني:	148

المبحث الأول: طريقته في الترجيح عند اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام:	148
أمثلة من واقع منهجه في رفع ما يقع من التعارض التفسيري في الظاهر:	151
مثال توضيح المشكل والمختلف وما يوهم ظاهره التناقض:	156
المبحث الثاني: عنايته بفقہ النوازل من خلال تفسيره لآيات الأحكام:	160
المبحث الثالث: خصائص ومميزات تفسير الأسفراييني:	172
المبحث الرابع : عدم تحويله تفسيره إلى كتاب خلافت فقہية واحتفاظه بخصائصه التفسيرية :	183
المبحث الخامس: فوائد ترجمة آيات الأحكام إلى الفارسية من منظور الأسفراييني وأنها من مستلزمات الرسالة النبوية وعالميتها:	186
الباب الثالث.....	195
الاتجاه الفقهي في التفاسير باللغة الفارسية في القرن السادس الهجري.....	195
الفصل الأول: الاتجاه الفقهي في تفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار للمبيدي (سنة 520هـ) المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وبالكتاب	195
المطلب الأول: التعريف بالمؤلف:	195
المطلب الثاني: التعريف بالكتاب:	201
طريقة مؤلف كشف الأسرار وعدة الأبرار في تفسير الآيات:	203
التفسير بالمأثور في كشف الأسرار وعدة الأبرار:	205
المبحث الثاني: اهتمام وعناية المبيدي بالمباحث الفقہية وتخصيصه فصولاً خاصة لبيان الأحكام المستنبطة:	220
المبحث الثالث: طريقة المبيدي في تفسير آيات الأحكام:	231
المبحث الرابع: اهتمام المبيدي بالأدلة وربطه التفسير الفقهي بالدليل:	236
المبحث الخامس: ترجيحات المبيدي في تفسيره لآيات الأحكام:	244
المبحث السادس: جوانب التجديد في التفسير الفقهي عند كشف الأسرار:	251
المبحث السابع: القيمة العلمية لتفسير كشف الأسرار وعدة الأبرار:	256
الفصل الثاني: تفسير النسفي لنجم الدين أبي حفص عمر بن أحمد النسفي (ت 537هـ)	261
المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وبتفسيره:	261

المطلب الأول: ترجمة النسفي:	261
المطلب الثاني: الوصف الإجمالي لتفسير النسفي:	272
المبحث الثالث: منهجه في شرح المفردات المتعلقة بآيات الأحكام:	300
المبحث الرابع: جودة ترتيبه وتبويبه:	314
المبحث الخامس: مميزات تفسير النسفي وما يؤخذ عليه، ويحتوي هذا البحث على مطالبين:	326
المطلب الأول: مميزات تفسير النسفي وقيّمته العلمية وأنه يشبه تفسير الجلالين:	327
الفصل الثالث	335
الاتجاه الفقهي في تفسير البصائر أو "البصائر اليمينية" لأبي جعفر محمد بن محمود النيسابوري الغزنوي (ت599هـ):	335
المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وبالكتاب:	335
المطلب الأول: التعريف بمؤلف تفسير البصائر:	335
المطلب الثاني: الوصف الإجمالي لتفسير البصائر:	338
المبحث الثاني: عنايته بتفسير آيات الأحكام:	342
المبحث الثالث: طريقته في تفسير آيات الأحكام:	356
المبحث الرابع: مسلكه في ترجيح الأقوال التفسيرية عند اختلاف المفسرين: ..	371
المبحث الخامس: اهتمامه بنوازل عصره من خلال تفسيره لآيات الأحكام: ...	382
المبحث السادس: ما تميز به تفسير البصائر وإبراز قيمته العلمية:	388
الخاتمة	394
التوصيات	401
فهرس الآيات القرآنية	404

